البرهان في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي
المتوفى سنة ٧٩٤هـ

خرج حديثه وقدّم له وعلّق عليه
مصطفى عبد القادر عطا

الجزء الثالث

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

دار الفكر
بيروت
لبنان

المكاتب : البناية المركزية ـ هاتف : ٢٤٤٧٣٩ ـ ص.ب : ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حريك ـ شارع عبد النور ـ هاتف : ٣٩٠٦٦٣ | ٨٣٨٢٠٢ ٨٣٧٨٩٨
برقياً : فكسي ـ تلكس : ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

البرهان
في
علوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

١١ ـ القسم الحادي عشر

المثنى وإرادة الواحد

تابع أقسام التوكيد: وهو الأسلوب الأول من أساليب القرآن المذكورة تحت النوع السابع والأربعين وأوله في الجزء الأول

كقوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[١]؛ وإنما يخرج من أحدهما.

ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[٢]، وإنما تخرج الحلية من «المِلْح»[٣]، وقد غلط في هذا المعنى أبو ذؤيب الهذلّي[٤] حيث قال يذكر الدُّرة:

فجاء بها ما شئتَ من لَطَمِيَّةٍ يَدُومُ الفرات فوقها ويموج[٥]

والفرات لا يدوم فوقها؛ وإنما يدوم الأجاج.

وقال أبو علي في قوله تعالى: ﴿ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٦]: إن

---

(١) سورة: الرحمن آية: ٢٢.

(٢) سورة: فاطر آية: ١٢.

(٣) وهي الآية ١٢ من سورة فاطر.

(٤) أبو ذؤيب الهذلي، هو: خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح. وعاش إلى أيام عثمان. مات حوالي (٢٧ هـ: ٦٤٨ م).

أنظر ترجمته في: (شواهد المغني، للسيوطي ١٠. الأغاني ٦/ ٥٦. ومعاهد التنصيص ٢/ ١٦٥. وخزانة البغدادي ١/ ٢٠٣، ٢/ ٣٢٠، ٣/ ٥٩٧. والكامل لابن الأثير ٣/ ٣٥. والأعلام ٢/ ٣٣٥).

(٥) أنظر: (ديوان الهذليين ١/ ٥٧).

(٦) سورة: الزخرف آية: ٣١.

ظاهرَ اللفظ يقتضي أن يكون من مكة والطائف جميعاً؛ ولما لم يمكن أن يكون منهما دلّ المعنى على تقدير: «رجل من إحدى القريتين».

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً ﴾[1] أي: في إحداهنَّ.

وقوله تعالى﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾[2] والناسي كان يوشع، بدليل قوله لموسى: ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾[3]؛ ولكن أضِيفَ النِّسيان لهما جميعاً لسكوت موسى عنه.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[4].

والتعجيل يكون في اليوم الثاني، وقوله: ﴿ فَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ قيل: إنه من هذا أيضاً، وإن موضع الإثم والتعجيل يجعل المتأخر الذي لم يقصِّر مثل ما جعل للمقصِّر.

ويحتمل أن يراد: لا يقولنّ أحدُهما لصاحبه: نت مقصِّر؛ فيكون المعنى: لا يؤثم أحدُهما صاحبه.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾[5].

وقول تعالى: ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾[6]، أي: أحدهما، على أحد القولين.

وقوله: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾[7].

فالجناح على الزّوج لأنه أخذ ما أعطى.

---

(١) سورة: نوح آية: ١٦.
(٢) سورة: الكهف آية: ٦١.
(٣) سورة: الكهف آية: ٦٣.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢٠٣.
(٥) سورة: النساء آية: ١١.
(٦) سورة: الأعراف آية: ١٩٠.
(٧) سورة: البقرة آية: ٢٢٩.

قال أبو بكر الصيرفي: المعنى: فإن خِيف من أحدهما ذلك جازت الفِدْية، وليس الشرط أن يجتمعا على عدم الإقامة.

وقوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾(١) قيل: هو خطاب للملك.

وقال المبرد: ثنَّاه على «ألق»، والمعنى: ألق ألق، وكذلك القول في «قفا».

وخالفه أبو إسحاق، وقال: بل هو مخاطبة للمَلَكين.

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾(٢) قال: يخاطب الإنسانُ مخاطبه بالتثنية.

وجعل منه قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(٣): وقوله تعالى ﴿ جَنَّتَيْنِ ﴾(٤) فقيل: جنة واحدة بعد هذه الآية(٥): ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ﴾(٦) فأفرد بعد ما ثنى.

وقوله: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾(٧)، فإنه ما ثنى هنا إلا للإشعار بأن لها وجهين، وأنك إذا نظرت عن يمينك ويسارك رأيت في كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرّة، وصدرك مسرّة.

وقوله تعالى: ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾(٨)، وإنما المتخذُ إلهاً عيسى دون مريم؛ فهو من باب «والنجوم الطوالع» قاله أبو الحسن، وحكاه عنه آبن جني في كتاب «القد»، وعليح حمل ابنُ جني وغيرهُ قولَ امرىء القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ

---

(١) سورة: قٓ آية: ٢٤.
(٢) سورة: الرحمن آية: ١٣.
(٣) سورة: الرحمن آية: ٤٦.
(٤) سورة: الكهف آية: ٣٢.
(٥) في الأصل: جنة واحدة بدليل قوله تعالى آخر الآية.
(٦) سورة: الكهف آية: ٣٥.
(٧) سورة: الكهف آية: ٣٣.
(٨) سورة: المائدة آية: ١١٦.

ويؤيده قوله بعده:

* أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً أريكَ وَمِيضَهُ *

وقولُ الفرزدق[1]:

عَشِيَّةَ سَالَ المِرْبَدَانِ كِـلاهُما ... سَحابة موت بالسيوف الصوارم

وإنما هو مَرْبد البصرة فقط.

وقوله: «ودار لها بالرقمتين». من قول زهير، والرقمتان روضتان بناحية الصمان وهو هنا من المثنى الحقيقي فلا يكون موضعاً للشاهد.

وقوله: «ببطن المكتين».

وقول جرير:

لمـا مررتُ بـالـدَّيْـرَيْن أرّقني ... صَوْتُ الدَّجاجِ وقَرْعٌ بالنَّواقِيس

قالوا: أراد «دير الوليد»؛ فثناه باعتبار ما حَوْله.

---

(١) الفرزدق، هو: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق. شاعر من النبلاء من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس.

أنظر: (رغبة الأمل من كتاب الكامل ١/١١٤، ٢/ ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٢١٧، ٢٣٧، ٣/ ٥٥، ٥٦. وابن خلكان ٢/ ١٩٦. والشريشي ١/ ١٤٢. ومعاهد التنصيص ١/ ٤٥. وخزانة البغدادي ١/ ١٠٥: ١٠٨. والأغاني ٩/ ٣٢٤. وأمالي المرتضى ١/ ٤٣: ٤٩. ومفتاح السعادة ١/ ١٩٥. والحيوان، للجاحظ ٦/ ٢٢٦. والأعلام ٨/ ٩٣).

١٢ ـ القسم الثاني عشر
إطلاق الجمع وإرادة الواحد

كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ﴾، إلى قوله: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾(١).

قال أبو بكر الصيرفيّ: فهذا خطاب للنبيّ ﷺ وحده؛ إذ لا نبيّ معه ولا بعده.

ومثله: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا... ﴾(٢) الآية، وهذا مما لا شريك فيه، والحكمة في التعبير بصيغة الجمع أنه لما كانت تصاريف أقضيته سبحانه وتعالى تجري على أيدي خلقه نزّلت أفعالهم منزلة قبول القول بمورد الجمع.

وجعل منه ابن فارس قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(٣)، والرسول كان واحداً، بدليل قوله تعالى: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾(٤).

وفيه نظر؛ من جهة أنه يحتمل مخاطبة رئيسهم، فإنّ العادة جارية ـ لا سيّما من الملوك ـ ألّا يرسلوا واحداً.

---

(١) سورة: المؤمنون آية: ٥١ ـ ٥٤.
(٢) سورة: الزخرف آية: ٣٢.
(٣) سورة: النمل آية: ٣٥.
(٤) سورة: النمل آية: ٣٧.

ومنه: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾[1] وغير ذلك؛ وقد تقدم في وجوه المخاطبات[2].

ومنه: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾[3]، والمراد: جبريل.

وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[4]؛ والمراد: محمد ﷺ.

وقوله: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾[5]؛ والمراد بهم: آبن مسعود الثقفي[6]؛ وإنما جاز إطلاق لفظ «الناس» على الواحد؛ لأنه إذا قال الواحد قولاً وله أتباعٌ يقولون مثلَ قوله، حَسُنَ إضافةُ ذلك الفعل إلى الكل.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارأْتُمْ فِيهَا ﴾[7].

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ﴾[8].

والقائل ذلك رءُوسهم. وقيل: المراد بالناس ركبٌ من عبد القيس دَسَّهُم أبو سفيان إلى المسلمين وضَمِن لهم عليه جعلاً، قاله آبن عباس، وآبن إسحاق، وغيرهما[9].

---

(1) سورة: الشعراء آية: ٢١.

(2) أنظر: (وجوه المخاطبات ٢/ ٢١٧).

(3) سورة: النحل آية: ٢.

(4) سورة: النساء آية: ٥٤.

(5) سورة: آل عمران آية: ١٧٣.

(6) أنظر: (الكشاف ١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(7) سورة: البقرة آية: ٢٧.

(8) سورة: البقرة آية: ٥٥.

(9) أنظر: (تفسير الطبري ٧/ ٤٠٩).

١٣ ـ القسم الثالث عشر
إطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع

كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾[١].

فإنّه وإن كان لفظه لفظ التثنية فهو جمع، والمعنى «كرات» لأنّ البصر لا يحسُر إلا بالجمع.

وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾[٢].

---

(١) سورة: الملك آية: ٤.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢٢٩.

١٤ ـ القسم الرابع عشر
التكرار على وجه التأكيد

وهو مصدر «كرر» إذا ردّد وأعاد؛ هو «تَفْعال» بفتح التاء؛ وليس بقياس، بخلاف التفعيل.

وقال الكوفيون: هو مصدر «فَعَّل» والألف عوض من الياء في التفعيل.

والأول مذهب سيبويه.

وقد غلط مَنْ أنكر كونَه من أساليب الفصاحة، ظناً أنه لا فائدة له؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلّق بعضهُ ببعض؛ وذلك أنّ عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت اندعاء عليه، كرّرته توكيداً، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسَّم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصِد الدعاء؛ وإنما نزل القرآنُ بلسانهم، وكانت مخاطباتُه جاريةً فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسْلَك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة.

وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد؛ لأنّ الإنسانَ مجبول من الطبائع المختلفة، وكلُّها داعيةٌ إلى الشهوات، ولا يقمع ذلك إلا تكرارُ المواعظ والقوارع.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾[1].

(١) سورة: القمر آية: ١٧.

قال في «الكشاف»[1]: أي سهّلناه للادّكار والاتعاظ بأن نسجناه بالمواعظ الشافية، وصرفنا فيه من الوعد والوعيد.

ثم تارة يكون التكرار مرتين؛ كقوله:

﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾[2].

وقوله: ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى. ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾[3].

وقوله: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ. ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾[4].

وقوله: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾[6].

قوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ ﴾[7].

وفائدته العظمى[8] التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر.

وقد أخبر الله سبحانه بالسبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن[9] فقال: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[10]

وقال: ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾[11]

وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنىً؛ خشية تناسي الأول، لطول العهد به.

---

(١) أنظر: (الكشاف، للزمخشري ٤/ ٣٤٦).
(٢) سورة: المدثر آية: ١٩ ـ ٢٠.
(٣) سورة: القيامة آية: ٣٤ ـ ٣٥.
(٤) سورة: التكاثر آية: ٦ ـ ٧.
(٥) سورة: النبإ آية: ٤ ـ ٥.
(٦) سورة: آل عمران آية: ٧٨.
(٧) سورة: التوبة آية: ٦٩.
(٨) في النسخة ب: ومن الفوائد العظمى.
(٩) سورة: القيامة آية: ٣٤ ـ ٣٥.
(١٠) سورة: القصص اية: ٥١.
(١١) سورة: طه آية: ١١٣.

فإنْ أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه، كقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ. قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾[١].

فأعاد قوله: ﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾[٢] بعد قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾، لا لتقرير الأول؛ بل لغرض آخر؛ لأن معنى الأول: الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها، ومعنى الثاني: أنه يخصّ الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص؛ ولذلك قدم[٣] المفعول على فعل العبادة في الثاني، وأخّر في الأول؛ لأن الكلام أولاً في الفعل، وثانياً فيمن فُعِل لأجله الفعل.

واعلم أنّه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل، أما إذا وافق الأصل فلا؛ ولهذا لا يتجه سؤالهم: لِمَ كرر «إياك» في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٤]؟.

فقيل: إنما كررت للتأكيد، كما تقول: «بين زيد وبين عمرو مالٌ».

وقيل: إنما كررت لارتفاع أن يتوهم ـ إذا حذفت ـ أنّ مفعول «نستعين» ضمير متصل واقع بعد الفعل، فتفوت إذ ذاك الدلالة على المعنى المقصود، بتقديم المعمول على عامله.

والتحقيق: أنّ السؤال غير متجه؛ لأنّ هنا عاملين متغايرين، كلٌّ منهما يقتضي معمولاً، فإذا ذكر معمول كلّ واحد منهما بعده فقد جاء الكلام على أصله، والحذفُ خلاف الأصل، فلا وجهَ للسؤال عن سبب ذِكْرِ ما الأصلُ ذكره، ولا حاجة إلى تكلّف الجواب عنه، وقسْ بذلك نظائره.

---

(١) سورة: الزمر آية: ١١ ـ ١٥.
(٢) سورة : الزمر آية: ١١.
(٣) في النسخة جـ : تقدم.
(٤) سورة: الفاتحة آية: ٣.

فوائد التكرير.

ولـه فوائد[1]:

أحدها: التأكيد:

واعلمْ أنّ التكريرَ أبلغُ من التأكيد؛ لأنه وقع في تكرار التأسيس؛ وهو أبلغ من التأكيد، فإنّ التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز.

فلهذا قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[2]: إنّ الثانية تأسيس لا تأكيد؛ لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال: وفي ﴿ثُمَّ﴾ تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول.

وكذا قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[3].

وقوله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[4]، يحتمل أن يكون منه، وأن يكون من المتماثلين.

والحاصل أنه: هل هو إنذار تأكيد[5]، أو إنذاران؟ فإن قلت: «سوف تعلم، ثم سوف تعلم» كان أجودَ منه بغير عطف؛ لتجريه على غالب استعمال التأكيد، ولعدم احتماله لتعدد المخبر به.

وأطلق بدر الدين بن مالك في شرح «الخلاصة» أن الجملة التأكيدية قد تُوصل بعاطف، ولم تختص بثم، وإن كان ظاهر كلام والده التخصيص؛ وليس كذلك؛ فقد قال تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ﴾[6]، فإن المأمور فيهما واحد، كما قاله النّحاس، والزمخشري، والإمام فخر الدين، والشيخ عزّ الدين، ورجّحوا ذلك على احتمال أن تكون «التقوى» الأولى مصروفةً لشيء غير «التقوى» الثانية، مع شأن إرادته.

---

(١) أي: فوائد التكرار.

(٢) سورة: التكاثر آية: ٣ - ٤.

(٣) سورة: الانفطار آية: ١٧ - ١٨.

(٤) سورة: المدثر آية: ١٩ - ٢٠.

(٥) في جـ: هل هو إنـذار مؤكد.

(٦) سورة: الحشر آية: ١٨.

وقولهم: إنه تأكيد، فمرادهم تأكيد المأمور به بتكرير الإنشاء، لا أنّه تأكيد لفظيّ، ولو كان تأكيداً لفظياً لما فصل بالعطف، ولما فَصل بينه وبين غيره: ﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ﴾(١).

فإن قلت: «اتقوا» الثانية معطوفة على «ولتنظر».

أجيب بأنهم قد اتفقوا على أن: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾(٢)، معطوف على ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ ﴾(٣)، لا على قوله: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾(٤)؛ وهو نظير ما نحن فيه.

وقوله تعالى: ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ ٱصْطَفَاكَ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾(٥).

وقوله: ﴿ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾(٦).

ويحتمل أن يكون «اصطفاءين» و«ذكرين»، وهو الأقرب في الذكر، لأنّه محل طلب فيه تكرار الذكر.

وكقوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً. وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾(٧).

وقوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾(٨)، كرر «أولئك».

وكذلك قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٩).

وكذا قوله: ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي... ﴾ إلى قوله: ﴿ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾(١٠)؛ كررت «أن» في أربع مواضع تأكيداً.

---

(١) سورة: الحشر آية: ١٨.
(٢) سورة: البقرة آية: ٨٣.
(٣) سورة: البقرة آية: ٨٣.
(٤) سورة: البقرة آية: ٨٣.
(٥) سورة: آل عمران آية: ٤٢.
(٦) سورة: البقرة آية: ١٩٨.
(٧) سورة: طه آية: ٤٢.
(٨) سورة: الرعد آية: ٥.
(٩) سورة: البقرة آية: ٥.
(١٠) سورة: القصص آية: ١٩.

وقوله: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ ٱلدِّينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

الثاني: زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمُل تلقي الكلام بالقبول:

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمِ إِنَّما هٰذِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾[2] فإنه كرر فيه النداء لذلك.

الثالث: إذا طال الكلام وخُشيَ تناسي الأول أعيد ثانياً تطرية له، وتجديداً لعهده:

كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ[3] وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[4].

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا... ﴾[5] الآية.

وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ ﴾ ثم قال: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ﴾[6] فهذا تكرار للأول، ألاَ ترى أن لما لا تجيء بالفاء!؟.

ومثله: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾ ثم قال: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ ﴾[7].

وقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾، ثم قال: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾[8].

ومنه قوله: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[9].

---

(١) سورة: الزمر آية: ١١ - ١٢.
(٢) سورة: المؤمن آية: ٣٨ - ٣٩.
(٣) سورة: النحل آية: ١١٩.
(٤) سورة: النحل آية: ١١٠.
(٥) سورة: النحل آية: ١١٠.
(٦) سورة: البقرة آية: ٧٩.
(٧) سورة: آل عمران آية: ١٨٨.
(٨) سورة: البقرة آية: ٢٥٣.
(٩) سورة: يوسف آية: ٥.

وقوله: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾[1] فقوله: ﴿ إنكم ﴾ الثاني بناء على الأول، إذكاراً به خشية تناسيه.

وقوله: ﴿ وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[2].

وكذلك قوله) ﴿ إنا كَذٰلِك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إن هذا لَهو ٱلْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عظيمٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ كَذٰلِكَ نَجْزِي المحْسِنِينَ ﴾[3].

بغير ﴿ إنا ﴾ وفي غيره من مواضع ذَكَر ﴿ إِنَّا كَذٰلِكَ ﴾، لأنه يبنى على ما سبقه في هذه القصة من قوله ﴿ إِنَّا كَذٰلِكَ ﴾؛ فكأنه طرح فيما اكتفى بذكره أولاً عن ذكره، ثانياً: ولأن التأكيد بالنسبة، فاعتبر اللفظ من حيث هو دون توكيده.

ويحتمل أن يكون من باب الاكتفاء؛ وهذا أسلوب غريب، وقلّ في القرآن وجوده، وأكثر ما يكون عند تقدم مقتضيات الألفاظ، كالمبتدأ، وحروف الشرطين الواقعين في الماضي والمضارع. ويستغنى عنه عند أمر محذور التناسي.

وقد يرد منه شيء يكون بناؤه بطريق الإجمال والتفصيل بأن تتقدم التفاصيل والجزئيات في القرآن، فإذا خشي عليها التناسي لطول العهد بها بنى على ما سبق بها بالذكر الجمليّ، كقوله تعالى: ﴿ فَبما نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[4].

فقوله «فبظلم» بيان لذكر الجمليّ على ما سبق في القول من التفصيل، وذلك أن الظلم جمليّ على ما سبق من التفاصيل من النقض والكفر وقتل الأنبياء، ﴿وَقَوْلِهِـمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾[5] والقول على مريم بالبهتان، ودعوى قتل المسيح عليه السلام، إلى ما تخلل ذلك من أسلوب الاعتراض بها موضعين. وهما قوله:

﴿ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[6].

---

(١) سورة: المؤمنون آية: ٣٥.
(٢) سورة: الروم آية: ٧.
(٣) سورة: الصافات آية: ١٠٥ ـ ١٠٧.
(٤) سورة: النساء آية: ١٥٥ ـ ١٦١.
(٥) سورة: النساء آية: ١٥٥.
(٦) سورة: النساء آية: ١٥٥.

وقوله: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ شَهِيداً ﴾[1].

وأنه لما ذكر بالبناء جمليّ الظلم من قوله «فبظلم» لأنه يعم على كل ما تقدم وينطوي عليه، ذكَر حينئذ متعلق الجملي من قوله: ﴿ فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ ﴾[2] عقب الباء لأن العامل في الأصل حقه أن يَلِيَ معموله، فقال: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنا ﴾[3]؛ هو متعلق بقوله: ﴿ فَبِظُلْمٍ ﴾، وقد اشتمل الظلمُ على كلٍّ ما تقدم قبله، كما أنه أيضاً اشتمل على كل ما تأخر من المحرّمات الأُخَر التي عددت بعد ما اشتملت على ذكر الشيء بالعموم والخصوص؛ فذكرت الجزئيات الأولى بخصوص كلّ واحد، ثم ذكر العام المنطوي عليها؛ فهذا تعميم بعد تخصيص. ثم ذكرت جزئيات أخر بخصوصها، فتركيب الأساليب من وجوه كثيرة في الآية: وهو التعميم بعد التخصيص، ثم التخصيص بعد التعميم، ثم البناء بعد الاعتراض.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِنَاتٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[4].

فقوله: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[5] هو المقتضي الأول المتقدم، وقوله ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾[6] هو المقتضي الثاني وهو البناء، لأنه المذكّر بالمقتضي الأول الذي هو «لولا» خشية تناسيه، فهو مبني على الأول، ثم أورد مقتضاها من الجواب بقوله: ﴿ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ﴾[7] وروداً واحداً من حيث أخذا معاً، كأنهما مقتضى منفرد، من حيث هما واحد بالنوع؛ وهو الشرط الماضي. فقوله: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾[8] بناء على قوله: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ ﴾[9] نظر في المضارعة.

---

(١) سورة: النساء آية: ١٥٩.
(٢) سورة: النساء آية: ١٥٥.
(٣) سورة: النساء آية: ١٦٠.
(٤) سورة: الفتح آية: ٢٥.
(٥) سورة: الفتح آية: ٢٥.
(٦) سورة: الفتح آية: ٢٥.
(٧) سورة: الفتح آية: ٢٥.
(٨) سورة: الفتح آية: ٢٥.
(٩) سورة: الفتح آية: ٢٥.

وأما قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رحيمٌ ﴾[1] فيجوز أن يكون تكريراً، ويجوز أن يكون الكلام عند قوله: ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ويكون الثاني بياناً لمجمل لا تكرير.

وقد جعل آبن المنيّر[2] من هذا القسم قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾[3] ثم قال: ﴿ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً ﴾[4].

وقوله: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ... ﴾ ثم قال: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا ﴾[5].

ونازعة العِراقيّ[6] لأن المُعاد فيهما أخصّ من الأول؛ وهذا يجيء في كثير مما ذكرنا، ولا بد أن يكون وراء التكرير شيء أخصُّ منه كما بيّنا.

الرابع: في مقام التعظيم والتهويل:

كقوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ ﴾[7].

(١) سورة: النحل آية: ١١٩.

(٢) ابن المنير، هو: أحمد بن محمد بن منصور: من علماء الاسكندرية وأدبائها. ولي قضاءها وخطابتها مرتين. من مصنفاته: تفسير. وديوان خطب. وتفسير حديث الإسراء. والانتصاف من الكشاف.

أنظر: (فوات الوفيات ١/ ٧٢. الأعلام ١/ ٢٢٠).

(٣) سورة: النحل آية: ١٠٦.

(٤) سورة: النحل آية: ١٠٦.

(٥) سورة: الفتح آية: ٢٥.

(٦) العراقي، هو: عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري، علم الدين ابن بنت العراقي: مفسر كف بصره في أواخر عمره، أصله من وادي آش بالأندلس ولد بمصر عام ٦٢٣ هـ: ١٢٢٦ م) وتوفي بها عام (٧٠٤ هـ: ١٣٠٤ م). من مصنفاته: مختصر في أصول الفقه. ومختصر في تفسير القرآن. والانصاف من الانتصاف بين الزمخشري وابن المنير.

أنظر: (مفتاح السعادة ٢/ ٢٢١. ونكت الهميان ١٩٥. والدرر الكامنة ٢/ ٢٩٩. وكشف الظنون ١٤٧٧. والأعلام ٤/ ٥٣).

(٧) سورة: الحاقة آية: ١ - ٢.

﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾[1].

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾[2].

وقوله: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾[3].

وقوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾[4].

وقوله: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾[5].

الخامس: في مقام الوعيد والتهديد:

كقوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[6].

وذكر «ثم» في المكرر دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغُ من الأول، وفيه تنبيه على تكرر ذلك مرة بعد أخرى، وإن تعاقبت عليه الأزمنة لا يتطرق إليه تغيير، بل هو مستمر دائماً.

السادس: التعجب:

كقوله تعالى: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾[7].

فأعيد تعجباً من تقديره وإصابتِه الغرض، على حدّ: قاتله الله ما أشجعه.

السابع: لتعدد المتعلق:

كما في قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[8].

فإنها وإن تعدّدت؛ فكلّ واحد منها متعلق بما قبله، وإنّ الله تعالى خاطب

---

(١) سورة: القارعة آية: ١.
(٢) سورة: القدر آية: ١ ـ ٢.
(٣) سورة: الواقعة آية: ٢٧.
(٤) سورة: الواقعة آية: ٨ ـ ٩.
(٥) سورة: المدثر آية: ٣١.
(٦) سورة: التكاثر آية: ٦ ـ ٧.
(٧) سورة: المدثر آية: ١٩ ـ ٢٠.
(٨) سورة: الرحمن آية: ١٣.

بها الثقَلَيْن من الإنس والجن، وعدّد عليهم نعَمه التي خلقها لهم؛ فكلّما ذكر فصلاً من فصول النّعم طلب إقرارَهم واقتضاهم الشكرَ عليه، وهي أنواعٌ مختلفة، وصور شتى.

فإن قيل: فإذا كان المعنيّ في تكريرها عدَّ النعم واقتضاءَ الشكر عليها، فما معنى قوله: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾[1]؟ وأيّ نعمة هنا، وإنما هو وعيد!.

قيل: إن نعمَ الله فيما أنذر به وحذّر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها، نظير أنعمه على ما وعده، وبشر من ثوابه على طاعته؛ ليرغبوا فيها، ويحرصوا عليها؛ وإنما تتحقق معرفةُ الشيء بأن تعتبره بضدّه، والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما، فإنهما متقاربان في موضع بالنعم بالتوقيف على مِلاك الأمر منها، وعليه قول بعض حكماء الشعراء:

والحادثاتُ وإن أصابك بُؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها

وإنما ذكرنا هذا، لتُعلم الحكمةُ في كونها زادت على ثلاثة، ولو كان عائداً لشيء واحد لما زاد على ثلاثة؛ لأن التأكيد لا يقع به أكثر من ثلاثة.

فإن قيل: فإذا كان المراد بكلٍّ ما قبله، فليس ذلك بإطناب، بل هي ألفاظ أريد بها غير ما أريد بالآخر!.

قلت: إن قلنا: العبرة بعموم اللفظ؛ فكل واحد أريد به غير ما أريد بالآخر.

وقد تكلف لتوجيه العدّة التي جاءت عليها هذه الآية مكررة.

قال الكِرْمانيّ: جاءت آية واحدة في هذه السور كُرّرت نيفاً وثلاثين مرة؛ لأن ست عشرة راجعة إلى الجنان؛ لأن لها ثمانية أبواب، وأربعة عشر منها راجعة إلى النعم والنقم، فأعظم النقم جهنم، ولها سبعة أبواب. وجاءت سبعة

---

(١) سورة: الرحمن آية: ٣٥.

في مقابلة تلك الأبواب، وسبعة عقب كل نعمة ذكرها للثَّقلين.

وقال غيره: نبّه في سبع منها على ما خلقَه الله للعباد من نعم الدنيا المختلفة على عدّة أمهات النعم، وأفرد سبعاً منها للتخويف، وإنذاراً على عدة أبواب المخوف منه، وفُصِل بين الأول والسبع الثواني بواحدة سوّى فيها بين الخلق كلهم فيما كتبه عليهم من الفناء. حيث اتصلت بقوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[1]، فكانت خمس عشرة، أتبعت بثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدة أبوابها، ثم بثمانية أخر في وصف الجنتين اللتين من دون الأولتين لذلك أيضاً فاستكملت إحدى وثلاثين.

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾[2] في سورة المرسلات عشر مرات، لأنه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة، وأتبع كلَّ قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة: ويل للمكذب بهذه القصة، وكل قصة مخالفة لصاحبتها، فأثبت الويلَ لمن كذّب بها.

ويحتمل أنه لما كان جزاء الحسنة بعشر أمثالها، جعلَ للكفّار في مقابلة كلِّ مثل من الثواب ويل.

ومنها في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3] في ثمانية مواضع؛ لأجل الوعظ، فإنه قد يتأثر بالتكرار مَنْ لا يتأثر بالمرة الواحدة.

وأما قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ فذلك لظهور آيات الأنبياء عليهم السلام، والعجبُ من تخلُّف من لا يتأملها مع ظهورها.

وأما مناسبة قوله: ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ فإنه تعالى نَفى الإيمانَ عن الأكثر؛ فدل بالمفهوم على إيمان الأقلِّ، فكانت العزة على من لم يؤمن، والرحمة لمن آمن، وهما مرتبتان كترتب الفريقين.

(١) سورة: الرحمن آية: ٢٦.
(٢) سورة: المرسلات آية: ١٥. (٣) سورة: الشعراء آية: ٨ ـ ٩.

ويحتمل أن يكون من هذا النوع قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ... ﴾[1] الآية؛ لأنّ علمَهم يقع أولاً وثانياً على نوعين مختلفين بحسب المقام؛ وهذا أقربُ للحقيقة الوضعية وحال المعبر عنه؛ فإن المعاملات الإلٰهيّة للطائع والعاصي متغيرة الأنواع الدنيوية؛ ثم البرزخية، ثم الحشرية، كما أن أحوال الاستقرار بعد الجميع في الغاية؛ بل كل مقام من هذه أنواع مختلفة، وفي «ثم» دلالة على الترقي، إن لم يجعل الزمان مرتباً في الإنذار على التكرار، وفي المنذَر به على التنويع.

ومنه تكرار: ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾[2].

قال الزمخشري: كُرِّر ليجدوا عند سماع كل نبإٍ منها اتعاظاً وتنبيهاً، وأن كلا من تكل الأنباء مستحق باعتبار يختص به، وأن يتنبهوا كيلا يغلبَهم السرور والغفلة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ يٰأَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ... ﴾[3] إلى آخرها.

يحكى أن بعض الزنادقة سأل الحسنَ بن علي رضي الله عنه عن هذه الآية فقال: إني أجد في القرآن تكراراً، وذكَر له ذلك.

فأجابه الحسن بما حاصله: إن الكفار قالوا: نعبد إلٰهك شهراً وتعبد آلهتنا شهراً، فجاء النفي متوجهاً إلى ذلك. والمقصود أن هذه ليست من التكرار في شيء، بل هي بالحذف والاختصار أليق؛ وذلك لأن قوله: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[4]؛ أي: لا أعبد في المستقبل ما تعبدون في المستقبل.

وقوله: ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾، أي: ولا أنا عابدٌ في الحال ما عبدتم في المستقبل، ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾، في الحال مَا أَعْبُدُ في المستقبل.

---

(١) سورة: التكاثر آية: ٦ - ٧.

(٢) سورة: القمر آية: ٣٩.

(٣) سورة: الكافرون آية: ١ - ٢.

(٤) سورة: الكافرون آية: ٢.

والحاصل: أن القصدَ نفيُ عبادتِه لآلهتهم في الأزمنة الثلاثة: الحال، والماضي، والاستقبال؛ والمذكور في الآية النفي في الحال والاستقبال، وحذف الماضي من جهته ومن جهتهم؛ ولا بد من نفيه، لكنه حُذِف لدلالة الأولين عليه.

وفيه تقدير آخر؛ وهي أن الجملة الأولى فعلية، والثانية إسمية، وقولك: لا «أفعله» و«لا أنا فاعله» أحسن من قولك: «لا أفعله»، «ولا أفعله»؛ فالجملة الفعلية نفي لإمكانه، والاسمية نفي لاتصافه، كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي ٱلْعُمْيِ عَنْ ضَلاَلَتِهِمْ﴾[1].

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[2].

والمعنى أن تبرأ من فعله ومن الاتصاف به، وهو أبلغ في النفي؛ وأما المشركون فلم ينتفِ عنهم إلا بصيغة واحدة؛ وهي قوله: ﴿وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ في الموضعين.

وفرق آخر، وهو أنه قال في نفيه الجملة الاسمية: ﴿وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾.

وقال في النفي عنهم: ﴿وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ عائد في حقه بين الجملتين.

وقال: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ بالمضارع.

وفي الثاني: ﴿وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ بالماضي، فإنّ المضارعَ يدلّ على الدوام، بخلاف الماضي، فأفاد ذلك أنّ ما عبدتموه ولو مرّة ما أنا عابد له البتّة، ففيه كمالُ براءته ودوامها ممّا عبدوه ولو مرّة؛ بخلاف قوله: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فإن النفيَ من جنس الإثبات، وكلاهما مضارع يظهران جملة ومنفرداً.

---

(١) سورة: الروم آية: ٥٣.

(٢) سورة: فاطر آية: ٢٢.

ومنه تكرير الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات من سورة البقرة[1]؛ لأن المنكِرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس: اليهود؛ لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم. وأهل النفاق أشدّ إنكاراً له، لأنه كان أول نسخ نزل. وكفار قريش قالوا: ندم محمد على فراق ديننا فيرجع إليه كما رجع إلى قِبْلَتنا، وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه فيقولون: يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملّة إبراهيم وإسماعيل؛ وقد فارق قبلتَهما وآثر عليها قبلة اليهود.

وقال الله تعالى حين أمره بالصلاة إلى الكعبة: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[2] والاستثناء منقطع، أي: لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون.

وقال سبحانه: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[3] أي: الذين أشركوا فلا تمترِ في ذلك.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[4]، أي: يكتمون ما علِموا أن الكعبة هي قبْلة الأنبياء.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ. وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾[5]. وقال صاحب «الينبوع»[6]: لم يبلغني عن المفسرين فيه شيء.

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٤٤ ـ ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) سورة: البقرة آية: ١٥٠.

(٣) سورة: البقرة آية: ١٤٧.

(٤) سورة: البقرة آية: ١٤٦.

(٥) سورة: الصافات آية: ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٦) هو كتاب ينبوع الحياة في التفسير، وصاحبه هو: محمد بن عبد الله أبي محمد بن محمد ابن ظفر الصقلي المكي، أبو عبدالله، حجة الدين. أديب رحالة مفسر، ولد في صقلية ونشأ بمكة، وتنقل في البلاد، فدخل المغرب وجال في افريقية والأندلس، وعاد إلى الشام فاستوطن حماه وتوفي بها. ولد عام (٤٩٧ هـ: ١١٠٤ م) وتوفي عام (٥٦٥ هـ: ١١٧٠ م). من مصنفاته ينبوع الحياة. وهو في تفسير القرآن. وأنباء نجباء الأبناء. وخير البشر بخير البشر» و«سلوان المطاع في عدوان الأتباع». «والرد على الحريري في درة الغواص».

وقال المفسرون في غريب القرآن: هما في المعنى كالآيتين المتقدمتين، فكرّر للتأكيد وتشديد الوعيد.

ويحتمل أن يكون «الحين» في الأوليين[1] يوم بدر، و«الحين» في هاتين[2] يوم فتح مكة.

ومن فوائد قوله تعالى في الأوليين: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وفي هاتين: ﴿فَأَبْصِرْ﴾ أن الأولى بنزول العذاب بهم يوم بدر قتلاً وأسراً وهزيمة ورعْباً، فلما تضمنت التشفِّيَ بهم قيل له: ﴿أَبْصِرْهُمْ﴾، وأما يوم الفتح فإنه اقترن بالظهور عليهم الإنعامُ بتأمينهم والهداية إلى إيمانهم، فلم يكن وفقاً للتشفي بهم، بل كان في استسلامهم، وإسلامهم لعينه قرّة، ولقلبه مسرّة، فقيل له: ﴿أَبْصِرْ﴾.

ويحتمل على هذا ـ إن شاء الله ـ أن يكون من فوائد قوله تعالى في هذا: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾[3] أي: يبصرون منّك عليهم بالأمان، ومنّنا عليهم بالإيمان.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[4].

وللتكرار [هنا] فائدتان:

إحدهما: أنّ التحريمَ قد يكون في الطرفين؛ ولكن يكون المانع من إحداهما؛ كما لو ارتدَّت الزوجة قبل الدخول؛ يحرم النكاح من الطرفين؛ والمانع من جهتهما، فذكر الله سبحانه الثانية؛ ليدل على أن التحريم كما هو ثابت في الطرفين كذلك المانع منهما.

والثانية: أنّ الأولى دلّت على ثبوت التحريم في الماضي؛ ولهذا أتى فيها

= أنظر ترجمته في: (وفيات الأعيان ١/ ٥٢٢. ولسان الميزان ٥/ ٣٧١. وإرشاد الأريب ٧/ ١٠٢. وابن الوردي ٢/ ٧٨).

(١) سورة: الصافات آية: ١٧٤ ـ ١٧٥.
(٢) سورة: الصافات آية: ١٧٨ ـ ١٧٩.
(٣) سورة: الصافات آية: ١٧٩.
(٤) سورة: الممتحنة آية: ١٠.

بالاسم الدّال على الثبوت؛ والثانية في المستقبل، ولهذا أتى فيها بالفعل المستقبل.

ومنه: تكرار الإضراب.

واعلم أن «بل» إذا ذكرت بعد كلام موجب فمعناها الإضراب.

وهو إما أن يقع في كلام الخَلْق؛ ومعناه: إبطال ما سبق على طريق الغلط من المتكلم؛ أو أنّ الثاني أوْلى.

وإما أن يقع في كلام الله تعالى، وهو ضربان:

أحدهما: أن يكون ما فيها من الردّ راجعاً إلى العباد؛ كقوله تعالى:

﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ ٱفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾[1].

والثاني: أن يكون إبطالاً؛ ولكنه على أنه قد انقضى وقته؛ وأن الذي بعده أولى بالذكر، كقوله تعالى:

﴿ بَلِ ٱدَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ ﴾[2].

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِى بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[3].

وزعم ابن مالك في شرح «الكافية» أن «بل» حيث وقعت في القرآن فإنها للاستئناف لغرض آخر، لا لإبطال الأول؛ وهو مردود بما سبق، وبقوله: ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾[4]؛ فأضرب بها عن قولهم، وأبطل كذِبَهم.

وقوله: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[5]، أضرب بها عن حقيقةِ إتيانهم الذكور وترك الأزواج.

---

(١) سورة: الأنبياء آية: ٢١.

(٢) سورة: النمل آية: ٦٦.

(٣) سورة: صَ آية: ٨.

(٤) سورة: الأنبياء آية: ٢٦.

(٥) سورة: الشعراء آية: ١٦٦.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا ٱلشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾[1].

فالأول: للمطلّقين. والثاني: للشهود؛ نحو:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾[2].

أوّلها للأزواج، وآخرها للأولياء.

ومنه: تكرار الأمثال، كقوله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ. وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ. وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ. وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَاءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ﴾[3]

وكذلك ضَرْب مثل المنافقين أول البقرة[4] ثنّاه الله تعالى.

قال الزمخشري: والثاني أبلغ من الأول لأنه أَدَلُّ على فَرْط الحيرة، وشدّة الأمر وفظاعته.

قال: ولذلك أُخِّرَ، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ.

ومنه: تكرار القصص في القرآن؛ كقصة إبليس في السجود لآدم، وقصة موسى وغيره من الأنبياء.

قال بعضهم: ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعاً من كتابه.

قال ابن العربي في «القواصم»: ذكر الله قصة نوح في خمسة وعشرين آية، وقصة موسى في سبعين آية. انتهى. (١٥)

وإنما كررها لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر وهي أمور:

أحدها: أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً، ألا ترى أنه ذكر الحية[5] في

---

(١) سورة: الطلاق آية: ٢.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢٣٢.

(٣) سورة: فاطر آية: ١٩ ـ ٢٢.

(٤) سورة: البقرة آية: ١٧.

(٥) سورة: طه آية: ٢٠.

١٥: هو الإمام أبو بكر ابن العربي صاحب كتاب العواصم من القواصم

عصا موسى عليه السلام؛ وذكرها في موضع آخر ثعباناً، ففائدته أن ليس كل حية ثعباناً[١]، وهذه عادة البلغاء، أن يكرر أحدهما في آخر خطبته أو قصيدته كلمة، لصفة زائدة.

الثانية: أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين؛ وكان أكثر من آمن به مهاجرياً؛ فلولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى آخرين، وكذلك سائر القصص، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراكَ الجميع فيها، فيكون فيه إفادة القوم، وزيادة تأكيد وتبصرة، لآخرين وهم الحاضرون[٢]، وعَبّر عن هذا آبن الجوزي وغيرُه.

الثالثة: تسليته لقلب النبيّ ﷺ مما اتفق للأنبياء مثله مع أممهم[٣] قال تعالى:

﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[٤].

الرابعة: أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة، وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة.

الخامسة: أن الدّواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام، فلهذا كررت القصص دون الأحكام.

السادسة: أن الله تعالى أنزل هذا القرآن، وعَجَز القوم عن الإتيان بمثل آية لصحة نبوة محمد ﷺ، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم؛ بأن كرر ذكر القصة في مواضع، إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأيّ نظم جاءُوا، بأي عبارة عبّروا، قال آبن فارس[٥]: وهذا هو الصحيح.

---

(١) سورة: الأعراف آية: ١٠٧.

(٢) في أ، جـ: «وزيادة لآخرين، وهم الحاضرون»، وما أوردناه من ب.

(٣) في جـ: «مثله مع إسمهم»، وما أوردناه من ب.

(٤) سورة: هود آية: ١٢٠.

(٥) أنظر: (فقه اللغة، لابن فارس ١٧٨).

السابعة: أنه لما سَخِر العرب بالقرآن قال: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾[1].

وقال في موضع آخر: ﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ ﴾[2].

فلو ذكر قصة آدم مثلاً في موضع واحد واكتفى بها لقال العربيّ بما قال الله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾، «إيتونا أنتم بسورة من مثله»، فأنزلها سبحانه في تعداد السور، دَفْعاً لحجّتِهم من كل وجه.

الثامنة: أنّ القصة الواحدة من هذه القصص؛ كقصة موسى مع فرعون ـ وإن ظُنَّ أنها لا تغاير الأخرى ـ فقد يُوجد في ألفاظها زيادة، ونقصان، وتقديم، وتأخير، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ؛ فإن كلَّ واحدة لا بدّ وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه، لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها؛ فكأن الله تعالى فَرَّق ذكرَ ما دار بينهما وجعله أجزاء، ثم قسَّم تلك الأجزاء على تاراتِ[3] التكرار لتوجد متفرقة فيها؛ ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وُجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة؛ من انفراد كل قصة منها بموضع؛ كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام خاصّة، فاجتمعت في هذه الخاصية؛ من نظم القرآن عدة معانٍ عجيبة:

منها: أن التكرار فيها[4] مع سائر الألفاظ لم يُوقع في اللفظ هجْنة، ولا أحدثَ مَلَلاً، فباين بذلك كلامَ المخلوقين.

ومنها: أنه ألبسها زيادة ونقصاناً وتقديماً وتأخيراً؛ ليخرُج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها، فيكون شيئاً معاداً؛ فنزّهه عن ذلك بهذه التغييرات.

ومنها: أن المعانيَ التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقة في تارات التكرير فيجد البليغ ـ لما فيها من التغيير ـ ميلاً إلى سماعها، لما جُبِلت عليه النفوس من حبّ التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ به مستأنفة.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٣.

(٢) سورة: هود آية: ١٣.

(٣) في ب: «الأجزاء على منارات».

(٤) في ب: «إن التكرار منها».

ومنها: ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد؛ وقد كان المشركون في عصر النبيّ ﷺ يَعْجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير أنواع النظم، وبيان وجوه التأليف، فعرّفهم الله سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية، ولا يقع على كلامه عدد؛ لقوله تعالى:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾(١).

وكقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ. . . ﴾(٢) الآية.

وقال القفّال في تفسيره: ذكر الله في أقاصيص بني إسرائيل وجوهاً من المقاصد:

أحدها: الدلالة على صحة نبوّة محمد ﷺ؛ لأنه أخبر عنها مِنْ غير تعلّم؛ وذلك لا يمكن إلا بالوحي.

الثاني: تعديد النعم على بني إسرائيل، وما منّ الله على أسلافهم من الكرامة والفضل؛ كالنجاة من آل فرعون، وفَرْق البحر لهم، وما أنزل عليه في التيه من المنّ والسلوى، وتفجّر الحجَر، وتظليل الغمام.

الثالث: إخبار الله نبيه بتقديم كفرهم وخلافهم وشقاوتهم وتعنتهم على الأنبياء، فكأنه تعالى يقول: إذا كانت هذه معاملتهم مع نبيّهم الذي أعزهم الله به، وأنقذهم من العذاب بسببه؛ فغير بِدْع ما يعامله به أخلافهم محمداً ﷺ.

الرابع: تحذير أهل الكتاب الموجودين في زمَن النبيّ ﷺ من نـزول العذاب بهم؛ كما نزل بأسلافهم.

---

(١) سورة: الكهف آية: ١٠٩.
(٢) سورة: لقمان آية: ٢٧.

وهنا سؤالان:

١ ـ **أحدهما**: ما الحكمةُ في عدم تكرر قصة يوسف عليه السلام، وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد، دون غيرها من القصص؟.

والجواب من وجوه:

الأول: ما فيها من تشبيب النسوة به، وتضمن الإخبار عن حال امرأة ونسوةٍ افتتنّ بأبدع الناس جمالاً، وأرفعهم مثالاً، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك.

وقد صحح الحاكم في مستدركه حديثاً مرفوعاً: النهيُ عن تعليم النساء سورة يوسف.

الثاني: أنها اختصت بحصول الفَرَج بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص، فإنَّ مآلها إلى الوبال: كقصة إبليس، وقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح؛ وغيرهم، فلما اختصّت هذه القصة في سائر القصص: بذلك اتفقت الدوّاعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص.

الثالث: قاله الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني: إنما كرر الله قصص الأنبياء، وساق قصة يوسف مساقاً واحداً، إشارةً إلى عجز العرب، كأنّ النبيّ ﷺ قال لهم: إن كان من تلقاء نفسي تصديره على الفصاحة، فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في قصص سائر الأنبياء.

٢ ـ **السؤال الثاني**: أنّه سبحانه وتعالى ذكر قصة قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وموسى، في سورة الأعراف وهود والشعراء، ولم يذكر معهم قصة إبراهيم، وإنّما ذكَرها في سورة الأنبياء، ومريم، والعنكبوت، والصافات.

والسرّ في ذلك أن تلك السّوَرَ الأُول ذكَر الله فيها نَصْر رسله بإهلاك

قومهم، ونجاء الرسل وأتباعهم، وهذه السور لم يقتصر فيها على ذكْرِ من أهلك من الأمم؛ بل كان المقصود ذكر الأنبياء وإن لم يذكر قومهم؛ ولهذا سميت سورة الأنبياء؛ فذكر فيها إكرامه للأنبياء؛ وبدأ فيها بقصة إبراهيم، إذ كان المقصود ذكر كرامته الأنبياء قبل محمد، وإبراهيم أكرمُهم على الله، وهو خير البرية، وهو أبُ أكثرهم، وليس هو أب نوح ولوط؛ لكنْ لوط من أتباعه، وأيوب من ذريته؛ بدليل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ ﴾[1].

وأما سورة العنكبوت؛ فإنه سبحانه وتعالى ذكَر فيها امتحانه للمؤمنين، ونصرَه لهم، وحاجتهم إلى الجهاد؛ وذكر فيها حسنَ العاقبة لمن صبر، وعاقبةَ مَنْ كذب الرسل؛ فذكر قصة إبراهيم؛ لأنها من النَّمَط الأول.

وكذلك في سورة الصافات قال فيها: ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ. فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾[2].

وهذا يقتضي أنها عاقبة رديئة؛ إمّا بكونهم غلبوا وذلّوا؛ وإما بكونهم أهلكوا؛ ولهذا ذكر قصة إلياس دون غيرها ولم يذكر إهلاك قومه، بل قال: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[3].

وقد رُوِي أن الله رفع إلياس؛ وهذا يقتضي عذابَهم في الآخرة؛ فإن إلياس لم يقمْ بينهم، وإلياسُ المعروف بعد موسى من بني إسرائيل، وبعد موسى لم يُهلك المكذبين بعذاب الاستئصال؛ وبعد نوح لم يُهلك جميعَ النوع، وقد بعث الله في كلِّ أمة نذيراً، والله سبحانه لم يذكر عن قوم إبراهيم أنهم أهلِكوا، كما ذكر ذلك عن غيرهم؛ بل ذكر أنَّهم ألقوْه في النار، فجعلها برداً وسلاماً، وفي هذا ظهور بُرهانه وآياته؛ حيث أذلَّهم ونصره؛ ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾[4].

وهذا من جنس المجاهد الذي يعرض عدوّه، والقصص الأول من جنس

(١) سورة: الأنعام آية: ٨٤.
(٢) سورة: الصافات آية: ٧١ ـ ٧٣.
(٣) سورةو: الصافات آية: ١٢٧.
(٤) سورة: الصافات آية: ٩٨.

المجاهد الذي قتل عدوه[1]، وإبراهيم بعد هذا لم يقم بينهم بل هاجر وتركهم؛ وأولئك الرسل لم يزالوا مقيمين بين أظهرهم حتى هلكوا، ولم يوجد في حق إبراهيم سبب الهلاك؛ وهو إقامته فيهم، وانتظار العذاب النازل؛ وهكذا محمل ﷺ مع قومه، لم يقم فيهم، بل خرج عنهم حتى أظهره الله عليهم بعد ذلك؛ ومحمد وإبراهيم أفضل الرسل؛ فإنهم إذا علموا حصل المقصود، وقد يتوب منهم من تاب، كما جرى لقوم يونس؛ فهذا ـ والله أعلم ـ هو السرّ في أنّه سبحانه لم يذكر قصة إبراهيم مع هؤلاء؛ لأنها ليست من جنس واقعتهم.

فإن قيل: فما وجه الخصوصية بمحمد وإبراهيم بذلك؟.

فالجواب: أمَّا حالة إبراهيم فكانت إلى الرحمة أميل؛ فلم يسعَ في هلاك قومه لا بالدعاء ولا بالمقام ودوام إقامة الحجة عليهم؛ وقد قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[2].

وكان كلُّ قوم يطلبون هلاكَ نبيِّهم فعوقبوا؛ وقوم إبراهيم وإن أوْصَلُوه إلى العذاب؛ لكن جعله الله عليه برداً وسلاماً، ولم يفعلوا بعد ذلك ما يستحقون به العذاب؛ إذ الدنيا ليست دار الجزاء العام؛ وأنما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة والمصلحة؛ كما في العقوبات الشرعية، فمن أرادوا عداوة [أحدٍ] من أتباع الأنبياء ليهلكوه، فعصمه الله، وجعل صورة الهلاك نعمة في حقه؛ ولم يُهلِكْ أعداءه بل أخزاهم ونصره؛ فهو أشبه بإبراهيم عليه السلام؛ إذ عصمه الله من كيدهم، وأظهره حتى صارت الحرب بينهم وبينه سجالاً، ثم كانت له العاقبة فهو أشبه بحال محمد ﷺ، فإن محمداً سيد الجميع، وهو خليل الله، كما أن إبراهيمَ عليه السلام خليلُه، والخليلان هما أفضل الجميع، وفي طريقهما من الرأفة والرحمة ما ليس في طريق غيرهما، ولم يَذكُر الله عن قوم إبراهيم ذنباً غير

(١) في أ، ب: «من جنس المجاهد قتل عدوه». وما أوردناه من جـ.

(٢) سورة: إبراهيم آية: ١٣ ـ ١٤.

الشرك، وكذلك عن قوم نوح، وأما عاد فذكر عنهم التجبر، وعمارة الدنيا، وقوم صالح ذكر عنهم الاشتغال بالدنيا عن الأنبياء، وأهل مَدين الظلم في الأموال مع الشرك، وقوم لوط استحلال الفاحشة، ولم يذكر أنهم أقروا بالتوحيد، بخلاف سائر الأمم، وهذا يدلّ على أنهم لم يكونوا مشركين؛ وإنما كان دينهم استحلال الفاحشة وتوابع ذلك، وكانت عقوبتُهم أشدَّ.

وهذه الأمور تدل على حكمة الرب وعقوبته لكل قوم بما يناسبهم؛ ولما لم يكن في قوم نوح خيرٌ يرجى غَرق الجميع. والله المستعان.

فتأمل هذا الفصلَ وعظمَ فوائده وتدبر حكمته، فإنه سر عظيم من أسرار القرآن العظيم، كقوله تعالى:

﴿ أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفىً ﴾(١).

فأعاد ذكر «الأنهار» مع كل صنف؛ وكان يكفي أن يقال فيها: «أنهار من ماء، ومن لبن، ومن خمر، ومن عسل»؛ لكن لما كانت الأنهار من الماء حقيقة؛ وفيما عدا(٢) الماء مجازاً للتشبيه؛ فلو اقتصر على ذكرها مع الماء وعطف الباقي عليه لجمع بين الحقيقة والمجاز.

فإن قلت: فهلاّ أفرد ذكر الماء وجمع الباقي صيغة واحدة؟

قيل: لو فعل ذلك لجمع بين محاملَ من المجاز مختلفةً في صيغة واحدة، وهو قريب في المنع من الذي قبله.

فائــــدة:

قد يستثقلون تكرار اللفظ فيعدلون لمعناه؛ كقوله تعالى:

---

(١) سورة: محمد آية: ١٥.

(٢) في جـ: «ومما عدا».

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾[1].

فإنه لما أعيد اللفظ غيّر «فعّل» إلى «أفعل» فلما ثلّث ترك اللفظ أصلاً، فقال: «رويداً».

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾، ثم قال: ﴿إِمْراً﴾[2].

قال الكسائيّ: معناه شيئاً منكراً كثير الدهاء من جهة الإنكار؛ من قولهم: أمِرَ القوم إذا كثروا.

قال الفارسيّ: وأنا استحسِن قوله هذا.

وقوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾[3].

قال الفارسي: ﴿وَراءكم﴾ في موضع فعل الأمر، أي تأخروا؛ والمعنى ارجعوا تأخروا؛ فهو تأكيد وليست ظرفاً؛ لأن الظروف لا يؤكد بها.

وإذا تكرر اللفظ بمرادفه جازت الإضافة؛ كقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾[4].

والقصد المبالغة، أي: عذاب مضاعف.

وبالعطف كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾[5].

وقوله: ﴿فَاعْفُوا وَٱصْفَحُوا﴾[6].

---

(١) سورة: الطارق آية: ١٧.

(٢) سورة: الكهف آية: ٧٤ ـ ٧٥.

(٣) سورة: الحديد آية: ١٣.

(٤) سورة: سبإ آية: ٥.

(٥) سورة: يوسف آية: ٨٦.

(٦) سورة: البقرة آية: ١٠٩.

١٥ ـ القسم الخامس عشر
الزيادة في بنية الكلمة

واعلم أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه؛ فلا بدّ أن يتضمّن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً؛ لأن الألفاظَ أدِلّة على المعاني؛ فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[١]؛ فهو أبلغ من «قادر» لدلالته على أنه قادر متمكّن القدرة؛ لا يُردَ شيء عن اقتضاء قدرته؛ ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى.

وكقوله تعالى: ﴿ وَاصْطَبِرْ ﴾[٢] فإنّه أبلغ من الأمر بالصبر من «اصبر».

وقوله: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[٣] لأنه لما كانت السيئة ثقيلة وفيها تكلُّف زيد في لفظ فعلها.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾[٤]، فإنّه أبلغ من «يتصارخون».

وقوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا ﴾[٥] ولم يقل «وكبوا».

قال الزمخشري: والكبكبة تكرير الكبّ، جُعِل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جهنم ينكَبّ كبة[٦] مرة بعد أخرى

---

(١) سورة: القمر آية: ٤٢.
(٢) سورة: القمر آية: ٢٧.
(٣) سورة: البقرة آية: ٢٨٦.
(٤) سورة: فاطر آية: ٣٧.
(٥) سورة: الشعراء آية: ٩٤.
(٦) في الأصول: «وفي جهنم كبة مرة».

حتى يستقر في قعرها، اللّهم أجرنا منها خير مستجار.

وقريب من هذا قول الخليل في قول العرب: صَرَّ الجُندب، وصرصر البازي، كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة، فقالوا: صرّ صريراً، فمدوا وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً، فقالوا: «صرصر».

ومنه الزيادة بالتشديد أيضاً؛ فإنّ «ستّاراً» و«غفّاراً» أبلغ من «ساتر» وغافر»؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ آسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾(١)؛ ومن هذا رجّح بعضُهم معنى «الرحمن» على معنى «الرحيم» لما فيه من زيادة البناء، وهو الألِف والنون، وقد سبق في السادس.

ويقرب منه التضعيف ـ ويقال التكثير ـ وهو أن يؤتى بالصيغة دالّة على وقوع الفعل مرة بعد مرة. وشرطه أن يكون في الأفعال المتعَدّية قبل التضعيف؛ وإنما جعلَه متعدياً تضعيفه.

ولهذا رُدّ على الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنا ﴾(٢)؛ حيث جعل ﴿ نَزَّلْنَا ﴾؛ هنا للتضعيف.

وقد جاء التضعيف دالاّ على الكثرة في اللازم قليلاً، نحو مَوّت المالُ.

وجاء حيث لا يمكن فيه التكثير، كقوله تعالى:

﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّه ﴾(٣).

﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً ﴾(٤).

فإن قلت: ﴿ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ﴾(٥) مشكل على هذه القاعدة، لأنه إذا كان «فعّل» للتكثير، فكيف جاء «قليلاً» نعتاً لمصدر «متّع» وهذا وصف كثير بقليل، وإنه ممنوع.

---

(١) سورة: نوح آية: ١٠.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢٣.

(٣) سورة: الرعد آية: ٧.

(٤) سورة: الإسراء آية: ٩٥.

(٥) سورة: البقرة آية: ١٢٦.

قلت: وصف بالقلّة من حيث صيرورته إلى نفاد ونقص وفناء.

واعلم أن زيادة المعنى في هذا القِسم مقيد بنقل صيغة الرباعيّ غير موضوعة لمعنى؛ فإنه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة.

فقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[1]؛ لا يدل على كثرة صدور الكلام منه؛ لأنه غير منقول عن ثلاثيّ.

وكذا قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[2] يدلّ على كثرة القراءة على هيئة التأني والتدبّر.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾[3]، ليس النفي للمبالغة؛ بل نفي أصل الفعل.

---

(١) سورة: النساء آية: ١٦٤.

(٢) سورة: المزمل آية: ٣.

(٣) سورة: يسٓ آية: ٦٩.

١٦ ـ القسم السادس عشر
التفسـير

وتفعله العرب في مواضع التعظيم، كقوله تعالى:

﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(١).

قال البيهقي في «شرح الأسماء الحسنى»: قرأت في تفسير الجنيدي أن قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾، تفسير للقيّوم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٣) فإن هذا تفسير للوعد.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾(٤) تفسير للوعد وتَبْيِينٌ له، لا مفعول ثان؛ فلم يتعدّ الفعل منها إلا إلى واحد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾(٥) فـ «خلقه» تفسير للمثل.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.

(٢) سورة: المعارج آية: ١٩ ـ ٢١.

(٣) سورة: المائدة آية: ٩٥.

(٤) سورة: النور آية: ٥٥.

(٥) سورة: آل عمران آية: ٥٩.

وقوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ﴾[1]، فـ«يُذَبِّحُونَ» وما بعده تفسير للسَّوْم، وهو في القرآن كثير.

قال أبو الفتح بن جني: ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها؛ لأن تفسير الشيء لاحقٌ به، ومتمّم له، وجارٍ مجرى بعض أجزائه؛ كالصلة من الموصول، والصفة من الموصوف.

وقد يجيء لبيان العلّة والسبب، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[2]، وليس هذا من قولهم، وإلاَّ لما حزِن الرسول؛ وإنما يجيء به لبيان السبب في أنه لا يحزنه قولهم.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[3]

ولو جاءت الآيتان على حد ما جاء قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4]، لكانت «أن» مفتوحة، لكنها جاء على حد قوله...[5].

فائـــدة:

قيل: الجملة التفسيرية لا موضع لها من الإعراب. وقيل: يكون لها موضع إذا كان للمفسَّر موضع؛ ويقرب منها ذكره تفصيلاً، كما سبق في قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[6].

ومثل: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾[7].

---

(١) سورة: البقرة آية: ٤٩.
(٢) سورة: يسٓ آية: ٧٦.
(٣) سورة: يونس آية: ٦٥.
(٤) سورة: المائدة آية: ٩.
(٥) كذا في الأصول.
(٦) سورة: الأعراف آية: ١٤٢.
(٧) سورة: البقرة آية: ٩٦.

١٧ ـ القسم السابع عشر
خروج اللفظ مخرج الغالب

كقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُم﴾[(١)]؛ فإن الحِجْر ليس بقيد عند العلماء؛ لكنّ فائدة التقييد تأكيدُ الحكم في هذه الصورة مع ثبوته عند عدمها؛ ولهذا قال بعده: ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[(٢)] ولم يقل: «﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ ولم يكنّ في حجوركم» فدلّ على أن الحِجْر[(٢)] خرج مخرج العادة.

واعتُرض بأن الحرمة إذا كانت بالمجموع فالحلّ يثبت بانتفاء المجموع، والمجموع ينتفي بانتفاء جزئه، كما ينتفي بانتفاء كل فرد من المجموع.

وأجيب بأنه إذا نُفِي أحدُ شطري العلّة كان جزء العلة ثابتاً؛ فيعمل عملها.

فإن قيل: لما قال: ﴿مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾[(٣)]، قال في الآية بعدها: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾[(٤)] عُلِم من مجموع ذلك أن الربيبة لا تحرم إذا لم يُدخل بأمّها؛ فما فائدة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[(٥)]؟.

قيل: فائدته ألاَّ يتوهم أن قيد الدخول خرج مخرج الغالب لا مخرج الشرط؛ كما في الحِجْر المفهوم إذا خرج مخرج الغالب، فلا تقييد فيه عند

---

(١) سورة: النساء آية: ٢٣.
(٢) سورة: النساء آية: ٢٣.
(٣) سورة: النساء آية: ٢٣.
(٤) سورة: النساء آية: ٢٤.
(٥) سورة: النساء آية: ٢٣.

الجمهور، خلافاً لإمام الحرمين، والشيخ عز الدين بن عبد السلام، والعراقي، حيث قالوا: إنّه ينبغي أن يكون حجة بلا خلاف إذا لم تغلب؛ لأن الصفة إذا كانت غالبة دلّت العادة عليها؛ فاستغنى المتكلم بالعادة عن ذكرها، فلما ذكرها مع استغنائه عنها دلّ ذلك على أنه لم يُرِد الإخبار بوقوعها للحقيقة؛ بل ليترتب عليها نفيُ الحكم من المسكوت؛ أما إذا لم تكن غالبة أمكن أن يقال: إنما ذكرها ليعرف السامع أن هذه الصفة تعرض لهذه الحقيقة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾(٢)، وجوزوا أنّ الرهنَ لا يختصُّ بالسفر، لكن ذُكِر لأن فقدَ الكاتب يكون فيه غالباً، فلما كان السفر مظنة إعواز الكاتب والشاهد الموثوق بهما، أُمِر على سبيل الإرشاد بحفظ مال المسافرين بأخذ الوثيقة الأخرى؛ وهي الرهن.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ ﴾(٣)، والقصر جائز مع أَمْن السفر؛ لأن ذلك خرج مخرج الغالب لا الشرط، وغالب أسفار رسول الله ﷺ وأصحابه لم تخلُ من خوف العدوّ.

ومنهم من جعل الخوف هنا شرطاً إن حمل القصر على ترك الركوع والسجود والنزول عن الدابّة والاستقبال ونحوه؛ لا في عدد الركعات؛ لكن ذلك شدة خوف لا خوف، وسبب النزول لا يساعده.

وكقوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾(٤).

---

(١) سورة: الإسراء آية: ١١.
(٢) سورة: البقرة آية: ٢٨٣.
(٣) سورة: النساء آية: ١٠١.
(٤) سورة: النور آية: ٣٣.

١٨ ـ القسم الثامن عشر
القَسَـــم

وهو عند النحويين جملة يؤكد بها الخبر، حتى إنهم جعلوا قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾(١)، قَسماً وإن كان فيه إخبار؛ إلا أنه لما جاء توكيداً للخبر سُمِّي قسماً.

ولا يكون إلا باسم معظّم، كقوله: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾(٢).

وقوله: ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾(٣).

وقوله: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾(٤).

وقوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَاطِينَ ﴾(٥).

وقوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٦).

وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٧).

وقوله: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ ﴾(٨).

فهذه سبعة مواضع أقسم الله فيها بنفسه والباقي كله أقسم بمخلوقاته.

(١) سورة: المنافقين آية: ١.
(٢) سورة: الذاريات آية: ٢٣.
(٣) سورة: يونس آية: ٥٣.
(٤) سورة: التغابن آية: ٧.
(٥) سورة: مريم آية: ٦٨.
(٦) سورة: الحجر آية: ٩٢.
(٧) سورة: النساء آية: ٦٥.
(٨) سورة: المعارج آية ٤٠.

كقوله: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾[1].

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[2].

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ . ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾[3].

وإنما يحسن في مقام الإنكار.

فإن قيل: ما معنى القسم منه سبحانه؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن، فالمؤمن يصدّق مجرّد الإخبار؛ وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده.

فالجواب: قال الأستاذ أبو القاسم القشيريّ: إنّ الله ذكر القَسَمَ لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أن الحكم يُفْصَل باثنين: إما بالشّهادة، وإمّا بالقسم، فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حُجة.

وقوله: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[4].

وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ . فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾[5] صاح وقال: مَنِ الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين؟ قالها ثلاثاً، ثم مات.

فإن قيل: كيف أقسم بمخلوقاته وقد ورد النهيُ علينا ألاّ نقسم بمخلوق؟

قيل: فيه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنّه حذف مضاف، أي: «ورب الفجر»، و«رب التين» وكذلك الباقي.

والثاني: أن العرب كانت تعظّم هذه الأشياء وتُقْسم بها؛ فنزَلَ القرآن على ما يعرفون.

---

(١) سورة: التين آية: ٩.
(٢) سورة: الواقعة آية: ٩٥.
(٣) سورة: التكوير آية: ١٥ ـ ١٦.
(٤) سورة: الحجر آية: ٧٢.
(٥) سورة: الذاريات آية: ٢٢ـ ٢٣.

والثالث: أن الأقسامَ إنما تجب بأن يُقسم الرجلُ بما يعظِّمه، أو بمن يجلّه؛ وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه؛ فأقسم تارةً بنفسه، وتارة بمصنوعاته، لأنها تدلّ على بارىء وصانع؛ واستحسنه ابن خالويه.

وقسَمُه بالنبي ﷺ في قوله: ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾[1] ليعرِّف الناس عظمته عند الله، ومكانته لديه.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في «كنز اليواقيت»: والقَسَم بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة، أو لمنفعة؛ فالفضيلة كقوله تعالى: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾، والمنفعة نحو: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾[2].

وأقسم سبحانه بثلاثة أشياء:

أحدها: بذاته، كقوله عالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3].

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4].

والثاني: بفعله، نحو: ﴿ وَٱلسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا. وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾[5].

والثالث: مفعوله، نحو:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[6].

﴿ وَٱلطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾[7].

وهو ينقسم باعتبار آخر إلى مظهر ومضمر:

فالمظهر كقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[8] ونحوه.

---

(1) سورة: الحجر آية: ٧٢.
(2) سورة: التين آية: ٢ ـ ٣.
(3) سورة: الذاريات آية: ٢٣.
(4) سورة: الحجر آية: ٩٢.
(5) سورة: الشمس آية: ٥ ـ ٧.
(6) سورة: النجم آية: ١.
(7) سورة: الطور آية: ١.
(8) سورة: الذاريات آية: ٢٣.

والمضمر على قسمين: قسم دلّت عليه لام القسم، كقوله: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾[(١)].

وقسم دلّ عليه المعنى، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[(٢)] تقديره «والله».

وقد أقسم تعالى بطوائف من الملائكة في أول سورة الصافات[(٣)]، والمرسلات[(٤)]، والنازعات[(٥)].

فوائـــد:

١ - الأولى: أكثر الأقسام المحذوفة الفعل في القرآن؛ لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل؛ كقوله تعالى:

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾[(٦)].

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ ﴾[(٧)].

ولا تجيء الباء والفعل محذوف إلا قليلاً؛ وعليه حَمَل بعضهم قوله: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ ﴾[(٨)].

وقال: الباء باء القسم؛ وليست متعلّقة بـ «تُشرِك»، وكأنّه يقول: ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ[(٩)] ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿بِاللهِ ﴾ لا تشرك؛ وحذف «لا تشرك» لدلالة الكلام عليه.

وكذلك قوله: ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾[(١٠)]؛ قيل: إن قوله: «بما عهد» قسم؛ والأولى أن يقال: إنه سؤال لا قسم.

---

(١) سورة: آل عمران آية: ١٨٦.
(٢) سورة: مريم آية: ٧١.
(٣) سورة: الصافات آية: ١.
(٤) سورة: المرسلات آية: ١.
(٥) سورة: النازعات آية: ١.
(٦) سورة: النحل آية: ٣٨.
(٧) سورة: التوبة آية: ٦٢.
(٨) سورة: لقمان آية: ١٣.
(٩) سورة: لقمان آية: ١٣.
(١٠) سورة: الزخرف آية: ٤٩.

وقوله: ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ ﴾[(١)] فتقف على ﴿ لي ﴾ وتبتدىء ﴿ بحق ﴾ فتجعله قسماً.

هذا مع قول النحويين: إن الواو فرع الباء؛ لكنه قد يكثر الفرع في الاستعمال ويقلّ الأصل.

٢ ـ الثانية: قَدْ علمت أنّ القسم إنما جيءَ به لتوكيد المقسَم عليه؛ فتارة يزيدون فيه للمبالغة في التوكيد، وتارة يحذفون منه للاختصار وللعلم بالمحذوف.

فمما زادوه لفظ «إي» بمعنى «نعم»، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي ﴾[(٢)].

ومما يحذفونه فعل القسم وحرف الجر، ويكون الجواب مذكوراً، كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ ﴾[(٣)] أي: «والله».

وقوله: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾[(٤)].

﴿ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ﴾[(٥)].

﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ ٱلصَّاغِرِينَ ﴾[(٦)].

وقد يحذفون الجواب ويبقون القسمَ للعلم به، كقوله تعالى: ﴿ صٓ. وَٱلْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾[(٧)]. على أحد الأقوال؛ أن الجوابَ حُذِف لطول الكلام؛ وتقديره «لأعذبنهم على كفرهم».

وقيل: الجواب: إن ذلك لحق.

ومما حذف فيه المقسم به قوله تعالى: ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ﴾[(٨)]، أي: نحلف إنك لرسول الله؛ لأن الشهادة بمعنى اليمين، بدليل

---

(١) سورة: المائدة آية: ١١٦.
(٢) سورة: يونس آية: ٥٣.
(٣) سورة: الأحزاب آية: ٢١.
(٤) سورة: الشعراء آية: ٤٩.
(٥) سورة: العلق آية: ١٥.
(٦) سورة: يوسف آية: ٣٢.
(٧) سورة: صٓ آية: ١ ـ ٢.
(٨) سورة: المنافقين آية: ١.

قوله: ﴿ أَيمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾[1].

وأما قوله تعالى: ﴿فَالْحَقُّ وَٱلحَقَّ أَقُولُ﴾[2] فالأول قسم بمنزلة، «والحقِّ» وجوابه «لأملأنّ»، وقوله: ﴿وَٱلحَقَّ أَقُولُ﴾[3] توكيد للقسم.

وأما قوله: ﴿ وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾، ثم قال: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ ٱلأُخْدُودِ ﴾[4].

قالوا: وهو جواب القَسَم، وأصله «لقد قتل» ثم حذف اللام وقد.

٣ ـ الثالثة: قال الفارسي في «الحجّة»: الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربان:

أحدهما: ما تكون جارية كغيرها من الأخبار التي ليست بقَسَم، فلا تجاب بجوابه، كقوله تعالى:

﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[5].

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾[6].

فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾[7].

فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسماً وأن يكون حالاً لخلوّه من الجواب.

والثاني: ما يتعلق بجواب القسم، كقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾[8].

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾[9].

---

(١) سورة: المنافقين آية: ٢٠.
(٢) سورة: صٓ آية: ٨٤.
(٣) سورة: صٓ آية: ٨٤.
(٤) سورة: البروج آية: ١ ـ ٤.
(٥) سورة: الحديد آية: ٨.
(٦) سورة: البقرة آية: ٦٣.
(٧) سورة: المجادلة آية: ١٨.
(٨) سورة: آل عمران آية: ١٨٧.
(٩) سورة: النحل آية: ٣٨.

٤ ـ **الرابعة**: القسم والشرط، يدخل كلّ منهما على الآخر؛ فإن تقدم القسم، ودخل الشرط بينه وبين الجواب؛ كان الجواب للقسم؛ وأغنى عن جواب الشرط؛ وإن عكس فبالعكس؛ وأيهما تصدّر كان الاعتماد عليه والجواب له.

ومن تقدُّم القسم قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾(١)، تقديره: «والله لئن لم تنته»، فاللام الداخلة على الشرط ليست بلام القسم، ولكنها زائدة، وتسمى الموطِّئة للقسَم ويعنون بذلك أنها مؤذنة بأن جواب القسَم منتظر؛ أي الشرط لا يصلح أن يكون جواباً؛ لأن الجواب لا يكون إلا خبراً.

وليس دخولها على الشرط بواجب، بدليل حذفها في قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).

والذي يدلّ على الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه؛ وأنه ليس بمجزوم، بدليل قوله تعالى:

﴿ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾(٣).

ولو كان جواب الشرط لكان مجزوماً.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ﴾(٤)؛ فاللام في «ولئن» هي الموطّئة للقسم، واللام في ﴿لَإِلَى اللهِ﴾ هي لام القسم؛ ولم تدخل نون التوكيد على الفعل للفصل بينه وبين اللام بالجار والمجرور. والأصل «لئن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله» فلما قدم معمول الفعل عليه حذف منه.

---

(١) سورة: مريم آية: ٤٦.
(٢) سورة: المائدة آية: ٧٣.
(٣) سورة: الإسراء آية: ٨٨.
(٤) سورة: آل عمران آية: ١٥٨.

١٩ ـ القسم التاسع عشر

إبراز الكلام في صورة المستحيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جمله

كقول العرب: لا أكلمك حتى يبيضّ القار، وحتى يشيب الغراب.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[١].

يعني: والجمل لا يلج في السَّم؛ فهؤلاء لا يدخلون، فهو في المعنى متعلق بالحال، فالمعنى أنهم لا يدخلون الجنة أصلاً، وليس للغاية هنا مفهوم، ووجه التأكيد فيه كدعوى الشيء ببينة، لأنه جعلَ ولوج الجمل في السَّم غاية لنفي دخولهم الجنة، وتلك غاية لا توجد، فلا يزال دخولهم الجنة منتفياً.

وغالى بعض الشعراء في وصف جسمه بالنحول؛ فجاء بما يزيد على الآية، فقال:

وَلَوْ أنَّ ما بي مِنْ جَوىً وصبابةٍ عَلَى جَمَلٍ لم يبقَ في النار خالدُ

وهذا على طريقة الشعراء في اعتبار المبالغة؛ وإلا فمعارضات القرآن لا تجوز، كما سبق التنبيه عليه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٢].

---

(١) سورة: الأعراف آية: ٤٠.

(٢) سورة: النساء آية: ٢٢.

فإن المعنى: إن كان ما سلف في الزمن السالف يمكن رجُوعه فحلّه ثابت، لكن لا يمكن رجوعه أبداً، ولا يثبت جلُّه أبداً، وهو أبلغ في النهي المجرد.

ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَابِدِينَ ﴾[1].

أي: ولكن ليس له ولد؛ فلا أعبد سواه.

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً ﴾[2].

أي: إن كان تسليم بعضهم على بعض، أو تسليم الملائكة عليهم لغواً، فلا يسمعون لغواً إلا ذلك؛ فهو من باب قوله:

وَلَا عَيْبَ فيهم غيرَ أنَّ سُيوفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ من قِراعِ الكتائبِ

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[3].

فإن الناس استشكلوا وجه الاستثناء، مع أنهم لا يذوقون فيها الموت مطلقاً. ومقتضى استثنائها من النفي أنهم يَذُوقونها في الجنة وليس كذلك.

ووجهه الزمخشري بأنّه من التوكيد في الدلالة، والموتة الأولى لا يذوقونها أصلاً؛ إذ يستحيل عَوْد ما وقع؛ فلا يذوقون فيها الموت أصلاً، أي: إن كانوا يذوقون فلا يكون ذلك إلا الموتة الأولى، وإن كان إيقاع الموتة الأولى في الجنة مستحيلاً، فعرّض بالاستثناء إلى استحالة الموت فيها. هذا إن جعلنا الاستثناء متصلاً؛ فإن كان منقطعاً، فالمعنى: «لكن الموتة الأولى قد ذاقوها».

ويحتمل على الاتصال أن يكون المعنى فيها، أي في مقدّماتها، لأن الذي يرى مقامه في الجنة عند موته ينزّل منزلة من هو فيها، بتأويل الذوق على معنى المستحيل.

فهذه ثلاثة أوجه.

---

(١) سورة: الزخرف آية: ٨١.

(٢) سورة: مريم آية: ٦٢.

(٣) سورة: الدخان آية: ٥٦.

٢٠ ـ القسم الموفي العشرين
الاستثناء والاستدراك

ووجه التأكيد فيه أنه ثنى ذكره مرتين، مرة في الجملة ومرة في التفصيل.

فإذا قلت: قام القوم إلا زيداً، فكأنه كان في جملتهم، ثم خرج منهم؛ كقوله تعالى ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾[١]؛ فإنّ فيه معنى زائداً على الاستثناء، هو تعظيم أمر الكبيرة التي أتى بها إبليس، من كونه خَرَق إجماع الملائكة، وفارق جميع الملأ الأعلى بخروجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم؛ وهو بمثابة قولك: أَمَرَ الملك بكذا فأطاع أمره جميعُ الناس؛ من أمير ووزير إلا فلاناً؛ فإنّ الإخبار عن معصية الملك بهذه الصيغة، أبلغُ من قولك: أمر الملك فعصاه فلان.

وفي ضمن ذلك وُصِف الله سبحانه بالعدل فيما ضربه على إبليس من خِزْي الدنيا، وخَتم عليه من عذاب الآخرة.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[٢] فإنّ الإخبار عن المدة بهذه الصيغة تهويلاً على السامع؛ ليشهد عُذْرَ نوح عليه السلام في الدعاء على قومه. وحكمةُ الإخبار عن المدة بهذه الصيغة تعظيم للمدّة؛ ليكون أوّلَ ما يباشر السمع ذكر «الألف» واختصار اللفظ؛ فإنّ لفظ القرآن أخصر من «تسعمائة وخمسين عاماً»؛ ولأن لفظ القرآن يفيد حَصْر العدد المذكور ولا يحتمل الزيادة عليه ولا النقص.

---

(١) سورة: الحجر آية: ٣٠ ـ ٣١.
(٢) سورة: العنكبوت آية: ١٤.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾[1] فإنه سبحانه لما علم أن وصفَ الشقاء يعمّ المؤمن العاصيَ والكافر، استثنى مَنْ حكم بخلوده في النار بلفظ مطمع؛ حيث أثبت الاستثناء المطلق، وأكده بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد ﴾[2]؛ أي أنه لا اعتراض عليه في إخراج أهل الشقاء من النار. ولما علم أنّ أهلَ السعادة لا خروج لهم من الجنة أكد خلودَهم بعد الاستثناء بما يرفع أصل الاستثناء، حيث قال: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مُجْذُوذٍ ﴾[3] أي: غير منقطع؛ ليُعلم أن عطاءه لهم الجنة غير منقطع.

وهذه المعاني زائدة على الاستثناء اللغوي.

وقيل: وجه الاستثناء فيه الخروج من الجنة إلى منزلة أعلى كالرضوان والرؤية، ويؤيده قولُ بعض الصحابة: وهو النابغة الجعدي .

* وإنا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرا *

وصوبه النبيّ ﷺ؛ وجعل الزمخشري الاستثناء الأول لخروج أهل النار إلى الزمهرير، أو إلى نوع آخر من العذاب بناء على مذهبه من تخليد أهل الكبائر في النار، وجعل الاستثناء الثاني دالاً على نجاة أهل الكبائر من العذاب، فكأنه تصوّر[4] أن الاستثناء الثاني لمّا لم يحمل على انقطاع النعيم، لقوله تعالى: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[5] فكذا الاستثناء الأول لا يحمل على انقطاع عذاب الجحيم لتناسب أطراف الكلام. وقال: معنى قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾[6] عقب الاستثناء الأول في مقابلة قوله ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[7] عقب الثاني، أنّ الله تعالى يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي لأهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له.

---

(١) سورة: هود آية: ١٠٦ ـ ١٠٧.
(٢) سورة: هود آية: ١٠٧.
(٣) سورة: هود آية: ١٠٨.
(٤) في ب: «فكأنه يتصور».
(٥) سورة: هود آية: ١٠٨.
(٦) سورة: هود آية: ١٠٧.
(٧) سورة: هود آية: ١٠٨.

قيل: وما أصدق في سياق الزمخشري في هذا الموضع قول القائل:

* حفظتَ شيئاً وغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ *

وذلك لأن ظاهر الاستثناء؛ هو الاخراج عن حكم ما قبله، ولا موجبَ للعدول عن الظاهر في الاستثناء الأول، فحمل على النجاة. ولما كان إنجاء المستحق العذاب محلَّ تعجب وإنكار، عقّبه بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾[1]؛ أي من العذاب والإنجاء منه، بفضله، ولا يتوجه عليه اعتراض أحد؛ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وأما الاستثناء الثاني فلما لم يكن على ظاهره، كان إخراج أهل الجنة المستحقين للثواب وقطع النعيم عنهم لا يناسب إنجاء أهل النار المستحقينَ للعذاب، فلذا عقب بقوله: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[2] بياناً للمقصود.

ورعايةُ هذا الباب أولى من رعاية الباب الذي توهم الزمخشري؛ فإنَّ حاصلَه يرجع إلى أن الاستثناء الثاني لمّا لم يكن على ما هو الظاهر في باب الاستثناء، ينبغي ألّا يكون الاستثناء الأول أيضاً على ما هو الظاهر. ولا يخفى على المنصف أنّه تعسّف.

وأما قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾[3] فالمعنى: لا طعام لهم أصلاً؛ لأن الضريع ليس بطعام البهائم فضلاً عن الإنس؛ وذلك كقولك: ليس لفلان ظل إلا الشمس؛ تريد بذلك نفيَ الظلّ عنه على التوكيد، والضريع نبت ذو شوك يسمى الشّبرق في حال خضرته وطراوته، فإذا يبس سُمِّيَ الضريع، والإبل ترعاه طرياً لا يابساً.

وقريب منه تأكيد المدح بما يشبه الذمّ، بأن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح، بتقدير دخولها فيها، كقوله تعالى:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً. إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً ﴾[4].

التأكيد فيه من وجهين: على الإتصال في الاستثناء والانقطاع.

---

(١) سورة: هود آية: ١٠٧.
(٢) سورة: هود آية: ١٠٨.
(٣) سورة: الغاشية آية: ٦.
(٤) سورة: الواقعة آية: ٢٥ ـ ٢٦.

٢١ ـ القسم الحادي والعشرون
المبالغـــة

وهي أن يكون للشيء صفة ثابتة؛ فتزيد في التعريف بمقدار شدته أو ضعفه؛ فيدّعي له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع؛ أو[1] يحيلُ عقله ثبوته.

ومن أحسنها قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾[2] وهي ظلمة البحر[3]، وظلمة الموج فوقه، وظلمة السحاب فوق الموج.

وقوله تعالى: ﴿ بَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾[4]، أي: كادت تبلغ؛ لأن القلبَ إذا زال عن موضعه مات صاحبه.

وقيل: هو حقيقة، وإن الخوف والروع يوجب للخائف أن تنتفخ رئته، ولا يبعد أن ينهض بالقلب نحو الحنجرة. ذكره الفراء، وغيره.

أو أنها لما آتصل وجيبُها واضطرابها بلغت الحناجر.

وردّ آبن الأنباري تقدير «كادت» فإنّ «كاد» لا تضمر.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾[5].

---

(١) في ب: «عند السماع إذاً».
(٢) سورة: النور آية: ٤٠.
(٣) في ب: «فنفي ظلمة البحر».
(٤) سورة: الأحزاب آية: ١٠.
(٥) سورة: إبراهيم آية: ٣٦.

وقوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمٰواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً ﴾[1].

ومنه المبالغة في الوصف بطريق التشبيه؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ. كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾[2].

وقد يخرج الكلام مخرجَ الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة وهو مجاز، كقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفاً صَفاً ﴾[3]، فجعل مجيء جلائل آياته، مجيئاً له سبحانه، على المبالغة.

وكقوله سبحانه: ﴿ وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾[4]، فجعل نقله بالهلكة من دار العمل إلى دار الجزاءِ وجداناً للمجازي.

ومنه ما جرى مجرى الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[5]، فإن اقتران هذه بـ«يكاد» صرفها إلى الحقيقة، فانقلب من الامتناع إلى الإمكان.

قد تجيء المبالغة مدمجة، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾[6].

فإن المبالغةَ في هذه الآيـة مدمجـة في المقابلة، وهي بـالنسبة إلى المخاطَب، لا إلى المخاطِب؛ معناه أن علمَ ذلك متعذر عندكم؛ وإلا فهو بالنسبة إليه سبحانه[7] ليس بمبالغة.

وما قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِداداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي . . . ﴾[8] الآية.

فقيل: سببها أن اليهود جاءُوا إلى النبيّ ﷺ، فقالوا له: كيف عُنِّفنا بهذا

---

(١) سورة: مريم آية: ٩٠.

(٢) سورة: المرسلات آية: ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) سورة: الفجر آية: ٢٢.

(٤) سورة: النور آية: ٣٩.

(٥) سورة: النور آية: ٤٣.

(٦) سورة: الرعد آية: ١٠.

(٧) في جـ: «فهو بالنسبة لله».

(٨) سورة: الكهف آية: ١٠٩.

القول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾(١)، ونحن قد أوتينا التوراة، وفيها كلام الله وأحكامه، ونور وهدى!؟ فقال لهم النبيّ ﷺ: «التوراة قليل من كثير»، ونزلت هذه الآية(٢).

وقيل: إنما نزلت ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾(٣).

قال المفسرون: والغرض من ذلك الإعلام بكثرة كلماته؛ وهي في نفسها غير متناهية، وإنما قرّب الأمر على أفهام البشر بما يتناهى؛ لأنه غاية ما يعهده البشر من الكثرة.

وقال بعض المحققين: إن ما تضمنت الآية أن كلمات الله تعالى لم تكن لتنفد، ولم تقتض الآية أنها تنفد بأكثر من هذه الأقلام والبحور؛ وكما قال الخضر عليه السلام: ما نقص علمي وعلمُك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من ماء البحر حين غمس منقاره فيها.

وعدّ بعضهم من هذا القبيل ما جاء من المبالغة في القرآن من الإغضاء عن العيوب، والصفح عن الذنوب، والتغافل عن الزلات، والستر على أهل المروءات، كقوله تعالى لنبيه ﷺ:

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ﴾(٤).

وقيل في تفسيره: أن تصلَ مَنْ قَطَعَكَ، وتعطيَ من حرمك وتعفوَ عمن ظلمك.

وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾(٥) الآية.

تنبيــه:

تحصّل مما سبق أن قصد المبالغة يستلزم في الحال الإيجاز؛ إما

---

(١) سورة: الإسراء آية: ٨٥.

(٢) أنظر: «تفسير القرطبي ١٤/ ٧٦».

(٣) سورة: لقمان آية: ٢٧.

(٤) سورة: الأعراف آية: ١٩٩.

(٥) سورة: فصلت آية: ٣٤.

بالحذف، وإما بجعل الشيء نفس الشيءِ، أو بتكرر لفظ يتم بتكرره التهويل والتعظيم، ويقوم مقام أوصاف، كقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَاقَّةُ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾[1].

وقد نصَّ سيبويه على هذا كله في مواضع شتى من كتابه لافتراقها في أحكام[2].

فائـــدة:

اختلف في المبالغة على أقوال:

أحدها: إنكار أن تكون من محاسن الكلام لاشتمالها على الاستحالة.

والثاني: أنها الغاية في الحسن؛ وأعذب الكلام ما بولغ فيه؛ وقد قال النابغة[3]:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمعْنَ في الضُّحى وأسيافنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دما

والثالث: وهو الأصح؛ أنها من محاسن الكلام؛ ولا ينحصر الحسن فيها - فإن فضيلة الصدق لا تُنكر - ولو كانت معيبة لم ترد في كلام الله تعالى؛ ولها طريقان:

أحدهما: أن يستعمل اللفظ في غير معناه لغة، كما في الكناية والتشبيه والاستعارة وغيرها، من أنواع المجاز.

---

(١) سورة: الحاقة آية: ١.

(٢) من «تحصل مما سبق» إلى: «لافتراقها في أحكام». ساقط من جـ.

(٣) النابغة، هو: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء، فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. مات نحو (١٨ ق هـ: نحو ٦٠٤ م).

أنظر ترجمته في: (شرح شواهد المغني ٢٩. ومعاهد التنصيص ١/ ٣٣٣. والأغاني ١١/ ٣. ونهاية الأرب ٣/ ٥٩. وخزانة البغدادي ١/ ٢٨٧، ٤٢٧، ٤/ ٩٦. والأعلام ٣/ ٥٥).

والثاني: أن يُشْفَع ما يفهم المعنى بالمعنى على وجه يقتضي زيادة؛ فتترادف[1] الصفات بقصد التهويل، كما في قوله تعالى: ﴿فِي بَحْرٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾[2].

---

(١) في ح: فتزداد الصفات.

(٢) سورة: النور آية: ٤٠.

٢٢ ـ القسم الثاني والعشرون
الاعتــــراض

وأسماه قدامة[1] إلتفاتاً؛ وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى، بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه، ولا يفوت بفواته، فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين، لنكتة.

وقيـل: هو إراد وصف شيئين: الأول منهمـا قَصْداً، والثـاني بطريق الانجرار؛ وله تعلق بالأول بضرب من التأكيد.

وعند النحاة جملة صغرى تتخلل جملة كبرى؛ على جهة التأكيد.

وقال الشيخ عز الدين في أماليه: الجملة المعترضة تارة تكون مؤكدة، وتارة تكون مشددة؛ لأنها إمّا ألاّ تدل على معنى زائد على ما دل عليه الكلام؛ بل دلت عليه فقط، فهي مؤدة. وإمّا أن تدل عليه وعلى معنى زائد، فهي مشدّدة. انتهى.

وذكر النحاة مما تتميز به الجملة الاعتراضية عن الحالية كونها طلبيّة،

---

(١) هو: أبو الفرج، قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي، أبو الفرج. كاتب من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد عام (٣٣٧ هـ:٩٤٨ م). من مصنفاته: «الخراج» و«نقد الشعر». و«جواهر الألفاظ» و«السياسة» و«البلدان» و«زهر الربيع» و«نزعة القلوب».
أنظر: (النجوم الزاهرة ٣/ ٢٩٧. وإرشاد الأريب ٦/ ٢٠٣، ٢٠٥. والمنتظم ٦/ ٣٦٣. والأعلام ٥/ ١٩١).

كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[١]، فإنه معترض بين: ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾[٢]، وبين: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ﴾[٣].

وله أسباب:

منها: تقرير الكلام، كقولك: فلان أحسن بفلان ـ ونعم ما فعل. ورأى من الرأي كذا ـ وكان صواباً.

ومنه: قوله تعالى: ﴿تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ﴾[٤]: ﴿ لقد علمتم ﴾ اعتراض؛ والمراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة.

وقوله: ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[٥].

﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[٦] واعترض بقوله: ﴿ وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[٧]، بين كلامها[٨].

وقوله: ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾[٩].

ومنها: قصد التنزيه، كقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ، سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[١٠]، فاعتراض ﴿ سبحانه ﴾ لغرض التنزيه والتعظيم، وفيه الشناعة عَلَى من جعل البنات لله.

ومنها: قصد التبرك، كقوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ آمِنِينَ ﴾[١١].

ومنها: قصد التأكيد، كقوله: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ

---

(١) سورة: آل عمران آية: ١٣٥.
(٢) سورة: آل عمران آية: ١٣٥.
(٣) سورة: آل عمران آية: ١٣٥.
(٤) سورة: يوسف آية: ٧٣.
(٥) سورة: محمد آية: ٢.
(٦) سورة: النمل آية: ٣٤.
(٧) سورة: النمل آية: ٣٤.
(٨) أي: كلام بلقيس.
(٩) سورة: البقرة آية: ٢٥.
(١٠) سورة: النحل آية: ٥٧.
(١١) سورة: الفتح آية: ٢٧.

تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[1].

وفيها اعتراضان؛ فإنه اعترض بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ بين القسم وجوابه، واعترض بقوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين الصفة والموصوف؛ والمراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم، وتأكيد إجلاله في النفوس، لا سيما بقوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا. أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾[2] فـ «أولئك» الخبر و «إنّا لا نضيع» اعتراض.

ومنا: كون الثاني بياناً للأول، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[3]؛ فإنه اعتراض وقع بين قوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ[4]﴾، وبين قوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾[5]، وهما متصلان معنى؛ لأنَّ الثانيَ بيان للأول؛ كأنه قيل: فأتوهن من حيث يحصل منه الحرث. وفيه اعتراض بأكثر من جملة.

ومنها: تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد على أمر علق بهما، كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[6]، فاعترض بقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[7] بين «ووصيّنا» وبين الموصّى به، وفائدة ذلك إذكار الولد بما كابدته أمه من المشقة في حمله وفصاله، فذكْرُ الحمْل والفصال يفيد زيادة التوصية بالأم، لتحمّلها من المشاق والمتاعب في حمل الولد ما لا يتكلفه الوالد، ولهذا جاء في الحديث التوصية بالأم ثلاثاً، وبالأب مرة[8].

---

(١) سورة: الواقعة آية: ٧٥ ـ ٧٦.
(٢) سورة: الكهف آية: ٣٠ ـ ٣١.
(٣) سورة: البقرة آية: ٢٢٢.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢٢٢.
(٥) سورة: البقرة آية: ٢٢٣.
(٦) سورة: لقمان آية: ١٤٠.
(٧) سورة: لقمان آية: ١٤٠.
(٨) وهو حديث. وقال رجل: يا رسول الله، من أحق مني بحسن الصحبة؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك».
وقد رواه جمع من الصحابة منهم أبي هريرة رضي الله عنه. =

ومنها: زيادة الردّ على الخصم، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا... ﴾[1] الآية فقوله: ﴿ وَٱللهُ مُخْرِجٌ ﴾[2] اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه. وفائدته أن يقرّر في أنفس المخاطبين أن تدارؤ بني إسرائيل في قتل تلك الأنفس لم يكن نافعاً لهم في إخفائه وكتمانه، لأن الله تعالى مظهر لذلك[3] ومخرجه، ولو جاء الكلام خالياً من هذا الاعتراض لكان: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُم فِيهَا ﴾[4] ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾[5].

وقوله: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾[6]، فاعترض بين «إذ» وجوابها بقوله: ﴿ وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾[7]، فكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضاً.

وقوله: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[8].

وقوله: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[9] اعتراض في أثناء الكلام. وهو قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ ﴾[10] الآية، وذلك لأن قوله: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ضُرٌّ ﴾[11]

= أنظر الحديث في: (صحيح البخاري ٨/ ٢. وصحيح مسلم، حديث ١، ٢ من كتاب البر والصلة. وسنن النسائي، الباب ١٣٣ من الطهارة، والباب ٣ من الحيض. وسنن أبي داود، الباب ١٠٧ من كتاب الطهارة. وسنن الترمذي ١٨٩٨. والآداب، للبيهقي ٢. والسنن الكبرى، للبيهقي ٤/ ١٧٩، ٨/ ٢، ٣. ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٣٢٧. والمستدرك ٤/ ١٥٠ وتاريخ بغداد ٣/ ٢٦٦، ١/ ٣٧٦. ومشكاة المصابيح، للتبريزي ٤٩١١. والترغيب والترهيب، للمنذري ٢/ ٣٨. ومعجم الطبراني الكبير ١١/ ٤٠٥).

(١) سورة: البقرة آية: ٧٢.
(٢) سورة: البقرة آية: ٧٢.
(٣) في ب: «مظهر ذلك».
(٤) سورة: البقرة آية: ٧٢.
(٥) سورة: البقرة آية: ٧٣.
(٦) سورة: النحل آية: ١٠١.
(٧) سورة: البقرة آية: ٧٣.
(٨) سورة: الزمر آية: ٤٥ ـ ٤٩.
(٩) سورة: هود آية: ٨.
(١٠) سورة: الزمر آية: ٤٥.
(١١) سورة: الروم آية: ٣٣.

سبب عن قوله: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ ﴾[1] على معنى أنهم يشمئزّون من توحيدِ الله تعالى، ويستبشرون بالشرك الذي هو ذكر الآلهة؛ فإذا مسّ أحدَهم ضُرّ أو أصابته شدة تناقض في دعواه، فدعا من اشمأز من ذكره وانقبض من توحيده ولجأ إليه دون الآلهة، فهو اعتراض بين السبب والمسبب، فقيد القول بما فيه من دعاء النبيّ ﷺ بأمره بذلك، وبقوله: ﴿ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ﴾[2]، ثم عقبه من الوعيد العظيم أشدَّ التأكيد وأعظمه وأبلغه؛ ولذلك كان اتصال قوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّه ﴾[3] للسبب الواقع فيها، وخلوّ الأول، منه من الأمر اشتراك جملة مع جملة، ومناسبة أوجبت العطف بالواو الموضوعة لمطلق الجمع، كقولهم: قام زيد وعمرو.

وتسبيب السبب مع ما في ظاهر الآيـة من اشمئزازهم ليس يقتضي التناقض؛ وذلك أنك تقول: زيد يؤمن بالله تعالى؛ فإذا مسه الضر لجأ إليه فهذا سبب ظاهر مبنيّ على آطراد الأمر، وتقول: زيد كافر بالله، فإذا مسّه ضر لجأ إليه، فتجيء بالفاء هنا كالأول لغرض التزام التناقض، أو العكس، حيث أنزل الكافر كفرَه منزلة الإيمان في فصل سبب الالتجاء؛ فأنت تُلزمه العكس؛ بأنك إنما تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من فعله[4].

وقوله: ﴿ وَيُنَجِّي ٱللهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[5].

بقوله: ﴿ الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمٰوَاتِ والأَرْضِ ﴾[6].

اعتراض واقع في أثناء كلام متصل؛ وهو قوله: ﴿ وَيُنَجِّي اللهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[7].

(١) سورة: الزمر آية: ٤٥.
(٢) سورة: الزمر آية: ٤٦.
(٣) سورة: الزمر آية: ٥٨.
(٤) العبارة مضطربة هكذا في الأصول.
(٥) سورة: الزمر آية: ٦٢.
(٦) سورة: الزمر آية: ٦٢.
(٧) سورة: الزمر آية: ٦٣.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1].

وهو على مهيع أسلوب القرآن؛ من ذكر الضدّ عقب الضد؛ كما قيل:

* وبضدهـا تتبين الأشـياء *

ومنها: الإدلاء بالحجة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾[2].

فاعترض بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا﴾ بين قوله: ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ وبين قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ إظهاراً لقوة الحجة عليهم.

وبهذه الآية رد ابن مالك على أبي عليّ الفارسيّ قوله: إنه لا يعترض بأكثر من جملة واحدة.

ورُدَّ بأن: جملة الأمر دليل للجواب عند الأكثرين ونفسه عند آخرين، فهو مع جملة الشرط، كالجملة الواحدة.

نعم جوّزوا في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[3]، أن يكون حالاً من قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[4]، فلزم الاعتراض بسبع جمل مستقلات؛ إن كان: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[5]، خبر مبتدأ محذوف؛ وإلا فيكون بست جمل.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى...﴾[6] الآية:

إن في هذه الآية الكريمة سبعَ جمل معترضة: جملة الشرط، و«اتقوا»

---

(1) سورة: الزمر آية: ٦٤.
(2) سورة: النحل آية: ٤٣ - ٤٤.
(3) سورة: الرحمن آية: ٥٤.
(4) سورة: الرحمن آية: ٤٦.
(5) سورة: الرحمن آية: ٥٤.
(6) سورة: الأعراف آية: ٩٦.

و«فتحنا» و«كذبوا» و«أخذناهم» و«بما كانوا يكسبون». وزعم أن ﴿ أفأمن ﴾[1] معطوف على ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾[2].

وكذا نقله ابن مالك عن الزمخشري وتبعه أبو حيان، ولم يوجد ذلك في كلام الزمخشري.

قال ابن مالك: ورد عليه مَنْ ظَن أن الجملة والكلام مترادفان، قال: وإنما اعترض بأربع جمل؛ وزعم أنّ من عند ﴿ وَلَوْ أَنَّ ﴾ إلى ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3] جملة؛ لأن الفائدة إنما تتم بمجموعه. انتهى.

وفي القولين نظر؛ أما على قول ابن مالك فينبغي أن يكون بعدها ثمان جمل:

أحدها: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وأربعة في حيّز «لو» وهي ﴿ آمنوا ﴾ و﴿ اتقوا ﴾ و«فتحنا»، والمركبة مع أنّ وصلتها مع «ثبت» مقدراً على الخلاف في أنها فعلية أو اسمية، **والسادسة** ﴿ ولكن كذبوا ﴾ **والسابعة** ﴿ **فأخذناهم** ﴾ **والثامنة** ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾.

وأما قول المعترض فلأنه كان من حقه أن يعدها ثلاث جمل؛ **أحدها:** ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾؛ لأنها حال مرتبطة بعاملها وليس مستقلة برأسها، **والثانية:** لو وما في حيزها، جملة واحدة فعلية إن قدر: «ولو ثبت أن أهل القرى آمنوا واتقوا»، أو اسمية وفعلية إن قدر: إيمانهم، واتقوا ثابتان، **والثالثة:** ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[4]، كله جملة.

وينبغي على قواعد البيانيين أن يعدّوا الكل جملة واحدة لارتباط بعضها ببعض، وعلى رأي النحاة ينبغي أن يكون ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ آمَنُوا وَٱتَّقَوْا ﴾[5]

---

(١) سورة: الأعراف آية: ٩٧.
(٢) سورة: الأعراف آية: ٩٥.
(٣) سورة: الأعراف آية: ٩٦.
(٤) سورة: الأعراف آية: ٩٦.
(٥) سورة: الأعراف آية: ٩٦.

جملة واحدة لارتباط الشرط بالجزاء لفظاً، ﴿ وَلكن كذبوا ﴾ ثانية أو ثالثة ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ ﴾ ثالثة أو رابعة، و﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ متعلق بـ «أخذناهم» فلا يعد اعتراضاً.

وقوله: ﴿ وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَىٰ ٱلْجُودِيِّ ﴾(١)، فهذه ثلاث جمل معترضة بين ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ ﴾(٢) وبين ﴿ وَقِيلَ بُعْداً ﴾(٣).

وفيه اعتراض في اعتراض؛ فإن ﴿ وَقُضِيَ ٱلأَمْرُ ﴾ معترض بين ﴿ غِيضَ الماءُ ﴾ وبين ﴿ واستوت ﴾.

ولا مانع من وقوع الاعتراض، كقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(٤).

ومنه: قوله تعالى في سورة العنكبوت ذاكراً عن إبراهيم قوله: ﴿ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾(٥)، ثم اعترض تسليةً لقلب النبيِّ ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَىٰ ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٦)، وذكر آيات، إلى أن قال: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾(٧) يعني: قوم إبراهيم، فرجع إلى الأول.

وجعل الزمخشري قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾(٨)، في آخر الصافات معطوفاً على ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾(٩) في أول السورة(١٠): وقال في قول بعضهم في: ﴿ نَذِيراً لِلْبَشَرِ ﴾(١١):

إنه حال من فاعل﴿ قُم ﴾(١٢) في أول هذه السورة، هذا من بدع التفاسير

---

(١) سورة: هود آية: ٤٤.
(٢) سورة: هود آية: ٤٤.
(٣) سورة: هود آية: ٤٤.
(٤) سورة: الواقعة آية: ٧٦.
(٥) سورة: العنكبوت آية: ١٦.
(٦) سورة: العنكبوت آية: ١٨.
(٧) سورة: العنكبوت آية: ٢٤.
(٨) سورة: العنكبوت آية: ٢٤.
(٩) سورة: الصافات آية: ١٤٩.
(١٠) سورة: الصافات آية: ١١.
(١١) سورة: المدثر آية: ٣٦.
(١٢) سورة: المدثر آية: ٢.

وهذا الذي ذكره في الصافات منه.

ومن العجب دعوى بعضهم كسر همزة «إن» في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾(١) على جواب القسم في قوله تعلى: ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾(٢)، حكاه الرماني.

فإن قيل: أين خبر «إن» في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾(٣).

قيل الخبر: ﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾(٤).

فوائـــد:

قال ابن عمرون: لا يجوز وقوع الاعتراض بين واو العطف وما دخلت عليه؛ وقد أجازه قوم في «ثم»، و«أو» فتقول: «زيد قائم ثم والله عمرو».

وقوله تعالى: ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِياً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا ﴾(٥) اعتراض بين الشرط وجوابه مع أن فيه فاء والجملة مسندة لـ «يَكُنْ».

قال الطيبي: سئل الزمخشري عن قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾(٦) هو اعتراض؟ قال: لا؛ لأن من شرط الاعتراض أن يكون بالواو ونحوها؛ وأما بالفاء فلا.

وفهم صاحب «فرائد القلائد» من هذا اشتراط الواو، فقال: وقد ذكر الزمخشري: ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِياً ﴾(٧) هذه الجملة اعتراض بين البدل وبين المبدل منه، أعني «إبراهيم» و«إذ» قال: هذا معترض لأنه اعتراض بدون الواو بعيد عن الطبع وعن الاستعمال، وليس كما قال، فقد يأتي بالواو كما سبق في

---

(١) سورة: صۤ آية: ٦٤.

(٢) سورة: صۤ آية: ١.

(٣) سورة: فصلت آية: ٤١.

(٤) سورة: فصلت آية: ٤٤.

(٥) سورة: النساء آية: ١٣٥.

(٦) سورة: المدثر آية: ٥٥.

(٧) سورة: مريم آية: ٤١ - ٥٦.

(٦) ٤٩ " هو محمد بن محمد بن أبي علي بن أبي سعد عمرون الحلبي أخذ عن ابن يعيش وله شرح على المفصل توفي ٦٤٩ هـ

الأمثلة، وبدونها كقوله سبحانه: ﴿ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[1]. وقد اجتمعا في قوله: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾[2].

(١) سورة: النحل آية: ٥٧.

(٢) سورة: الواقعة آية: ٧٥ ـ ٧٧٧.

٢٣ ـ القسم الثالث والعشرون
الاحتـــراس

وهو أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد، فيؤتى بما يـدفع ذلـك الاحتمال؛ كقوله تعالى:

﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[١]، فـاحترس سبحانه بقوله: ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ عن إمكان أن يدخلَ في ذلك البَهَق والبَرص.

وقوله تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ﴾[٢] فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة وهو السهولة، لتُوهمّ أن ذلك لِضعفهم، فلما قيل: ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ عُلِم أنها منهم تواضع؛ ولهذا عدّى «الذل» بعلى لتضمنه معنى العطف.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٤] فقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ احتراس بيّن أنّ من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنّهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألّا يشعروا بها.

وقد قيل: إنما كان تبسم سليمان سروراً بهذه الكلمة منها؛ ولذلك أكّد

---

(١) سورة: القصص آية: ٣٢.
(٢) سورة: المائدة آية: ٥٤.
(٣) سورة: الفتح آية: ٢٩.
(٤) سورة: النمل آية: ١٨.

التبسم بالضحك؛ لأنهم يقولون: تبسّم كتبسُّم الغضبان؛ لينبه على أن تبسُّمه تبسُّم سرور.

ومثله قوله تعالى: ﴿ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(١)، إلتفاتٌ إلى أنهم لا يقصدون ضَرَرَ مسلم.

وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٢)؛ فإنه سبحانه لما أخبر بهلاك مَنْ هلك بالطوفان، عقَّبهم بالدعاء عليهم، ووصْفِهم بالظلم، ليعلم أن جميعَهم كان مستحقاً للعذاب، احتراس من ضعف، يُوهم أنّ الهلاكَ بعمومه ربما شمل مَنْ لا يستحق العذاب؛ فلما دعا على الهالكين، ووصفهم بالظلم، علم استحقاقَهم لما نزل بهم، وحَلَّ بساحتهم، مع قوله أولاً: ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾(٣).

وأعجبُ احتراس وقع في القرآن قوله تعالى مخاطباً لنبيّه عليه السلام:

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى ٱلْأَمْرَ. . . . ﴾(٤) الآية.

وقال حكاية عن موسى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾(٥)، فلما نَفَي سبحانه عن رسوله أن يكونَ بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عرّف المكان بالغربيّ؛ ولم يقل في هذا الموضع «الأيمن» كما قال: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾(٦) أدباً مع النبيّ ﷺ أن ينفيَ عنه كونه بالجانب الأيمن، أو يسلب عنه لفظاً مشتقاً من اليُمْن، أو مشاركاً لمادته، ولما أخبر عن موسى عليه السلام ذَكَرَ الجانب الأيمن تشريفاً لموسى، فراعَى في المقامين حسنَ الأدب معهما، تعليماً للأمة، وهو أصل عظيم في الأدب في الخطاب.

وقوله: ﴿ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللهِ وَٱللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ

---

(١) سورة: الفتح آية: ٢٥.
(٢) سورة: هود آية: ٤٤.
(٣) سورة: هود آية: ٣٧.
(٤) سورة: القصص آية: ٤٤.
(٥) سورة: مريم آية: ٥٢.
(٦) سورة: مريم آية: ٥٢.

لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾[1] فإنه لو اختصر لترك: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ﴾؛ لأن سياق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة، لكن حسّن ذكره رفع تُوهم أنّ التكذيب للمشهود به في نفس الأمر.

وقوله حاكياً عن يوسف عليه السلام: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾[2]، ولم يذكر الجُبّ مع أن النعمة فيه أعظم لوجهين:

أحدهما: لئلا يستحييَ إخوتَه، والكريم يغضي؛ ولا سيمّا في وقت الصفاء.

والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم، بخلاف الجُب.

وقوله: ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾[3]؛ وإنما ذكر الكهولة مع أنه لا إعجاز فيه؛ لأنه كان في العادة، أنّ مَنْ يتكلم في المهد أنه لا يعيش ولا يتمادى به العمر، فجعل الاحتراس بقوله: ﴿ وَكَهْلًا ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾[4]، والسقف لا يكون إلا من فوق؛ لأنه سبحانه رفع الاحتمال الذي يتوهم من أن السقف قد يكون من تحت بالنسبة؛ فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً لقوم وسقفاً لآخرين؛ فرفع تعالى هذا الاحتمال بشيئين: وهما قوله: ﴿ عَلَيْهِمُ ﴾، ولفظة ﴿ خَرَّ ﴾ لأنها لا تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلوّ إلى سفل.

وقيل: إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالّين تحته، والعرب تقول: خَرَّ علينا سقف، ووقع علينا حائط، فجاء بقوله: ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾، ليخرج هذا الشك الذي في كلامهم، فقال: ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾، أي: عليهم وقع؛ وكانوا تحته، فهلكوا وما أفلتوا.

---

(1) سورة: المنافقون آية: ١.
(2) سورة: يوسف آية: ١٠٠.
(3) سورة: البقرة آية: ٢٢٣.
(4) سورة: الزخرف آية: ٣٩.

وقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾[1]؛ لأنه لمّا كان يحتمل معنى «كيف» و«أين» احترس بقوله: ﴿ حَرْثَكُمْ ﴾؛ لأن الحرث لا يكون إلا حيثَ تنبت البذور، وينبت الزرع، وهو المحل المخصوص.

وقوله: ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[2]؛ وذلك لأن الاشتراك في المصيبة يخفف منها، ويسلي عنها؛ فأعلم سبحانه أنه لا ينفعهم ذلك.

فائـــدة:

عاب قدامة على ذي الرّمة[3] قوله:

ألَا يا آسْلَمِي يا دَارَمَيٍّ على البلى ... وَلَا زَالَ منهلاً بجَرْعائكِ القَطْرُ[4]

فإنه لم يحترس، وهلاّ قال كما قال طرفة[5]:

* فَسَقَى ديارَك غَـيْرَ مُفْسِـدها *

وأجيب بأنه قدّم الدعاء بالسلامة للدار.

وقيل: لم يرد بقوله: «ولا زَالَ مُنْهلاّ» اتصال الدوام بالسُّقيا من غير إقلاع، وإنّما ذلك بمثابة من يقول: ما زال فلان يزورني، إذا كان متعاهداً له بالزيارة.

---

(١) سورة: المائدة آية: ١١٠. (٢) سورة: النحل آية: ٢٦.

(٣) ذي الرمة، هو: عيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث ذو الرمة. شاعر من فحول الشعراء في عصره، وكان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهلية. وكان مقيماً بالبادية، يحضر اليمامة والبصرة كثيراً، وامتاز بإجادة التشبيه.

أنظر ترجمته في: (وفيات الأعيان ١/ ٤٠٤. والموشح ١٧٠: ١٨٥. ومعاهد التنصيص ٣/ ٢٦٠. وخزانة الأدب للبغدادي ١/ ٥١: ٥٣. وتزيين الأسواق ١/ ٨٨. ودائرة المعارف الإسلامية ٩/ ٣٩٢. والأعلام ٥/ ١٢٤).

(٤) أنظر: (ديوان ذي الرمة ٢٠٦). (٥) أنظر: (ديوان طرفة ٧٢).

٢٤-القسم الرابع والعشرون
التذييـــل

مصدر «ذيّل» للمبالغة؛ وهي لغةً: جعلُ الشيء ذيلًا للآخر.

واصطلاحاً: أن يُؤْتَى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول؛ تحقيقاً لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل، ليظهر المعنى عند من لا يفهم؛ ويكمل عند من فهمه.

كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾[1]، ثم قال عز من قائل: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[2]، أي: هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور؛ فإن جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مفيداً فائدة زائدة.

وقوله: ﴿ وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[3].

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ ﴾[4].

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ. إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[5].

فقوله: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ تذييل لاشتماله على. . .[6].

---

(١) سورة: سبإ آية: ١٧.
(٢) سورة: سبإ آية: ١٧.
(٣) سورة: الإسراء آية: ٨١.
(٤) سورة: الأنبياء آية: ٣٤.
(٥) سورة: فاطر آية: ١٣ ـ ١٤.
(٦) مكان النقط بياض في الأصول.

وقوله: ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ ﴾[1].

وقوله: ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ ﴾[2].

وجعل القاضي أبو بكر في كتابه «الإعجاز» منه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[3].

وقوله: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾[4].

ويحتمل أن يكون من التعليل.

وقوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾[5]، فقوله: ﴿ وَكَذٰلِكَ ﴾[6]، تذييل، أي: فذلك شأن الأمم مع الرسل، وقوله: ﴿ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ ﴾[7]، جعل التذييل هنا من التفسير.

---

(١) سورة: المؤمنون آية: ٤٦.
(٢) سورة: الأعراف آية: ١٣٣.
(٣) سورة: القصص آية: ٤.
(٤) سورة: القصص آية: ٩.
(٥) سورة: الزخرف آية: ٢٢.
(٦) سورة: الزخرف آية: ٢٣.
(٧) سورة: الزخرف آية: ٢٣.

٢٥ ـ القسم الخامس والعشرون
التتميـــم

وهو أن يتم الكلام، فيلحق به ما يكمّله، إما مبالغة، أو احترازاً، أو احتياطاً.

وقيل: هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح؛ وربما كان السامع لا يتأمله ليعود المتكلِّم إليه شارحاً؛ كقوله تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾(١).

فالتتميم في قوله: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾، جعل الهاء كناية عن الطعام مع اشتهائه.

وكذلك قوله: ﴿ وَآتَىٰ ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾(٣).

فقوله: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ تتميم في غاية الحسن.

---

(١) سورة: الدهر آية: ٨.

(٢) سورة: البقرة آية: ١٧٧.

(٣) سورة: النساء آية: ١٢٤.

٢٦ ـ القسم السادس والعشرون
الزيـــادة

والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله، ويسمونه: **التأكيد**. ومنهم من يسميه **بالصلة**. ومنهم من يسميه **المقحم**.

قال ابن جني: كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى.

وبابها الحروف والأفعال.

كقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾[١].

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللهِ ﴾[٢].

وقوله: ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِياً ﴾[٣].

قيل: ﴿ كان ﴾ ها هنا زائدة؛ وإلا لم يكن فيه إعجاز؛ لأن الرجال كلهم كانوا في المهد، وانتصب ﴿ صبياً ﴾ على الحال.

وقال ابن عصفور: هي في كلامهم زيدت في وسط الكلام للتأكيد؛ وهي مؤكدة للماضي في ﴿ قالوا ﴾.

ومنه: زيادة «أصبح».

(١) سورة: المائدة آية: ١٣.
(٢) سورة: آل عمران آية: ١٥٩.
(٣) سورة: مريم آية: ٢٩.

قال حازم: إن كان الأمر الذي ذكر أنه أصبح فيه لم يكن أمسى فيه، فليست زائدة، وإلا فهي زائدة؛ كقولك: أصبح العسل حلواً.

وأجاب الرماني عن قوله: ﴿ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾[1]، فإن العادة أن مَنْ به علة تزاد عليه بالليل يرجو الفرج عند الصباح، فاستعمل «أصبح»؛ لأن الخسران جعل لهم في الوقت الذي يرجون فيه الفرج، فليست زائدة.

وهو معنى قول غيره: إنها تأتي للدوام واستمرار الصفة، كقوله تعالى:

﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[2].

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ ﴾[3].

وأما قوله تعالى: ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[4] فهو على الأصل، لظهور الصفة نهاراً، والمراد الدوام أيضاً، أي استقرت له الصفة [نهاره][5].

واعلم أن الزيادةَ واللغو من عبارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين، قال سيبويه عقب قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ ﴾[6]: إن «ما» لغو؛ لأنها لم تُحْدِث شيئاً[7].

والأوْلى اجتنابُ مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى؛ فإنّ مرادَ النحويين بالزائد من جهة الإعراب، لا من جهة المعنى؛ فإن قوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾[8] معناه: «ما لنتَ لهم إلا رحمة»؛ وهذا قد جمع نفياً وإثباتاً، ثم اختصر على هذه الإرادة، وجُمِع فيه بين لفظي الإثبات وأداة النفي التي هي «ما».

وكذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱللهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[9] فـ«إِنَّمَا» ها هنا حرف تحقيق

---

(١) سورة: المائدة آية: ٥٣.
(٢) سورة: الأحقاف آية: ٢٥.
(٣) سورة: القصص آية: ٨٢.
(٤) سورة: النمل آية: ٥٨.
(٥) ما بين المعقوفتين: ساقط من جـ.
(٦) سورة: النساء آية: ١٥٥.
(٧) أنظر: (الكتاب ٢/ ٣٠٥).
(٨) سورة: آل عمران آية: ١٥٩.
(٩) سورة: النساء آية: ١٧١.

وتمحيق، إنّ هنا للتحقيق، وما للتمحيق فاختصر، والأصل: «ما الله اثنان فصاعداً، وأنه إله واحد».

وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن:

فمنهم من أنكره، قال الطرطوسي في «العُمْدة»: زعم المبرّد، وثعلب: ألاّ صلة في القرآن، والدّهماء من العلماء والفقهاء والمفسّرين على إثبات الصِّلاتِ في القرآن، وقد وجد ذلك على وجه لا يسع إنكاره فذكر كثيراً.

وقال ابن الخباز في «التوجيه»: وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد؛ لأنه تكلُّم بغير فائدة، وما جاء منه حَمَله على التوكيد.

ومنهم من جوّزه وجعل وجوده كالعدم؛ وهو أفسد الطرق.

وقد رُدّ على فخر الدين الرازي قوله: إنّ المحققين على أن المهملَ لا يقع في كلام الله سبحانه؛ فأما في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[1] فيمكن أن تكون استفهامية للتعجب، والتقدير «فبأي رحمة»؟.

فجعل الزائد مهملاً، وليس كذلك؛ لأن الزائد ما أُتِيَ به لغرض التقوية والتوكيد، والمهمل ما لم تضعه العرب، وهو ضد المستعمل، وليس المراد من الزيادة ـ حيث ذكرها النحويون ـ إهمال اللفظ، ولا كونه لغواً فتحتاج إلى التنكّب عن التعبير بها إلى غيرها؛ فإنّهم إنما سَمَّوْا «ما» زائدة هنا لجواز تعدّي العامل قبلها إلى ما بعدها، لا لأنها ليس لها معنى.

وأما ما قاله في الآية: إنّها للاستفهام التعجبي، فقد انتُقد عليه بأن قيل: تقديره «فبأي رحمة» دليل على أنه جعل «ما» مضافة للرحمة، وأسماءُ الاستفهام التعجبي لا يضاف منها غير «أيّ»؛ وإذا لم تصح الإضافة كان ما بعدها بدلاً منها، والمبدل من اسم الاستفهام يجب معه ذكر همزة الاستفهام، وليست الهمزة مذكورة، فدل على بطلان هذه الدعوى؛ وسنبين في فصل زيادة الحروف الفائدة

---

(١) سورة: آل عمران آية: ١٠٩.

في إدخال «ما» ها هنا، فانظره هناك.

تنبيهــات:

١ ـ **الأول**: أهل الصناعة يُطلقون الزائدَ على وجوه: منها ما يتعلق به هنا وهو ما أقحم تأكيداً، نحو:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾(١).

﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً ﴾(٢).

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾(٣).

ومعنى كونه زائداً أنَّ أصلَ المعنى حاصل بدونه دون التأكيد؛ فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة.

وسئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف، وما معناه؛ إذ إسقاط الحرف لا يخلّ بالمعنى؟.

فقال: هذا يعرفه أهل الطباع إذ يجدون أنفسَهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف.

قال: ومثال ذلك مثال العارف بوزن الشعر طبعاً؛ فإذا تغير البيت بزيادة أو نقص أنكره وقال: أجد في نفسي على خلاف ما أجده بإقامة الوزن، فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصانها، ويجد نفسَه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه.

٢ ـ **الثاني**: حق الزيادة أن تكون في الحرف وفي الأفعال كما سبق؛ وأما الأسماء فنصّ أكثر النحويين على أنها لا تزاد. ووقع في كلام كثير من المفسّرين الحكم عليها في بعض المواضع بالزيادة، كقول الزمخشري في قوله تعالى:

---

(١) سورة: آل عمران آية: ١٥٩.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢٦.

(٣) سورة: الشورى آية: ٧.

﴿ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾[1]:

إن اسمَ الجلالة مقحم، ولا يُتَصوَّر مخادعتهم لله تعالى[2].

٣ ـ الثالث: حقها أن تكون آخراً وحشواً؛ وأما وقعها أوّلاً فلما فيه من التناقض، إذ قضية الزيادة إمكان اطّرحها، وقضية التصدير الاهتمام، ومن ثم ضعِّف قول بعضهم بزيادة «لا» في قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[3].

وأبعدُ منه قول آخر: إنها بمعنى «إلّا»، والظاهر أنها ردٌّ لكلام تقدّم في إنكار البعث، أي: ليس الأمرُ كما تقولون، ثم قال بعـده: ﴿ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ﴾[4]، وعليه فيجوز الوقف على «لا»، وفيه بعد.

---

(١) سورة البقرة آية: ٩.

(٢) أنظر: (الكشاف، للزمخشري ١/ ٤٤).

(٣) سورة: القيامة آية: ١.

(٤) سورة: القيامة آية: ١.

فصـــل
[في حروف الزيادة][1]

الزيادة إما أن تكون لتأكيد النفي، كالباء في خبر ليس وما، أو لتأكيد الإيجاب، كاللام الداخلة على المبتدأ.

وحروف الزيادة سبعة: إنْ، وأنْ، ولا، وما، ومن، والباء، واللام.

بمعنى أنها تأتي في بعض الموارد زائدة؛ لا أنّها لازمة للزيادة. ثم ليس المراد حصر الزوائد فيها، فقد زادوا الكاف وغيرها؛ بل المراد أن الأكثر في الزيادة أن تكون بها.

١ ـ فأما «إنْ» الخفيفة فتطّرد زيادتها مع ما النافية، كقول امرىء القيس:

حَلَفتُ لها باللَّهِ حَلْفَـةَ فاجِـرٍ   لَنَامُوا فما إنْ مِنْ حديثٍ ولَا صَالِ

أي فما حديث. فزاد «إنْ» للتوكيد، قال الفراء: إن الخفيفة زائدة، فجمعوا بينها وبين ما النافية، تأكيداً للنفي، فهو بمنزلة تكرارها، فهو عند الفراء من التأكيد اللفظي، وعند سيبويه من التأكيد المعنوي.

وقيل: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾[2]: إنها زائدة.

وقيل نافية؛ والأصل «في الذي ما مكناكم فيه» بدليل: ﴿ مَكَّنَّاهُمْ فِي

---

(١) هذا العنوان غير وارد في الأصول.   (٢) سورة: الأحقاف آية: ٢٦.

ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ ﴾[1]؛ وكأنه إنما عدل عن «ما» لئلا تتكرر فيثقُلُ اللفظ.

ووهم ابن الحاجب؛ حيث زعم أنها تُزاد بعد «لما» الإيجابية؛ وإنما تلك في «أن» المفتوحة.

٢ ـ وأما «أنْ» المفتوحة فتزاد بعد لما الظرفية، كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ ﴾[2].

وإنما حكموا بزيادتها؛ لأن «لما» ظرف زمان؛ ومعناها وجود الشيء لوجود غيره؛ وظروف الزمان غير المتمكنة لا تضاف إلى المفرد، «وأنْ» المفتوحة تجعل الفعل بعدها في تأويل المفرد؛ فلم تبق «لمّا» مضافة إلى الجمل؛ فلذلك حكموا بزيادتها.

وجعل الأخفش من زيادتها قوله تعالى:

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ﴾[3].

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[4].

وقيل: بل هي مصدرية؛ والأصل «وما لنا في ألَّا نفعل كذا»! فليست زائدة؛ لأنها عملت النصب في المضارع.

٣ ـ وأما «ما» فتزاد بعد خمس كلمات من حروف الجر؛ فتزاد بعد «من» و«عن» غير كافة لهما عن العمل، وتزاد بعد الكاف، وربّ، والباء؛ كافة وغير كافة أخرى.

والكافة إما أن تكفّ عن عمل النصب والرفع؛ وهي المتصلة بإنّ وأخواتها؛ نحو:

---

(١) سورة: الأنعام آية: ٦.
(٢) سورة: العنكبوت آية: ٢٣.
(٣) سورة: إبراهيم آية: ١٢.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢٤٦.

﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[1].

﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ ﴾[2].

وجعلوا منها: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[3]؛ ويحتمل أن تكون موصولة بمعنى «الذي» و«العلماء» خبر، والعائد مستتر في «يخشى»، وأطلقت «ما» على جماعة العقلاء، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾[4].

وإما أن تكفّ عن عمل الجر، كقوله تعالى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[5].

وقيل: بل موصولة؛ أي «كالذي هو لهم آلهة».

وغير الكافة تقع بعد الجازم؛ نحو:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴾[6].

﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا ﴾[7].

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا ﴾[8].

وبعد الخافض؛ حرفاً كان، نحو:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[9].

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾[10].

---

(1) سورة: النساء آية: ١٧١.
(2) سورة: الأنفال آية: ٦.
(3) سورة: فاطر آية: ٢٨.
(4) سورة: النساء آية: ٣.
(5) سورة: الأعراف آية: ١٣٨.
(6) سورة: الأعراف آية: ٢٠٠.
(7) سورة: الإسراء آية: ١١٠.
(8) سورة: النساء آية: ٧٨.
(9) سورة: آل عمران آية: ١٥٩.
(10) سورة: المائدة آية: ١٣.

﴿ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾[1].

﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾[2].

أو اسماً، نحو: ﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾[3].

وتزاد بعد أداة الشرط؛ جازمة كانت، نحو: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمْ الْمَوْتُ ﴾[4].

أو غير جازمة، نحو: ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ ﴾[5].

وبين المتبوع وتابعه؛ نحو: ﴿ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً ﴾[6].

قال الزجاج: ما حرف زائد للتوكيد عند جميع البصريين. انتهى.

ويؤيّده سقوطُها في قراءة ابن مسعود. و«بعوضة» بدل.

وقيل «ما» اسم نكرة صفة لـ «مثلاً»، أو بدل و«بعوضة» عطف بيان.

وقيل في قوله: ﴿ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴾[7] بأنها زائدة لمجرد تقوية الكلام؛ نحو: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾[8].

و«قليلاً» في معنى النفي، أو لإفادة التقليل كما في نحو «أكلت أكلاً ما»، وعلى هذا فيكون: «فقليلاً بعد قليل».

زيادة لا

٤ ـ وأما «لا» فتزاد مع الواو بعد النفي، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾[9]؛ لأن «استوى» من الأفعال التي تطلب اسمين أي لا تليق بفاعل واحد؛ نحو «اختصم»، فعُلم أن «لا» زائدة.

---

(١) سورة: المؤمنون آية: ٤٠.
(٢) سورة: نوح آية: ٢٥.
(٣) سورة: القصص آية: ٢٨.
(٤) سورة: النساء آية: ٧٨.
(٥) سورة: فصلت آية: ٢٠.
(٦) سورة: البقرة آية: ٢٦.
(٧) سورة: البقرة آية: ٨٨.
(٨) سورة: آل عمران آية: ١٥٩.
(٩) سورة: فصلت آية: ٣٤.

وقيل: دخلت في السيئة لتحقُّق أنه لا تساوِي الحسنة السيئة، ولا السيئة الحسنة.

وتزاد بعد «أن» المصدرية؛ كقوله: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ ﴾[1]؛ أي: ليعلم؛ ولولا تقدير الزيادة لا نعكس المعنـى؛ فزيدت «لا» لتوكيد النفي. قاله ابن جنيّ.

واعترضه ابن ملْكون[2]؛ بأنه ليس هناك نفي حتى تكون هي مؤكدة له.

وردَّ عليه السَّكوني[3] بأن هنا ما معناه النفي؛ وهو ما وقع عليه العلم من قوله: ﴿ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ ﴾[4]، ويكون هذا من وقوع النفي على العلم، والمراد: ما وقع عليه العلم كقوله: «ما علمت أحداً يقول ذلك إلا زيداً» فأبدلت من الضمير الذي في «يقول» ما بعد «إلا»؛ وإن كان البدل لا يكون إلا في النفي؛ فكما كان النفي هنا واقعاً على العلم وحكم لما وقع عليه العلم بحكمه، كذلك يكون تأكيد النفي أيضاً على ما وقع عليه العلم، ويحكم للعلم بحكم النفي، فيدخل على العلم توكيدُ النفي، والمراد به تأكيد نفي ما دخل عليه العلم.

---

(١) سورة: الحديد آية: ٢٩.

(٢) ابن ملكون، هو: ابراهيم بن محمد بن منذر، أبو إسحاق بـن ملكون الحضرمي. نحوي، من أهل إشبيلية مولداً ووفاة. توفي عام (٥٨١ هـ: ١١٨٦ م). من مصنفاته: «إيضاح المنهج» و«شرح الجمل». و«النكت على التبصرة للصيمري».
أنظر: (بغية الوعاة ١٨٨. وتذكرة النوادر ١٢٩ والأعلام ١/ ٦٢).

(٣) السكوني، هو: عمر بن محمد بن حمد بن خليل، أبو علي السكوني. مقرىء من فقهاء المالكية. إشبيلي نزل تونس. من مصنفاته: «التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزالات في تفسير الكتاب العزيز». و«كتاب الأربعين مسألة في أصول الدين على مذهب أهل السنة». و«لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام».
أنظر ترجمته في: (نفح الطيب ٢/ ١١٥٠. وكشف الظنون ٢/ ١٤٨. وهدية العارفين ١/ ٧٨٨. والأعلام ٥/ ٦٣).

(٤) سورة: الحديد آية: ٢٩.

وإذا كانوا قد زادوا «لا» في الموجب المعنى لما توجه عليه فعل متفيٌّ في المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[1].

المعنى: «أن تسجد»، فزاد «لا» تأكيداً للنفي المعنوي الذي تضمنه «منعك»؛ فكذلك تُزاد «لا» في العلم المُوجِب توكيداً للنفي الذي تضمنه الموجّه عليه.

قال الشَّلَوْبين: وأما زيادة «لا» في قوله: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ ﴾[2]؛ فشيء متفَق عليه؛ وقد نصّ عليه سيبويه، ولا يمكن أن تحمل الآية إلا على زيادة «لا» فيها، لأن ما قبله من الكلام وما بعده يقتضيه.

ويدل عليه قراءة ابن عباس، وعاصم، والحميدي: «لِيَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ» وقرأ ابن مسعود، وابن جبير «لِكَيْ يَعْلَمَ» وهاتان القراءتان تفسير لزيادتها؛ وسبب النزول يدل على ذلك أيضاً؛ وهو أن المشركين كانوا يقولون: إن الأنبياء منّا، وكفروا مع ذلك بهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ. . . »[3] الآية.

ومنه: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ ﴾[4]، بدليل الآية الأخرى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾[5]؛ وليس المعنى: ما منعك من ترك السجود؟ فإنه تَرْك؛ فلا يستقيم التوبيخ عليه.

وقيل: ليست بزائدة من وجهين:

أحدهما: أنّ التقدير ما دَعاك إلى ألّا تسجد؟ لأنّ الصارف عن الشيء داعٍ إلى تركه، فيشتركان في كونهما من أسباب عدم الفعل.

الثاني: أنّ التقدير ما منعك من ألّا تسجد.

وهذا أقربُ مما قبله؛ لأن فيه إبقاء المنع على أصله، وعدم زيادتها أوْلى؛

---

(1) سورة: الأعراف آية: ١٢.
(2) سورة: الحديد آية: ٢٩.
(3) سورة: الحديد آية: ٢٩.
(4) سورة: الأعراف آية: ١٢.
(5) سورة: صٓ آية: ٧٥.

لأن حذف حرف الجر مع «أن» كثير كثرة لا تصل إلى المجاز، والزيادة في درجتها.

قالوا: وفائدة زيادتها تأكيد الإثبات؛ فإن وضع «لا» نفي ما دخلت عليه، فهي معارضة للإثبات؛ ولا يخفى أنَّ حصول الحكم مع المعارض أثبتُ مما إذا لم يعترضه المعارض؛ أو أسقط معنى ما كان من شأنه أن يسقط.

ومنه: ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾(١).

قيل: وقد تزاد قبل القسم، نحو:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ ﴾(٢).

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾(٣).

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾(٤)؛ أي: أقسم بثبوتها.

وضُعّف في الأخيرة، بأنها وقعت صدراً، بخلاف ما قبلها، لوقوعها بين الفاء ومعطوفها.

وقيل: زيدت توطئة لنفي الجواب؛ أي: لا أقسم بيوم القيامة، فلا يتركون سُدًى.

ورد بقوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ. . . ﴾(٥) الآيات؛ فإن جوابه مثبت، وهو: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾(٦).

وقيل: غير زائدة.

وقيل: هي ردّ لكلام قد تقدّم من الكفّار؛ فإنّ القرآن كلّه كالسورة الواحدة؛ فيجوز أن يكون الادّعاء في سورة، والردُّ عليهم في أخرى؛ فيجوز الوقف على «لا» هذه.

---

(١) سورة: طه آية: ٩٢ ـ ٩٣.
(٢) سورة: المعارج آية: ٤٠.
(٣) سورة: الواقعة آية: ٧٥.
(٤) سورة: القيامة آية: ١.
(٥) سورة: البلد آية: ١.
(٦) سورة: البلد آية: ٤.

واختلف في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ ﴾[1].

فقيل: زائدة ليصحّ المعنى؛ لأنّ المحرّم الشِّرْك.

وقيل: نافية أو ناهية.

وقيل: الكلام تمّ عند قوله: ﴿ حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾، ثم ابتدأ: ﴿ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3]؛ فيمن فتح الهمزة، فقيل: «لا» زائدة، وإلا لكان عذراً للكفار.

وردَّه الزجاج بأنها نافية في قراءة الكسْر[4]، فيجب ذلك في قراءة الفتح.

وقيل: نافية وحذف المعطوف؛ أي وأنهم يؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[5].

وقيل: «لا» زائدة، والمعنى: ممتنع[6] على أهل قرية قدّرنا إهلاكهم لكفرهم أنهم لا يرجعون عن الكفر إلى قيام الساعة.

وعلى هذا فـ«حرام» خبر مقدم وجوباً؛ لأن المخبر عنه «أنّ وصلتها».

وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ ٱللهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ ٱللهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَائِكَةَ وَٱلنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً ﴾[7] على قراءة من نصب ﴿ يَأْمُرَكُمْ ﴾ عطفاً على ﴿ يُؤْتِيَهِ ﴾ فـ«لا» زائدة مؤكدة لمعنى النفي السابق.

---

(١) سورة: الأنعام آية: ١٥١.

(٢) سورة: الأنعام آية: ١٥١.

(٣) سورة: الأنعام آية: ١٠٩.

(٤) انظر: (إتحاف فضلاء البشر ٢١٥).

(٥) سورة: الأنبياء آية: ٩٥.

(٦) في جـ: «والمعنى يمتنع».

(٧) سورة: آل عمران آية: ٧٩ ـ ٨٠.

وقيل: عطف على ﴿ يَقُول ﴾، والمعنى: ما كان لبشر أن يَنْصِبه الله للدعاء إلى عبادته وترك الأنداد، ثم يأمر الناسَ بأن يكونوا عباداً له؛ ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً.

وقيل: ليست زائدة لأنه عليه الصلاة والسلام كان يَنْهَى قريشاً عن عبادة الملائكة، وأهلَ الكتاب عن عبادة عُزَير وعيسى؛ فلما قالوا له: أنتخذك رباً؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة، ثم يأمر الناس بعبادته، وينهاهم عن عبادة الملائكة والأنبياء.

زيادة من ٥ ـ وأما «مِن» فإنّها تزاد في الكلام الوارد بعد نفي أو شبهه؛ نحو:

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾(١).

﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾(٢).

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾(٣).

وجوّز الأخفش زيادتها مطلقاً؛ محتجاً بنحو قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٤).

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾(٥).

﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾(٦).

﴿ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾(٧).

وأما «ما» في نحو قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾(٨).

---

(١) سورة: الأنعام آية: ٥٩.
(٢) سورة: الملك آية: ٣.
(٣) سورة: المؤمنون آية: ٩١.
(٤) سورة: الأنعام آية: ٣٤.
(٥) سورة: نوح آية: ٤.
(٦) سورة: الحج آية: ٢٣.
(٧) سورة: البقرة آية: ٢٧١.
(٨) سورة: آل عمران آية: ١٥٩.

وقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾[1].

«ما» في هذين الموضعين زائدة؛ إلاَّ أنّ فيها فائدة جليلة؛ وهي أنه لو قال: فبرحمة من الله لنت لهم، وبنقضهم، جوّزنا أنّ اللين واللعن كانا للسببين المذكورين ولغير ذلك، فلما أدخل «ما» في الموضوعين قطعنا بأن اللين لم يكن إلاّ للرحمة، وأن اللعن لم يكن إلا لأجل نقض الميثاق.

٦ - وأما الباء فتزاد في الفاعل؛ نحو ﴿ كفى بالله ﴾[2]، أي: كفى الله، ونحو «أحسِنْ بزَيْدٍ ﴾، إلا أنها في التعجب لازمة.

ويجوز حذفها في فاعل ﴿ كَفى بالله شهيداً ﴾[3]، ﴿ وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[4] وإنما هو «كفى الله» و«كفينا».

وقال الزجاج: دخلت لتضمّن «كفى» معنى: اكتفى؛ وهو حسن.

وفي المفعول، نحو: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[5]؛ لأن الفعل يتعدّى بنفسه؛ بدليل قوله: ﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾[6].

ونحو: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾[7].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ﴾[8].

﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾[9].

﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾[10]

﴿ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾[11]، أي: يمسح السوق مَسْحاً.

---

(١) سورة: المائدة آية: ١٣.
(٢) سورة: النساء آية: ٧٩.
(٣) سورة: النساء آية: ٧٩.
(٤) سورة: الأنبياء آية: ٤٧.
(٥) سورة: البقرة آية: ١٩٥.
(٦) سورة: الحجر آية: ١٩.
(٧) سورة: مريم آية: ٢٥.
(٨) سورة: العلق آية: ١٤.
(٩) سورة: الحج آية: ١٥.
(١٠) سورة: الحج آية: ٢٥.
(١١) سورة: صَ آية: ٣٣.

وقيل في الأول: ضمّن «تُلْقوا» معنى: «تُفْضُوا».

وقيل: المعنى لا تلقوا أنفسكم بسبب أيديكم؛ كما يقال: لا تفسد أمرَك برأيك.

وقيل في قوله تعالى: ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾(١): إن الباء زائدة؛ والمراد: «تنبت الدهن».

وفي المبتدأ؛ وهو قليل؛ ومنه عند سيبويه: ﴿ بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾(٢).

وقال أبو الحسن: ﴿ بأيِّكم ﴾ متعلّق باستقرار محذوف مخبَر عنه بالمفتون.

ثم اختلف فقيل: «المفتون» مصدر بمعنى الفتنة.

وقيل: الباء ظرفية، أي: في أيكم الجنون.

وفي خبر المبتدأ؛ نحو: ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾(٣).

وقال أبو الحسن: الباء زائدة، بدليل قوله في موضع آخر: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾(٤).

وفي خبر ليس؛ كقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَى ﴾(٥).

﴿ أَلَيْسَ ٱللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾(٦).

وقال ابن عصفور في «المقرّب»: وتزاد في نادرِ كلامٍ لا يُقاس عليه، كقوله تعالى: ﴿ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَى ﴾(٧). انتهى.

---

(١) سورة: المؤمنون آية: ٢٠.
(٢) سورة: القلم آية: ٦.
(٣) سورة: يونس آية: ٢٧.
(٤) سورة: الشورى آية: ٤٠.
(٥) سورة: القيامة آية: ٤٠.
(٦) سورة: الزمر آية: ٣٦.
(٧) سورة: القيامة آية: ٤٠.

ومراده الآية التي أولها: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ ﴾[1]، ولذا صرّح به ابن أبي الربيع في القراءتين.

ويدلّ على الزيادة الآية التي في: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[2].

وزعم ابن النحاس[3] أنه أراد الآية الأولى ـ أعني قوله: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَنْ يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[4] ـ فاعتذر عنه بأنه: إنما قال ذلك ـ وإن كان في خبر ليس ـ لأن «ليس» هنا بدخول الهمزة عليها لم يبق معناها من النفي: فصار الكلام تقريراً ويعني بقوله: «في نادر» في القياس لا في الاستعمال.

٧ ـ وأما **اللام**، فتزاد معترضة بين الفعل ومفعوله؛ كقوله:

وملكت ما بين العراق ويثرب   مُلْكاً أجار لمسلم ومعاهد

وجعل منه المبرّد قوله تعالى: ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾[5].

والأكثرون على أنه ضَمَّن ﴿ رَدِفَ ﴾ معنى: «اقترب»؛ كقوله: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾[6].

واختلف في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾[7]، فقيل زائدة، وقيل: للتعليل والمفعول محذوف، أي: يريد الله التبيين وليبيّن لكم ويهديكم، أي: فيجمع لكم بين الأمرين.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[8] في سورة الزمر:

لك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في «أردت لأن أفعل»، ولا تزاد إلا مع

---

(١) سورة: الأحقاف آية: ٣٣.
(٢) سورة: الإسراء آية: ٩٩.
(٣) في جـ: «وظن ابن النحاس».
(٤) سورة: القيامة آية: ٤٠.
(٥) سورة: النمل آية: ٧٢.
(٦) سورة: الأنبياء آية: ١.
(٧) سورة: النساء آية: ٢٦.
(٨) سورة: الزمر آية: ١٢.

«أن» خاصة دون الاسم الصريح؛ كأنها زيدت عِوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه؛ كما أتت السين في «أسطاع» يعني بقطع الهمزة عوضاً من ترك الأصلِ الذي هو «أطوع» والدليل على هذا مجيئه بغير لام؛ في قوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(١). انتهى.

وزيادتها في «أردت» لأن أفعل» لم يذكره أكثر النحويين؛ وإنما تعرضوا لها في إعراب: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾(٢).

وتزاد لتقوية العامل الضَعيف إما لتأخّره، نحو: ﴿ هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾(٣).

ونحو: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾(٤).

أو لكونه فرعاً في العمل، نحو:

﴿ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ ﴾(٥).

﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾(٦).

﴿ نَزَّاعَةً لِلشَّوىً ﴾(٧).

وقيل منه: ﴿ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ ولِزَوْجِكَ ﴾(٨).

وقيل: بل يتعلق بمستقر محذوف صفة لعدوّ؛ وهي للاختصاص.

وقد اجتمع(٩) التأخر والفرعية، في نحو: ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِين ﴾(١٠).

---

(١) سورة: الزمر آية: ١٢.
(٢) سورة: النساء آية: ٣٦.
(٣) سورة: الأعراف آية: ١٥٤.
(٤) سورة: يوسف آية: ٤٣.
(٥) سورة: البقرة آية: ٩١.
(٦) سورة: البروج آية: ١٦.
(٧) سورة: المعارج آية: ١٦.
(٨) سورة: طه آية: ١١٧.
(٩) في ب: «وقد يجتمع».
(١٠) سورة: الأنبياء آية: ٧٨.

وأما قوله تعالى: ﴿ نَذِيراً لِلْبَشَرِ ﴾[1]، فإن كان «نذيراً»[2] بمعنى: المنذر، فهو مثل: ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾[3]، وإن كان بمعنى الإنذار، فاللام مثلها في: «سقيا لزيد».

وقد تجيء اللام للتوكيد بعد النفي، وتسمَّى لام الجحود، وتقع بعد «كان» مثل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾[4]، وهذه اللام لتأكيد النفي، كالباء الداخلة في خبر «ليس».

ومعنى قوله: «إنها للتأكيد» أنك إذا قلت: «ما كنت أضربك»، بغير لام، جاز أن يكون الضرب مما يجوز كونه؛ فإذا قلت: «ما كنت لأضربك»؛ فاللام جُعلت بمنزلة ما لا يكون أصلاً.

وقد تأتي مؤكدة في موضع، وتحذف في آخر لاقتضاء المقام ذلك.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[5].

فإنه سبحانه أكَّد إثباتَ الموت الذي لا ريب فيه تأكيدين، وأكَّد إثباتَ البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً، وكان المتبادر العكس، لأن التأكيد إنما يكون حيث الإنكار؛ لكن في النظم وجوه:

أحدها: أنّ البعث لما قامت البراهين القطعية عليه صار المنكِر له كالمنكر للبديهيات؛ فلم يحتج إلى تأكيد؛ وأمّا الموت فإنه ـ وإن أقروا به ـ لكن لما لم يعلموا ما بعده نزلوا منزلة من لم يُقِرّ به؛ فاحتاج إلى تأكيد ذلك؛ لأنه قد يُنزل المنكر[6] كغير المنكر إذا كان معه ما لو تأمّله ارتدع من الإنكار[7]. ولما ظهر على المخاطبين من التمادي في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده والانهماك

---

(١) سورة: المدثر آية: ٣٦.
(٢) في جـ: «فإن كان التذير».
(٣) سورة: البروج آية: ١٦.
(٤) سورة: الأنفال آية: ٣٣.
(٥) سورة: المؤمنون آية: ١٥ ـ ١٦.
(٦) في جـ: «وذلك أن قه ينزل المنكر».
(٧) في ب: «تأمله ارتدع عن الإنكار».

في الدنيا، وهي من أمارات إنكار الموت، فلهذا قال: «ميتون» ولم يقل: تموتون؛ وإنما أكد إثباتَ البعث الذي أنكروه تأكيداً واحداً، لظهور أدلته المزيلة للإنكار، إذا تأملوا فيها، ولهذا قيل: «تبعثون» على الأصل، وهو الاستقبال بخلاف «تموتون».

الثاني: أنّ دخول اللام على «ميتون» أحق؛ لأنه تعالى يردّ على الدهّرية القائلين ببقاء النوع الإنساني، خلفاً عن سلف؛ وقد أخبر تعالى عن البعث في مواضع من القرآن، وأكده وكذب منكره؛ كقوله:

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾[1]، قاله الشيخ تاج الدين بن الفركاح.

الثالث: أنه لما كان العطف يقتضي الاشتراك في الحكم استغنيَ به عن إعارة لفظ اللاّم؛ وكأنه قيل: «لتبعثون» واستغنيَ بها في الثاني لذكرها في الأول.

الرابع: قال الزمخشري: بولغ في تأكيد الموت؛ تنبيهاً للإنسان أن يكون الموت نصب عينيه، ولا يغفل عن ترقبه؛ فإن مآله إليه؛ فكأنه أكدت جملته ثلاث مرات؛ لهذا المعنى لأن الإنسان في الدنيا يسعى فيها غاية السعي؛ حتى كأنه مخلّد، ولم يؤكد جملة البعث إلا بـ «إنّ» لأنه أبرز بصورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع، ولا يقبل إنكاراً.

قلت: وهذه الأجوبة من جهة المعنى؛ وأما الصناعة فتوجب ما جاءت الآية الشريفة عليه وهو حذف اللام في «تبعثون»، لأن اللام تخلِّص المضارعَ للحال؛ فلا يجاء [به] مع يوم القيامة، لأنه مستقبل، ولأن «تبعثون» عامل في الظرف المستقبل.

وأما قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾[2]؛ فيمكن تأويلُها بتقدير عامل.

---

(١) سورة: التغابن آية: ٧.
(٢) سورة: النحل آية: ١٢٤.

ونظير هذا آية الواقعة؛ وهي قوله سبحانه: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[١].

وقال سبحانه في الماء: لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً ﴾[٢] بغير لام؛ والفرق بينهما من أربعة أوجه:

أحدها: أن صيرورة الماء ملحاً أسهل وأكثر من جعل الحرث حطاماً، إذ الماء العذب يمر بالأرض السبخة فيصير ملحاً، فالتوعّد به لا يحتاج إلى تأكيد، وهذا كما أنّ الإنسان إذا توعد عبده بالضرب بعصا ونحوه لم يحتج إلى توكيد؛ وإذا توعد بالقتل احتاج إلى تأكيد.

والثاني: إنّ جعل الحرث حطاماً ـ قلب للمادّة والصورة، وجعل الماء أجاجاً قلب: للكيفية فقط، وهو أسهل وأيسر.

الثالث: أن «لو» لمّا كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعليق الجزاء بالشرط أتى باللام[٣] عَلَماً على ذلك، ثم حذف الثاني للعلم بها، لأن الشيء إذا علم وشهر موقعه، وصار مألوفاً ومأنوساً به لم يُبَالَ[٤] بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع ويساوي لشهرته[٥] حذفَه وإثباته، مع ما في حذفه من خفة اللفظ ورشاقته؛ لأن تقدم ذكرها ـ والمسافة قصيرةٌ ـ يغني عن ذكرها ثانياً.

الرابع: أن اللام أدخِلتْ في آية المطعوم؛ للدلالة على أنه يقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيدَ بفقده أشدّ وأصعب، من قِبَل أنّ المشروب إنما يحتاج إليه تَبَعاً للمطعوم؛ ولهذا قُدِّمت آية المطعوم على آية المشروب. ذكر هذا والذي قبله الزمخشري.

---

(١) سورة: الواقعة آية: ٦٥.

(٢) سورة: الواقعة آية: ٧٠.

(٣) في الأصول: «الجزاء أتى باللام».

(٤) في الأصول: «إذا علم لم يبال».

(٥) في الأصول: بإسقاطه عن اللفظ ويساوي لشهرته.

ومن ذلك حذف اللام في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[1] وإثباتها بعد قوله: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ . . . ﴾[2] الآية.

والجواب أنك إذا عطفت على مجرور[3] . . .

---

(1) سورة: الأنفال آية: ١.

(2) سورة: الأنفال آية: ٤١.

(3) مكان النقط بياض في الأصول. أو كذا ورد الكلام ناقصاً في الأصول

٢٧ - القسم السابع والعشرون[١]
بـاب الاشتغـال

فإنّ الشيء إذا أضمر ثم فسّر كان أفخم، مما إذا لم يتقدم إضمار؛ ألا ترى أنك تجد اهتزازاً في نحو قوله تعالى:

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾[٢].

وفي قوله: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾[٣].

وفي قوله: ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَٱلظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[٤].

وفي قوله: ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلاَلَةُ﴾[٥].

لا تجد مثله إذا قلت: وإن استجارك أحد من المشركين فأجره. وقولك: لو تملكون خزائن رحمة ربي. وقولك: يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَأَعَدَّ لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً؛ وقولك: هَدَى فريقاً وأضلَّ فريقاً؛ إذ الفعل المفسّر في تقدير المذكور مرتين.

وكذا قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنْشَقَّتْ ﴾[٦].

---

(١) في جـ: القسم السادس والعشرون.
(٢) سورة: التوبة آية: ٦.
(٣) سورة: الإسراء آية: ١٠.
(٤) سورة: الدهر آية: ٣١.
(٥) سورة: الأعراف آية: ٣٠.
(٦) سورة: الانشقاق آية: ١.

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾[1]، ونظائره، فهذه فائدة اشتغال الفعل عن المفعول بضميره.

(1) سورة: الانفطار آية: ١.

٢٨ ـ القسم الثامن والعشرون
التعليــــل

بأن يُذكَر الشيء معلّلاً؛ فإنّه أبلغ من ذكره بلا علة، لوجهين:

أحدهما: أن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلول؛ ولهذا اعترفت الظاهرية بالقياس في العلّةِ المنصوصة.

الثاني: أن النفوس تنبعث إلى نقل الأحكام المعلّلة، بخلاف غيرها؛ وغالب التعليل في القرآن فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى؛ وهو سؤال عن العلة.

ومنه: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾(١).

﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾(٢).

﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾(٣).

وتوضيح التعليل أن الفاء السببية لو وضعت مكان «إنّ» لَحَسنَ.

والطرق الدالة على العلة بأنواع:

الأول: التصريح بلفظ الحكم، كقوله تعالى: ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾(٤).

---

(١) سورة: يوسف آية: ٥٣.
(٢) سورة: الحج آية: ١.
(٣) سورة: التوبة آية: ١٠٣.
(٤) سورة: القمر آية: ٥.

وقال: ﴿ وَأَنْزَلَ ٱللهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[1]، والحكمة هي: العلم النافع، والعمل الصالح.

الثاني: أنه فعل كذا لكذا، أو أمر بكذا لكذا، كقوله تعالى:

﴿ ذٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ ٱللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ ٱلأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾[3].

﴿ جَعَلَ ٱللهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ ﴾[4].

﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ ﴾[5].

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾[6].

﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾[7].

وَمَا جَعَلَهُ ٱللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾[8]، وهو كثير.

فإن قيل: اللام فيه للعاقبة، كقوله تعالى:

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً ﴾[9].

وقوله: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً ﴾[10]، وإنما قلنا ذلك لأنّ أفعال الله تعالى لا تعلّل.

فالجواب أن معنى قولنا: إن أفعال الله تعالى لا تعلّل، أي: لا تجب؛ ولكنها لا تخلو عن الحكمة.

---

(١) سورة: النساء آية: ١١٣.
(٢) سورة: المائدة آية: ٩٧.
(٣) سورة: الطلاق آية: ١٢.
(٤) سورة: المائدة آية: ٩٧.
(٥) سورة: الحديد آية: ٢٩.
(٦) سورة: البقرة آية: ١٤٣.
(٧) سورة: الأنفال آية: ١١.
(٨) سورة: آل عمران آية: ١٢٦.
(٩) سورة: القصص آية: ٨.
(١٠) سورة: الحج آية: ٥٣.

وقد أجاب الملائكةَ عن قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾[1] بقوله: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

ولو كان فعله[3] سبحانه مجرداً عن الحكم والغايات لم يسأل الملائكة عن حكمتـه، ولم يصح الجـواب بكونـه يعلم ما لا يعلمـون من الحكمة والمصالح، وفرق بين العلم والحكمة؛ ولأن لام العاقبة إنما تكون في حق من يجهل العاقبة، كقوله: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً ﴾[4].

وأما مَنْ هو بكل شيء عليم فمستحيلة في حقه؛ وإنما اللام الواردة في أحكامه وأفعاله لام الحكمة والغاية المطلوبة من الحكمة.

ثم قوله: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً ﴾ هو تعليل لقضاء الله بالتقاطه وتقديره لهم، فإن التقاطهم له إنما كان بقضائه وقَدَره، وذكر فعلهم دون قضائه؛ لأنه أبلغ في كونه حَزناً لهم وحسرة عليهم.

قاعدة تفسيرية:[5]

حيث دخلت واو العاطف على لام التعليل فله وجهان:

أحدهما: أن يكون تعليلاً معلّلة محـذوف، كقولـه تعالى: ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً ﴾[6]؛ فالمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ذلك.

الثاني: أن يكون معطوفاً على علة أخرى، مضمرة ليظهر صحة العطف، كقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى ﴾[7]؛ التقدير: ليستدلّ بها المكلف على قدرته تعالى ولتجزى.

وكقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ ﴾[8]؛ التقدير:

---

(١) سورة: البقرة آية: ٣٠.
(٢) سورة: البقرة آية: ٣٠.
(٣) في ب: «ولو كان تعليمه».
(٤) سورة: القصص آية: ٨.
(٥) سورة: الطلاق آية: ١٢.
(٦) سورة: الأنفال آية: ١٧.
(٧) سورة: الجاثية آية: ٢٢.
(٨) سورة: يوسف آية: ٢١.

ليتصرف فيها ولنعلمه.

والفرق بين الوجهين أنه في الأول عطف جملة على جملة، وفي الثاني عطف مفرد على مفرد.

وقد يحتملهما الكلام، كقوله تعالى: ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَـةً لِلنَّاسِ ﴾[1]، فالتقدير على الأول ولنجعله آية فعلنا ذلك، وعلى الثاني ولنبين للناس قدرتنا ولنجعله آية. ويطرد الوجهان في نظائره ويرجح كل واحد بحسب المقام، وحذف المعلّل ها هنا أرجح، إذ لو فرض علة أخرى لم يكن بدّ مِنْ معلّل محذوف، وليس قبلها ما يصلح له.

فإن قلت: لم قدّر المعل مؤخراً؟

قلت: فائدة هذا الأسلوب هو أن يجاء بالعلّة بالواو للاهتمام بشأن العلة المذكورة؛ لأنه إما أن يقدر علة أخرى ليعطف عليها، فيكون اختصاص ذكرها لكونها أهم، وإما أن يكون على تقدير معلّل؛ فيجب أن يكون مؤخراً ليشعر تقديمه بالاهتمام.

الثالث: الإتيان بكي؛ كقوله تعالى:

﴿ مَا أَفَاءَ ٱللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَى وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾[2].

فعللّ سبحانه قسمةَ الفيء بين هذه الأصناف كيلا يتداوله الأغنياء دون الفقراء.

وقوله: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[3].

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٥٩.

(٢) سورة: الحشر آية: ٧.

(٣) سورة: الحديد آية: ٢٢.

وأخبر سبحانه أنه قَدّر ما يصيبهم من البلاء في أنفسهم قبل أن تبرأ الأنفس أو المصيبة أو الأرض أو المجموع، ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وأنه هين عليه، وحكمته البالغة التي منها ألا يحزن عباده على ما فاتهم، ولا يفرحوا بما آتاهم، فإنهم إذا علموا أنَّ المصيبة فيه مقدرة كائنة ولا بدّ قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفائت، فلم يأسوا عليه ولم يفرحوا.

الرابع: ذكر المفعول له وهو علة للفعل المعلّل به، كقوله:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾(١).

ونَصْب ذلك على المفعول له أحسن من غيره، كما صرح به في قوله:

﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾(٢).

وقوله: ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٣).

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾(٤)، أي: لأجل الذكر؛ كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(٥).

وقوله: ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً. عُذْراً أَوْ نُذْراً ﴾(٦)، أي: للإعذار والإنذار.

وقد يكون معلولاً بعلة أخرى، كقوله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾(٧)، فـ «من الصواعق» يحتمل أن تكون فيه «من» لابتداء الغاية فتتعلق بمحذوف، أي: خوفاً من الصواعق، ويجوز أن تكون معلِّلة بمعنى اللام كما في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴾(٨)، أي: لغم.

---

(١) سورة: النحل آية: ٨٩.
(٢) سورة: النحل آية: ٤٤.
(٣) سورة: البقرة آية: ١٥٠.
(٤) سورة: القمر آية: ١٧.
(٥) سورة: الدخان آية: ٥٨.
(٦) سورة: المرسلات آية: ٤ ـ ٥.
(٧) سورة: البقرة آية: ١٩.
(٨) سورة: الحج آية: ٢٢.

وعلى كلا التقديرين فـ«من الصواعق» في محل نصب؛ على أنه مفعول له، والعاملُ فيه ﴿ يجعلون ﴾. و﴿ حذر الموت ﴾ مفعول له أيضاً فالعامل فيه ﴿ من الصواعق ﴾، فـ«من الصواعق» علة لـ«يجعلون». معلول لحذر الموت؛ لأن المفعول الأول الذي هو «من الصواعق» يصلح جواباً لقولنا: لم يجعلون أصابعهم في آذانهم؟ والمفعول الثاني الذي هو «حذر الموت» يصلح جواباً لقولنا: لم يخافون من الصواعق؟ فقد ظهر ذلك.

الخامس: اللام في المفعول له وتقوم مقامه الباء، نحو:

﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾(١).

ومن، نحو: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا ﴾(٢).

والكاف، نحو: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ ﴾(٣).

وقال: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾(٣).

وقال: ﴿ فَاذْكُرُوا ٱللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ ﴾(٤)، أي: لإرسالنا وتعليمنا.

السادس: الإتيان بإنَّ، كقوله تعالى:

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(٥).

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾(٦).

﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾(٧).

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً ﴾(٨).

---

(١) سورة: النساء آية: ١٦٠.
(٢) سورة: المائدة آية: ٣٢.
(٣) سورة: البقرة آية: ١٥١ ـ ١٥٢.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢٣٩.
(٥) سورة: المزمل آية: ٢٠.
(٦) سورة: التوبة آية: ١٠٣.
(٧) سورة: يوسف آية: ٥٣.
(٨) سورة: طه آية: ١٠.

وكقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[1]، وليس هذا من قولهم، لأنه لو كان قولهم لما حَزِن الرسول، وإنما جيء بالجملة لبيان العلة والسبب في أنه لا يحزنه قولهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾[2] والوقف على القول في هاتين الآيتين والابتداء بإنّ لازم.

وقد يكون علة لعلة كقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً﴾[3].

وفيها وجهان لأهل المعاني:

أحدهما: أن سؤالَهم لصرف العذاب معلّل بأنه غرام، أي ملازم الغريم، وبأنها ساءت مستقراً ومقاماً.

الثاني: أنّ «ساءت». تعليل لكونه غراماً.

السابع: أنْ والفعل المستقبل بعدها؛ تعليلاً لما قبله، كقوله تعالى:

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ ٱلْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾[4]

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللهِ﴾[5].

وقوله: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[6]؛

كأنه قيل: لِمَ فاضتْ أعينُهم من الدمع؟ قيل: للحزن، فقيل[7]: لم حزنوا؟ فقيل: لئلا يجدوا.

وقوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[8]. ونظائره كثيرة.

---

(١) سورة: يسٓ آية: ٧٦.

(٢) سورة: يونس آية: ٦٥.

(٣) سورة: الفرقان آية: ٦٥ ـ ٦٦.

(٤) سورة: الأنعام آية: ١٥٦.

(٥) سورة: الزمر آية: ٥٧.

(٦) سورة: التوبة آية: ٩٢.

(٧) في جـ: «قيل، للحزن، فسئل».

(٨) سورة: البقرة آية: ٢٨٢.

وفي ذلك طريقان:

أحدهما للكوفيين؛ أنّ المعنى لئلّا يقولوا، ولئلّا تقول نفس.

الثاني للبصريين؛ أنّ المفعول له محذوف؛ أي: كراهة أن يقولوا، أو حذار أن يقولوا.

فإن قيل: كيف يستقيم الطريقان في قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَى﴾[1]؟ فإنك إذا قدرت: «لئلا تضِلّ إحداهما» لم يستقم عطف «فتذكّر» عليه؛ وإن قدّرت «حذار أن تضل إحداهما» لم يستقم العطف أيضاً؛ لأنه لا يصحّ أن تكون الضلالة علّة لشهادتهما.

قيل: بظهور المعنى يزول الإشكال؛ فإن المقصود إذ كان إحداهما الأخرى إذا ضلّت ونسيت؛ فلما كان الضلالُ سبباً للإذكار جُعل موضعَ العلة، تقول: «أعددت هذه الخشبة أن تميل الحائط فأدْعِم بها»؛ فإنما أعددتَها للدَّعْم لا للميل؛ وأعددت هذا الدواء أن أمرض فأداوى به، ونحوه، هذا قول سيبويه، والبصريين[2].

وقال الكوفيون: تقديره في «تُذَكِّر إحداهما الأخرى»: إن ضلّت، فلما تقدم الجزاء اتصل بما قبله، ففتحت أنْ.

الثامن: «من أجل» في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[3] فإنه لتعليل الكتْب، وعلى هذا فيجب الوقف على: ﴿مِنَ ٱلنَّادِمِينَ﴾[4]. وظن قوم أنّه تعليل لقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّادِمِينَ﴾؛ أي: من أجل قتله لأخيه؛ وهو غَلط، لأنه يشوّش صحَّةَ النظم، ويُخلّ بالفائدة.

فإن قلت: كيف يكون قَتْلُ أحد ابنيْ آدم للآخر علة للحكم على أمة أخرى بذلك الحكم؟ وإذا كان علّة فكيف كان قتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلّهم؟

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٨٢.

(٢) أنظر: (الكتاب، لسيبويه ١/ ٤٣، ٤٧٦).

(٣) سورة: المائدة آية: ٣١.

(٤) سورة: المائدة آية: ٣٢.

قيل: إن الله ـ سبحانه ـ يجعل أقضيتَه وأقداره عِللاً لأسبابه الشرعية وأمره، فجعل حكمه الكونيّ القدريّ علة لحكمة أمره الديني؛ لأن القتل لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد؛ فَخُم أمره، وعظم شأنُه، وجُعِل إثمه أعظمُ من إثم غيره، ونزّل قاتلُ النفسِ الواحدة منزلةَ قاتِل الأنفسِ كلِّها في أصل العـذاب؛ لا في وصفه.

التاسع: التعليل بلعلّ، كقوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

قيل: هو تعليل لقوله: ﴿ٱعْبُدُوا﴾.

وقيل لقوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾.

وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢). حيث لمح فيها معنى الرجاء رجعت إلى المخاطبين.

العاشر: ذِكْر الحكم الكوني أو الشرعي عقب الوصف المناسب له، فتارة يذكر بأن، وتارة بالفاء، وتارة يجرّد.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ﴾ إلى قوله: ﴿خَاشِعِينَ﴾(٣).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾(٤).

والثاني: كقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾(٥).

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾(٦).

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢١.
(٢) سورة: البقرة آية: ١٨٣.
(٣) سورة: الأنبياء آية: ٨٩.
(٤) سورة: الذاريات آية: ١٥ ـ ١٦.
(٥) سورة: المائدة آية: ٣٨.
(٦) سورة: النور آية: ٢.

والثالث: كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. ٱدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

الحادي عشر: تعليله سبحانه عدم الحكم بوجود المانع منه؛ كقوله تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ...﴾[3] الآية.

وقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4].

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾[5]، أي: آيات الاقتراح، لا الآيات الدّالة على صدق الرسل التي تأتي منه سبحانه ابتداء.

وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[6].

وقوله: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾[7].

فأخبر سبحانه عمّا يمنع[8] من إنزال الملك عياناً بحيث يشاهدُونه، وإن عنايته وحكمتَه بخلقه اقتضت منعَ ذلك؛ بأنه لو أنزل عليه الملَك ثم عاينوه ولم يؤمنوا به لعوجلوا بالعقوبة، وجعل الرسول بشراً ليمكنهم التَّلقِّي عنه، والرجوع إليه. ولو جعله مَلكاً؛ فإمَّا أن يَدَعه على هيئته الملكية، أو يجعله على هيئة البشر؛ والأول يمنعهم من التلقي عنه، والثاني لا يحصل مقصوده؛ إذ كانوا يقولون: هو بشر لا ملك.

---

(1) سورة: الحجر آية: ٤٥ ـ ٤٦.
(2) سورة: البقرة آية: ٢٧٧.
(3) سورة: الزخرف آية: ٣٣.
(4) سورة: الشورى آية: ٢٧.
(5) سورة: الإسراء آية: ٥٩.
(6) سورة: فصلت آية: ٤٤.
(7) سورة: الأنعام آية: ٨.
(8) في ب: «عما منع».

الثاني عشر: إخباره عن الحِكَم والغايات التي جعلها في خلقه وأمره، كقوله:

﴿الَّـذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ فِـرَاشاً وَٱلسَّمَـاءَ بِنَاءً وَأَنْـزَلَ مِنَ ٱلسَّمَـاءِ مَاءً. . .﴾[1] الآية.

وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ مِهَاداً. . .﴾[2] الآيات.

وقوله: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً. . .﴾[3] الآية.

وكما يقصِدُون البسطَ والاستيفاء، يقصِدون الإجمال والإيجاز، كما قيل:

يَرْمُون بالخطبِ الطِّوال وتارةً　　　وَحْيَ الملاحظِ خيفة الرُّقَبَاءِ

وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾[4].

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٢.
(٢) سورة: النبإ آية: ٦.
(٣) سورة: النحل آية: ٨٠.
(٤) سورة: الروم آية: ٢١.

الأسلوب الثاني
الحذف

وهو لغةً: الإسقاط؛ ومنه: حذفْتُ الشعر، إذا أخذتَ منه.

واصطلاحاً: إسقاطُ جزء الكلام، أو كله لدليل.

وأما قول النحويين: الحذف لغير دليل، ويسمى اقتصاراً؛ فلا تحريرَ فيه، لأنه لا حذفَ فيه بالكلية كما سنبينه فيما يلتبس به الإضمارُ والإيجاز.

والفرق بينهما أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون ﴿في الحذف] ثَمّ مقدر؛ نحو: ﴿وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[1]؛ بخلاف الإيجاز؛ فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه.

والفرق بينه وبين الإضمار أنّ شرط المضمر بقاءُ أثر المقدر في اللفظ، نحو:

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَٱلظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[2].

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ﴾[3]. ﴿ٱنْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ﴾[4]. أي: ائتوا أمراً خيراً لكم؛ وهذا لا يشترط في الحذف.

ويدلّ على أنه لا بدّ في الإضمار من ملاحظة المقدّر بابُ الاشتقاق؛ فإنه من أضمرت الشيء: أخفيته، قال:

---

(1) سورة: يوسف آية: ٨٢.
(2) سورة: الدهر آية: ٣١.
(3) سورة: الأحزاب آية: ٢٤.
(4) سورة: النساء آية: ١٧١.

* سيبقى لها في مضمر القلب والحشا *

وأما الحذف؛ فمن حذفت الشيء قطعته؛ وهو يُشعر بالطرح، بخلاف الإضمار، ولهذا قالوا: «أنْ» تنصب ظاهرةً ومضمرة.

ورد ابن ميمون[1] قول النحاة: إن الفاعل[2] يحذف في باب المصدر، وقال: الصواب أن يقال: يضمر ولا يحذف؛ لأنه عمدة في الكلام.

وقال ابن جني في خاطرياته: من اتصال الفاعل بالفعل أنّك تضمره في لفظٍ إذا عرفته نحو: قم؛ ولا تحذفه كحذف المبتدأ[3]؛ ولهذا لم يجز عندنا ما ذهب إليه الكسائي في «ضربني، وضربت قومَك».

---

(١) ابن ميمون، هو: محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري القرطبي، أبو بكر: عالم بالقرآن والأدب. شاعر من بلغاء الكتاب. أصله من قرطبة. خرج منها في أيام الفتنة، واستوطن مراكش، ومات فيها عام (٥٦٧ هـ: ١١٧٢ م). من كتبه: «شرح المقامات الحريرية». و«شرح أبيات الإيضاح للفارسي». و«مشاحذ الأفكار فيما أخذ على النظار». و«شرح الجمل».

أنظر ترجمته في: (بغية الوعاة ٦١. والأعلام ٦/٢٣١).

(٢) في ب: «بان الفعل».

(٣) في ب: «نحو: تم كحذف المبتدأ».

فصـــل

المشهور أن الحذف مجاز؛ وحكى إمام الحرمين في «التلخيص» عن بعضهم: أن الحذف ليس بمجاز؛ إذ هو استعمال اللفظ في غير موضعه، والحذف ليس كذلك.

قال ابن عطية في تفسير سورة يوسف: وحَذْف المضاف هو عين المجاز أو معظمه؛ وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر، وليس كلُّ حذف مجازاً. انتهى.

وقال الزنجاني[1] في «المعيار»: إنما يكون مجازاً إذ تغيّر بسببه حكم[2]؛ فأما إذا لم يتغير به حكم، كقولك: زيد منطلق وعمرو، بحذف الخبر فلا يكون مجازاً إذا لم يتغير حكمُ ما بقي من الكلام.

والتحقيق: أنه إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ في غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك، لعدم استعماله، وإن أريد بالمجاز إسناد الفعل إلى غيره ـ وهو المجاز العقلي ـ فالحذف كذلك.

(١) الزنجاني، هو: عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي الزنجاني. من علماء العربية. يقال له: العربي، عز الدين. توفي ببغداد عام (٦٥٥ هـ: ١٢٥٧ م). من مصنفاته: «تصريف العـزي». و«معيار النظار في علوم الأشعار». و«العمادي» في النحو. وشرقه «الكافي شرح الهادي». والمضنون به على غير أهله» و«عمدة الحساب».
أنظر ترجمته في: (بغية الوعاة ٣١٨، ٤٣٠. وآداب اللغة ٣/ ٤٣. وكشف الظنون ٩/ ١١٣٩. ومجمع الآداب ١/ ٢٣٤. والأعلام ٤/ ١٧٩).

(٢) في ب: «إذا تغير به حكمه».

فصل

والحذف خلاف الأصل؛ وعليه ينبني فرعان:

أحدهما: إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أوْلَى، لأن الأصل عدم التغيير.

والثاني: إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته؛ كان الحمل على قلته أوْلى.

ويقع الكلام في الحذف من خمسة أوجه: في فائدته، وفي أسبابه، ثم في أدلته، ثم في شروطه، ثم في أقسامه:

فوائد الحذف:

١ ـ الوجه الأول: في فوائده:

فمنها التفخيم، والإعظام؛ لما فيه من الإبهام، لذهاب الذهن في كلّ مذهب، وتشوّفه إلى ما هو المراد، فيرجع[1] قاصراً عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنُه، ويعلو في النفس مكانه. ألا ترى أن المحذوفَ إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد، وخَلَص للمذكور؟

ومنها: زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلّما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشدّ وأحسن.

---

(١) في ب: «ما هو المراد «فرجع».

ومنها: زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك؛ بخلاف غير المحذوف، كما تقول في العلّة المستنبطة والمنصوصة.

ومنها: طلب الإيجاز والاختصار، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل.

ومنها: التشجيع على الكلام؛ ومن ثم سماه ابن جني: «شجاعة العربية».

ومنها: موقعه في النفس من موقعه على الذكر.

ولهذا قال شيخ الصناعتين عبد القاهر الجرجاني: ما مِن آسم حُذف في الحالة التي ينبغي أن يحذَف فيها إلّا وحذفه أحسن من ذكره. ولله در القائل:

إذَا نطقتْ جاءت بكلِّ مَليحةٍ وإن سكَتَتْ جاءت بكل مَلِيحِ

٢ ـ الثاني: في أسبابه. أسباب الحذف

فمنها: مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، نحو: الهلال والله، أي هذا، فحذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة شهادة الحال، إذ لو ذكره مع ذلك لكان عبثاً من القول.

ومنها: التنبيه على أن الزمانَ يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يُفضي إلى تفويت المهمّ، وهذه هي فائدة باب التحذير؛ نحو: إياكَ والشرّ، والطريقُ، الطريقَ، الله الله. وباب الإغراء هو لزوم أمر يحمد به، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللهِ وَسُقْيَاهَا﴾[1] على التحذير؛ أي احذروا ناقة الله فلا تقربوها، و«سقياها»، إغراء بتقدير الزموا ناقة الله.

ومنها: التفخيم والإعظام؛ قال حازم في «منهاج البلغاء»: إنما يحسُن

---

(١) سورة: الشمس آية: ١٣.

الحذف ما لم يشكل به المعنى، لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيحذف ويكتفي بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول في الأشياءِ المكتفَى بالحال عن ذكرها على الحال.

قال: وبهذا القصد يؤثّر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[1] فحذف الجواب؛ إذ كان وصف ما يجدونه ويلقوْنه عند ذلك لا يتناهى، فجعِل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوسُ تقدِّرُ ما شأنه، ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك، لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر».

قلت: ومنه ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[2] ما لا يعلم كنهه إلا الله.

قال الزمخشري: وهذا من باب الاختصار ومن جوامع الكلم المتحملة مع قلّتها للمعاني الكثيرة.

ومنها: التخفيف؛ لكثرة دورانه في كلامهم، كما حذف حرف النداء، في نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾[3] وغيره.

قال سيبويه: العرب تقول لا أدر؛ فيحذفون الياء، والوجه «لا أدري»؛ لأنه رفع، وتقول: «لم أُبل»، فيحذفون الألف، والوجه «لم أبال». ويقولون: «لم نك»، فيحذفون النون؛ كلّ ذلك يفعلونه آستخفافاً لكثرته في كلامهم.

ومنها: حذف نون التثنية والجمع، وأثرها باق، نحو: «الضاربا زيد» والضاربو زيدٍ وقراءة من قرأ: ﴿وَٱلْمُقِيمِي الصَّلَاةَ﴾[4] كأن النون ثابتة. فعلوا ذلك لاستطالة الموصول في الصلة، نحو: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[5] حذف الياء للتخفيف.

(١) سورة: الزمر آية: ٧٣.
(٢) سورة: طه آية: ٧٨.
(٣) سورة: يوسف آية: ٢٩.
(٤) سورة: الحج آية: ٣٥.
(٥) سورة: الفجر آية: ٤.

ويحكى عن الأخفش أن المؤرّج السَّدوسيّ(١) سأله: [عن ذلك] فقال: لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلةً، ففعل، فقال له: إن عادةَ العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسري، وإنما يُسْرَى فيه، نقص منه حرف، كما في قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾(٢)، الأصل «بغيّة» فلما حوّل ونقل عن فاعل نقص منه حرف. انتهى.

ومنها: رعاية الفاصلة، نحو:

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾(٣).

﴿وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾(٤) ونحوه.

وقال الرماني: إنما حذفت الياء في الفواصل لأنها على نية الوقف، وهي في ذلك كالقوافي التي لا يوقف عليها بغير ياء.

ومنها: أن يُحذف صيانة له؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٥)، حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع: قبل ذكر الرب، أي: هو رب السموات. والله ربكم. والله رب المشرق؛ لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيباً وتفخيماً، فاقتصر على ما يستدل به من أفعاله الخاصة به، ليعرّفه أنه ليس كمثله شيء،

---

(١) المؤرخ السدوسي، هو: مؤرج بن عمرو بن الحارث. من بني سدوس بن شيبان، أبو فيد. عالم بالعربية والأنساب. من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد. من أهل البصرة. كان له اتصال بالمأمون العباسي ورحل معه إلى خراسان، فسكن مدة بمرو، وانتقل إلى نيسابور. من مصنفاته: «جماهير القبائل». و«حذف نسب قريش». و«غريب القرآن» وكتاب «الأمثال».

أنظر ترجمته في: (وفيات الأعيان ٢/ ١٣٠. وبغية الوعاة ٤٠٠. ومراتب النحويين ٦٧. وإنباه الرواة ٣٢٧. وتاريخ بغداد ١٣/ ٢٥٨. وإرشاد الأريب ٧/ ١٩٣. والمزهر ٢/ ٢٣٢. والأعلام ٧/ ٣١٨).

(٢) سورة: مريم آية: ٢٨.

(٣) سورة: الضحى آية: ٣.

(٤) سورة: الفجر آية: ٤.

(٥) سورة: الشعراء آية: ٢٣ ـ ٢٨.

وهو السميع البصير.

ومنها: صيانة اللسان عنه، كقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾(١)، أي: هم.

ومنهـا: كونه لا يصلح إلا له، كقوله تعالى:

﴿عَالِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ﴾(٢).

﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾(٣).

ومنها: شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء.

قال الزمخشري: وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال، كقول رؤبة: خيرٍ، جواب من قال: كيف أصبحت؟ فحذف الجارّ، وعليه حمل قراءة حمزة: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامِ﴾(٤) لأن هذا مكان شُهِر بتكرير الجار، فقامت الشهرة مقام الذكر.

وكذا قال الفارسي متخلصاً من عدم إعادة حرف الجر في المعطوف على الضمير المجرور: إنه مجرور بالجار المقدّر أي و«بالأرحام» وإنما حذفت استغناء به في المضمر المجرور قبله.

فإن قلت: هذا المقدّر يُخيل المسألة؛ لأنـه يصير من عـطف الجار والمجرور على مثله!

قلت: إعادة الجار شرط لصحة العطف؛ لا أنه مقصود لذاته.

الوجه الثالث: في أدلته: أدلة الحذف:

ولما كان الحذف لا يجوز إلا لدليل احتيج إلى ذكر دليله.

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٨.

(٢) سورة: المؤمنون آية: ٩٢.

(٣) سورة: البروج آية: ١٦.

(٤) سورة: النساء آية: ١.

والدليل تارة يدلّ على محذوف مطلق، وتارة على محذوف معيّن.

فمنها: أن يدلّ عليه العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف، كقوله تعالى: ﴿وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[1]، فإنه يستحيل عقلاً تكلم الأمكنة إلا معجزة.

ومنها: أن تدل عليه العادة الشرعية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾[2] فإن الذات لا تتصف بالحلّ والحرمة شرعاً، إنما هما من صفات الأفعال الواقعة على الذوات، فعلم أن المحذوف التناول؛ ولكنه لما حذف وأقيمت الميتة مقامه أسند إليها الفعلُ، وقطع النظر عنه، فلذلك أُنّث الفعل في بعض الصور، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[3]، وقول صاحب التلخيص[4]: إن هذه الآية من باب دلالة العقل ممنوع، لأن العقل لا يدرك محل الحلّ ولا الحرمة، فلهذا جعلناه من دلالة العادة الشرعية.

ومنها: أن يدلّ العقل عليهما، أي على الحذف والتعيين، كقوله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ﴾[5]، أي: أمره، أو عذابه، أو ملائكته؛ لأن العقل دلّ على أصل الحذف، ولاستحالة مجيء الباريء عقلاً؛ لأن المجيء من سمات الحدوث.

---

(١) سورة: يوسف آية: ٨٢.

(٢) سورة: النحل آية: ١١٥.

(٣) سورة: المائدة آية: ٣.

(٤) هو: الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، من أحفاد أبي دلف العجلي. قاض من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين. ولد بالموصل عام (٦٦٦ هـ: ١٢٦٨ م). وولي قضاء دمشق ومصر. ومات في دمشق في منفاه عام (٧٣٩ هـ: ١٣٣٨ م). من مصنفاته: «تلخيص المفتاح» و«المعاني والبيان». و«الإيضاح في شرح التلخيص».

أنظر ترجمته في: (مفتاح السعادة ١/ ١٦٨، ٢/ ٢١٧. وبغية الوعاة ٦٦. والبدر الطالع ٢/ ١٨٣. والبداية والنهاية ٤/ ١٨٥. والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٨. ومرآة الجنان ٤/ ٣٠١. والوافي بالوفيات ٣/ ٢٤٢. وطبقات الشافعية ٥/ ٢٣٨. والدرر الكامنة ٤/ ٣. والأعلام ٦/ ١٩٢.

(٥) سورة: الفجر آية: ٢٢.

ودل العقل أيضاً على التعيين، وهو الأمر ونحوه، وكلام الزمخشريّ يقتضي أنه لا حذف البتة؛ فإنه قال: هذه الآية الكريمة تمثيل؛ مُثِّلتْ حاله سبحانه وتعالى في ذلك بحال الملَك إذا حضر بنفسه.

وكقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[(1)]؛ لأنه في معرض التوحيد فعدم الفساد دليل على عدم تعدد الآلهة، وإنما حذف لأن انتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم ضرورة، ولذلك لم يذكر المقدمة الثانية عند استعمال الشرط بلوغاً لها.

ومنها: أن يدلِّ العقل على أصلِ الحذف، وتدلّ عادة الناس على تعيين المحذوف، كقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾[(2)]؛ فإن يوسف عليه السلام ليس ظرفاً للومِهنّ؛ فتعين أن يكون غيره؛ فقد دلّ العقلُ على أصل الحذف. ثم يجوز أن يكون الظرف جثة، بدليل: ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾[(3)]، أو مراودته بدليل: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾[(4)]، لكن العقل لا يعين واحداً منها؛ بل العادة دلّت على أن المحذوف هو الثاني، فإن الحبّ لا يلام عليه صاحبه؛ لأنه يقهره ويغلبه، وإنما اللومُ فيما للنفس فيه اختيار، وهو المراودة، لقدرته على دفعها.

ومنها: أن تدل العادة على تعيين المحذوف، كقوله تعالى: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾[(5)]، أي مكان قتالٍ، والمراد مكاناً صالحاً للقتال، لأنهم كانوا أخبرَ الناس بالقتال؛ والعادة تمنع أن يريدوا: لو نعلم حقيقة القتال؛ فلذلك قدره مجاهد: «مكان قتال».

وقيل: إنّ تعيين المحذوف هنا من دلالة السياق لا العادة.

ومنها: أنِ يدل اللفظ على الحذف، والشروعُ في الفعل على تعيين

---

(١) سورة: الأنبياء آية: ٢٢.

(٢) سورة: يوسف آية: ٣٢.

(٣) سورة: يوسف آية: ٣٠.

(٤) سورة: يوسف آية: ٣٠.

(٥) سورة: آل عمران آية: ١٦٧.

المحذوف كقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾[1] فإن اللفظ يدل على أن فيه حذفاً؛ لأنّ حرف الجر لا بدّ له من متعلق، ودلّ الشروعُ على تعيينه؛ وهو الفعل الذي جعلت التسمية في مبدئه؛ من قراءة، أو أكل أو شرب ونحوه، ويقدر في كل موضع ما يليق، ففي القراءة: أقرأ، وفي الأكل: آكُلُ؛ ونحوه.

وقد اختلف: هل يقدر الفعل أو الاسم؟ وعلى الأول فهل يقدر عام كالابتداء أو خاص كما ذكرنا؟

ومنها: اللغة كضربت؛ فإن اللغة قاضية أن الفعل المتعديَ لا بدّ له من مفعول؛ نعم هي تدل على أصل الحدث لا تعيينه. وكذلك حذف المبتدأ والخبر.

ومنها: تقدم ما يدلّ على المحذوف وما في سياقه، كقوله: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾[2].

وفي موضع آخر نحو: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾[3].

وفي موضع: ﴿أَلا تَسْجُدَ﴾[4].

وكقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾[5] أي: هذا، بدليل ظهوره في سورة إبراهيم، فقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾[6]، ونظائره.

ومنها: اعتضاده[7] بسبب النزول؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾[8]، فإنه لا بدّ فيه من تقدير فقال زيد بن أسلم: أي قمتم من المضاجع - يعني النوم - وقال غيره: إنما يعني إذا قمتم محدِثين.

واحتُجّ لزيد بأن هذه الآية إنما نزلت بسبب فقدان عائشة رضي الله عنها

---

(١) سورة: الفاتحة آية: ١.
(٢) سورة: الصافات آية: ١٧٩.
(٣) سورة: صٓ آية: ٧٥.
(٤) سورة: الأعراف آية: ١٢.
(٥) سورة: الأحقاف آية: ٣٥.
(٦) سورة: إبراهيم آية: ٥٢.
(٧) «اعتضاده» ساقط من جـ.
(٨) سورة: المائدة آية: ٦.

عِقدها، فأخروا الرحيل إلى أن أضاء الصبح، فطلبوا الماء عند قيامهم من نومهم فلم يجدوه؛ فأنزل الله هذه الآية.

وربما رُجّحَ من طريق النظر بأن الأحداث المذكورة بعد قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ الأولى أن يحمل قوله: ﴿إذا قمتم﴾ معنىً غير الحدث، لما فيه من زيادة الفائدة، فتكون الآية جامعةً للحدث ولسبب الحدث؛ فإن النوم ليس بحدث بل سبب للحدث.

الوجه الرابع: في شروطه

شروط الحذف

فمنها: أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف؛ إما مِن لفظه أو من سياقه، وإلا لم يُتمكن من معرفته، فيصير اللفظ مُخِلّاً بالفهم. ولئلا يصير الكلام لغزاً فيهجّن[(١)] في الفصاحة، وهو معنى قولهم: لا بد أن يكون فيما أُبْقِيَ دليل على ما أُلْقِيَ.

وتلك الدلالة مثالية وحالية.

فالمثالية قد تحصل من إعراب اللفظ، وذلك كما إذا كان منصوباً، فيُعلم أنّه لا بدّ له من ناصب، وإذا لم يكن ظاهراً لم يكن بُدّ من أن يكون مقدراً، نحو: أهلاً وسهلاً ومرحباً، أي: وجدت أهلاً وسلكت سهلاً، وصادفت رحباً.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدَ لِلَّهِ﴾[(٢)] على قراءة النصب.

وكذلك قوله: ﴿ ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[(٣)] والتقدير: احمدوا الحمد، واحفظوا الأرحام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[(٤)].

---

(١) في جـ: «ولئلا يصير الكلام لغزاً فيهجر».
(٢) سورة: الفاتحة آية: ٢.
(٣) سورة: النساء آية: ١.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٣٨.

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[1].

والحالية قد تحصل من النظر إلى المعنى والنظر والعلم؛ فإنه لا يتم إلا بمحذوف، وهذا يكون أحسن حالاً من النظم الأول لزيادة عمومه، كما في قولهم: فلان يحلّ ويربط، أي يحلّ الأمور ويربطها، أي ذو تصرف.

وقد تدل الصناعة النحوية على التقدير؛ كقولهم في ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾[2] إن التقدير لأنا أقسم؛ لأن فعل الحال لا يقسم عليه.

وقوله تعالى: ﴿تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[3]، والتقدير: لا تفتأ؛ لأنه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام والنون، كقوله: ﴿بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾[4].

وهذا كلّه عند قيام دليل واحد، وقد يكون هناك أدلة يتعدّد التقـدير بحسبها، كما في قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾[5]، فإنه يحتمل ثلاثة أمور:

أحدها: كمن لم يزين له سوء عمله، والمعنى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَـرَآهُ حَسَناً﴾[6] من الفريقين اللذيْن تقدم ذكرهما، كمن لم يزين له، ثمّ كأنّ النبي ﷺ لما قيل له ذلك، قال: لا، فقيل: ﴿فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[6].

ثانيها: تقدير: ذهبتْ نفسُك عليهم حسرات، فحذِفَ الخبر لدلالة ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾.

ثالثها: تقدير: «كمن هداه الله»، فحذف لدلالة: ﴿فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[7].

---

(١) سورة: الحج آية: ٧٨.
(٢) سورة: القيامة آية: ١.
(٣) سورة: يوسف آية: ٨٥.
(٤) سورة: التغابن آية: ٧.
(٥) سورة: فاطر آية: ٨.
(٦) سورة: فاطر آية: ٨.
(٧) سورة: فاطر آية: ٨.

واعلم أنّ هذا الشرط إنما يُحتاج إليه إذا كان المحذوف الجملة بأسرها؛ نحو: ﴿قالُوا سَلاَماً﴾(١)، أي: سَلّمنا سلاماً، أو أحد ركنيها نحو:

﴿قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾(٢) أي: «سلام عليكم أنتم قوم منكرون»، فحذف خبر الأولى ومبتدأ الثانية.

وأمّا إذا كان المحذوف فَضْلة فلا يشترط لحذفه دليل؛ ولكن يشترط ألّا يكون في حذفه إخلال بالمعنى أو اللفظ، كما في حذف العائد المنصوب ونحوه.

وشَرَط ابن مالك في حذف الجار أيضاً أمْنَ اللبس، ومَنَع الحذف في نحو: رغبت في أن تفعل، أو عن أن تفعل، لإشكال المراد بعد الحذف.

وأورد عليه ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾(٣)، فحذف الحرف.

وجوابه أنّ النساء يشتملن على وصفين؟ وصف الرغبة فيهنّ وعنهنّ، فحذف للتعميم.

وشرط بعضُهم في الدليل اللفظي أن يكون على وفق المحذوف.

وأنكر قول الفرّاء في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾(٤) أن التقدير: بلى حسبنا قادرين، والحساب المذكور بمعنى الظن، والمحذوف بمعنى العلم؛ إذ التردد في الإعادة كفر، فلا يكون مأموراً به.

ويجاب بأن الحساب المقدر بمعنى الجزم والاعتقاد؛ لا بمعنى الظن، وتقديره بذلك أولى، لموافقته الملفوظ.

وقد يدل على المحذوف ذكره في مواضع أُخر.

---

(١) سورة: هود آية: ٦٩.

(٢) سورة: الذاريات آية: ٢٥.

(٣) سورة: النساء آية: ١٢٧.

(٤) سورة: القيامة آية: ٣ - ٤.

منها: وهو أقواها، كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾[1] أي: أمره، بدليل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[2].

وقوله في آل عمران: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَوَاتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[3]، أي: كعرض؛ بدليل التصريح به في آية الحديد[4].

وفيه إيجاز بليغ؛ فإنه إذا كان العَرْض كذلك، فما ظنك بالطول! كقوله: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[5].

وقيل: إنما أراد التعظيم والسّعة لأحقية العرض، كقوله:

كأنَّ بلادَ اللهِ وَهِيَ عَرِيضةٌ على الخائِفِ المظْلُوم كِفَّةُ حَابِلِ

ومنها: ألّا يكون الفعل طالباً له بنفسه[6]، فإن كان امتنع حذفه كالفاعل، ومفعول ما لم يسم فاعله، واسم كان وأخواتها، وإنما لم يحذف لما في ذلك من نقض الغرض.

ومنها: قال أبو الفتح بن جني: ومن حق الحذف أن يكون في الأطراف لا في الوسط؛ لأن طَرَف الشيء أضعفُ من قلبه ووسطه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[7]، وقال الطائي الكبير[8]:

---

(١) سورة: الأنعام آية: ١٥٨.

(٢) سورة: النحل آية: ٣٣.

(٣) سورة: آل عمران آية: ١٣٣.

(٤) سورة: الحديد آية: ٢١.

(٥) سورة: الرحمن آية: ٥٤.

(٦) في جـ: «طالباً له ببينة».

(٧) سورة: الرعد آية: ٤١.

(٨) هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أو تمام. الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان، ولد في جاسم من قرى حوران بسوريا عام ١٨٨ هـ: ٨٠٤ م). ورحل إلى مصر ثم إلى بغداد وتوفي بها عام (٢٣١ هـ: ٨٤٦ م). من مصنفاته: «فحول الشعراء» و«ديوان الحماسة». ونقائض جرير والأخطل». وغيرها.

أنظر ترجمته في: (وفيات الأعيان ١/ ١٢١. وخزانة البغدادي ١/ ١٧٢، ٤٦٤. وشذرات الذهب ٢/ ٧٢. وتاريخ بغداد ٨/ ٢٤٨. ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٢٠. والأعلام ٢/ ١٦٥).

كانَتْ هي الوَسَطَ الممنوعَ فاستلبتْ مَا حَوْلها الخيلُ حتى أصبحتْ طَرَفا

فكأنَّ الطرفين سياجٌ للوسط ومبذولان للعوارض دونه، ولذلك تجد الإعلال عند التصريفيّين، بالحذف منها، فحذفوا الفاء في المصادر من باب وعد، نحو العدة والزنة والهبة، واللام في نحو اليد والدم والفم والأب والأخ، وقلما تجد الحذف في العين لما ذكرنا، وبهذا يظهر لطف هذه اللغة العربية.

تنبيهات:

١ ـ **الأول**: قد توجب صناعة النحو التقدير وإن كان المعنى غير متوقف عليه؛ كما في قوله: «لا إلَه إلا الله» فإن الخبر محذوف، وقدّره النحاة بـ «موجود» أو «لنا».

وأنكره الإمام فخر الدين، وقال: هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير، وتقديرهم فاسد، لأن نفيَ الحقيقة مطلقة أعمّ من نفيها مقيّدة، فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع القيد، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيُها مع قيد آخر.

ولا معنى لهذا الإنكار؛ فإن تقدير «في الوجود»، يستلزم نفيَ كلّ إلَه غير الله قَطْعاً فإنّ العدم لا كلام فيه، فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيّدة.

ثم لا بدّ من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر، ظاهراً أو مقدراً؛ وإنما يقدِّر النحويّ ليعطيَ القواعد حقها وإن كان المعنى مفهوماً، وتقديرهم هنا أو غيره ليروا صورةَ التركيب من حيث اللفظ مثالاً، لا من حيث المعنى، ولهم تقديران: إعرابيّ، وهو الذي خفِيَ على المعترض، ومعنويّ وهو الذي ألزمه وهو غير لازم.

ومن المنكَر في هذا أيضاً قول ابن الطَّراوة: إن الخبر في هذا «إلا الله»، وكيف يكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة!

٢ ـ **الثاني**: اعتبر أبو الحسن في الحذف التدريج حيث أمكن؛ ولهذا قال في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾(١): إن أصل الكلام: «يوم لا تَجْزِي فيه» فحذف حرف الجرّ، فصار «تجزيه»، ثم حذف الضمير فصار «تجزي».

وهذا ملاطفة في الصناعة، ومذهب سيبويه أنه حذف فيه دفعة واحدة.

قال أبو الفتح في «المحتسب»: وقول أبي الحسن أوثق في النفس وآنس من أن يحذف الحرفان معاً في وقت واحد.

٣ ـ **الثالث**: المشهور في قوله تعالى: ﴿فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ﴾(٢)، أنه معطوف على جملة محذوفة، التقدير: «فضرب فانفجرت»، ودل «انفجرت» على المحذوف، لأنه يُعلم من الانفجار أنه قد ضرَبَ.

وكذا: ﴿أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنْفَلَقَ﴾(٣)، إذ لا جائز أن يحصلَ الانفجار والانفلاق دون ضرب.

وابن عصفور يقول في مثل هذا: إنّ حرف العطف المذكور مع المعطوف هو الذي كان مع المعطوف عليه، وإنّ المحذوفَ هو المعطوف عليه، وحذف حرف العطف من المعطوف، فالفاء في «انفلق» هي فاء الفعل المحذوف وهو «ضرب» فذكرت فاؤه وحذف فعلها وذكر فعل «انفلق» وحذفت فاؤه ليدلّ المذكور على المحذوف؛ وهو تحيّل غريب.

الخامس: في أقسامه أقسام الحذف:

١ ـ **الأول: الاقتطاع**، وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي، كقوله:

* دَرَسَ المَنا بمتَالِعٍ فأَبانِ *

---

(١) سورة: البقرة آية: ٤٨.

(٢) سورة: البقرة آية: ٦٠.

(٣) سورة: الشعراء آية: ٦٣.

أي: المنازل، وأنكر صاحب «المثل السائر»[1] وورد هذا النوع في القرآن العظيم، وليس كما قال.

وقد جعل منه بعضُهم فواتحَ السور؛ لأن كل حرف منها يدل على اسم من أسماء الله تعالى، كما روى ابن عباس «الٓمٓ» معناه: «أنا الله أعلم وأرى»، و«الٓمٓصٓ»: أنا الله أعلم وأفصّل؛ وكذا الباقي.

وقيل في قوله: ﴿وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾[2]: إن الباء هنا أوّل كلمة «بعض»، ثم حذف الباقي، كقوله:

* قلت لها قفي لنا قالت قاف *

أي: وقفت، وفي الحديث: «كفى بالسيف شا»[3] أي: شاهداً.

وقال الزمخشري في قوله: «من الله» في القسم: إنها «أيمن» التي تستعمل في القسم، حذفت نونها.

ومن هذا الترخيم، ومنه: قراءة بعضهم: ﴿يَامَالِ﴾[4] على لغة مَنْ يَنْتَظِرُ، ولما سمعها بعضُ السلف قال: ما أشغل أهلَ النار عن الترخيم! وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة.

٢ ـ الثاني: **الاكتفاء**: وهو أن يقتضي المقام ذكرَ شيئْين بينهما تلازم وارتباط؛ فيُكتفى بأحدهما عن الآخر، ويخصّ بالارتباط العطفي غالباً، فإن الارتباطَ خمسة أنواع: وجوديّ، ولزوميّ، وخبريّ، وجوابيّ، وعطفيّ.

ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق؛ بل لأنّ فيه نكتة تقتضي الاقتصارَ عليه.

---

(١) أنظر: (المثل السائر، لابن الأثير ٢/ ١١٣).

(٢) سورة: المائدة آية: ٦.

(٣) أنظر: (سنن أبي داود ٤٤١٧. وسنن ابن ماجة ٢٦٠٦. ومجمع الزوائد ٦/ ٥٦٤. وتلخيص الحبير ٤/ ٨٥. وفتح الباري ١٢/ ١٧٤).

(٤) سورة: الزخرف آية: ٧٧.

والعلم المشهور في مثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[1] أي: والبر، هكذا قدّروه. وأوردوا عليه سؤال الحكمة من تخصيص الحرّ بالذكر.

وأجابوا بأن الخطاب للعرب، وبلادهم حارة، والوقاية عندهم من الحرّ أهمّ؛ لأنه أشدّ من البرد عندهم.

والحق أن الآية ليست من هذا القسم، فإنّ البرد ذُكرَ الامتنانُ بوقايته قبل ذلك صريحاً في قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾[2].

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً﴾[3].

وقوله في صدر السورة: ﴿وَٱلأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾[4].

فإن قيل: فما الحكمة في ذكر الوقايتين بعد قوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً﴾ فإن هذه وقاية الحرّ، ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَاناً﴾[5]، فهذه وقاية البرد على عادة العرب؟

قيل: لأنّ ما تقدم بالنسبة إلى المساكن، وهذه إلى الملابس، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً﴾[6] لم يذكره[7]، السهيليّ، وفيه الجوابان السابقان.

وأمثلة هذا القسم كثيرة؛ ككقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[8]

فإنه قيل: المراد: «وما تحرك»، وإنما آثر ذلك السكون لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن الساكن أكثرُ عدداً من المتحرك. أو

---

(1) سورة: النحل آية: ٨١.
(2) سورة: النحل آية: ٨٠.
(3) سورة: النحل آية: ٨١.
(4) سورة: النحل آية: ٥.
(5) سورة: النحل آية: ٨١.
(6) سورة: النحل آية: ٨١.
(7) في ب: «لم ينقله».
(8) سورة: للأنعام آية: ١٣.

لأنّ كل متحرك يصير إلى السكون، ولأن السكون هو الأصل، والحركة طارئة.

وقوله: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾[1] تقديره «والشر»، إذ مصادرُ الأمور كلها بيده جلّ جلاله؛ وإنما آثر ذكرَ الخير؛ لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم إليه؛ أو لأنه أكثر وجوداً في العالم من الشر؛ ولأنه يجب في باب الأدب ألّا يضاف إلى الله تعالى، كما قال ﷺ: «والشرّ ليس إليك»[2].

وقيل: إن الكلام إنما ورد ردًّا على المشركين فيما أنكروه مما وعده الله به على لسان جبريل، من فتح بلاد الروم وفارس؛ ووعْد النبي ﷺ أصحابَه بذلك؛ فلما كان الكلام في الخير خصّه بالذكر باعتبار الحال.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[3] أي: والشهادة؛ لأن الإيمان بكلّ منهما واجب، وآثر الغيب لأنه أبدع[4]، ولأنه يستلزم[5] الإيمان بالشهادة من غير عكس.

ومثله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً. عَالِمُ الْغَيْبِ﴾[6]، أي: والشَّهَادَةِ، بدليل التصريح به في موضع[7] آخر.

وقوله: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[8]؛ فإنه سبحانه ذكر أولاً الظلمات والرعد والبرق، وطوى الباقي.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾[9] أي: والبرّ، وإنما آثر ذكرَ البحر لأن ضرره أشد.

---

(١) سورة: آل عمران آية: ٢٦.

(٢) أنظر: (صحيح مسلم، حديث ٢٠١ من الساخرين. وسنن النسائي، الباب ١٧ من الافتتاح).

(٣) سورة: البقرة آية: ٣.

(٤) في ب: «وآثر الغيب لأنه أمدح».

(٥) في جـ: «ولأنه مستلزم».

(٦) سورة: الجن آية: ٢٥ ـ ٢٦.

(٧) وذلك في سورة: الأنعام آية: ٧٣، وسورة التوبة الآية ٩٤، ١٠٥.

(٨) سورة: البقرة آية: ٢٠.

(٩) سورة: الإسراء آية: ٦٧.

وقوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾(١)، أي: والمغارب.

وقوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾(٢)، أي: ولا غير إلحاف.

وقوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾(٣) ، أي: وأخرى غير قائمة.

وقوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾(٤) ، أي: والمؤمنين.

وقوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(٥) ، أي: والكافرين.

قاله ابن الأنباري، ويؤيده قوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾(٦) .

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾(٧).

قيل: المعنى وآخر كافر به، فحذف المعطوف لدلالة قوة الكلام، من جهة أن أولَ الكفر وآخره سواء، وخصّت الأولوية بالذكر لقبحها بالابتداء.

وقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾(٨)، أي: ويبسطن، قاله الفارسيّ.

وَحَكَى في «التذكرة»(٩) عن بعض أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى﴾(١٠)أنّ المعنى: «أكاد أظهرها أخفيها لتجزى»، فحذف «أظهرها» لدلالة «أخفيها» عليه.

قال: وعندي أن المعنى: «أزيل خفاءها»، فلا حذف.

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾(١١)، أي: بين أحد وأحد(١٢).

---

(١) سورة: الصافات آية: ٥.
(٢) سورة: البقرة آية: ٢٧٣.
(٣) سورة: آل عمران آية: ١١٣.
(٤) سورة: الأنعام آية: ٥٥.
(٥) سورة: البقرة آية: ٢.
(٦) سورة: البقرة آية: ١٨٥.
(٧) سورة: البقرة آية: ٤١.
(٨) سورة: الملك آية: ١٩.
(٩) وهو كتاب «تذكرة أبي علي»، لأبي الفتح عثمان بن جني النحوي.
(١٠) سورة: طه آية: ١٥.
(١١) سورة: البقرة آية: ٢٨٥.
(١٢) في جـ: «أي واحد واحد».

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾(١)، أي: ومن أنفق بعده وقاتل؛ لأن الاستواء يطلب اثنين؛ وحذف المعطوف لدلالة الكلام عليه؛ ألا تراه قال بعده:

﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ ٱلَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾(٢).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾(٣). أي: ومن لا يستنكف ولا يستكبر؛ بدليل التقسيم بعده بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٤) ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا﴾(٥).

وقوله: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾(٦)، فاكتفى هنا بذكر الجهاتِ الأربع عن الجهتين.

وقوله: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾(٧)، الاكتفاء بجهتين عن سائرها.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(٨)، أي: ولم تعبدني.

وقوله: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾(٩)، أي: ولا والد؛ بدليل أنه أوجب للأخت النصف؛ وإنما يكون ذلك مع فقد الأب، فإن الأب يُسْقِطها.

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾(١٠)ولم يذكر القسم الآخر الذي تقتضيه «أما»؛ إذ وضعها لتفصيل

---

(١) سورة: الحديد آية: ١٠.
(٢) سورة: الحديد آية: ١٠.
(٣) سورة: النساء آية: ١٧٢.
(٤) سورة: النساء آية: ١٧٣.
(٥) سورة: النساء آية: ١٧٣.
(٦) سورة: الأعراف آية: ١٧.
(٧) سورة: فصلت آية: ١٤.
(٨) سورة: الشعراء آية: ٢٢.
(٩) سورة: النساء آية: ١٧٦.
(١٠) سورة: القصص آية: ٦٧.

كلام مجمل؛ وأقل أقسامها قسمان، ولا ينفك عنهما في جميع القرآن إلا في موضعين هذا أحدهما؛ والتقدير وأما من لم يتب ولا يؤمن ولم يعمل صالحاً فلا يكون من المفلحين. والثاني في آل عمران: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١) هذا أحد القسمين، والقسم الثاني ما بعده، وتقديره: وأما الراسخون فِي ٱلْعِلْمِ فيقولون.

وقوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾(٢)، أي: وفعلاً غير الذي أمروا به؛ لأنهم أمروا بشيئين: بأن يدخلوا الباب سُجّداً، وبأن يقولوا حطّة، فبدَّلُوا القول في «حنطة» «حطة» وبدّلوا الفعل بأن دخلوا يزحفون على أستاههم؛ ولم يدخلوا ساجدين؛ والمعنى: إرادتنا حطة، أي حط عنّا ذنوبنا.

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الحَرُورُ﴾(٣).

قال ابن عطية: دخول «لا» على نية التكرار كأنه قال: ولا الظلمات والنور، ولا النور والظلمات، واستغنى بذكر الأوائل عن الثواني؛ ودلّ بمذكور الكلام على متروكه.

وقوله: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾(٤).

فإن قيل: ليس للفجر خيط أسود، إنما الأسود من الليل.

فأجيب: إن ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ متصل بقوله ﴿الخيطُ الأَبْيَضُ﴾ والمعنى: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل؛ لكن حذف «من الليل» لدلالة الكلام ثَمّ عليه ولوقوع الفجر في موضعه؛ لأنه لا يصح أن يكون ﴿من الفجر﴾ متعلقاً بالخيط الأسود؛ ولو وقع ﴿مِن الفجر﴾ في موضعه

---

(١) سورة: آل عمران آية: ٧.
(٢) سورة: البقرة آية: ٥٩.
(٣) سورة: فاطر آية: ١٩ ـ ٢١.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٨٧.

متصلاً بالخيط الأبيض لضعفت الدلالة على المحذوف؛ وهو «من الليل» فحذف «من الليل» للاختصار، وأخّر «من الفجر» للدلالة عليه.

٣ـ **الثالث: من هذا قسم يسمى الضمير والتمثيل**؛ وأعني بالضمير أن يضمر من القول المجاور لبيان أحد جزأيه؛ كقول الفقيه: النبيذ مسكر فهو حرام، فإنّه أضمر «وكل مسكر حرام»(١).

ويكون في القياس الاستثنائي، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(٢).

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(٣)، وقد شهد الحسّ والعيان أنهم ما آنفضوا من حوله؛ وهي المضمرة؛ وانتفى عنه ﷺ أنه فظّ غليظ القلب.

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾(٤)؛ المعنى: لو أفهمتهم لما أجدى فيهم التّفهيم؛ فكيف وقد سُلِبوا

---

(١) أنظر: (صحيح البخاري ٥/ ٢٠٥، ٨/ ٣٦. وصحيح مسلم، الباب ٦، حديث ٦٤، والباب ٧، حديث ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٤. وسنن الترمذي ١٨٦٤، ١٨٦٦، ١٨٦٩. وسنن النسائي ٨/ ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٢٧. وسنن أبي داود ٣٦٨٧. وسنن ابن ماجه ٣٣٨٧، ٣٣٨٩، ٣٣٩١، ٣٣٩٢، ٣٤٠١، ٣٤٠٦. ومسند أحمد بن حنبل ١/ ٢٧٤، ٢٨٩، ٣٥٠، ٢/ ١٦، ٣١، ٩٢، ٩٨، ١٠٥، ١٣٤، ١٣٧، ١٥٨، ١٧١، ١٨٥، ٤٢٩، ٥٠١، ٢/٤١٠، ٤١٦، ٤١٧، ٥/٣٥٦، ٦/١٣١، ٣/٦٣، ٦٦، ١١٢، ١١٩، ٣١٤، ٣٣٣. والسنن الكبرى ٤/ ٧٧، ٨/ ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٦، ١٠/ ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٢، المعجم الكبير، للطبراني ١٠/ ١٩٣، ١١/ ٢٦، ١٢/ ١٠٢، ٢٩٤، ٣١٢، ٣١٦، ٣٣٢. ١٨/ ٣٥٢. ومجمع الزوائد ٥/ ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٦٤، ٩/ ٣٧٥. وفتح الباري ٨/ ٦٢، ١٠/ ٣٤، ٤٢، ٤٥، ٥٢٤، ٣/ ١٦٢. وشرح السنة، للبغوي ١١/ ٦٨، ١١/ ٣٥٠. والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٢. وتفسير ابن الكثير ٣/ ١٧٨. وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٠.

(٢) سورة: الأنبياء آية: ٢٢.

(٣) سورة: آل عمران آية: ١٥٩.

(٤) سورة: الأنفال آية: ٢٣.

القوة الفاهمة! فعُلِم بذلك أنهم مع انتفاء الفهم أحقُّ بفقد القبول والهداية.

٤ ـ **الرابع: أن يستدلّ بالفعل لشيئين**: وهو في الحقيقة لأحدهما؛ فيضمر للآخر فعل يناسبه؛ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾(١) أي: واعتقدوا الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾(٢)، أي: وشمّوا لها زفيراً.

وقوله تعالى: ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾(٣)، والصلوات لا تهدّم؛ فالتقدير: ولتركت صلوات.

وقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾(٤) فالفاكهة، ولحم الطير، والحور العين لا تطوف، وإنما يُطاف بها.

وأما قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾(٥).

فنقل ابنُ فارس عن البصريين أن الواو بمعنى «مع» أي مع شركائكم، كما يقال: لو تركت الناقة وفصيلَها لرضعها؛ أي: مع فصيلها.

وقال الآخرون: أجمعوا أمركم وادعوا شهداءكم، اعتباراً بقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾(٦).

واعلم أن تقدير فعل محذوف للثاني ليصحّ العطف هو قول الفارسي، والفراء وجماعة من البصريين والكوفيين لتعذّر العطف.

وذهب أبو عبيدة، والأصمعي، واليزيديّ، وغيرهم إلى أن ذلك من عطف المفردات، وتضمين العامل معنىً ينتظم المعطوف والمعطوف عليه جميعاً؛ فيقدّر آثروا الدار والإيمان، ويبقى النظر في أنه: أيهما أولى؟ ترجيح الإضمار أو

---

(١) سورة: الحشر آية: ٩.
(٢) سورة: الفرقان آية: ١٢.
(٣) سورة: الحج آية: ٤٠.
(٤) سورة: الواقعة آية: ١٧.
(٥) سورة: يونس آية: ٧١.
(٦) سورة: هود آية: ١٣.

التضمين؟ واختار الشيخ أبو حيّان تفصيلاً حسناً وهو: إن كان العامل الأول تصحّ نسبته إلى الاسم الذي يليه حقيقة كان الثاني محمولاً على الإضمار؛ لأنه أكثر من التضمين؛ نحو «يجدع الله أنفه وعينيه»، أي: ويفقأ عينيه، فنسبةُ الجدْع إلى الأنف حقيقة؛ وإن كان لا يصحّ فيه ذلك كان العامل مضمّناً معنى ما يصحّ نسبته إليه؛ لأنه لا يمكن الإضمار؛ كقولهم:

* علفتُها تبناً وماء بارداً *

وجعل ابن مالك من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[1] قال: لأن فعلَ أمر المخاطب لا يعمل في الظاهر؛ فهو على معنى «اسكن أنت ولتسكن زوجك»؛ لأن شرط المعطوف أن يكون صالحاً لأن يعمل فيه ما عمل في المعطوف عليه، وهذا متعذر هنا؛ لأنه لا يقال: «اسكن زوجك».

ومنه: قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ﴾[2] ولا يصحّ أن يكون «مولود» معطوفاً على «والدة» لأجل تاء المضارعة، أو للأمر؛ فالواجب في ذلك أن نُقدر مرفوعاً بمقدر من جنس المذكور؛ أي ولا يضارّ مولود له.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾[3].

قال الفراء: التقدير: «وسخرنا له الطير» عطفاً على قوله: ﴿فَضْلًا﴾ وقيل: هو مفعول معه، ومن رفعه فقيل: على المضمر في «آتى»، وجاز ذلك لطول الكلام بقوله: ﴿معه﴾.

وقيل: بإضمار فعل، أي ولتؤوبَ معه الطير.

٥ ـ **الخامس**: أن يقتضي الكلام شيئين فيقتصر على أحدهما؛ لأنه المقصود؛ كقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾[4]، ولم

---

(١) سورة: البقرة آية: ٣٥.
(٢) سورة: البقرة آية: ٢٣٣.
(٣) سورة: سبإ آية: ١٠.
(٤) سورة: طه آية: ٤٩.

يقل: «وهرون» لأن موسى المقصودُ المتحمل أعباء الرسالة، كذا قاله ابن عطية.

وغاص الزمخشري فقال: أراد أن يتم الكلام فيقول: ﴿وهٰرون﴾، ولكنه نَكَل عن خطاب لهرون توقياً لفصاحته وحدّة جوابه ووقع خطابه؛ إذ الفصاحة تنكّل الخصم عن الخصم للجدل، وتنكّبه عن معارضته.

٦ ـ **السادس**: أن يُذكر شيئان، ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾(١).

قال الزمخشري: تقديره: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه؛ فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه.

ويبقى عليه سؤال؛ وهو أنه: لم أوثر ذكر التجارة؟ وهلاّ أوثر اللهو؟

وجوابه ما قاله الراغب في تفسير سورة البقرة: إن التجارة لما كانت سبب انقضاض الّذين نزلت فيهم هذه الآية أعيد الضمير إليها. ولأنه قد تُشغل التجارة عن العبارة ما لا يشغله اللهو.

واختلف في مواضع: منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللهِ﴾(٢).

فإنه سبحانه ذكر الذهب والفضة، وأعاد الضمير على الفضة وحدها؛ لأنها أقربُ المذكورين؛ ولأنّ الفضةَ أكثر وجوداً في أيدي الناس؛ والحاجة إليها أمسّ، فيكون كنزها أكثر. وقيل: أعاد الضمير على المعنى؛ لأن المكنوز دنانير ودراهم وأموال.

ونظيره: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا﴾(٣)؛ لأنّ الطائفة جماعة.

وقيل من عادة العرب إذا ذكرتْ شيئين مشتركين في المعنى، تكتفي بإعادة

---

(١) سورة: الجمعة آية: ١١.
(٢) سورة: التوبة آية: ٣٤.
(٣) سورة: الحجرات آية: ٩.

الضمير على أحدهما، استغناء بذكره عن الآخر، اتكالاً على فهم السامع، كقول حسّان:

إن شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأسْـ ـود مَا لَمْ يعاص كَانَ جُنُونا[1]

ولم يقل: «يعاصا».

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾[2].

وقد جعل ابن الأنباري في كتاب «الهاءات» ضمير «لَمْ تَرَوْهَا» راجعاً إلى الجنود.

ونقل عن قتادة قال: هم الملائكة. والأشبه أن يأتي هنا بما سبق.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3].

فقيل: «أحقّ» خبر عنهما، وسهل إفراد الضمير بعدم إفراد «أحق» وأنّ إرضاء الله سبحانه إرضاء لرسوله.

وقيل: «أحق» خبر عن النبيّ ﷺ، وحذف من الأول لدلالة الثانيَ عليه.

وقيل: العكس، وإنما أفرد الضمير لئلا يجمع بين اسم الله ورسوله في ضمير واحد، كما جاء في الحديث: «قل ومن يعص الله ورسوله»[4].

قال الزمخشري: قد يقصدون ذكرَ الشيء فيذكرون قبله ما هو سبب منه، ثم يعطفونه عليه مضافاً إلى ضميره، وليس لهم قصد إلى الأول كقوله: سرني زيد وحُسْن حاله؛ والمراد حسن حاله..

وفائدة هذا الدلالة على قوة الاختصاص بذكر المعنى، ورسول الله أحق أن يُرضوه.

---

(١) أنظر: (ديوان حسان ٤١٣).

(٢) سورة: الأحزاب آية: ٩.

(٣) سورة: التوبة آية: ٦٢.

(٤) أنظر: (صحيح مسلم، حديث ٤٨ الجمعة. وسنن أبي داود، الباب ٢٢٣ صلاة، والباب ٧٧ أدب. وسنن النسائي، الباب ٤٠ نكاح، ومسند أحمد بن حنبل ٤/ ٢٥٦، ٣٧٩).

ويدل عليه ما تقدمه من قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ﴾[1]؛ ولهذا وحد الضمير، ولم يثنّ.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾[2].

ومنها: قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَٱلصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾[3].

فقيل: الضمير للصلاة لأنها أقرب المذكورين. وقيل: أعاده على المعنى؛ وهو الاستعانة المفهومة من استعينوا.

وقيل: المعنى على التثنية؛ وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً﴾[4]؛ وهو نظير آية الجمعة كما سبق.

وفي هاتين الآيتين لطيفتان: وهما أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده في آية الجمعة على التجارة وإن كانت أبعد، ومؤنثة أيضاً؛ لأنها أجذب للقلوب عن طاعة الله من اللهو؛ لأن المشتغلين بالتجارة أكثر من المشتغلين باللهو؛ أو لأنها أكثر نفعاً من اللهو، أو لأنها كانت أصلاً واللهو تبعاً، لأنه ضرب بالطبل لقدومها، كما جاء في صحيح البخاري: «أقبلت غير يوم الجمعة»، وأعاده في قوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً﴾[5] على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير؛ فتدبر ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[6]، أي: بذلك القول.

٧ - السابع: الحذف المقابلي: وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيُحذف من واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى:

---

(١) سورة: التوبة آية: ٦١.
(٢) سورة: الأنفال آية: ٢٠.
(٣) سورة: البقرة آية: ٤٥.
(٤) سورة: النساء آية: ١١٢.
(٥) سورة: النساء آية: ١١٢.
(٦) سورة: يونس آية: ٥٨.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾(1).

الأصل: فإن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون، فنسبة قوله تعالى: «إجرامي»، وهو الأول إلى قوله «وعليكم إجرامكم» ـ وهو الثالث ـ كنسبة قوله «وأنتم برآء منه» ـ وهو الثاني ـ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمّا تُجْرِمُونَ﴾(2)، وهو الرابع، واكتفى من كلّ متناسبين بأحدهما.

ومنه: قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾(3)، تقديره: إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوْا بآية.

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾(4)، تقديره كما قال المفسرون: «ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم»، وعند ذلك يكون مطلق قوله: فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم مقيداً بمدة الحياة الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا ٱلنِّسَاءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾(5).

فتقديره: لا تقربوهن حتى يَطْهُرْنَ ويطَّهرن، فإذا طَهُرْن وَتَطَهَّرن فأتوهن؛ وهو قول مركب من أربعة أجزاء؛ نسبة الأول إلى الثاني كنسبة الثاني إلى الرابع، ويحذف من أحدهما لدلالة الآخر عليه.

واعلم أن دلالةَ السياق قاطعة بهذه المحذوفات؛ وبهذا التقدير يعتضد القولُ بالمنع من وطء الحائض إلا بعد الطهر والتّطهر جميعاً؛ وهو مذهب الشافعي.

---

(1) سورة: هود آية: ٣٥.
(2) سورة: هود آية: ٣٥.
(3) سورة: الأنبياء آية: ٥.
(4) سورة: الأحزاب آية: ٢٤.
(5) سورة: البقرة آية: ٢٢٢.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾(١).

تقديره: «أدخل يدك تدخل، وأخرجها تخرج»؛ إلا أنه قد عرض في هذه المادة تناسب بالطباق؛ فلذلك بقي القانون فيه، الذي هو نسبة الأول إلى الثالث، ونسبة الثاني إلى الرابع على حالة الأكثرية؛ فلم يتغير عن موضعه؛ ولم يجعل بالنسبة التي بين الأول والثاني، وبين الثالث والرابع وهي نسبة النظير، كقوله:

وَإِنِّي لتعروني لِذِكْرَاكِ هِزَّةٌ ... كما انتفض العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

أي: هزة بعد انتفاضة، كما انتفض العصفور بلله القطر، ثم اهتزّ. كذا قاله جماعة.

وأنكره ابن الصائغ، وقال: هذا التقدير لا يحتاج إليه ولو يكون لكان خُلْفاً؛ وإنما أحوجهم إليه، أنهم رأوا أنه لا يلزم من إدخالها خروجها؛ و«يخرج» مجزوم على الجواب، فاحتاج أن نقدّر جواباً لازماً، وشرطاً ملزوماً، حذفاً لأنهما نظير ما ثبت؛ لكن وقع في تقدير ما لا يفيد؛ لأنه معلوم أنه إن أدخلها تدخل، لكنه قد يُقدّره تقديراً بعيداً؛ وهو: أدخلها تدخل كما هي، وأخرجها تخرج بيضاء؛ وهو بعد ذلك ضعيف، فيقال له: لا يلزم في الشرط وجوابه أن يكون اللزوم بينهما ضرورياً بالفعل؛ فإذا قيل: إن جاءني زيد أكرمته؛ فهذا اللازم بالوضع؛ وليس بالضرورة، والإكرام لازم للمجيء، بل لوضع المتكلم فالموضوع هنا أن الإدخال سبب في خروجها بيضاء بقدرة الله تعالى؛ ألا ترى أنه لا يلزم من إخراجها أن تخرج بيضاء لزوماً ضرورياً إلا بضرورة صدق الوعد.

فإن قال: لم أرد هذا؛ وإنما أردت أنها لا تخرج إلا حتى تخرج.

قيل: هذا من المعلوم الذي لا معنى للتنصيص عليه.

---

(١) سورة: النمل آية: ١٢.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾[1].

أصل الكلام: خلطوا عملاً صالحاً بسيِّىء، وآخر سيئاً بصالح؛ لأن الخلط يستدعي مخلوطاً ومخلوطاً به؛ أي: تارة أطاعوا وخلطوا الطاعة بكبيرة، وتارة عصوْا وتداركوا المعصية بالتوبة.

وقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ...﴾[2] الآية، فإن مقتضى التقسيم اللفظيّ: من اتبع الهدى فلا خوف ولا حزن يلحقه وهو صاحب الجنة، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن وهو صاحب النار؛ فحذب من كلٍّ ما أثبت نظيره في الأخرى.

يْل: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾[3].

قال سيبويه في «باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى»: لم يشبَّهوا بالناعق؛ وإنما شُبِّهوا بالمنعوق به؛ وإنما المعنى: ومثلكم[4] ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع إلا دعاء؛ ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى. انتهى.

والذي أحوجه إلى هذا التقدير، أنه لمّا شبّه الذين كفروا بالنبيّ ﷺ، وهذا بناه على أن الناعق بمعنَى الداعي؛ وليس بمتعين؛ لجواز ألَّا يراد به الداعي؛ بل الناعق من الحيوان؛ شبّههم في تألفهم وتأتيهم بما ينعق من الغنم بصاحبه؛ من أنهم يدعُون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم ما يريده، فيكون ثَمّ حذف.

وقيل: ليس من هذا النوع إلا الاكتفاء من الأول بالثالث؛ لنسبة بينهما؛ وذلك أنه اكتفى بالذي ينعق ـ وهو الثالث المشبه به ـ عن المشبّه، وهو الكناية

---

(1) سورة: التوبة آية: ١٠٢.
(2) سورة: طه آية: ١٢٣.
(3) سورة: البقرة آية: ١٧١.
(4) في ب: «وإنما المعنى وملك».

المضاف إليها في قوله: ومثلك، وهو الأول وأقرب إلى هذا التشبيه المركب والمقابلة؛ وهو الذي غلط مَنْ وَضعه في هذا النوع؛ وإنما هو من نوع الاكتفاء للارتباط العطفي؛ على ما سلف.

وقد قال الصفّار: هذا الذي صار إليه سيبويه ـ من أنه حذف من الأول المعطوف عليه، ومن الثاني المعطوف ـ ضعيف لا ينبغي أن يصار إليه إلا عند الضرورة، لأن فيه حذفاً كثيراً مع إبقاء حرف العطف؛ وهو الواو. ألا ترى أن ما قبلها مستأنف، والأصل مثلك ومثلهم؛ إلا أن يدّعي أنّ الأصل ومثلك ومثلهم، ثم حذف «مثلك» والواو التي عطفت ما بعدها، وبقيت الواو الأولى. ويزعم أنّ الكلام رَبَط مع ما قبله بالواو؛ وليس بينهما ارتباط. وفيه ما ترى.

وقال ابن الحجّاج: عندي أنه لا حذف في الآية، والقَصْد تشبيه الكفّار في عبادتهم الأصنامَ بالذي ينعق بما لا يسمع؛ فهو تمثيل داع بداع محقق لا حذف فيه، والكفار على هذا داعون، وعلى التأويل الأول مدعوّون.

ونظيرها قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(١) فإن فيه جملتين؛ حذف نصف كل واحدة منهما، اكتفاء بنصف الأخرى.

وأصل الكلام: أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى ممن يمشي سوياً على صراط مستقيم، أمّن يمشي سويّاً على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكبّاً(٢)!.

وإنما قلنا: إن أصله هكذا؛ لأن أفعَل التفضيل لا بد في معناه من المفضّل عليه. وها هنا وقع السؤال عمّن في نفس الأمر: هل هذا أهدى من ذلك أم ذاك أهدى من هذا؟ فلا بد من ملاحظة أربعة أمور، وليس في الآية إلا نصف إحدى الجملتين ونصف الأخرى، والذي حذف من هذه مذكور في تلك،

(١) سورة: الملك آية: ٢٢.

(٢) في جـ: «أهدي ممن مشى مكباً».

والذي حذف من تلك مذكور في هذه، فحصل المقصودُ مع الإيجاز والفصاحة. ثم ترك أمر آخر لم يتعرض له؛ وهو الجواب الصحيح لهذين الاستفهامين، وأيّهما هو الأهدى؟ لم يذكره في الآية أصلاً، اعتماداً على أن العقل يقول: الذي يمشي على صراط مستقيم أهدى ممن يمشي مكباً على وجهه.

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾[1].

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

فائدة:

قد يحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، وقد يعكس، وقد يحتمل اللفظُ الأمرين.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[3] في قراءة من رفع «ملائكته»، أي: إن الله يصلي، فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، وليس عطفاً عليه.

والثاني: كقوله: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[4] أي: ما يشاء.

وقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[5]، أي: بريء أيضاً.

وقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَوَاتُ﴾[6].

وقوله: ﴿يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَٱللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾[7]، أي: كذلك.

وجعل منه أبو الفتح قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[8] التقدير: وأبصر

(١) سورة: النحل آية: ١٧.
(٢) سورة: الزمر آية: ٩.
(٣) سورة: الأحزاب آية: ٥٦.
(٤) سورة: الرعد آية: ٣٩.
(٥) سورة: التوبة آية: ٣.
(٦) سورة: إبراهيم آية: ٤٨.
(٧) سورة: الطلاق آية: ٤.
(٨) سورة: مريم آية: ٣٨.

بهم؛ لكنه حذف لدلالة ما قبله عليه؛ حيث كان بلفظ الفضْلة؛ وإن كان ممتنعاً في الفاعل.

وهٰذا التوجيه إنما يتم إذا قلنا: إن الجارّ والمجرور؛ في «أسمع بهم وأبصر» في محل الرفع: فإن قلنا في محل النصب فلا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللهُ﴾(١)، والتقدير: خلقهن الله، فحذف «خلقهن» لقرينةٍ تقدمت في السؤال.

وقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢)، ولم يقل «إنا كذلك» اختياراً وٱستغناء عنه، بقوله فيما سبق: ﴿إِنّا كذٰلك﴾.

والثالث كقوله: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾(٣)، فقد قيل: إن «أحق» خبر عن اسم الله تعالى، وقيل بالعكس.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُم آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾(٤)، فالفائدة في إعادة الجار والمجرور؛ أعني «بها»؛ لأنه لو حذف من الثاني لم يحصل الربط لوجوب الضمير فيما وقع مفعولاً ثانياً، أو كالمفعول الثاني لـ «سمعتم»، ولو حذف من الأول لم يكن نصاً على أن الكفر يتعلق بالإثبات؛ لجواز أن يكون متعلق الأول غير متعلق الثاني..

٨ ـ الثامن: الاختزال؛ وهو الافتعال؛ من خزله، قطع وسطه، ثم نقل في الاصطلاح إلى حذف كلمة أو أكثر. وهي: إما اسم، أو فعل، أو حرف.

---

(١) سورة: الزمر آية: ٣٨.
(٢) سورة: الصافات آية: ١٠٩ ـ ١١٠.
(٣) سورة التوبة آية: ٦٢.
(٤) سورة: النساء آية: ١٤٠.

الأول: حذف الاسم[1]

١ ـ فمنه حذف المبتدأ

كقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ و﴿خَمْسَةٌ﴾؛ و﴿سَبْعَةٌ﴾[2]، أي هم ثلاثة، وهم خمسة، وهم سبعة.

وقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ﴾[3]، أي: إحداهما، بدليل قوله بعده: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾[4].

وقوله: ﴿بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ﴾[5]، أي: هذا بلاغ.

وقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[6]، أي: هم عباد.

وعلى هذا قال أبو عليّ: قوله تعالى: ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ﴾[7]، أي: هي النار.

وقوله: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ. النَّارُ﴾[8] أي: هو النار.

ويمكن أن يكون «النار» في الآيتين مبتدأ والخبر الجملة التي بعدها، ويمكن في الثانية أن تكون النار بدلاً من «سوء العذاب».

---

(١) العنوان غير موجود في الأصول.
(٢) سورة: الكهف آية: ٢٢.
(٣) سورة: آل عمران آية: ١٣.
(٤) سورة: آل عمران آية: ١٣.
(٥) سورة: الأحقاف آية: ٣٥.
(٦) سورة: الأنبياء آية: ٢٦.
(٧) سورة: الحج آية: ٧٢.
(٨) سورة: غافر. آية: ٤٥ ـ ٤٦.

وقوله: ﴿فَقَالوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[1]، أي: هذا ساحر.

وقوله: ﴿إلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[2].

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[3].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[4]، أي: هذا الحق من ربكم؛ وليس هذا كما يظنّه بعض الجهّال، أي: قل القول الحق؛ فإنه لو أريد هذا لَنَصب «الحق»؛ والمراد إثبات أن القرآن حق، ولهذا قال: ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ وليس المراد هنا قول حق مطلق؛ بل هذا المعنى مذكور في قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[5].

وقوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[6].

وقوله: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾[7]؛ أي: هذه سورة.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[8]، أي: فعمله لنفسه وإساءته عليها.

وقوله: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ أي: فهو يئوس.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾[10]، أي: تقلبهم متاع، أو ذاك متاع.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ. نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ﴾[11]، أي: والحطمة نار الله.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾[12]، أي: كلّ واحدة منها كالقصر؛ فيكون

---

(1) سورة: غافر آية: ٢٤.
(2) سورة: الذاريات آية: ٥٢.
(3) سورة: الفرقان آية: ٥.
(4) سورة: الكهف آية: ٢٩.
(5) سورة: الأنعام آية: ١٥٢.
(6) سورة: الأعراف آية: ١٩٦.
(7) سورة: النور آية: ١.
(8) سورة: فصلت آية: ٤٦.
(9) سورة: فصلت آية: ٤٩.
(10) سورة: آل عمران آية: ١٩٦ ـ ١٩٧.
(11) سورة: الهُمزة آية: ٥ ـ ٦.
(12) سورة: المرسلات آية: ٣٢.

من باب قوله: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾[1]، أي: كل واحد[2] منهم، والمحوِج إلى ذلك أنه لا يجوز أن يكون الشرر كله كقصر واحد؛ والقصر هو البيتُ من أدَمٍ، كان يُضْرَب على المال.

ويؤيده[3] قوله: ﴿جِمَالَةٌ صفرٌ﴾[4]، أفلا تراه كيف شبّهه بالجماعة! أي كل واحدة من الشَّرَر كالجمل لجماعاته، فجماعاته إذَنْ مثل الجمالات الصفر، وكذلك الأول، شرره منه كالقصر. قاله أبو الفتح بن جني.

وأما قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾[5]، فقيل: إن «ثلاثة» خبر مبتدأ محذوف تقديره: «آلهتنا ثلاثة».

واعترض باستلزامه[6] إثبات الإلّهية لانصراف النفي الداخل على المبتدأ أو الخبر إلى المعنى المستفاد من الخبر لا إلى معنى المبتدأ؛ وحينئذ يقتضي نفي عدة الآلهة، لا نفي وجودهم.

قيل: وهو مردود؛ لأنَّ نفيَ كون آلهتهم ثلاثة يصدُق بألّا يكون للآلهة الثلاثة وجود بالكلّية؛ لأنه من السالبة المحصلة[7]، فمعناه: ليس آلهتكم ثلاثة، وذلك يصدق بألّا يكون لهم آلهة، وإنما حذف إيذاناً بالنهي عن مطلق العدد المفهم للمساواة بوجهٍ ما: فما ظنّك بمن صرّح بالشركة؛ كما قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[8].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[9].

فأفهم أنه لو وجد الإله يكون غيره معه خطأ لإفهامه مساواة ما، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[10]؛ ولزم من نفي الثلاثة لامتناع

---

(١) سورة: النور آية: ٤.
(٢) «كل واحد». ساقط من جـ.
(٣) في حـ: ويؤكده قوله.
(٤) سورة: المرسلات آية: ٣٣.
(٥) سورة: النساء آية: ١٧١.
(٦) في جـ: «واعترض استلزامه».
(٧) في جـ: «من السالية المتحصلة».
(٨) سورة: المائدة آية: ٧٣.
(٩) سورة: المائدة آية: ٧٣.
(١٠) سورة: الأنعام آية: ١.

المساواة المعلومة عقلاً، والمدلول عليها بقوله: ﴿إنما ٱللهُ إلَهٌ وَاحِدٌ﴾(١)، نفيُ الشركة مطلقاً؛ فإنّ تخصيص النهي وقع في مقابلة الفعل، ودليلاً عليه؛ فإنهم كانوا يقولون في الله وعيسى وأمه: ثلاثة.

ونحوه في الخروج على السبب: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾(٢).

وقال صاحب «إسفار الصباح»: الوجه تقدير كون ثلاثة، أو «في الوجود»، ثم حذف الخبر الذي هو «لنا»، أو «في الوجود» الحذف المطّرد، وما دل عليه توحيد لا إله إلا الله.

ثم حذف المبتدأ حذف الموصوف كالعدد؛ إذا كان معلوماً. كقولك: عندي ثلاثة. أي دراهم؛ وقد علم بقرينة قوله: ﴿إِنَّمَا ٱللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾(٣).

وقد عورض هذا بأن نفيَ وجود ثلاثة لا ينفي وجود إلٓهين.

وأجيب بأن تقديره «آلهتنا ثلاثة» يُوجب ثبوت الآلهة: وتقدير «لنا آلهة» لا يوجب ثبوت إلٓهين.

فعورض بأنه كما لا يوجبه فلا ينفيه.

فأجيب بأنه إذا لم ينفه فقد نفاه ما بعده من قـوله: ﴿إِنَّمَـا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾(٤).

فعورض بأنّ ما بعده إن نفي ثبوت إلٓهين فكيف ثبوت آلهة؟

فأجاب بأنه لا ينفيه، ولكن يناقضه، لأن تقدير آلهتنا ثلاثة يثبت وجود إلٰهين؛ لانصراف النفي في الخبر عنه، بخلاف تقدير: «لنا آلهة ثلاثة»، فإنه لا يثبت وجود إلٓهين لانصراف النفي إلى أصل الإثبات للآلهة.

وفي أجوبة هذه المقدمات نظر.

---

(١) سورة: النساء آية: ١٧١.
(٢) سورة: آل عمران آية: ١٣٠.
(٣) سورة: النساء آية: ١٧١
(٤) سورة: النساء آية: ١٧١.

قلت: وذكر ابن جنّي أن الآية من حذف المضاف؛ أي ثالث ثلاثة لقوله في موضع آخر: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[1].

(١) سورة: المائدة آية: ٧٣.

٢ ـ حذف الخبر

نحو: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾(١)، أي دائم.

وقوله في سورة صٓ بعد ذكر من اقتص ذكره من الأنبياء، فقال: ﴿هٰذا ذِكْرٌ﴾(٢) ثم لما ذكر مصيرَهم إلى الجنة وما أعد لهم فيها من النعيم قال: ﴿وهٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ. هَذَا﴾(٣).

قد أشارت الآية إلى مآل أمر الطاغين، ومنه يفهم الخبر.

وقوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾(٤) أي: أهذا خير أمَّن جعل صدره ضيقاً حرجاً وقسا قلبه، فحذف بدليل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ ٱللهِ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾(٦).

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾(٧).

وقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾(٨).

قال سيبويه الخبر محذوف، أي: فيما أتلوه السارق والسارقة، وجاء

---

(١) سورة: الرعد آية: ٣٥.
(٢) سورة: صٓ آية: ٤٩.
(٣) سورة: صٓ آية: ٥٥ ـ ٦٥.
(٤) سورة: الزمر آية: ٢٢.
(٥) سورة: الزمر آية: ٢٢.
(٦) سورة: الشعراء آية: ٥٠.
(٧) سورة: سبإ آية: ٥١.
(٨) سورة: المائدة آية: ٣٨.

﴿فَٱقْطَعُوا﴾ جملة أخرى. وكذا قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾[1] فيما نَقصُّ لكم.

وقال غيره: السارق مبتدأ، فاقطعوا خبره؛ وجازَ ذلك لأن الاسم عام؛ فإنه لا يريد به سارقاً مخصوصاً، فصار كأسماء الشرط؛ تدخل الفاء في خبرها لعمومها؛ وإنما قدّر سيبويه ذلك لجعل الخبر أمْراً؛ وإذا ثبت الإضمار فالفاء داخلة في موضعها، تربط بين الجملتين. ومما يدل على أنه على الإضمار إجماع القراء على الرفع؛ مع أن الأمرَ الاختيار فيه النصب.

قال: وقد قرأ ناس بالنصب ارتكاناً للوجه القويّ في العربية؛ ولكن أبتِ العامة إلا الرفع.

وكذا قال في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[2]. مثل، هنا خبر مبتدأ محذوف، أي فيما نقصّ عليكم مثل الجنّة. وكذا قال أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾: إنه على الإضمار[3].

وَقَدْ رَدّ بأنه أيّ ضرورة تدعو إليه هنا؟ فإنّه إنما صرنا إليه في السارق ونحوه لتقدير دخول الفاء في الخبر، فاحتيج للإضمار حتى تكون الفاء على بابها في الربط؛ وأما هذا فقد وُصِل بفعل هو بمنزلة: الذي يأتيك فله درهم.

وأجاب الصفّار بأنّ الذي حمله على هذا أنّ الأمر دائر مع الضرورة كيف كان؛ لأنه إذا أضمر فقد تكلف، وإن لم يضمر كان الاسم مرفوعاً وبعده الأمر، فهو قليل بالنظر إلى «اللذين يأتيانها» فكيفما عمل لم يخل من قبح.

و إن قدّر منصوباً، وجاء القرآن بالألف على لغة من يقول «الزيدان» في جميع الأحوال وقع أيضاً في محذور آخر؛ فلهذا قدره هذا التقدير، لأن الإضمارَ مع الرفع يتكافآن.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾[4]، الخبر محذوف، أي

---

(1) سورة: النور آية: ٢.
(2) سورة: الرعد آية: ٣٥.
(3) سورة: النساء آية: ١٦.
(4) سورة: فصلت آية: ٤١.

يعذّبون. ويجوز أن يكون الخبر: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[1].

وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[2]؛ فأنتم مبتدأ والخبر محذوف؛ أي حاضرون؛ وهو لازم الحذف هنا.

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[3]؛ أي: حل لكم كذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾[4]، أمّا على قراءة التنوين فلا خلافَ لأنه يجعله مبتدأ؛ و«ابن الله» خبر؛ حكاية عن مقالة اليهود؛ وأما على قراءة من لم ينوّن،

فقيل: إنه صفة والخبر محذوف؛ أي: عزير ابن الله إلٓهنا.

وقيل: بل المبتدأ محذوف، أي: إلٓهنا عزير، وابن صفة.

ورُدَّ بوجهين:

أحدهما: أنه لا يطابق: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾[5].

والثاني: أنه يلزم عليه أن يكون التكذيب ليس عائداً إلى النبوّة، فكذِّب لأنّ صدق الخبر وكذبه راجع إلى نسبة الخبر لا إلى الصفة. فلو قيل: زيد القائم فقيه، فكذب، انصرف التكذيب لإسناد فقهه؛ لا لوصفه بالقائم.

وفيه نظر؛ لأن الصفة ليست إنشاء فهي خبر؛ إلّا أنها غير تامة الإفادة، فيصحّ تكذيبُها. والأوْلى تقويته وأن يقال الصفة والإضافة ونحوهما في المسند إليه لواحق بصورة الإفراد؛ أيّ يريد أن يُصوّره بهيئة خاصّة؛ ويحكم عليه

---

(1) سورة: فصلت آية: ٤٤.
(2) سورة: سبإ آية: ٣١.
(3) سورة: المائدة آية: ٤.
(4) سورة: التوبة آية: ٣٠.
(5) سورة: التوبة آية: ٣٠.

كذلك؛ لكن لا سبيلَ إلى كذبها؛ مع أنها تصوّرت؛ فالوجه أن يقال: إن كذب الصفة بإسناد مسندها إلى معدوم الثبوت. ونظير هذه المسألة في الفقة ما لو قال: والله لا أشرب ماء هذا الكوز: ولا ماءَ فيه.

وقال بعضهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللهِ﴾(١) خبر الجملة، أي حَكَى فيه لفظَهم، أي: قالوا هذه العبارة القبيحة؛ وحينئذ فلا يقدّر خبر ولا مبتدأ.

وقيل: «ابن الله» خبر وحذف التنوين من «عزير» للعجمة والعلمية.

وقيل: حذف تنوينه لالتقاء الساكنين؛ لأن الصفةَ مع الموصوف كشيء واحد، كقراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدُ. ٱللهُ ٱلصَّمَدُ﴾(٢)، على إرادة التنوين؛ بل هنا أوضح؛ لأنه في جملة واحدة.

وقيل: «ابن الله» نعت ولا محذوف؛ وكأنّ الله تعالى حَكَى أنهم ذكروا هذا اللفظ إنكاراً عليهم؛ إلا أن فيه نعتاً، لأن سيبويه قال: إن قلت وضعته العرب لتحكيَ به ما كان كلاماً لا قولاً. وأيضاً إنه لا يطابق قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللهِ﴾(٣) والظاهر أنه خبر. والقولان منقولان.

والصحيح في هذه القراءة أنه ليس الغرض إلا أن اليهود قد بلغوا في رسوخ الاعتقاد في هذا الشيء إلى أن كانوا يذكرون هذا النكر، كما تقول في قومٍ تغالوا في تعظيم صاحبهم: أراهم اعتقدوا فيه أمراً عظيماً ثابتاً، يقولون: زيد الأمر!

---

(١) سورة: التوبة آية: ٣٠.
(٢) سورة: الإخلاص آية: ١ ـ ٢.
(٣) سورة: التوبة آية: ٣٠.

٣ ـ ما يحتمل الأمرين

قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾(١) يحتمل حذف الخبر، أي أجْمَل، أو حذف المبتدأ، أي: فأمري صبر جميل.

وهذا أولى لوجود قرينة حالية ـ هي قيام الصبر به ـ دالة على المحذوف، وعدم قرينة حالية أو مقالية تدل على خصوص الخبر، وأنّ الكلام مسوق للإخبار بحصول الصبر له واتصافه به، وحذف المبتدأ يحصّل ذلك دون حذف الخبر؛ لأن معناه أن الصبر الجميل؛ أجمل ممن(٢). . . لأن المتكلم متلبس به.

وكذلك يقوله مَنْ لم يكن وصفاً له؛ ولأن الصبر مصدر، والمصادر معناها الإخبار، فإذا حمل على حذف المبتدأ فقد أجْرِيَ على أصل معناه؛ من استعماله خبراً، وإذا حُمِل على حذف الخبر فقد أخرج عن أصل معناه(٣).

ومثاله قوله: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾(٤). أي: أمثل: أو أولى لكم من هذا، أو أمركم الذي يطلب منكم.

ومثله قوله: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾(٥)؛ إما أن يقدر: فيما أوحينا إليك سورة، أو هذه سورة.

---

(١) سورة: يوسف آية: ١٨.
(٢) موضع النقط بياض في الأصول.
(٣) العبارة مضطربـة هكذا في الأصول كلها.
(٤) سورة: النور آية: ٥٣.
(٥) سورة: النور آية: ١.

وقد يحذفان جملة، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ...﴾[1] الآية.

---

(١) سورة: الطلاق آية: ٤.

٤ ـ حذف الفاعل

المشهور امتناعه إلا في ثلاثة مواضع:

أحدها: إذا بنى الفعل للمفعول.

ثانيها: في المصدر، إذا لم يذكر معه الفاعل؛ مُظهراً يكون محذوفاً، ولا يكون مضمراً نحو ﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾[١].

ثالثها: إذ لاقى الفاعل ساكناً من كلمة أخرى، كقولك للجماعة: اضربُ القوم، وللمخاطبة: اضربِ القوم.

وجوز الكسائيّ حذفه مطلقاً إذا وجد ما يدل عليه؛ كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾[٢] أي: بلغت الروح.

وقوله: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[٣] أي: الشمس.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾[٤] يعني العذاب، لقوله قبله: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[٥].

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾[٦] تقديره فلما جاء الرسول سليمان.

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٤.

(٢) سورة: القيامة آية: ٢٦.

(٣) سورة: صٓ آية: ٣٢.

(٤) سورة: الصافات آية: ١٧٧.

(٥) سورة: الصافات آية: ١٧٦.

(٦) سورة: النمل آية: ٣٦.

والحق أنه في المذكورات مُضْمَر لا محذوف، وقد سبق الفرق بينهما.

أما حذفه وإقامة المفعول مقامه، مع بناء الفعل للمفعول فله أسباب:

منها: العلم به، كقوله تعالى:
﴿خُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[1].

﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾[2]، ونحن نعلم أن الله خالقه.

قال ابن جني: وضابطه أن يكون الغرض إنما هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول؛ ولا غرض في إبانة الفاعل مَنْ هو.

ومنها: تعظيمه، كقوله: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ﴾[3]، إذ كان الذي قضاه عظيم القدر.

وقوله: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾[4].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[5]

قال الزمخشري في كشافه القديم: هذا أدلّ على كبرياء المنزّل وجلالة شأنه من القراءة الشاذة «أَنْزَلَ» مبنياً للفاعل، كما تقول: الملك أمر بكذا، ورسم بكذا؛ وخاصّة إذا كان الفعل فعلاً لايقدِر عليه إلا الله، كقوله: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾[6] قال: كأن طيَّ ذكر الفاعل كالواجب؛ لأمرين:

أحدهما: أنه إن تعيّن الفاعل وعلِم أن الفعل مما لا يتولّاه إلا هو وحده، كان ذكره فضلاً ولغواً.

والثاني: الإيـذان بأنه منه؛ غيرَ مشارَك ولا مدافَع عن الاستئثار به والتفرّد بإيجاده.

---

(1) سورة: الأنبياء آية: 37.
(2) سورة: النساء آية: 28.
(3) سورة: يوسف آية: 41.
(4) سورة: هود آية: 44.
(5) سورة: البقرة آية: 4.
(6) سورة: هود آية: 44.

وأيضاً فما في ذلك من مصير أن اسمَه جدير بأن يصان ويرتفع به عن الابتذال والامتهان. وعن الحسن: لولا أني مأذونٌ لي في ذكر اسمه لربأتُ به عن مسلك الطعام والشراب.

ومنها: مناسبة الفواصل، نحو: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾[1]، ولم يقل: يَجزيها.

ومنها: مناسبة ما تقدمه، كقوله في سورة براءة: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[2]؛ لأن قبلها: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾[3]على بناء الفعل للمفعول؛ فجاء قوله: ﴿ ﴿وطُبِع﴾ ليناسب بالختام المطلع، بخلاف قوله فيما بعدها: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4]، فإنه لم يقع قبلها ما يقتضي البناء، فجاءت على الأصل.

---

(١) سورة: الليل آية: ١٩.

(٢) سورة: التوبة آية: ٨٧.

(٣) سورة: التوبة آية: ٨٦.

(٤) سورة: التوبة آية: ٩٣.

٥ ـ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه

وهو كثير، قال ابن جنِّي: وفي القرآن منه زهاء ألف موضع. وأما أبو الحسن، فلا يقيس عليه؛ ثم ردّه بكثرة المجاز في اللغة، وحذف المضاف مجاز. انتهى.

وشرط المبرّد في كتاب «ما اتفق لفظه واختلف معناه» لجوازه وجودَ دليل على المحذوف من عقل أو قرينة، نحو: ﴿وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾(١)، أي: أهلها، قال: ولا يجوزُ على هذا أن نقول: جاء زيد، وأنت تريد غلامَ زيد؛ لأنّ المجيءَ يكون له، ولا دليلَ [في مثل هذا](٢) على المحذوف.

وقال الزمخشري في الكشاف القديم: لا يستقيم تقدير حذف المضاف في كل موضع؛ ولا يُقْدَم عليه إلا بدليل واضح وفي غير مُلْبِس؛ كقوله: ﴿وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾(٣). وضُعِّف بذلك قولُ من قَدّر في قوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾(٤)، أنَّه على حذف مضاف.

فإن قلتَ: كما لا يجوز مجيئه لا يجوز خداعه، فحين جرّك إلى تقدير المضاف امتناع مجيئه، فهلاّ جرّك إلى مثله امتناع خداعه!؟

---

(١) سورة: يوسف آية: ٨٢.

(٢) ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصول والسياق يقتضيه.

(٣) سورة: يوسف آية: ٨٢. (٤) سورة: النساء آية: ١٤٢.

قلت: يجوز في اعتقاد المنافقين تصوّر خداعه؛ فكان الموضع ملبساً فلا يقدّر. انتهى.

فمنه قوله تعالى: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو ٱللهَ وَالْيَوْمَ ٱلآخِرَ﴾[1]، أي: رحمته ويخاف عذابه.

﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾[2] أي: سدّ يأجوج ومأجوج.

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً﴾[3]، أي: شعر الرأس.

﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾[4]، أي: بقراءة صلاتك، ولا تخافت بقراءتها.

﴿وَلٰكِنَّ ٱلبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾[5]، أي: بر مَن آمن بالله.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ﴾[6] أي: ناحيتها، والجهة التي هو فيها.

و﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾[7] أي: هل يسمعون دعاءكم، بدليل الآية الأخرى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾[8].

﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾[9]، أي: من آل فرعون.

﴿إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾[10] أي: ضعف عذابهما.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذي يَنْعِقُ﴾[11]، أي: وَمَثَلُ واعظ الذين كفروا كناعق الأنعام.

---

(١) سورة: الأحزاب آية: ٢١.
(٢) سورة: الأنبياء آية: ٩٦.
(٣) سورة: مريم آية: ٤.
(٤) سورة: الإسراء آية: ١١٠.
(٥) سورة: البقرة آية: ١٧٧.
(٦) سورة: طه آية: ١١.
(٧) سورة: الشعراء آية: ٧٢.
(٨) سورة: فاطر آية: ١٤.
(٩) سورة: يونس آية: ٨٣.
(١٠) سورة: الإسراء آية: ٧٥.
(١١) سورة: البقرة آية: ١٧١.

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (1)، أي: مثل أمهاتهم.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (2)، أي: شكر رزقكم. وقيل: تجعلون التكذيبَ شكرَ رزقكم.

وقوله: ﴿وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ (3)، أي: على ألسنة رسلك.

وقوله: ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (4) أي: ذوي أماناتكم، كالمودِع، والمُعِير، والموكِّل، والشريك، ومن يدك في ماله أمانة لا يد ضمان، ويجوز أن لا حذف فيه؛ لأن «خنت» من باب «أعطيت»؛ فيتعدّى إلى مفعولين، ويقتصر على أحدهما.

وقوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ (5)، أي: أهل مدين؛ بدليل قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ (6).

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ (7)، أي: أهل القرية؛ وأهل العير.

وقيل: فيه وجهان:

أحدهما: أنّ القرية يُراد بها نفس الجماعة.

والثاني: أنّ المراد سؤال الأبنية نفسها، لأن المخاطب نبيّ صاحب معجزة.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ (8)، ويجوز أن يقدر: الحج حج أشهر معلومات.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ (9) أي: أمرُ ربك.

(1) سورة: الأحزاب آية: 6.
(2) سورة: الواقعة آية: 82.
(3) سورة: آل عمران آية: 194.
(4) سورة: الأنفال آية: 27.
(5) سورة: هود آية: 84.
(6) سورة: القصص آية: 45.
(7) سورة: يوسف آية: 82.
(8) سورة: البقرة آية: 197.
(9) سورة: الفجر آية: 22.

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(١)، أي: حب العجل.

قال الراغب: إنه على بابه، فإنّ في ذكر العجل تنبيهاً على أنّه لفرط محبتهم صار صورة العجل في قلوبهم لا تمّحي.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ﴾(٢)؛ فإرم اسم لموضع وهو في موضع جرّ؛ إلّا أنه منع الصرف للعلمية والتأنيث؛ أما العلمية فواضح، وأما التأنيث فلقوله: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾.

وقوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾(٣)أي: بسؤالها؛ فحذف المضاف؛ ولم يكفروا بالسؤال؛ إنما كفروا بربّهم المسئول عنه؛ فلما كان السؤالُ سبباً للكفر فيما سألوا عنه نُسِب الكفر إليه على الاتساع.

وقيل: الهاء عائدة على غير ما تقدم لقوة هذا الكلام؛ بدليل أنّ الفعل تعدّى بنفسه والأول بغيره؛ وإنما هذه الآية كناية عما سأل قوم موسى، وقوم عيسى من الآيات، ثم كفروا، فمعنى السؤال الأول والثاني الاستفهام، ومعنى الثالث طلب الشيء(٤).

وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾(٥)، أي: تناوُلها، لأنّ الأحكام لا تتعلق بالأجرام إلا بتأويل الأفعال.

وقيل: إنّ الميتة يعبّر بها عن تناولها فلا حذف؛ ولو كان ثَمّ حذف لم يؤنث الفعل؛ ولأن المركبَ إنما يحذف إذا كان للكلام دلالة غير الدلالة الإفرادية؛ والمفهوم من هذا التركيب التناول من غير تقدير؛ فيكون اللفظ موضوعاً له، والمشهور في الأصول أنه من محالّ الحذف.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي

(١) سورة: البقرة آية: ٩٣.
(٢) سورة: الفجر آية: ٦ ـ ٧.
(٣) سورة: المائدة آية: ١٠٢.
(٤) في ب: «ومعنى طلب الشيء».
(٥) سورة: المائدة آية: ٣.

ٱلصَّالِحِينَ﴾(1)، فها هنا إضمار؛ لأنّ قائلاً لو قال: «من عمل صالحاً جعلتهُ في جملة الصالحين» لم يكن فيه فائدة؛ وإنما المعنى لندخلنّهم في زمرة الصالحين.

وقوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾(2)، أي: ذا قراطيس، أو مكتوب في قراطيس. ﴿تُبْدُونَهَا﴾(3)، أي: تبدون مكتوبها.

وقوله: ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾(4)؛ ليس المعنى تخفونها إخفاء كثيراً؛ ولكنّ التقدير: تخفون كثيراً من إنكار ذي القراطيس؛ أي: يكتمونه فلا يظهرونه، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَابِ﴾(5).

ويدل له قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾(6).

وقوله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾(7)؛ أي: بقدر مياهها.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾(8)؛ أي: همّ بدفعها: أي عن نفسه في هذا التأويل بتنزيه يوسف ﷺ عما لا يليق به؛ لأنّ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الصغائر والكبائر، وعليه فينبغي الوقف على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾.

تنبيه:

اعلم أنّ المضاف إذا عُلم جاز حذفه مع الالتفات إليه؛ فيعامل معاملة

---

(1) سورة: العنكبوت آية: ٩.
(2) سورة: الأنعام آية: ٩١.
(3) سورة: الأنعام آية: ٩١.
(4) سورة: الأنعام آية: ٩١.
(5) سورة: البقرة آية: ١٥٩.
(6) سورة: المائدة آية: ١٥.
(7) سورة: الرعد آية: ١٧.
(8) سورة: يوسف آية: ٢٤.

الملفوظ به؛ من عَوْد الضمير عليه. ومع إطّراحه يصير الحكم في عَوْد الضمير للقائم مقامه..

فمثال استهلاك حكمه وتناسي أمره قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾[1]؛ فإنّ الضمير في ﴿يغشاه﴾ عائد على المضاف المحذوف بتقدير: أو كذي ظلمات.

وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾[2] أي: كمثل ذوي صيّب؛ ولهذا رجع الضمير إليه مجموعاً في قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾[3]؛ ولو لم يراع لأفرده أيضاً.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾[4]، ولولا ذلك لحذفت التاء؛ لأنّ القوم مذكّر، ومنه قول حسّان:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهمُ   بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

بالياء، أي ماء بردى، ولو راعى المذكور لأتى بالتاء.

قالوا: وقد جاء في آية واحدة مراعاة التأنيث والمحذوف، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[5] أنث الضمير في ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، و﴿فجاءها﴾، لإعادتهما على القرية المؤنثة، وهي الثابتة، ثم قال: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ فأتى بضمير مَنْ يعقل حملاً على «أهلها» المحذوف.

وفي تأويل إعادة الضمير على التأنيث وجهان: أحدهُما: أنه لما قام مقام المحذوف صارت المعاملة معه. والثاني: أن يقدّر في الثاني حذف المضاف؛ كما قدر في الأول. فإذا قلت: سألت القرية وضربتها، فمعناه: وضربت أهلها، فحذف المضاف كما حذف من الأول إذ وجه الجواز قائم.

---

(١) سورة: النور آية: ٤٠.
(٢) سورة: البقرة آية: ١٩.
(٣) سورة: البقرة آية: ١٩.
(٤) سورة: الشعراء آية: ١٠٥.
(٥) سورة: الأعراف آية: ٤.

وقيل: هنا مضاف محذوف، المعنى أهلكنا أهلها. وبياتاً، حال منهم، أي: مبيّتين و ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[1] جملة معطوفة عليها، ومحلها النصب.

وأنكر الشَّلَوْبِين مراعاة المحذوف، وأوّل ما سبق على أنه من باب الحمل على المعنى ونقله عن المحققين؛ لأن القوم جماعة ولهذا يؤنث تأنيث الجمع، نحو هي الرجال؛ وجمع التكسير عندهم مؤنث وأسماء الجموع تجري مجراها، وعلى هذا جاء التأنيث، لا على الحذف، وكذا القول في البيت.

وفي قراءة بعضهم: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[2]، قدّروه «عرض الآخرة». والأحسن أن يقدّر ثواب الآخرة؛ لأن العَرضَ لا يبقى، بخلاف الثواب.

---

(١) سورة: الأعراف آية: ٤.

(٢) سورة: الأنفال آية: ٦٧.

٦ ـ حذف المضاف إليه

وهو أقل استعمالاً، كقوله:

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[١].

وقوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[٢].

وكذا كل ما قُطِع عن الإضافة، ممّا وجبت إضافته معنى لا لفظاً، كقوله تعالى:

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[٣]، أي: من قبل ذلك ومن بعده.

---

(١) سورة: الأنبياء آية: ٣٣.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢٥٣.

(٣) سورة: الروم آية: ٤.

٧ ـ حذف المضاف والمضاف إليه

قد يضاف المضاف إلى مضاف؛ فيحذف الأول والثاني ويبقى الثالث، كقوله تعالى:

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾(١) أي: بدل شكر رزقكم.

وقوله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾(٢)، أي: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت.

وقيل: الرزق في الآية الأولى الحظّ والنصيب؛ فلا حاجة إلى تقدير. وكذلك، إذا قدرت في الثانية «كالذي» حالاً من الهاء والميم في «أعينهم»، لأن المضاف بعض فلا تقدير.

وقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾(٣)، وقدره أبو الفتح في «المحتسب» على أفعال أهل النار.

وأما قوله: ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾(٤) فالتقدير من مداناة الموت أو مقاربته؛ ولا ينكَر عُسْره على الإنسان ولكن إذا دُفع إلى أمرٍ هابه.

ومثله الآية الأخرى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾(٥).

---

(١) سورة: الواقعة آية: ٨٢.

(٢) سورة: الأحزاب آية: ١٩.

(٣) سورة: البقرة آية: ١٧٥.

(٤) سورة: الأحزاب آية: ١٩.

(٥) سورة: محمد آية: ٢٠.

وقوله: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾[1]، أي: من أثر حافر فرس الرسول.

وقوله: ﴿مَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى﴾[2]، أي: من أموال كفار أهل القرى.

وقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[3]، أي: من أفعال ذوي تقوى القلوب.

وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ...﴾[4] الآية، فإنّ التقدير كمثل ذوي صيّب، فحذف المضاف والمضاف إليه، أما حذف المضاف فلقرينة عطفه على: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً﴾[5] وأما المضاف إليه فلدلالة: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾[6] عليه فأعاد الضمير عليه مجموعاً، وإنما صير إلى هذا التقدير؛ لأن التشبيه بين صفة المنافقين وصفة ذوي الصّيب، لا بين صفة المنافقين وذوي الصيّب.

---

(١) سورة: طه آية: ٩٦.
(٢) سورة: الحشر آية: ٧.
(٣) سورة: الحج آية: ٣٢.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٩.
(٥) سورة: البقرة آية: ١٧.
(٦) سورة: البقرة آية: ١٩.

٨ ـ حذف الجار والمجرور

كقوله: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً﴾[١] ، أي: بسيء ﴿ ﴿وَآخَرَ سَيِّئاً﴾[١] أي: بصالح.

وكذا بعد أفعل التفضيل، كقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[٢]، أي: من كلّ شيء.

﴿فَإِنَّه يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٣] أي: من السرّ.

وكلام الزمخشري في «المفصّل» يقتضِي أنه مما قطع[٤] فيه عن متعلقه قصداً لنفي الزيادة، نحو فلان يعطي، ليكون كالفعل المتعدّي. إذا جعل قاصراً للمبالغة؛ فعلى هذا لا يكون من الحذف، فإنه قال: أفعل التفضيل له معنيان: أحدهما: أن يراد أنه زائد على المضاف إليه في الجملة التي هو وهم فيها شركاء. والثاني: أن يوجد مطلقاً له الزيادة فيها إطلاقاً، ثم يضاف للتفضيل على المضاف إليه؛ لكن بمجرد التخصيص كما يضاف ما لا تفضيل فيه؛ نحو قولك: الناقص والأشج أعدلا بني مروان، كأنك قلت: عادلاً. انتهى.

---

(١) سورة: التوبة آية: ١٠٢.

(٢) سورة: العنكبوت آية: ٤٥.

(٣) سورة: طه آية: ٧.

(٤) أنظر: (المفصل للزمخشري ٣٣٤).

٩ ـ حذف الموصوف

يشترط فيه أمران:

أحدهما: كون الصفة خاصة بالموصوف؛ حتى يحصل العلم بالموصوف؛ فمتى كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف.

نص عليه سيبويه في آخر باب ترجمة «هذا باب مجاري أواخر الكلم العربيّة». وكذلك نص عليه أرسطاطاليس[(١)] في كتابه الخطابة.

الثاني: أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث هي، لتعلق غرض السياق، كقوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[(٢)]. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[(٣)].

فإن الاعتمادَ في سياق القول على مجرد الصفة لتعلق غرض القول من المدح أو الذم بها.

كقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾[(٤)]، أي: حور قاصرات.

وقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾[(٥)]، أي: وجنّة دانية.

---

(١) أرسطاطاليس سبقت الترجمة له.

(٢) سورة: البقرة آية: ٩٥.

(٣) سورة: آل عمران آية: ١١٥.

(٤) سورة: الصافات آية: ٤٨.

(٥) سورة: الانسان آية: ١٤.

وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1]، أي: العبد الشكور.

وقوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، أي: القوم المتقين.

وقوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[3]، أي: سفينة ذات ألواح.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[4]، أي: الأمة القيمة.

وقوله: ﴿أَنِ آعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾[5]، أي: دروعاً سابغات.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾[6]، أي: يا أيها الرجل الساحر.

وقوله: ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[7]، أي: القوم المؤمنون.

وقوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾[8]، أي: عملاً صالحاً.

---

(١) سورة: سبإ آية: ١٣.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢.

(٣) سورة: القمر آية: ١٣.

(٤) سورة: البينة آية: ٥.

(٥) سورة: سبإ آية: ١١.

(٦) سورة: الزخرف آية: ٤٩.

(٧) سورة: النور آية: ٣١.

(٨) سورة: القصص آية: ٦٧.

١٠ ـ حذف الصفة

وأكثر ما يرد للتفخيم والتعظيم في النكرات، وكأنّ التنكير حينئذ عَلم عليه، كقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْناً﴾ (١)، أي: وزناً نافعاً.

وقوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٢)، أي: من جوع شديد وخوف عظيم.

وقوله: ﴿يٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ (٣)، أي: شيء نافع.

وقوله: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾(٤)، أي: سلطت عليه.

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾(٥)، أي: جامعاً لأكمل كل صفات الرسل.

وقوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾(٦)، أي: صالحة.

وقيل: إنها قراءة ابن عباس. وفيه بحث، وهو أنا لا نسلّم الإضمار، بل هو عام مخصوص.

وقوله: ﴿بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾(٧)، أي: كثير، بدليل ما قبله.

---

(١) سورة: الكهف آية: ١٠٥.
(٢) سورة: قريش آية: ٤.
(٣) سورة: المائدة آية: ٦٨.
(٤) سورة: الذاريات آية: ٤٢.
(٥) سورة: النساء آية: ٧٩.
(٦) سورة: الكهف آية: ٧٩.
(٧) سورة: صٓ آية: ٥١.

ويجىء في العرف، كقوله تعالى: ﴿آلآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾[1]، أي: المبين.

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾[2]، أي: الناس الذين يعادونكم.

وقوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[3]، أي: الناجين.

وقوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾[4]، أي: قومك المعاندون.

ومنه: ﴿فَضَّلَ آللهُ آلْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾[5]، أي: من أولي الضرر، ﴿وَفَضَّلَ اللهُ المجاهدين على القاعدين﴾[6] ؛ أي: من غير أولي الضرر.

قاله ابن مالك وغيره. وبهذا التقدير يزول إشكال التكرار من الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ﴾[7] أي: لم أتل عليكم فيه شيئاً، فحذفت الصفة أو الحال، قيل والعمر هنا أربعون سنة.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٧١.
(٢) سورة: آل عمران آية: ١٧٣.
(٣) سورة: هود آية: ٤٦.
(٤) سورة: الأنعام آية: ٦٦.
(٥) سورة: النساء آية: ٩٥.
(٦) سورة: النساء آية: ٩٥.
(٧) سورة: يونس آية: ١٦.

١١ ـ حذف المعطوف

قوله تعالى:

﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا﴾(١)، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾(٢)، ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾(٣)،

التقدير: أعموا! أمَكثوا! أكفرتم!

وقوله: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾(٤)، أي: ما شهدنا مهلِك أهله ومهلكه، بدليل قوله: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾(٥)؛ وما رُوِي أنهم كانوا عزموا على قتله وقتل أهله؛ وعلى هذا فقولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾(٦) كذب في الإخبار، وأوهموا قومَهم أنهم قتلوه وأهله سراً ولم يشعر بهم أحد؛ وقالوا تلك المقالة يوهمونَ أنهم صادقون وهم كاذبون.

ويحتمل أن يكون من حذف المعطوف عليه؛ أي: ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله.

وقال بعض المتأخرين: أصله ما شهدنا مهلك أهلِك بالخطاب؛ ثم عدل عنه إلى الغيبة، فلا حذف.

وقد يحذف المعطوف مع حرف العطف، مثل: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ

---

(١) سورة: الأعراف آية: ١٨٥.

(٢) سورة: يوسف آية: ١٠٩.

(٣) سورة: يوسف آية: ١٠٩.

(٤) سورة: النمل آية: ٤٩.

(٥) سورة: النمل آية: ٤٩.

(٦) سورة: النمل آية: ٤٩.

أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾[2]؛ أي: أمرنا مُتْرَفيها، فخالفوا الأمر، ففسقوا.

وبهذا التقدير يزول الإشكال من الآية؛ وأنه ليس الفسق مأموراً به.

ويحتمل أن يكون: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ صفة للقرية لا جواباً لقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا﴾، التقدير: وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها؛ ويكون إذا على هذا لم يأت لها جواب ظاهر استغناء بالسياق، كما في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُها﴾[3].

---

(١) سورة: الحديد آية: ١٠.

(٢) سورة: الإسراء آية: ١٦.

(٣) سورة: الزمر آية: ٧٣.

١٢ ـ حذف المعطوف عليه

﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِ﴾(١)، أي: لو مَلَكه ولو افتدى به.

ويجوز حذفه مع حرف العطف، كقوله:

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾(٢)، أي: فأفْطر فعدة.

وقوله: ﴿أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنْفَلَقَ﴾(٣) التقدير: فضرب فانفلق، فحذف المعطوف عليه، وهو «ضرب»، وحرف العطف وهو الفاء المتصلة بـ «انفلق» فصار: ﴿فانفلق﴾ فالفاء الداخلة، على «انفلق» هي الفاء التي كانت متصلة بـ ﴿ضرب﴾ وأما المتصلة بـ «انفلق» فمحذوفة.

كذا زعم ابن عصفور، والأبّذي(٤) قالوا: والذي دل على ذلك أنّ حرف

---

(١) سورة: آل عمران آية: ٩١.

(٢) سورة: البقرة آية: ١٨٤.

(٣) سورة: الشعراء آية: ٦٣.

(٤) الأبذي هو: أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأبذي، شهاب الدين. نحوي من أهل الأندلس. تعلم في بجاية، وهو من أهل أبذة بقرب بيجان، وانتقل إلى القاهرة، فدرس بالأزهر ثم بالباسطية إلى أن مات عام (٨٦٠ هـ :١٤٥٦ م). من مصنفاته: «شرح إيسا غوجي» و«بيان كشف الألفاظ التي لا بد للفقيه من معرفتها». و«الحدود النحوية».
أنظر ترجمته في: (الضوء اللامع ٢/ ١٨٠. والأعلام ١/ ٢٢٩).

العطف إنما نوى به مشاركة الأول للثاني؛ فإذا حذف أحد اللفظين أعني لفظ المعطوف أو المعطوف عليه ـ ينبغي ألاَّ يؤتى به ليزول ما أتى به من أجله

وقال ابن الضائع: ليس هذا من الحذف بل من إقامة المعطوف مقام المعطوف عليه؛ لأنه سببه، ويقام السبب كثيراً مقام مسبّبه؛ وليس ما بعدها معطوفاً على الجواب؛ بل صار هو الجواب؛ بدليل ﴿فانبجست﴾ هو جواب الأمر.

١٣ ـ حذف المبدل منه

اختلفوا فيه، وخرّج عليه قوله:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ. هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾[١].

(١) سورة: النحل آية: ١١٦.

١٤ ـ حذف الموصول

قوله: ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾[١]، أي: والذي أنزل إليكم؛ لأن الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا؛ ولذلك أعيدت «ما» بعد «ما» في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[٢].

وهو نظير قوله: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾[٣]

وقوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[٤].

وقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[٥] أي: مَنْ له.

وشرط ابن مالك في بعض كتبه لجواب الحذف كونه معطوفاً على موصول آخر؛ ويؤيده هذه الآية. قال: ولا يحذف موصول حرفيّ إلا «أنْ» كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾[٦].

---

(١) سورة: العنكبوت آية: ٤٦.
(٢) سورة: البقرة آية: ١٣٦.
(٣) سورة: النساء آية: ١٣٦.
(٤) سورة: الرعد آية: ١٠.
(٥) سورة: الصافات آية: ٦٤.
(٦) سورة: الروم آية: ٢٤.

١٥ ـ حذف المخصوص في باب نعم إذا علم من سياق الكلام

كقوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[١] التقدير: نعم العبد أيوب، أو نعم العبد هو؛ لأن القصة في ذكر أيوب، فإن قدرت: نعم العبد هو؛ لم يكن «هو» عائداً على العبد بل على أيوب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾[٢] فسليمان هو المخصوص الممدوح، وإنما لم يكرر لأنه تقدم منصوباً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[٣] أي: نحن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٤]، أي: الجنة، أو دارهم.

﴿فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ﴾[٥] أي: عقباهم.

﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٦] أي: أجرهم.

وقال: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[٧] أي: من ضرّه أقرب من نفعه.

وقال تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾[٨]، أي: إيمانكم بما أنزل عليكم، وكفركم بما وراءه.

---

(١) سورة: صٓ آية: ٣٠.
(٢) سورة: صٓ آية: ٣٠.
(٣) سورة: المرسلات آية: ٢٣.
(٤) سورة: النحل آية: ٣٠.
(٥) سورة: الرعد آية: ٢٤.
(٦) سورة: آل عمران آية: ١٣٦.
(٧) سورة: الحج آية: ١٣.
(٨) سورة: البقرة آية: ٩٣.

وقد يحذف الفاعل والمخصوص كقوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[1]، أي: بئس البدل إبليس وذرّيته، ومنه قوله ﷺ: «فَبِهَا وَنِعْمَتْ»، أي نِعمت الرخصة.

---

(١) سورة: الكهف آية: ٥٠

١٦ ـ حذف الضمير المنصوب المتصل

يقع في أربعة أبواب:

أحدها: الصلة، كقوله تعالى: ﴿أَهٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾[١].

الثاني: الصفة، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾[٢]، أي: فيه، بدليل قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[٣]؛ ولذلك يقدّر في الجمل المعطوفة على الأولى؛ لأن حكمهنّ حكمها، فالتقدير: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٤] فيه.

ثم اختلفوا، فقال الأخفش: حذفت على التدريج؛ أي حذف العطف فاتصل الضمير، فحذف.

وقال سيبويه: حذفا معاً لأول وهلة.

وقيل: عُدِّيَ الفعل إلى الضمير أولاً اتساعاً، وهو قول الفارسي.

وجعل الواحدي من هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً﴾[٥]، أي منه.

وقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٦]، أي: ما للظالمين منه.

---

(١) سورة: الفرقان آية: ٤١.
(٢) سورة: البقرة آية: ٤٨.
(٣) سورة: البقرة آية: ٤٨.
(٤) سورة: البقرة آية: ٤٨.
(٥) سورة: الدخان آية: ٤١.
(٦) سورة: غافر آية: ١٨.

وفيه نظر؛ أما الأولى: فلأن ﴿يُغْنِي﴾ جملة قد أضيف إليها إسم الزمان، وليست صفة.

وقد نصُّوا على أنّ عَوْد ضميرٍ إلى المضاف من الجملة التي أضيف إليها. الظرف غير جائز؛ حتى قال ابن السراج: فإن قلتَ: أعجبني يوم قمت فيه، امتنعت الإضافة؛ لأنّ الجملة حينئذ صفة، ولا يضاف موصوف إلى صفته.

قال ابن مالك: وهذا مما خَفِيَ على أكثر النحويين.

وأما الثانية؛ فكأنه يريد أن ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ صفة ليوم، المضاف إليها الأزمنة؛ وذلك متعذّر؛ لأن الجملةَ لا تقع صفة للمعرفة، والظاهر أن الجملة حال منه، ثم حذف العائد المجرور بـ «في»، كما يحذف من الصفة.

الثالث: الخبر، كقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(١) في قراءة ابن عامر.

الرابع: الحال.

تنبيه:

قال ابن الشَّجَري: أقوى هذه الأمور في الحذف الصلة، لطول الكلام فيها؛ لأنه أربع كلمات؛ نحو: جاء الذي ضربت؛ وهو: الموصول، والفعل، والفاعل، والمفعول. ثم الصفة؛ لأنّ الموصوفَ قائم بنفسه، وإنما أتى بالصفة للتوضيح. ثم الخبر؛ لانفصاله عن المبتدأ باعتبار أنه محكوم عليه.

ووجه التفاوت أن الصفةَ رتبة متوسطة بين الصلة والخبر؛ لأن الموصولَ وصلته كالكلمة الواحدة، ولهذا لا يفصل بينهما؛ والصفة دونها في ذلك؛ ولهذا

---

(١) سورة: النساء آية: ٩٥.

يكثر حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، والخبر دون ذلك، فكان الحذف آكد في الصلة من الصفة، لأن هناك شيئين يدلّان على الحذف؛ الصفة تستدعي موصوفاً، والعامل يستدعيه أيضاً.

ويستحسن ابنُ مالك هذا الكلام، ولم يتكلّم على الحال لرجوعه إلى الصفة.

١٧ ـ حذف المفعول

وهو ضربان:

١ ـ أحدهما:

أن يكون مقصوداً مع الحذف فينوَى لدليل؛ ويقدَّر في كلّ موضع ما يليق به؛ كقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[١] أي: يريده.

﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾[٢] أي: غشاها إياه.

﴿ٱللهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[٣].

﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾[٤].

﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَى﴾[٥].

﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٦].

وكلّ هذا على حذف ضمير المفعول، وهو مراد، حُذِف تخفيفاً لطول الكلام بالصفة؛ ولولا إرادةُ المفعول ـ وهو الضمير ـ لخَلَتِ الصلة من ضمير يعود على الموصول؛ وذلك لا يجوز؛ وكان في حكم المنطوق به؛ فالدلالة عليه من

---

(١) سورة: البروج آية: ١٦.
(٢) سورة: النجم آية: ٥٤.
(٣) سورة: الرعد آية: ٢٦.
(٤) سورة: هود آية: ٤٣.
(٥) سورة: النمل آية: ٥٩.
(٦) سورة: القصص آية: ٦٢.

وجهين: اقتضاء الفعل له، واقتضاء الصلة إذا كان العائد.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[1] في قراءة حمزة والكسائي بغير هاء، أي ما عملته، بدليل قراءة الباقين، فـ «ما» في موضع خفض للعطف على ﴿ثَمَرِهِ﴾.

ويجوز أن تكون «ما» نافية، والمعنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم؛ فيكون أبلغ في الامتنان. ويقوِّي ذلك قولُه تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ. أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّارِعُونَ﴾[2]؛ وعلى هذا فلا تكون الهاء مُرادة، لأنها غير موصولة.

وجعل بعضُهم منه قوله تعالى: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[3]، وهو فاسد، لأن «شرب» يتعدى بنفسه.

والغرض حينئذ بالحذف أمور:

منها: قصد الاختصار عند قيام القرائن؛ والقرائن إما حالية كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[4]، لظهور أن المراد: أرني ذاتك. ويحتمل أن يكون هابَ المواجهة بذلك، ثم بَراه الشوق. ويجوز أن يكون أَخّر ليأتي به مع الأصرح؛ لئلا يتكرر هذا المطلوب العظيم على المواجهة إجلالاً.

ومنه: قوله تعالى: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾[5]؛ الظاهر أنه متعد حذف مفعوله؛ أي تأجرني نفسك.

وجعل منه السكاكيّ قولَه تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾[6] فمن قرأ بكسر الدال من ﴿يُصْدِر﴾ فإنه حذف المفعول

---

(١) سورة: يسٓ آية: ٣٥.
(٢) سورة: الواقعة آية: ٦٣ ـ ٦٤.
(٣) سورة: المؤمنون آية: ٣٣.
(٤) سورة: الأعراف آية: ١٤٣.
(٥) سورة: القصص آية: ٢٧.
(٦) سورة: القصص آية: ١٢٣.

في خمسة مواضع، والأقرب أنه من الضرب الثاني كما سنبينه فيه إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَاتٍ﴾(١)، أي: أنفسكم.

وقوله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾(٢)، أي: فذوقوا العذاب.

وقوله: ﴿إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾(٣)، أي: ناساً أو فريقاً.

وقوله: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾(٤) أي: شيئاً.

وقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾(٥)، أي: غير السموات.

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾(٦)؛ على أن الدعاء بمعنى التسمية؛ التي تتعدى إلى مفعولين؛ أي: سمُّوه الله، أو سموه الرحمن؛ أيّاً ما تسمّوه، فله الأسماء الحسنى؛ إذ لو كان المراد بمعنى الدعاء المتعدي لواحدٍ لزم الشرك إن كان مسمّى الله غير مسمى الرحمٰن؛ وعطف الشيء على نفسه إن كان عينه.

ومنها: قصد الاحتقار كقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾(٧)؛ أي: الكفارَ.

ومنها: قصد التعميم؛ ولا سيما إذا كان في حَيِّز النفي، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾(٨).

وكذا ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٩).

وكثيراً ما يعتري الحذف في رؤوس الآي نحو: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(١٠).

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٩٨.
(٢) سورة: السجدة آية: ١٤.
(٣) سورة: إبراهيم آية: ٣٧.
(٤) سورة: البقرة آية: ٦١.
(٥) سورة: إبراهيم آية: ٤٨.
(٦) سورة: الإسراء آية: ١١٠.
(٧) سورة: المجادلة آية: ٢١.
(٨) سورة: يونس آية: ١٠١.
(٩) سورة: الأعراف آية: ٧٢.
(١٠) سورة: البقرة آية: ١٠٢.

و﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[1].

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾[2].

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[3].

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[4].

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[5].

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6].

وكذا كلّ موضع كان الغرض إثبات المعنى الذي دلّ عليه الفعل لفاعل غير متعلّق بغيره.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَامِ﴾[7] أي: كلَّ أحد؛ لأن الدعوة عامة والهداية خاصة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[8]، فكال ووزن يتعديان إلى مفعولين. أحدهما باللام، والتقدير: كالوا لهم ووزنوا لهم، وحذف المفعول الثاني لقصد التعميم.

وما ذكرناه من كون «هم» منصوباً في الموضع بعد حذف اللام هو الظاهر.

وقرره ابن الشجري في «أماليه»، قال: وأخطأ بعض المتأولين حيث زعم أن «هم» ضمير مرفوع أكدت به الواو كالضمير في قولك: «خرجوا هم»، فـ«هم» على هذا التأويل عائد على المطفّفين.

ويدلّ على بطلان هذا القول أمران:

---

(١) سورة: الأعراف آية: ٥٨.

(٢) سورة: القصص آية: ٢١.

(٣) سورة: القصص آية: ٧٢.

(٤) سورة: البقرة آية: ٧٧.

(٥) سورة: البقرة آية: ١٤.

(٦) سورة: البقرة آية: ٢٢.

(٧) سورة: يونس آية: ٢٥.

(٨) سورة: المطففين آية: ٣.

أحدهما: عدم ثبوت الألف في «كالوهم» و«وزنوهم»؛ ولو كان كما قال لأثبتوها في خط المصحف؛ كما أثبتوها في قوله تعالى: ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾(١)، ﴿قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ﴾(٢)، ونحوه.

والثاني: أن تقدم ذكر «النّاس» يدلّ على أنّ الضمير راجع إليهم؛ فالمعنى: ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾(٣) وإذا كالوا للناس أو وزنوا للناس يخسرون.

وجعل الزمخشريّ من حذف المفعول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٤)؛ أي: في المصر. وعند أبي عليّ أن الشهر ظرف، والتقدير: فمن شهد منكم المصر في الشهر.

ومنها: تقدم مثله في اللفظ؛ كقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا ٱللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾(٥)، أي: ويثبت ما يشاء.

فلما كان المفعول الثاني بلفظ الأول في عمومه واحتياجه إلى الصلة جاز حذفه، لدلالة ما ذكر عليه، كقوله:

﴿ٱدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ﴾(٦).

وقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ﴾(٧) أي: غير السموات.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾(٨)، أي: ومن أنفق من بعده وقاتل؛ بدليل ما بعده.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٤٣.
(٢) سورة: البقرة آية: ٢٤٦.
(٣) سورة: المطففين آية: ٢.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٨٥.
(٥) سورة: الرعد آية: ٣٩.
(٦) سورة: المؤمنون آية: ٩٦.
(٧) سورة: إبراهيم آية: ٤٨.
(٨) سورة: الحديد آية: ١٠.

وقوله: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾[1] أي أبصرهم، بدليل قوله: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾[2].

وسبق عن ابن ظَفر السرّ في ذكر المفعول في الأول وحذفه في الثاني في هذه الآية الشريفة أن الأولى اقتضت نزول العذاب بهم يوم بدر، فلما تضمنت التشفّي بهم قيل: ﴿أَبْصرهم﴾. وأما الثاني فالمراد بها يوم الفتح؛ واقترن بها مع الظهور عليهم تأمينهم والدعاء إلى إيمانهم؛ فلم يكن وقتاً للتشفي بل للبروز؛ فقيل له: ﴿أبصر﴾ والمعنى: فسيبصرون منّك عليهم.

وقوله: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾[3] أي: وعدكم ربكم؛ فحذف لدلالة قوله: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾[4]، قاله الزمخشري.

وقد يقال: أطلق ذلك ليتناول كلَّ ما وعدنا الله من الحساب، والبعث، والثواب، والعقاب، وسائر أحوال القيامة؛ لأنهم كانوا يكذِّبون بذلك أجمع، ولأن الموعود كلّه مما ساءهم؛ وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم، فأطلق لذلك ليكون من الضرب الآتي.

وقوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ﴾[5].

ومنها: رعاية الفاصلة، نحو: ﴿وَالضُّحَى. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[6] أي: ما قلاك، فحذف المفعول، لأن فواصل الآي على الألِف.

ويحتمل أنه للاختصار، لظهور المحذوف قبله؛ أي: أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه؟ فحذف لدلالة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ﴾[7].

---

(١) سورة: الصافات آية: ١٧٩.
(٢) سورة: الصافات آية: ١٧٥.
(٣) سورة: الأعراف آية: ٤٤.
(٤) سورة: الأعراف آية: ٤٤.
(٥) سورة: الزمر آية: ٢٢.
(٦) سورة: الضحى آية: ١ ـ ٣.
(٧) سورة: الزمر آية: ٢٢.

ومنها: البيان بعد الإبهام، كما في مفعول المشيئة والإرادة؛ فإنهم لا يكادون يذكرونه، كقوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾(1).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾(2).

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(3).

﴿فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾(4).

﴿مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ﴾(5).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾(6).

التقدير: لو شاء الله أن يفعل ذلك لفعل.

وشرط ابن النحوية(7) في حذفه دخول أداة الشرط عليه؛ كما سبق من قوله:

﴿فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾(8).

و﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾(9).

﴿مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(10).

---

(1) سورة: البقرة آية: ٢٠.

(2) سورة: الأنعام آية: ٣٥.

(3) سورة: النحل آية: ٩.

(4) سورة: الشورى آية: ٢٤.

(5) سورة: الأنعام آية: ٣٩.

(6) سورة: السجدة آية: ١٣.

(7) ابن النحوية، هو: محمد بن يعقوب بن إلياس، بدر الدين المعروف بابن النحوية. عالم بالعربية، من أهل دمشق. من مصنفاته: «شرح ألفية ابن معطي». وإسفار الصباح عن ضوء المصباح». و«شرح الكافية».

أنظر ترجمته: (الدرر الكامنة ٤/ ٢٨٥. وبغية الوعاة ١١٧. والأعلام ٧/ ١٤٦).

(8) سورة: الشورى آية: ٢٤.

(9) سورة: الأنفال آية: ٣١.

(10) سورة: الأنعام آية: ٣٩.

والحكمة في كثرة حذف مفعول المشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مثيلة الجواب؛ ولذلك كانت الإرادة كالمشيئة في جواز اطّراد حذف مفعولها؛ صرح به الزمخشري في تفسير سورة البقرة، وابن الزَّمْلكاني في «البرهان»، والتنوخي في «الأقصى»؛ كقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[1]، وإنما حذفه لأن في الآية قبلها ما يدلّ على أنهم أمِروا لكذب؛ وهو بزعمهم إطفاء نور الله، فلو ذكر أيضاً لكان كالمتكرر؛ فحذف وفسَّر بقوله: ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[2]؛ وكان في الحذف تنبيه على هذا المعنى الغريب.

وينبغي أن يتمهل في تقدير مفعول المشيئة؛ فإنه يختلف المعنى بحسب التقدير؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[3]، فإن التقديرَ كما قاله عبد القاهر الجرجاني: ولو شئنا أن نؤتِيَ كلَّ نفس هداها لآتيناها، لا يصحُّ إلا على ذلك؛ لأنه إن لم يقدر هذا المفعول أدّى والعياذ بالله إلى أمر عظيم، وهو نفي أن يكون لله مشيئة على الإطلاق؛ لأن من شأن «لو» أن يكون الإثبات بعدها نفياً، ألا ترى أنك إذا قلت: لو جئتني أعطيتك، كان المعنى على أنه لم يكن مجيء ولا إعطاء؛ وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾[4] فقدّره النحويون: فلم نشأ فلم نرفعه.

وقال ابنُ الخباز: الصواب أن يكونَ التقدير: «فلم نرفعه فلم نشأ»، لأنّ نفيَ اللازم يوجب نفيَ الملزوم، فوجود الملزوم يوجب وجود اللازم، فيلزم من وجود المشيئة وجودُ الرفع، ومَنْ نفى الرفع نفى المشيئة؛ وأما نفيُ الملزوم فلا يوجب نفيَ اللازم، ولا وجود اللازم وجود الملزوم. انتهى.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللهُ لَفَسَدَتَا﴾[5]، فإن المقصود

---

(١) سورة: الصف آية: ٨.
(٢) سورة: الصف آية: ٨.
(٣) سورة: السجدة آية: ١٣.
(٤) سورة: الأعراف آية: ١٧٦.
(٥) سورة: الأنبياء آية: ٢٢.

انتفاء وجود الآلهة لانتفاء لازمها وهو الفساد.

ويمكن توجيه كلام النحويين بأنهم جعلوا الأوّلَ شرطاً للثاني؛ لأنّهم عدّوا «لو» من حروف الشرط، وانتفاء الشرط يوجب انتفاء المشروط.

وقد يكون الشرط مساوياً للمشروط؛ بحيث يلزم من وجوده وجود المشروط، ومن عدمه عدمه.

والمقصود في الآية تعليل عدم الرفع بعدم المشيئة لا العكس.

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

جعل انتفاء الملزوم سبباً لانتفاء اللازم؛ لأن «كذبوا» ملزوم عدم الإيمان والتقوى؛ فأخذهم بذلك ملزوم عدم فتح بركات السماء والأرض عليهم.

والفاء في قوله ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ للسببية، وجعل التكذيب سبباً لأخذهم بكفرهم؛ ولعلّ ذلك يختلف باختلاف المواد ووقوع الأفراد، مع أن القول ما قاله ابن الخباز.

وأما ما جاء على خلافه فذلك من خصوص المادة، وذلك لا يقدح في القضية الكلية؛ ألا تري أنا نقول: الموجبة الكلية لا تنعكس كلية، مع أنها تنعكس كليّة في بعض المواضع، كقولنا: كل إنسان ناطق، ولا يعدّ ذلك مبطلاً للقاعدة.

تنبيهان:

التنبيه الأول:

يستثنى من هذه القاعدة ثلاثة أمور:

---

(١) سورة: الأعراف آية: ٩٦.

أحدها: ما إذا كان مفعول المشيئة عظيماً أو غريباً؛ فإنه لا يحذف، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ...﴾[1] الآية، أراد ردّ قول الكفار: «اتخذ الله ولداً» بما يطابقه في اللفظ؛ ليكونَ أبلغَ في الرد؛ لأنه لو حذفه فقال: «لو أراد الله لاصطفى» لم يظهر المعنى المراد؛ لأن الاصطفاء قد لا يكون بمعنى التبنّي، ولو قال: لو أراد الله لاتخذ ولداً لم يكن فيه ما في إظهاره من تعظيم جرم قائله.

ومثله صاحب كتاب «القول الوجيز في استنباط علم البيان من الكتاب العزيز» بقوله تعالى:

﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا﴾[2].

وقوله: ﴿فَإِنْ يَشَإِ ٱللهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[3].

و﴿مَنْ يَشَإِ ٱللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[4]. وفيما ذكره نظر.

قلت: يجيء الذكر في مفعول الإرادة أيضاً إذ كان كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً﴾[5].

الثاني: إذا احتيج لعود الضمير عليه، ؛ فإنه يُذكر، كقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْنَاهُ﴾[6]، فإنه لو حذف لم يبق للضمير ما يرجع عليه.

وقد يقال: الضمير لم يرجع عليه، وإنما عاد على معمول معموله.

الثالث: أن يكون السامع منكراً لذلك، أو كالمنكر، فيقصد إلى إثباته عنده، فإن لم يكن منكراً، فالحذف.

والحاصل: أن حذف مفعول «أراد» و«شاء» لا يذكر إلا لأحد هذه الثلاثة.

(١) سورة: الزمر آية: ٤.
(٢) سورة: الأنفال آية: ٣١.
(٣) سورة: الشورى آية: ٢٤.
(٤) سورة: الأنعام آية: ٣٩.
(٥) سورة: الأنبياء آية: ١٧.
(٦) سورة: الأنبياء آية: ١٧.

التنبيه الثاني:

أنكر الشيخ أبو حيان في باب: عوامل الجزم من شرح «التسهيل» هذه القاعدة وقال:

غلط البيانيون في دعواهم لزوم حذف مفعول المشيئة؛ إلا فيما إذا كان مستغرباً؛

وفي القرآن: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾(١). ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾(٢).

ولهم أن يقولوا: إن المفعول ها هنا عظيم؛ فلهذا صرّح به فلا غلط على القوم؛ وأما قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾(٣)؛ فإذا جعلت «ماذا» بمعنى «الذي»؛ فمفعول «أراد» متقدّم عليه، وإن جعلت «ذا» وحدها بمعنى «الذي» فيكون مفعول «أراد» محذوفاً؛ وهو ضمير «ذا» ولا يجوز أن يكون «مثلاً» مفعول «أراد» لأنه أحد معموليه ولكنه حال.

---

(١) سورة: التكوير آية: ٢٨.

(٢) سورة: المدثر آية: ٣٧.

(٣) سورة: البقرة آية: ٢٦.

فصـــل :

وقد كثر حذف مفعول أشياء غير ما سبق؛ منها الصبر، نحو:

﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾(١)،

﴿آصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾(٢).

وقد يذكر، نحو: ﴿وَآصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾(٣).

قال الزمخشري في تفسير سورة الحجرات: قولهم: صبر عن كذا(٤)، محذوف منه المفعول؛ وهو النفس.

ومنها: مفعول «رأى»، كقوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ آلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾(٥).

قال الفارسي: الوجه أنّ «يرى» هنا للتعدية لمفعولين؛ لأن رؤية الغائب لا تكون إلا علماً، والمعنى عليه قوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾(٦) وذكره العلم.

قال: والمفعولان محذوفان؛ فكأنه قال: فهو يرى الغائب حاضراً، أو حذف؛ كما حذف في قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(٧)، أي: تزعمونهم إياهم.

وقال ابن خروف: هو من باب الحذف لدليل؛ لأن المعنى دالّ على المفعولين؛ أي: فهو يعلم ما يفعله ويعتقده حقاً وصواباً، ولا فائدة في الآية مع الاقتصار، لأنه لا يُعلم منه المراد.

وقد ذهب إليه بعض المحققين وعدل عن الصواب.

ومنها: وَعَدَ يتعدى إلى مفعولين؛ ويجوز الاقتصار على أحدهما كأعطيت،

---

(١) سورة: الطور آية: ١٦.

(٢) سورة: آل عمران آية: ٢٠٠.

(٣) سورة: الكهف آية: ٢٨.

(٤) في الأصول: «عن هذا».

(٥) سورة: النجم آية: ٣٥.

(٦) سورة: الجن آية: ٢٦.

(٧) سورة: الأنعام آية: ٢٢.

قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾[1]، فـ «جانب» مفعول ثان، ولا يكون ظرفاً لاختصاصه. والتقدير واعدناكم إتيانه أو مكثاً فيه.

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾[2].

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾[3] فإحدى الطائفتين في موضع نصب؛ بأنه المفعول الثاني؛ وأنها لكم، بدل منه، والتقدير: وإذ يعدكم الله ثبات إحدى الطائفتين أو مِلْكها.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4] فلم يُعَدَّ فيها إلا إلى واحد، ﴿وليستخلفنهم﴾ تفسير للوعد ومبين له، كقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ﴾[5] فالجملة الثانية تبيين للوصية، لا مفعول ثان.

وأما قوله: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً﴾[6].

﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾[7].

فإنّ هذا ونحوه يحتمل أمرين: انتصاب الوعد بالمصدر، وبأنه المفعول الثاني على تسمية الموعود به وعداً.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[8] فمما تعدّى فيه «وَعَدَ» إلى اثنين، لأن «الأربعين» لو كان ظرفاً لكان الوعد في جميعه؛ يعني من حيث إنه معدود؛ فيلزم وقوعُ المظروف في كلّ فرد من أفراده، وليس الوعد واقعاً في «الأربعين» بل ولا في بعضها.

ثم قدّر الواحدي، وغيره: محذوفاً مضافاً إلى «الأربعين»، وجعلوه

---

(١) سورة: طه آية: ٨٠.
(٢) سورة: المائدة آية: ٩.
(٣) سورة: الأنفال آية: ٧.
(٤) سورة: النور آية: ٥٥.
(٥) سورة: النساء آية: ١١.
(٦) سورة: طه آية: ٨٦.
(٧) سورة: إبراهيم آية: ٢٢.
(٨) سورة: البقرة آية: ٥١.

المفعول الثاني، فقالوا: التقدير: وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين، أو تمام أربعين، ثم حذف وأقيم المضاف إليه مقامه.

قال بعضهم: ولم يظهر لي وجهُ عدولِهم عن كون «أربعين» هو نفس المفعول إلى تقدير هذا المحذوف؛ إلا أن يقال: نفس الأربعين ليلة لا توعد؛ لأنها واجبة الوقوع، وإنما المعنى على تعليق الوعد بابتدائها وتمامها، ليترتب على الانتهاء شيء.

قلت: وقال أبو البقاء[1]: ليس «أربعين» ظرفاً؛ إذ ليس المعنى وَعَده في أربعين.

وقال غيره: لا يجوز أن يكون ظرفاً؛ لأنه لم يقع الوعد في كل من أجزائه، ولا في بعضه.

ومنها: «اتخذ» تتعدى لواحد أو لاثنين فمن الأول قوله تعالى:

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾[2].

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾[3].

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾[4].

---

(١) أبو البقاء، هو: عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي، أبو البقاء، محب الدين. عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب. أصله من عكبرا (بليدة على دجلة) ولد عام (٥٣٨ هـ: ١١٤٣ م) ببغداد، وتوفي بها عام (٦١٦ هـ: ١٢١٩ م). أصيب في صباه بالجدري فعمي. من كتبه: «شرح ديوان المتنبي» و«اللباب في علل البناء والاعراب». و«التبيان في إعراب القرآن»، وهو «إملاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقرآن في القرآن» وغيرها.

أنظر ترجمته في: (نكت الهميان ١٧٨. والوفيات ١/ ٢٦٦. وبغية الوعاة ٢٨١. وآداب اللغة ٤٢/٣. والأعلام ٤/ ٨٠).

(٢) سورة: الأنبياء آية: ١٧.

(٣) سورة: الفرقان آية: ٣.

(٤) سورة: الزخرف آية: ١٦.

﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[١].

ومن الثاني: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾[٢].

﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[٣].

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾[٤].

والثاني من المفعولين هو الأول في المعنى.

قال الواحدي فأما قوله تعالى:

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[٥].

وقوله: ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾[٦] ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾[٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾[٨].

فالتقدير في هذا كلِّه: اتخذوه إلهاً، فحذف المفعول الثاني.

والدليل على ذلك أنه لو كان على ظاهره؛ لكان مَنْ صاغَ عجلاً أو نحوه، أو عمله بضرب من الأعمال، استحقّ الغضب من الله، لقوله: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[٩].

وفيما قاله نظر؛ لأن الواقع أن أولئك عبدوه؛ فالتقدير على هذا في المتعدي لواحد أنّ الذين اتخذوا العجل وعبدوه؛ ولهذا جوّز الشيخ أثير الدين في هذه الآيات كلِّها أن تكون «اتخذ» فيها متعدية إلى واحد.

قال: ويكون ثَمّ جملة محذوفة؛ تدل على المعنى؛ وتقديره: «وعبدتموه

---

(١) سورة: الفرقان آية: ٢٧.

(٢) سورة: المنافقون آية: ٢.

(٣) سورة: الممتحنة آية: ١.

(٤) سورة: المؤمنون آية: ١١٠.

(٥) سورة: البقرة آية: ٥١.

(٦) سورة: البقرة آية: ٥٤.

(٧) سورة: الأعراف آية: ١٤٨.

(٨) سورة: الأعراف آية: ١٥٢.

(٩) سورة: الأعراف آية: ١٥٢.

إلّهاً» ورجّحه على القول الآخر بأنها لو كانت متعدية في هذه القصة لاثنين لصرّح بالثاني ولو في موضع واحد.

٢ ـ الضرب الثاني:

ألّا يكون المفعول مقصوداً أصلاً؛ وينزَّل الفعل المتعدِّي منزلةَ القاصر؛ وذلك عند إرادة وقوع نفس الفعل فقط؛ وجعل المحذوف نسياً منسياً، كما ينسى الفاعل عند بناء الفعل، فلا يُذكر المفعول، ولا يُقدر؛ غير أنه لازم الثبوت عقلاً لموضوع كلّ فعل متعدّ، لأن الفعلَ لا يدري تعيينُه.

وبهذا يعلم أنه ليس كلُّ ما هو لازم من موضوع الكلام مقدراً فيه، كقوله تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾[1].

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[2]؛ لأنه لم يرد الأكل من معيّن، وإنما أرادَ وقوع هذين الفعلين.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، ويسمَّى المفعول حينئذٍ مماتاً.

ولما كان التحقيق أنه لا يعدّ هذا من المحذوف، فإنه لا حذف فيه بالكلّية؛ ولكن تبعناهم في العبارة؛ نحو: فلان يعطي؛ قاصداً أنه يفعل الإعطاء. وتوجد هذه الحقيقة إيهاماً للمبالغة بخلاف ما يقصد فيه تعميم الفعل؛ نحو: هو يعطي ويمنع؛ فإنه أعمّ تناولاً؛ من قولك: يعطي الدرهم ويمنعه؛ والغالب أنّ هذا يستعمل في النفي، كقوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[4].

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٤.
(٢) سورة: البقرة آية: ٦٠.
(٣) سورة: الزمر آية: ٩.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٧.

والآخر في الإثبات، كقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

ومن أمثلة هذا الضرب قوله تعالى: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[2].

وقوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾[3].

وقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾[4] إلخ الآية؛ حذف منها المفعول خمس مرات؛ لأنه غير مراد؛ وهو قوله ﴿يسقون﴾[5]، وقوله ﴿تذودان﴾[6] وقوله: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾[7] مواشيهم، ﴿فسقى لهما﴾ غنمهما.

وقوله: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾[8].

قيل: لو ذكر المفعول فيها نقص المعنى؛ والمراد أن الله تعالى له الإحياء والإماتة؛ وأن إلٰههم ليس له سمع ولا بصر، وأن موسى عليه السلام وجد قوماً يعانون السقي، وامرأتين تعانيان الذّوْد، وأخبرتاه أنا لا نستطيعُ السقي؛ فوجدا من موسى عليه السلام لهما السقي، ووجدَ من أبيهما مكافأة على السقي.

وهذا مما حُذِفَ لظهور المراد؛ وأن القصدَ الإعلام[9] بأنه كان من الناس في تلك الحالة سَقْي، ومن المرأتين ذَوْد، وأنهما قالتا: لا يكون منّا سقي حتى يُصْدِر الرعاء، وأنّ موسى سقى بعد ذلك، فأمّا أنّ المسقيّ غنمٌ أو إبل أو غيره فخارج عن المقصود؛ لأنه لو قيل: يذودان غنمهما لجاز أن يكون الإنكار لم يتوجه من موسى على الذَّوْد من حيث هو ذوْد؛ بل من حيث هو ذَودُ؛ حتى لو كان ذودَ إبل لم ينكره.

---

(١) سورة: الروم آية: ٢٤.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢٥٨.

(٣) سورة: مريم آية: ٤٢.

(٤) سورة: القصص آية: ٢٣.

(٥) سورة: الانسان آية: ١٧. وسورة: المطففين آية: ٢٥.

(٦) سورة: القصص آية: ٢٣.

(٧) سورة: القصص آية: ٢٣.

(٨) سورة: الأعراف آية: ٨٨.

(٩) في جـ: «وإن المقصود الإعلام».

واعلم أنّا جعلنا هذا من الضرب الثاني موافقة للزمخشري؛ فإنه قال: تُرِكَ المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي، ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم، ومسقيهم إبل. وكذلك قولهما: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَاءُ﴾، المقصود منه: السقي لا المسقي.

وجعله السكاكي من الضرب الأول؛ أعني: مما حُذِف فيه للاختصار مع الإرادة.

والأقرب قولُ الزمخشريّ، ورجح الجزريّ[1] قول السكاكي أنه للاختصار، فإن الغنم ليست ساقطة عن الاعتبار بالأصالة؛ فإن فيها ضعفاً عن المزاحمة، والمرأتان فيهما ضعف، فإذا انضمّ إلى ضعف المسقيّ ضعفُ الساقي، كان ذلك أدعى للرحمة والإعانة.

وكقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾[2].

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾[3].

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَىٰ﴾[4].

وإنما ذكر المفعول في قوله: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾[5]؛ لأن المراد جنسُ الزوجين فكأنه قال: يخلق كلّ ذكر وكل أنثى، وكان ذكره هنا أبلغ ليدلّ على عموم ثبوت الخلق له بالتصريح.

---

(١) الجزري، هو: محمد بن عبدالله، شمس الدين الجزري الشافعي. متأدب متفقه. من أهل الجزيرة. رحل إلى عدن، وتوفي عام (بعد ٦٦٠ هـ: بعد ١٢٦٢ م). من مصنفاته: «المختصر في الرد على أهل البدع».
أنظر: (تاريخ ثغر عدن ٢٢١. والأعلام ٦/ ٢٣٣).

(٢) سورة: الليل آية: ٥.

(٣) سورة: النجم آية: ٤٨.

(٤) سورة: النجم آية: ٤٣ ـ ٤٤.

(٥) سورة: النجم آية: ٤٥.

وليس منه قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾(١)، لوجود العِوَض من المفعول به لفظاً، أو هو المفعول به، وهو قوله: ﴿فِي ذُرِّيَّتِي﴾، ومعنى الدعاء به قصر الإصلاح له على الذرية؛ إشعاراً بعنايته بهم.

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٢)، أي: عاقبة أمركم؛ لأن سياق القول في التهديد والوعيد.

واعلم أن الغرض حينئذ بالحذف في هذا الضرب أشياء:

منها: البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة على ما سبق؛ نحو: أمرته فقام؛ أي: بالقيام.

وعليه قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾(٣) أي: أمرناهم بالفسق؛ وهو مجاز عن تمكينهم وإقدارهم.

ومنها: المبالغة بترك التقييد؛ نحو: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾(٤).

وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾(٥) ونفيُ الفعل غير متعلق أبلغُ من نفيه متعلقاً به؛ لأن المنفيّ في الأول نفس الفعل؛ وفي الثاني متعلّقة.

تنبيه:

قد يلحظ الأمران؛ فيجوز الاعتباران؛ كقوله تعالى: ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ﴾(٦) أجاز الزمخشري في حذف المفعول منه الوجهين(٧).

وكذلك في قوله في آخر سورة الحج: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ﴾(٨).

---

(١) سورة: الأحقاف آية: ١٥.
(٢) سورة: التكاثر آية: ٣ ـ ٤.
(٣) سورة: الإسراء آية: ١٦.
(٤) سورة: يونس آية: ٥٦.
(٥) سورة: يسٓ آية: ٩.
(٦) سورة: الحجرات آية: ١.
(٧) أنظر: (الكشاف، للزمخشري ٤/ ٢٧٧).
(٨) سورة: الحج آية: ٧٨.

١٨ ـ حذف الحال

كقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[١]، أي: قائلين سلام عليكم.

قال ابن أبي الربيع: اعلم أنّ العرب قد تحذف الحال إذا كانت بالفعل لدلالة مصدر الفعل عليه؛ فتقول: قتلته صبراً، وأتيته ركضاً.

قال تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً﴾[٢]، فدأبا يقدر بالفعل؛ تقديره: «تدأبون»، وتدأبون في موضع الحال.

قال أبو علي[٣]: لا خلاف بين سيبويه، وأبي العباس في الحال المحذوف الذي المصدر منصوب به، وإنما الخلاف بينهما في القياس، فسيبويه يذهب إلى السماع ولا يقيس، والأخفش، والمبرّد: يقيسان.

---

(١) سورة: الرعد آية: ٢٣.

(٢) سورة: يوسف آية: ٤٧.

(٣) أبو علي، هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي. أحد الأئمة من علم العربية. ولد في فسا (من أعمال فارس) عام (٢٨٨ هـ: ٩٠٠ م). ودخل بغداد عام ٣٠٧ هـ وتجول في كثير من البلدان. ومات سنة (٣٧٧ هـ: ٩٨٧ م). من مصنفاته «الإيضاح» و«التذكرة». و«تعاليق سيبويه». و«الشعر». و«الحجة». و«جواهر النحو» و«الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني» و«المقصور والممدود». وغيرها.

أنظر ترجمته في: (وفيات الأعيان ١/ ١٣١ . وتاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥. وإنباه الرواة ١/ ٢٧٣).

١٩ ـ حذف المنادى

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَاسْجُدُوا﴾(١)، على قراءة الكسائيّ بتخفيف «أَلَا» على أنها تنبيه و«يا» نداء، والتقدير ألا يا هؤلاء اسجدوا لله. ويجوز أن يكون «يا» تنبيهاً ولا منادى هناك، وجُمع بينهنّ تأكيداً؛ لأنّ الأمر قد يحتاج إلى استعطاف المأمور واستدعاء إقباله على الآمر.

وأما على قراءة الأكثر بالتشديد؛ فعلى أنّ أن الناصبة للفعل دخلت عليها لا النافية، والفعلُ المضارع بعدها منصوب؛ وحذفت النون علامة النصب، فالفعل هنا معرب، وفي تلك القراءة مبنيّ، فأعرفه.

فائدة:

كَثُر في القرآن حذفُ الياء من المنادى المضاف إلى يا المتكلم؛ نحو: يا ربِّ، يا قومِ؛ وعلِّل ذلك بأن النداء باب حذف.

ألا ترى أنه يحذف منه التنوين وبعض الاسم للترخيم.

وجاء فيه إثباتها ساكنة، كقراءة مَنْ قرأ: ﴿يَا عِبَادِي فَاتَّقُونِ﴾(٢).

ومحركة بالفتح؛ كقراءة من قرأ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى

---

(١) سورة: النمل آية: ٢٥.

(٢) سورة: الزمر آية: ١٦.

أَنفُسِهِمْ﴾[1].

ومنقلبة عن الياء في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ﴾[2].

(١) سورة: الزمر آية: ٥٣.

(٢) سورة: الزمر آية: ٥٦.

٢٠ ـ حذف الشرط

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ﴾(١)، أي: إن قلت لهم: أقيموا يقيموا.

وجعل منه الزمخشري: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ ٱللهُ وَعْدَهُ﴾(٢).

وجعل أبو حيان منه: قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ ٱللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٣) أي: إن كنتم آمنتم بما أُنْزِلَ إليكم فلم تقتلون؟

وجواب «إن كنتم» محذوف دلّ عليه ما تقدم، أي: فلم فعلتم؟ وكرر الشرط وجوابه مرتين للتأكيد؛ إلا أنه حُذِفَ الشرط من الأول وبقي جوابه، وحُذِف الجواب من الثاني وبقيَ شرطه. انتهى.

وهو حسن، إلا أنه قد كان خالف الزمخشري؛ وأنكر قوله بحذف الشرط في: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾(٤) وفي: ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾(٥)، وقال: إنّ الشرط لا يحذف في غير الأجوبة، والآن قد رجع إلى موافقته.

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ ٱللهِ إِلَى يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٦)، تقديره إن كنتم

---

(١) سورة: إبراهيم آية: ٣١.
(٢) سورة: الحج آية: ٤٧.
(٣) سورة: البقرة آية: ٦٠.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٨٧.
(٥) سورة: البقرة آية: ٦٠.
(٦) سورة: الروم آية: ٦٥.

منكرين فهذا يوم البعث؛ أي: فقد تبيّنَ بطلان إنكاركم.

وقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُم وَلَٰكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾[1]، بمعنى: إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم، فعدلَ عن الافتخار بقتلهم، فحذف لدلالة الفاعلية.

وقوله: ﴿فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾[2]؛ تقديره: إن أرادوا أولياء فالله هو الوليّ بالحق، لا وليَّ سواه.

---

(١) سورة: الأنفال آية: ١٧.

(٢) سورة: الشورى آية: ٩.

٢١ ـ حذف جواب الشرط

قوله: ﴿إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾[١]؛ أي: أفلستم ظالمين؟ بدليل قوله عقبه: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

وقدّره البغويّ: مَن المحق منّا ومَن المبطل؟ ونقله عن أكثر المفسرين.

ومن حذف جواب الفعل: ﴿اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾[٣]، تقديره: «فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم»، والفاء العاطفة على الجواب المحذوف هي المساة عندهم بالفاء الفصيحة.

وقال صاحب «المفتاح»: وانظر إلى الفاء الفصيحة في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[٤] كيف أفادت: «ففعلْتُم فتاب عليكم»!

وقوله: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[٥]؛ تقديره: فضربوه فحيي ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى﴾.

وقال صاحب «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً

---

(١) سورة: الأحقاف آية: ١٠.

(٢) سورة: الأحقاف آية: ١٠.

(٣) سورة: الفرقان آية: ٣٦.

(٤) سورة: البقرة آية: ٥٤.

(٥) سورة: البقرة آية: ٧٣.

﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لله ٱلَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾(1) تقديره: فعملا به وعلّماه، وعرفا حق النّعمة فيه والفضيلة ﴿وَقَالَا الحمدُ لِلهِ﴾(2).

وقال السكاكيّ: هو إخبارٌ عمّا صنع بهما وعمّا قالاه؛ حتى كأنه قيل: نحن فعلنا إيتاء العلم؛ وهما فعلا الحمد، تعريضاً لاستثارة الحمد على إيتاء العلم إلى فهم السامع، مثله «قم يدعوك» بدل «قم فإنه يدعوك».

---

(1) سورة: النمل آية: ١٥.
(2) سورة: النمل آية: ١٥.

٢٢ ـ حذف الأجوبة

ويكثر ذلك في جواب لو، ولولا، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ﴾[١].

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[٢].

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[٣].

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾[٤].

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[٥].

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ﴾[٦].

تقديره في هذه المواضع «لرأيت عجباً»، أو «أمراً عظيماً»، «ولرأيت سوء منقلبهم»، أو «لرأيت سوء حالهم».

والسرّ في حذفه في هذه المواضع أنها لما ربطت إحدى الجملتين

---

(١) سورة: الأنعام آية: ٢٧.
(٢) سورة: الأنعام آية: ٣٠.
(٣) سورة: سبإ آية: ٣١.
(٤) سورة: الأنفال آية: ٥٠.
(٥) سورة: السجدة آية: ٣١.
(٦) سورة: الأنعام آية: ٩٣.

بالأخرى حتى صارا جملة واحدة، أوجب ذلك لها فضلاً وطولاً؛ فخفف بالحذف؛ خصوصاً مع الدلالة على ذلك.

قالوا: وحذف الجواب يقع في مواقع التفخيم والتعظيم، ويجوز حذفه لعلم المخاطَب به؛ وإنما يحذف لقصد المبالغة، لأن السامع مع أقصى تخيّله يذهب منه الذهن كلَّ مذهب؛ ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرّح به فلا يكون له ذلك الوقع، ومن ثَمَّ لا يحسن تقدير الجواب مخصوصاً إلا بعد العلم بالسياق؛ كما قدر بعض النحويين في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ...﴾[1] الآية.

فقال: تقديره: لكان هذا القرآن وحكاه أبو عمرو الزاهد في «الياقوتة» عن ثعلب، والمبرّد؛ وهو مردود؛ لأن الآية ما سيقت لتفضيل القرآن، بل سيقت في معرض ذم الكفار، بدليل قوله قبلها: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[2]، وبعدها: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَهَدَىٰ النَّاسَ جِمِيعاً﴾[3] فلو قدر الخبر «لما آمنوا به» لكان أشدّ.

ونقل الشيخ محيي الدين النووي في كتاب «رءوس المسائل» كون الجواب «كان هذا القرآن»، عن الأكثرين. وفيه ما ذكرت.

وقيل تقديره: لو قضيت أنه لا يقرأ القرآن على الجبال إلّا سارت ورأوا ذلك، لما آمنوا.

وقيل: جواب «لو» مقدم، معناه: يكفرون بالرحمن ولو أن قرآناً سيرت به الجبال، وهذا قول الفراء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ

(١) سورة: الرعد آية: ٣١.
(٢) سورة: الرعد آية: ٣٠.
(٣) سورة: الرعد آية: ٣١.

سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللهِ﴾[1]، محذوف، والتقدير: لنفدت هذه الأشياء وما نفدت كلمات الله ويحتمل أن يكون «ما نفدت» هو الجواب مبالغة في نفي النفاد؛ لأنه إذا كان نفيُ النفاد لازماً على تقدير كون ما في الأرض من شجرة أقلاماً والبحر مداداً لكان لزومها على تقدير عدمها أولى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾[2]. فإنه قد قيل: ظاهره نفيُ وجود الهمّ منهم بإضلاله، وهو خلاف الواقع؛ فإنهم همّوا وردّوا القول.

وقيل: قوله: ﴿لَهَمَّتْ﴾ ليس جواب «لو» بل هو كلام تقدم على «لو»، وجوابها مقول على طريق القسم، وجواب «لو» محذوف تقديره ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾[3] لولا فضل الله عليك لأضلُّوك.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[4]، أي: همت بمخالطته، وجواب «لولا» محذوف؛ أي لولا أن رأى برهان ربه لخالطها.

وقيل: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها؛ والوقف على هذا ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾، والمعنى: أنه لم يهمَّ بها.

ذكره أبو البقاء. والأوّل للزمخشري[5].

ولا يجوز تقديم جواب «لو» عليها لأنه في حكم الشرط، وللشرط صدر الكلام.

وقوله: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾[6] جواب الشَّرْط محذوف؛ يدل عليه قوله: ﴿إنا لمهتدون﴾ أي: إن شاء الله اهتدينا. وقد توسّط الشرط هنا بين جزأي

---

(١) سورة: لقمان آية: ٢٧.

(٢) سورة: النساء آية: ١١٣.

(٣) سورة: النساء آية: ١١٣.

(٤) سورة: يوسف آية: ٢٤.

(٥) أنظر: (إملاء ما من به الرحمن، للعكبري ٢٨. والكشاف للزمخشري ٢/ ٣٥٥).

(٦) سورة: البقرة آية: ٧٠.

الجملة بالجزاء؛ لأن التقديمَ على الشرط، فيكون دليل الجواب متقدماً على الشرط؛ والذي حسّن تقديم الشرط عليه الاهتمام بتعليق الهداية بمشيئة الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾[1]، تقديره: لما استعجلوا فقالوا متى هذا الوعد.

وقال الزجاج: تقديره «لعلموا صدق الوعد» لأنهم قالوا: متى هذا الوعد، وجعل الله الساعة موعدهم فقال تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾[2].

وقيل: تقديره «لما أقاموا على كفرهم ولندموا أو تابوا».

وقوله في سورة التكاثر: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾[3].

تقديره لما: أَلْهَاكم التَّكاثر.

وقيل: تقديره: لشغلكم ذلك عما أنتم فيه.

وقيل: لرجعتم عن كفركم أو لتحققتم مصداق ما تحذرونه.

وقوله: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً﴾[4] أي: لا يتبعونهم.

وقوله: ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5] تقديره: «لآمنتم»، أو «لما كفرتم»، أو «لزهدتم في الدنيا»، أو «لتأهبتم للقائنا».

ونحوه: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾[6] أي: يهتدون في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة، أو لما اتبعوهم.

---

(١) سورة: الأنبياء آية: ٣٩.

(٢) سورة: الأنبياء آية: ٤٠.

(٣) سورة: التكاثر آية: ١ ـ ٥.

(٤) سورة: البقرة آية: ١٧٠.

(٥) سورة: المؤمنون آية: ١١٤.

(٦) سورة: القصص آية: ٦٤.

وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[1].

قال محمد بن إسحاق: معناه لو أنّ لي قوة لحلْتُ بينكم وبين المعصية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾[2]، أي: رأيت ما يعتبَر به عبرة عظيمة.

وقوله عقب آية اللعان: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[3].

قال الواحدي: قال الفراء: جواب «لو» محذوف لأنه معلوم المعنى، وكلُّ ما عُلِم فإن العرب تكتفي بترك جوابه؛ ألا ترى أن الرجل يشتم الرجلَ، فيقول المشتوم: أما والله لولا أبوك... فيُعلم أنك تريد: لشتمتك.

وقال المبرّد: تأويله والله أعلم: لهلكتم، أو لم يبق لكم باقية، أو لم يصلح أمركم، ونحوه من الوعيد الموجِع، فحذِفَ لأنه لا يُشْكِل.

وقال الزجاج: المعنى لنا الكاذبَ منكم أمر عظيم؛ وهذا أجود مما قدّره المبرد.

وكذلك «لولا» التي بعدها في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[4].

جوابها محذوف؛ وقدره بعضُهم في الأولى: لافتضَح فاعل ذلك؛ وفي الثانية: لعجّل عذاب فاعل ذلك؛ وسوّغ الحذفَ طولُ الكلام بالمعطوف، والطول داع للحذف.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا

---

(1) سورة: هود آية: ٨٠.

(2) سورة: سبإ آية: ٥١.

(3) سورة: النور آية: ١٠.

(4) سورة: النور آية: ٢٠.

أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾[1].

جوابها محذوف، أي: لولا احتجاجهم بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة.

وقال مقاتل: تقديره لأصابتهم مصيبة.

وقال الزجاج: لولا ذلك لم يحتج إلى إرسال الرسول ومواترة الاحتجاج.

وقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾[2]، أي: لأبدت.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾[3]، تقديره: لو تملكون، [تملكون][4] فأضمر «تملك» الأولى على شريطة التفسير، وأُبْدِل من الضمير المتصل، الذي هو «الواو» ضمير منفصل، وهو «أنتم» لسقوط ما يتصل به من الكلام، فـ «أنتم» فاعلُ الفعل المضمر، «وتملكون» تفسيره.

قال الزمخشري: هذا ما يقتضيه الإعراب؛ فأما ما يقتضيه علم البيان، فهو أنّ [أنتم][5] تملكون فيه دلالة على الاختصاص، وأن الناس هم المختصون بالشحّ المتتابع؛ وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسّر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر.

ومن حذف الجواب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[6]، أي: أعرضوا، بدليل قوله بعده: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[7].

---

(١) سورة: القصص آية: ٤٧.
(٢) سورة: القصص آية: ١٠.
(٣) سورة: الإسراء آية: ١٠٠.
(٤) ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصول، وانظر: (الكشاف ٢/ ٥٤٣).
(٥) ساقط من الأصول. راجع المرجع السابق والصفحة.
(٦) سورة: يسٓ آية: ٤٥ ـ ٤٦.
(٧) سورة: يسٓ آية: ٤٦.

وقوله في قصة إبراهيم في الحِجْر: ﴿فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾[1]، وفي غيرها من السور: ﴿قَالُوا سَلَاماً﴾[2]، ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾[3].

قال الكرماني: لأن هذه السورة متأخرة عن الأولى، فاكتفى بما في هذه؛ ولو ثبت تعدّد الوقائع لنزلت على واقعتين.

وكقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[4].

قال الزمخشري: حذف الجواب، وتقديره مصرّح به في سورتي التكوير والانفطار، وهو قوله ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾[5].

وقال في: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾[6]: الجواب: محذوف، أي: أنهم ملعونون، يدلّ عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[7].

وكقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُها﴾[8]، أي: «حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها»، والواو واو حال.

وفي هذا ما حكيَ أنه: اجتمع أبو علي الفارسي مع أبي عبد الله الحسين ابن خالويه في مجلس سيف الدولة، فسئل ابن خالويه عن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[9] في النار بغير واو، وفي الجنة بالواو؟

فقال ابن خالويه: هذه الواو تسمّى واو الثمانية؛ لأن العرب لا تعطف الثمانية إلا بالواو.

قال: فنظر سيف الدولة إلى أبي عليّ، وقال: أحق هذا؟

فقال أبو عليّ: لا أقول كما قال؛ إنما تركت الواو في النار، لأنها مغلقة،

---

(1) سورة: الحجر آية: ٥٢.
(2) سورة: الفرقان آية: ٦٣.
(3) سورة: الذاريات آية: ٢٥.
(4) سورة: الانشقاق آية: ١.
(5) سورة: التكوير آية: ١٤.
(6) سورة: البروج آية: ١.
(7) سورة: البروج آية: ٤.
(8) سورة: الزمر آية: ٣٧.
(9) سورة: الزمر آية: ٧٣.

وكان مجيئهم شرطاً في فتحها، فقوله: ﴿فُتِحَتْ﴾ فيه معنى الشرط، وأما قوله: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ في الجنة، فهذه واو الحال، كأنه قال: جاءوها وهي مفتحة الأبواب؛ أو هذه حالها.

وهذا الذي قاله أبو علي هو الصواب، ويشهد له أمران:

أحدهما: أن العادة مطّردة شاهدة في إهانة المعذبين بالسجون، من إغلاقها حتى يردُوا عليها، وإكرام المنعمين بإعداد فتح الأبواب لهم مبادرة واهتماماً.

والثاني: النظير في قوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ ٱلْأَبْوَابُ﴾[1].

وللنحويين في الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الواو زائدة، والجواب: قوله «فتحت» وهؤلاء قسمان: منهم من جعل هذه الواو مع أنها زائدة واو الثمانية، ومنهم من لم يثبتها.

والثاني: أن الجواب محذوف عطف عليه قوله: ﴿وفُتِحَتْ﴾ كأنه قال «حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا جاءوها[2] وَفُتِحَتْ».

قال الزجاج وغيره: وفي هذا حذف المعطوف وإبقاء المعطوف عليه.

والثالث: أن الجواب محذوف آخر الكلام؛ كأنه قال بعد الفراغ: استقروا، أو خلّدوا، أو استووا؛ مما يقتضيه المقام؛ وليس فيه حذف معطوف. ويحتمل أن يكون التقدير: إذا جاءوها أُذِنَ لهم في دخولها وفتحت أبوابها؛ المجيء ليس سبباً مباشراً للفتح؛ بل الإذن في الدخول هو السبب في ذلك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ ٱللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[3] أي:

---

(١) سورة: صٓ آية: ٥٠.

(٢) «جاءوها» ساقط من الأصول.

(٣) سورة: التوبة آية: ١١٨.

رحمهم ثم تاب عليهم؛ وهذا التأويل أحسن من القول بزيادة «ثم».

وحَذْف المعطوف عليه وإبقاء المعطوف سائغ، كقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَا إِلَىٰ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً﴾[1].

التقدير والله أعلم: فذهبا فبلّغا، فكُذِّبا فدمرناهم؛ لأن المعنى يرشد إلى ذلك.

وكذا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[2]، أي: فامتثلتم، أو فعلتم فتاب عليكم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[3]، أي: رُحِمَا وسُعِدَا وتلّه. وابن عطية يجعل التقدير: فلما أسلما أسلما؛ وهو مشكل.

وقوله: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا﴾[4]، المعنى: حتى إذا كان ذلك ندم الذين كفروا ولم ينفعهم، إيمانهم؛ لأنه من الآيات والأشراط.

وقد يجيء في الكلام شرطان؛ ويحذف جواب أحدهما اكتفاء بالآخر كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ﴾[5] في الاعتراض به مجرى الظرف؛ لأنَّ الشرطَ وإن كان جملة؛ فإنه لما لم يقم بنفسه جرى مجرى الجزء الواحد، ولو كان عنده جملة لما جاز الفصل به بين «أما» وجوابها، لأنه لا يجوز: أما زيد فمنطلق؛ وذهب الأخفش إلى أن الفاء جواب لهما.

ونظيره: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ ٱللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُم﴾[6] فقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب للولا ولو جميعاً.

---

(١) سورة: الفرقان آية: ٣٦.
(٢) سورة: البقرة آية: ٥٤.
(٣) سورة: الصافات آية: ١٠٣.
(٤) سورة: الأنبياء آية: ٩٧.
(٥) سورة: الواقعة آية: ٩٠.
(٦) سورة: الفتح آية: ٢٥.

واختار ابن مالك قول سيبويه أن الجواب «لأمّا» واستغنى به عن جواب «إن» لأن الجواب لأول الشرطين المتواليين في قوله:

﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾[1] ونظائره.

فإذا كان أول الشرطين «أما» كانت أحق بذلك لوجهين:

أحدهما: أنَّ جوابها إذا انفردت لا يحذف أصلاً؛ وجواب غيرها إذا انفرد يحذف كثيراً. لدليل؛ وحذف ما عُهِد حذفُه أوْلَى من حذف ما لم يعهد.

والثاني: أن «أما» قد التزم معها حذف فعل الشرط، وقامت هي مقامه، فلو حذف جوابها لكان ذلك إجحافاً، وإن ليست كذلك. انتهى.

والظاهر أنه لاحذف في الآية الكريمة، وإنما الشرط الثاني وجوابه جواب الأول، والمحذوف إنما هو أحد الفاءين.

وقال الفارسيّ في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ...﴾[2] الآية: إنه حذف منه: أعزّنا ولا تذلّنا.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[3] تقديره «فكيف تجدونهم مسرورين» أو «محزونين»، فـ «كيف» في موضع نصب بهذا الفعل المضمر، وهذا الفعل المضمر قد سدّ مسدّ جواب إذا.

(١) سورة: هود آية: ٣٤.
(٢) سورة: آل عمران آية: ٢٦.
(٣) سورة: النساء آية: ٦٢.

٢٣ ـ حذف جواب القسم

لِعلم السامع المراد منه، كقوله تعالى:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً. وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً. وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً. فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً. فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً. يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾[١]

تقديره: لَتبعثنّ ولتحاسبنّ، بدليل إنكارهم للبعث في قولهم: ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾[٢].

وقيل: القسم وقع على قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[٣].

وكقوله تعالى: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾[٤] وحذف لدلالة الكلام السابق عليه.

واختلف في جواب القسم في: ﴿صٓ وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلذِّكْرِ﴾[٥].

فقال الزجّاج: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾[٦]، واستبعده الكسائي.

وقال الفراء: قد تأخر كثيراً وجرت بينهما قصص مختلفة، فلا يستقيم ذلك في العربية.

---

(١) سورة: النازعات آية: ١ ـ ٦.

(٢) سورة: النازعات آية: ١٠.

(٣) سورة: النازعات آية: ٢٦.

(٤) سورة: طه آية: ٧٢.

(٥) سورة: صٓ آية: ١.

(٦) سورة: صٓ آية: ٦٤.

وقيل: ﴿كم أهلكنا﴾[1] ومعناه: لَكَمْ أهلكنا، وما بينهما اعتراض، وحذفت اللام لطول الكلام.

وقال الأخفش: ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾[2] والمعترِض بينهما قصة واحدة.

وعن قتادة: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾[3].

مثل: ﴿قٓ. وَٱلْقُرْآنِ ٱلْمَجِيدِ. بَلْ عَجِبُوا﴾[4].

وقال صاحب «النظم» في هذا القول: «بل» توكيد الأمر بعده؛ فصار مثل أنّ الشديدة تُثبت ما بعدها، وإن كان لها معنى آخر في نفي خبر متقدم؛ كأنه قال: إن الذين كفروا في عزة وشقاق.

وقال أبو القاسم الزجّاجي[5]: إن النحويين قالوا: إن «بل» تقع في جواب القسم كما تقع «إنّ» لأن المراد بها توكيد الخبر؛ وذلك في ﴿صٓ والقرآن...﴾[6] الآية. وفي ﴿قٓ. والقرآن...﴾[7] الآية؛ وهذا من طريق الاعتبار، ويصلح أن يكون بمعنى «إنّ» لأنه سائغ في كلامهم؛ أو يكون «بل» جواباً للقسم؛ لكن لما كانت متضمّنة رفع خبر وإتيان خبر بعده كانت أوكد من

(١) سورة: صٓ آية: ٣.
(٢) سورة: صٓ آية: ١٤.
(٣) سورة: صٓ آية: ٢.
(٤) سورة: قٓ آية: ١ ـ ٢.
(٥) الزجاجي، هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج. عالم بالنحو واللغة. ولد عام (٢٤١ هـ ـ ٨٥٥ م) ببغداد، وتوفي بها عم (٣١١ هـ: ٩٢٣ م). كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو فعلمه المبرد.
من مصنفاته: «معاني القرآن» و«الاشتقاق» و«خلق الانسان» و«الأمالي». و«فعلت وأفعلت» و«المثلث». و«إعراب القرآن».
أنظر ترجمته في: (معجم الأدباء ١/ ٤٧. ونزهة الألبا ٣٠٨. وإنباه الرواة ١/ ١٥٩. وآداب اللغة ١/ ١٨١. وتاريخ بغداد ٦/ ٨٩. وابن خلكان ١/ ١١. والأعلام ١/ ٤٠).
(٦) سورة: صٓ آية: ١.
(٧) سورة: قٓ آية: ١.

سائر التوكيدات، فحسن وضعها موضع «إن».

وقيل: الجواب محذوف، أي: والقرآن المجيد، ما الأمرُ كما يقول هؤلاء. أو الحق ما جاء به النبي ﷺ.

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[1] جوابه محذوف؛ أي: فيومئذ يلاقي حسابه.

وعن قتادة أن جوابه: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[2] يعني: أن الواو فيها بمعنى السقوط، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ﴾[3]، أي: ناديناه.

---

(١) سورة: الانشقاق: آية: ١.

(٢) سورة: الانشقاق آية: ٢.

(٣) سورة: الصافات آية: ١٠٣ ـ ١٠٤.

٢٤ ـ حذف الجملة

هي أقسام: قسم هي مسببة عن المذكور، وقسم هي سبب له، وقسم خارج عنهما.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَاطِلَ﴾[1] فإن اللام الداخلة على الفعل لا بد لها من متعلّق، يكون سبباً عن مدخول اللام، فلما لم يوجَد لها متعلّق في الظاهر وجب تقديره ضرورة، فيقدر: فَعلَ ما فعل ليُحِق الحق.

والثاني: كقوله تعالى: ﴿فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[2]، فإن الفاء، إنما تدخل على شيء مسبّب عن شيء، ولا مسبَّب إلا له سبب، فإذا وُجد المسبب ـ ولا سبب له ظاهراً ـ أوجب أن يقدّر ضرورة، فيقدر: فضربه فانفجر.

والثالث: كقوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ﴾[3] أي: نحن هم، أو هم نحن.

وقد يكون المحذوف أكثر من جملة كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ. يُوسُفُ...﴾[4] الآية، فإن التقدير: «فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه إليك لذلك، فجاء فقال له: يا يوسف»، وإنما قلنا: إنّ هذا الكل محذوف؛ لأن قوله: ﴿أَرْسِلُونِ﴾ يدل لا محالة على المرسل إليه، فثبت أن «إلى

(١) سورة: الأنفال آية: ٨.
(٢) سورة: البقرة آية: ٦٠.
(٣) سورة: الذاريات آية: ٤٨.
(٤) سورة: يوسف آية: ٤٥ ـ ٤٦.

يوسف» محذوف. ثم إنه لما طُلِبَ الإرسال إلى يوسف عند العجز الحاصل للمعبّرين عن تعبير رؤيا الملك دلّ على أن المقصود من طلب الإرسال إليه استعباره الرؤيا التي عجزوا عن تعبيرها.

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ...﴾[1] الآية، فأعقب بقوله حكاية عنها: ﴿قَالَتْ يَٰأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[2] تقديره: فأخذ الكتاب فألقاه إليهم، فرأته بلقيس، وقرأته، و﴿قَالَتْ يَٰأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾[3].

وقوله: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[4]، حذف يطول، تقديره: فلما ولد يحيى ونشأ وترعرع قلنا: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[5].

ومنه: قوله تعالى حكاية عن قوم موسى: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ. قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[6].

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ﴾ إلى قوله ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾[7].

وقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾[8] أي: كمن قسا قلبه تُرِكَ على ظلمه وكفره؛ ودل على المحذوف قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[9].

ومن حذف الجملة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[10].

---

(١) سورة: النمل آية: ٢٨.
(٢) سورة: النمل آية: ٢٩.
(٣) سورة: النمل آية: ٢٨.
(٤) سورة: مريم آية: ١٢.
(٥) سورة: مريم آية: ١٢.
(٦) سورة: طه آية: ٩١ ـ ٩٣.
(٧) سورة: النمل آية: ٤٠ ـ ٤١.
(٨) سورة: الزمر آية: ٢٢.
(٩) سورة: الزمر آية: ٢٢.
(١٠) سورة: البقرة آية. ٣٠.

قيل: المعنى جاعل في الأرض خليفة يفعل كذا وكذا؛ وإلا فمن أين علم الملائكة أنهم يفسدون!؟ وباقي الكلام يدل على المحذوف.

وقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1].

قال الفارسي: المعنى: فكما كَرِهْتموه فاكرهوا الغيبة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، عطف على قوله: «فاكرهوا» وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه؛ كقوله تعالى: ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾[2]، أي: فضرب فانفجرت. فقوله: ﴿كرهتموه﴾ كلام مستأنف، وإنما دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الجواب؛ لأن قولـه: ﴿أيحب أحدكم﴾ كأنهم قالوا في جوابه: لا، فقال: فكرهتموه؛ أي: فكما كرهتموه فاكرهوا الغيبة.

قال ابن الشجري: وهذا التقدير بعيد؛ لأنه قدر المحذوف موصولاً، وهو «ما» المصدرية، وحذف الموصول، وإبقاء صلته ضعيف؛ وإنما التقدير: فهذا كرهتموه؛ والجملة المقدرة المحذوفة ابتدائية لا أمرية؛، والمعنى: فهذا كرهتموه والغيبة مثله؛ وإنما قدرها أمرية ليعطف عليها الجملة الأمرية، في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

---

(١) سورة: الحجرات آية: ١٢.

(٢) سورة: البقرة آية: ٦٠.

٢٥ ـ حذف القول

قد كثر في القرآن العظيم حتى إنه في الإضمار بمنزلة الإظهار، كقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ ٱللهِ زُلْفَىٰ﴾[1]، أي: يقولون: ما نعبدهم إلا للقربة.

ومنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا﴾[2] أي: وقلنا كلوا، أو قائلين.

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَٱشْرَبُوا﴾[3]، أي: قلنا.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا﴾[4]، أي: وقلنا: خذوا.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[5]، أي: وقلنا: اتخذوا.

وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾[6]، أي: يقولان: ربنا. وعليه قراء عبد الله.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ﴾[7]؛ أي: فيقال لهم، لأنّ «أمّا» لا

---

(١) سورة: الزمر آية: ٣.
(٢) سورة: طه آية: ٨٠ ـ ٨١.
(٣) سورة: البقرة آية: ٦٠.
(٤) سورة: البقرة آية: ٦٣.
(٥) سورة: البقرة آية: ١٢٥.
(٦) سورة: البقرة آية: ١٢٧.
(٧) سورة: آل عمران آية: ١٠٦.

بد لها في الخبر من فاء، فلما أضمر القول أضمر الفاء.

وقوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ. هٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾[1]، أي: يقال لهم هذا.

وقوله: ﴿وَٱلْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[2]، أي يقولون سلامٌ.

وقوله: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ هٰذَا يَوْمُكُمُ﴾[3]، أي: يقولون لهم ذلك.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾[4]، أي: يقولون ما نعبدهم.

وقوله: ﴿فَظَلْتُـمْ تَفَكَّهُونَ. إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾[5]: أي: يقولون إنّا لمغرمون أي: معذّبون، وتفكّهون: تندّمون.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾[6] أي: يقولون ربنا.

وقوله: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ٱلْحَقَّ﴾[7]، أي: قالوا: قال الحق.

---

(١) سورة: صٓ آية: ٥٢ ـ ٥٣.
(٢) سورة: الرعد آية: ٢٣ ـ ٢٤.
(٣) سورة: الأنبياء آية: ١٠٣.
(٤) سورة: الزمر آية: ٣.
(٥) سورة: الواقعة آية: ٦٥ ـ ٦٦.
(٦) سورة: السجدة آية: ١٢.
(٧) سورة: سبإ آية: ٢٣.

٢ ـ حذف الفعل

وينقسم إلى عام وخاص:

فالخاص

نحـوه: «أعني» مضمراً، وينتصب المفعـول بـه في المـدح؛ نحـو: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾[١]

وقوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[٢]، أي: أمدح.

واعلم أنه إذا كان المنعوت متعيِّناً لم يجز تقدير ناصب نعتِه بأعني؛ نحو الحمد لله الحميد؛ بل المقدّر فيه، وفي نحوه أذكر أو أمدح، فاعرف ذلك. والذم نحو قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[٣]، في قـراءة النصب، والأخفش ينصب في المدح بأمدح، وفي الذم بأذمّ.

واعلم أنّ مراد المادح إبانة الممدوح من غيره، فلا بد من إبانة إعرابه عن غيره، ليدلّ اللفظ على المعنى المقصود، ويجوز فيه النصب بتقدير أمدح، والرفع على معنى «هو»؛ ولا يظهران لئلا يصيرا منزلة الخبر.

والذي لا مدحَ فيه فاختزال العامـل فيه واجبٌ، كـاختزالـه في «والله

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٧٧.

(٢) سورة: النساء آية: ١٦٢.

(٣) سورة: اللهب آية: ٤.

لأفعلن»؛ إذ لو قيل: «أحلف بالله» لكان عِدَةً لا قسماً.

والعامّ

كلُّ منصوب دلّ عليه الفعلُ لفظاً، أو معنى، أو تقديراً.

ويحذف لأسباب:

١ ـ أحدها: أن يكون مفسَّراً، كقوله تعالى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[1].

﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2].

ومنه: ﴿أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ﴾[3].

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾[4].

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[5].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾[6].

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ﴾[7] فإنه ارتفع بـ «اقتتل» مقدّراً.

قالوا: ولا يجوز حذف الفعل مع شيء من حروف الشرط العاملة، سوى «إنْ» لأنها الأصل.

وجعل ابن الزّملكاني هذا مما هو دائر بين الحذف والذكر؛ فإن الفعل المفسّر كالمتسلط على المذكور؛ ولكن لا يتعين إلا بعد تقدم إبهام، ولقد يزيده الإضمار إبهاماً، إذا لم يكن المضمر من جنس الملفوظ به؛ نحو:

---

(١) سورة: الانشقاق آية: ١.

(٢) سورة: البقرة آية: ٤٠.

(٣) سورة: القمر آية: ٢٤.

(٤) سورة: الرحمن آية: ٧.

(٥) سورة: التكوير آية: ١.

(٦) سورة: التوبة آية: ٦.

(٧) سورة: الحجرات آية: ٩.

﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[1].

٢ ـ الثاني: أن يكون هناك حرف جر؛ نحو ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[2] فإنه يفيد أن المراد: بسم الله أقرأ أو أقوم، أو أقعد عند القراءة، وعند الشروع في القيام أو القعود، أيّ فعل كان.

واعلم أنّ النحاة اتفقوا على أنّ «بسم الله» بعض جملة، واختلفوا.

فقال البصريون: الجملة اسمية؛ أي ابتدائي بسم الله.

وقال الكوفيون: الجملة فعلية، وتابعهم الزمخشريّ في تقدير الجملة فعلية؛ ولكن خالفهم في موضعين:

أحدُهما: أنَّهم يُقَدِّرون الفعل مقدّماً، وهو يقدره مؤخراً.

والثاني: أنّهم يقدرونه فعل البداية، وهو يقدّره في كلّ موضع بحسبه، فإذا قال الذابح: بسم الله، كان التقدير: بسم الله أذبح، وإذا قال القارىء: بسم الله، فالتقدير: بسم الله أقرأ.

وما قال أجود مما قالوا[3]؛ مراعاةَ المناسبة أوْلى من إهمالها، ولأنّ اسم الله أهمّ من الفعل، فكان أوْلى بالتقديم؛ ومما يدلّ على ذلك قوله ﷺ: «باسمك ربّي وضعتُ جنبي»، فقدم اسم الله على الفعل المتعلق ثم الجار، وهو «وضعت».

٣ ـ الثالث: أن يكون جواباً لسؤال واقع، كقوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللهُ﴾[4].

وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ

موتها ليقولن الله

(١) سورة: الدهر آية: ٣١.

(٢) سورة: الفاتحة آية: ١.

(٣) في جـ: «وما قال أجود مما قالوه».

(٤) سورة: لقمان آية: ٢٥.

مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[1].

وقوله: ﴿كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إبْراهِيمَ﴾[2]. أي: بل نتبع.

أو جواباً لسؤال مقدر؛ كقراءة: ﴿يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ﴾[3] ببناء الفعل للمفعول؛ فإنّ التقدير: يُسبِّحه رجال.

وفيه فوائد:

منها الإخبار بالفعل مرّتين. ومنها جعل الفضلة عمدة.

ومنها: أنّ الفاعل فُسّر بعد اليأس منه كضالّة وجدها بعد اليأس، ويصحّ أن يكون «يُسَبَّح» بدل من «يُذْكَر»[4] على طريقة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[5] و«له فيها» خير مبتدأ هو «رجال».

مثله: قراءة من قرأ: ﴿زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾[6].

قال أبو العباس: المعنى زَيّنه شركاؤهم؛ فيرفع الشركاء بفعل مضمر دلّ عليه «زيّن».

ومثله: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ﴾[7] إن جعلنا قوله «لله شركاء» مفعولي «جعلوا»، لأن «لله» في موضع الخبر المنسوخ، وشركاء نصب في موضع المبتدأ.

وعلى هذا فيحتمل وجهين:

---

(1) سورة: العنكبوت آية: ٦٣.

(2) سورة: البقرة آية: ١٣٥.

(3) سورة: النور آية: ٣٦ - ٣٧.

(4) سورة: النور آية: ٣٦.

(5) سورة: الأعلى آية: ١.

(6) سورة: الأنعام آية: ١٣٧.

(7) سورة: الأنعام آية: ١٠٠.

أحدهما: أن يكون مفعولاً بفعل محذوف دل عليه سؤال مقدّر، كأنه قيل: أجَعلوا لله شركاء؟ قيل: جعلوا الجنّ، فيفيد الكلام إنكار الشريك مطلقاً، فدخل اعتقاد الشريك من غير الجن في إنكار دخول اتخاذه من الجن.

والثاني: ذكره الزمخشري أنّ الجنّ بدل من «شركاء»، فيفيد إنكار الشريك مطلقاً، كما سبق، وإن جعل «لله» صلة كان «شركاء الجن» مفعولين، قدم ثانيهما على أولهما؛ وعلى هذا فلا حذف.

فأما على **الوجه الأول**: فقيل: ﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ ٱلْجِنَّ﴾[1]، ولم يقل: «وجعلوا الجنّ شركاء لله» تعظيماً لاسم الله تعالى؛ لأنّ شأن الله أعظمُ في النفوس؛ فإذا قدم «لله» والكلام فيه يستدعي طلب المجعول له ما هو؟

فقيل: شركاء وقع في غاية التشنيع؛ لأنّ النفس منتظرة لهذا المهمّ المعلّق بهذا المعظم نهاية التعظيم؛ فإذا عُلِم أنه عُلّق به هذا المستبشع في النهاية، كان أعظم موقعاً من العكس؛ لأنه إذا قيل: وجعلوا شركاء لم يعطه تشوفَ النفوس؛ لجواز أن يكون: جعلوا شركاء في أموالهم وصدقاتهم أو غير ذلك.

الثالث: أنّ الجعل غالباً لا يتعلق بالله ويُخْبَرُ به إلا وهو جعل مستقبَح كاذب؛ إذ لا يستعمل جعل الله رحمة ومشيئة وعلماً؛ ونحوه، لا سيّما بالاستقراء القرآني؛ كـ ﴿وَيَجْعَلُونَ للهِ ٱلْبَنَاتِ﴾[2]، ﴿وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾[3] إلى غير ذلك.

الرابع: أن أصلَ الجعل وإن جاز إسناده إلى الله فيما إذا كان الأمر لائقاً، فإن بابه مهول؛ لأن الله تعالى قد علّمنا عظيم خطره، وألّا نقول فيه إلا بالعلم، كقوله:

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]، ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ

---

(١) سورة: الأنعام آية: ١٠٠.
(٢) سورة: النحل آية: ٥٧.
(٣) سورة النحل آية: ٦٢.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٦٩.

شَيْئاً﴾(١).

إلى غير ذلك، مع ما دلّ عليه الأدب عقلاً، وكان نفس الجعل مستنكراً إن لم يتبع بمجعول لائق، فإذا أتبع بمجعول غير لائق منهم ثم فسّر بخاص مستنكر، صار قوله: ﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ في قوة إنكار ذلك ثلاث مرات: **الأوّل**: جسارتهم في أصل الجعل، **الثاني**: في كون المجعول شركاء، **الثالث**: في أنهم شركاء جنّ.

الخامس: أن في تقديم «لله» إفادة تخصيصهم إياه بالشركة على الوجه الثالث، دون جميع ما يعبدون، لأنه الإله الحق.

السادس: أنه جيء بكلمة «جعلوا» لا «اعتقدوا» ولا«قالوا»؛ لأنه أدلّ على إثبات المعتقَد؛ لأنه يستعمل في الخلق والإبداع.

السابع: كلمة «شركاء»، ولم يقل «شريكاً» وفاقاً لمزيد ما فتحوا من اعتقادهم.

الثامن: لم يقل «جنّاً»، وإنما قال «الجن»، دلالة على أنهم اتخذوا الجن كلها وجعلوه من حيث هو صالح لذلك؛ وهو أقبح من التنكير الذي وضعه للمفردات المعدولة.

٤ - **الرابع**: أن يدلّ عليه معنى الفعل الظاهر: كقوله تعالى: ﴿انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ﴾(٢)، أي: وائتوا أمراً خيراً لكم؛ فعند سيبويه أن «خيراً» انتصب بإضمار «ائت» لأنّه لما نهاه علم أنه يأمره بما هو خير؛ فكأنه قال: «وأتوا خيراً»؛ لأنّ النهيَ عن الشيء أمرٌ بضدّه؛ ولأنّ النهيَ تكليف، وتكليف العدم محال؛ لأنه ليس مقدوراً، فثبت أنّ متعلّق التكليف أمر وجودي، ينافي المنهيّ عنه وهو الضدّ.

وحمَله الكسائيّ على إضمار «كان» أي: يكنِ الانتهاء خيراً لكم. ويمنعه

(١) سورة: النجم آية: ٢٨.

(٢) سورة: النساء آية: ١٧١.

إضمار كان، ولا تضمر في كل موضع، ومن جهة المعنى إذْ مَنْ ترك ما نهيَ عنه فقد سقط عنه اللوم، وعلم أن تركَ المنهيّ عنه خير من فعله، فلا فائدة في قوله «خيراً».

وحمله الفراء على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: انتهى انتهاء خيراً لكم.

وقال: إنّ هذا الحذف لم يأت إلا فيما كان أفعل، نحو خير لك، وأفعل.

ورد مذهبه ومذهب الكسائي بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ٱنْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ﴾[(١)]، لَو حُمِل على ما قالا لا يكون خيراً، لأن من انتهى عن التثليث وكان معطّلاً لا يكون خيراً له.

وقول سيبويه وائت خيراً يكون أمراً بالتوحيد الذي هو خير. فلله در الخليل، وسيبويه، ما أطلعهما على المعاني.

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[(٢)]، إن لم يجعل مفعولاً معه، أي وادْعوا شركاءكم، وبإظهار «ادعوا» قرأ أبيّ، وكذلك هو مثبت في مصحف ابن مسعود.

وقوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ ﴾[(٣)]، قال ابن الشجري: معناه مال عليهم يضربهم ضرباً. ويجوز نصبه على الحال؛ نحو أتيته مشياً، أي ماشياً. ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾[(٤)] أي ساعيات. وقوله: «باليمين» إمّا اليد أو القوة. وجوّز ابن الشجري إرادة القسم والباء للتعليل؛ أي لليمين التي حلفها، وهي قوله تعالى: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾[(٥)].

وزعم النوويّ في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾[(٦)]، أن

---

(١) سورة: النساء آية: ١٧١.
(٢) سورة: يونس آية: ٧١.
(٣) سورة: الصافات آية: ٩٣.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢٦٠.
(٥) سورة: الأنبياء آية: ٥٧.
(٦) سورة: النور آية: ٥٣.

التقدير ليكن منكم طاعة معروفة.

الخامس: أن يدل عليه العقل كقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ﴾(١)، أي فضرب فانفجرت.

وقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ. فَفَتَحْنَا﴾(٢)، قال النحاس: التقدير فنصرناه ففتحنا أبواب السماء؛ لأن ما ظهر من الكلام يدلّ على ما حذف.

وقوله: ﴿يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾(٣) أي يكتب بذلك كلمات الله ما نفدت، قاله أبو الفتح:

وقوله: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾(٤).

فقوله: «ثم أحياهم» معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم أحياهم، ولا يصحّ عطف قوله: «ثم أحياهم» على قوله: «موتوا» لأنه أمر، وفعل الأمر لا يعطف على الماضي.

وقوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾(٥)، أي فاختلفوا فبعث، وحذف لدلالة قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾(٦)،وهي في قراءة عبدالله كذلك(٧).

وقيل: تقديره كان الناس أمّة واحدة كفاراً، فبعث الله النبيين، فاختلفوا. والأول أوجه.

وقوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(٨)، فالهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف تقديره: أكذّبتم وعجبتم أن جاءكم.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٦٠.
(٢) سورة: القمر آية: ١٠ ـ ١١.
(٣) سورة: لقمان آية: ٢٧.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢٤٣.
(٥) سورة: البقرة آية: ٢١٣.
(٦) سورة: البقرة آية: ٢١٣.
(٧) أنظر: (الكشاف، للزمخشري ٢/ ١٩٤).
(٨) سورة: الأعراف آية: ٦٣.

وقوله: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(١)، هو معطوف على محذوف سدّ مسدّه حرف الإيجاب؛ كأنه قال إيجاباً لقولهم: ﴿إِنَّ لَنَا لأَجْراً﴾(٢)، نعم إن لكم أجراً وإنكم لمن المقربين.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾(٣)، أي فأفطر فعدة، خلافاً للظاهرية حيث أوجبوا الفِطْر على المسافر أخذاً من الظاهر.

وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾(٤)، أي فحلق ففدية.

وقوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾(٥)، قال الزمخشري: التقدير فضربوه فحيى، فحذف ذلك لدلالة قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ﴾(٦).

وزعم ابن جني أن التقدير في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾(٧) أن التقدير فكيف يكون إذا جئنا.

* * *

٦ ـ السادس: أن يدلّ عليه ذكره في موضع آخر، كقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾(٨)، قال الواحديّ: هو بإضمار «اذكر»، ولهذا لم يأت لإذ بجواب. ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾(٩)، وليس شيء قبله تراه ناصباً لـ «صالحاً»، بل عُلم بذكر النبي والمرسل إليه أن فيه إضمار «أرسلنا».

وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾(١٠)أي وسخرنا.

ومثله: ﴿وَنُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾(١١)﴿وَذَا النُّونِ﴾(١٢).

(١) سورة: الأعراف آية: ١١٤.
(٢) سورة: الأعراف آية: ١١٣.
(٣) سورة: البقرة آية: ١٨٤.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٩٦.
(٥) سورة: البقرة آية: ٧٣.
(٦) سورة: البقرة آية: ٧٣.
(٧) سورة: النساء آية: ٤١.
(٨) سورة: البقرة آية: ٧٢.
(٩) سورة: هود آية: ٦١.
(١٠) سورة: الأنبياء آية: ٨١.
(١١) سورة: الأنبياء آية: ٧٦.
(١٢) سورة: الأنبياء آية: ٨٧.

وكذا: ﴿وَدَاوُدَ وسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾[1]، أي واذكر.

قال: ويدل على «اذكر» في هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾[2]، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾[3].

وما قاله ظاهر، إلا أنّ مفعول «اذكر» يكون محذوفاً أيضاً تقديره: «واذكروا أخاً لكم» ونحوه إذا كان كذا، وذلك ليكون «إذ» في موضع نصب على الظرف، ولو لم يفد ذلك المحذوف لزم وقوع «إذ» مفعولاً به؛ والأصحّ أنها لا تفارق الظرفية.

٧ ـ السابع: المشاكلة، كحذف الفاعل في «بسم الله» لأنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوى ذكر الله؛ فلو ذكر الفعل وهو لا يستغني عن فاعله كان ذلك مناقضاً للمقصود، وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى؛ ليكون المبدوء به اسم الله؛ كما تقول في الصلاة: الله أكبر، ومعناه «من كل شيء»، ولكن لا تقول هذا المقدّر ليكون اللفظ في اللسان مطابقاً لمقصود الجنان؛ وهو أن يكون في القلب ذكر الله وحده. وأيضاً فلأنّ الحذف أعمّ من الذكر؛ فإنّ أيّ فعل ذكرته كان المحذوف أعمّ منه؛ لأن التسمية تشرع عند كل فعل.

٨ ـ الثامن: أن يكون بدلاً من مصدره؛ كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[4]، وقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[5]؛ أي فإما أن تمنّوا، وإما أن تفادوا.

وقد اختلف في نصب «السلام» في قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً﴾[6] وفي الذاريات: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً﴾[7]؛ وفي نصبها وجهان:

---

(١) سورة: الأنبياء آية: ٧٨.

(٢) سورة: الأنفال آية: ٢٦.

(٣) سورة: الأعراف آية: ٨٦.

(٤) سورة: محمد آية: ٤.

(٥) سورة: محمد آية: ٤.

(٦) سورة: هود آية: ٦٩.

(٧) سورة: الذاريات آية: ٢٤ ـ ٢٥.

أحدهما: أن يكون منصوباً بالقول، أي يذكرون قولاً «سلاماً» فيكون من باب: قلت حقاً وصدقاً.

الثاني: أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره: فقالوا سلّمنا سلاماً، أي سلمنا تسليماً؛ فيكون قد حكى الجملة بعد القول، ثم حذفها واكتفى ببعضها.

والحاصل أنّه هل هو منصوب بالقول، أو بكونه مصدراً لفعل محذوف؟.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً﴾[1]، منصوب، «بقالوا» كقولك فقلت حقاً، أو منصوب بفعل مضمر أي قالوا: أنزَلَ خيراً، فيكون من باب حذف الجملة المحكيّة وتبقية بعضها.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ﴾[2] فمرفوع؛ لأنه لا يمكن نصبُه على تقدير «قالوا أساطير الأولين»، لأنهم لم يكونوا يرونه من عند الله حتى يقولوا ذلك، ولا هو أيضاً من باب: قلت حقاً وصدقاً، فلم يبق إلا رفعه.

تنبيه:

قد يشتبه الحال في أمر المحذوف وعدمه لعدم تحصيل معنى الفعل، كما قالوا في قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱدْعُوا ٱللهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3].

فإنه قد يظن أن الدعاء فيه بمعنى النّداء؛ فلا يقدّر في الكلام حذف، وليس كذلك، وإلّا لزم الاشتراك إن كان متفاوتين، أو عَطْفُ الشيء على نفسه؛ وإنما الدعاء هنا بمعنى التسمية التي تتعدى لمفعولين، أي سمّوه الله أو الرحمن.

---

(1) سورة: النحل آية: ٣٠.

(2) سورة: النحل آية: ٢٤.

(3) سورة: الإسراء آية: ١١٠.

وقد يشتبه في تعيين المحذوف لقيام قرينتين، كقوله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ﴾[1]، قدّره سيبويه بـ «بَلى نجمعها قادرين»، فقادرين: حال، وحذف الفعل لدلالة: ﴿أَنْ لَنْ نَجْمَعَ﴾[2] عليه.

وقدّره الفرّاء «نحسب» لدلالة ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ﴾[3] أي بلى نحسبنا قادرين.

وتقدير سيبويه أولى؛ لأنّ «بلى» ليس جواباً لـ «يحسب» إنما هو جوابٌ لـ «أن لَن نجمع»

وقدره بعضهم: بلى نقدر قادرين.

وقيل: منصوب، لوقوعه موقع الفعل، وهو باطل؛ لأنه ليس من نواصب الاسم وقوعُه موقع الفعل.

تنبيه آخر:

إنّ الحذف على ضربين:

أحدهما: ألاّ يقام شيء مقام المحذوف كما سبق.

والثاني: أن يقام مقامه ما يدل عليه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾[4]؛ ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدّمه على قولهم؛ والتقدير: فإنْ تولّوْا فلا ملام عليّ، لأني قد أبلغتكم.

وقوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾[5]، فلا تحزن واصبر.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾[6] أي: يصيبُهم ما أصاب الأولين.

---

(1) سورة: القيامة آية: ٤.
(2) سورة: القيامة آية: ٣.
(3) سورة: القيامة آية: ٣.
(4) سورة: هود آية: ٥٧.
(5) سورة: فاطر آية: ٤.
(6) سورة: الأنفال آية: ٣٨.

٣ ـ حذف الحرف

قال أبو الفتح في «المحتسب»:

أخبرنا أبو عليّ قال: قال أبو بكر بن السرّاج: حذف الحرف ليس يقاس، وذلك لأن الحرف نائب عن الفعل بفاعله، ألا تراك إذا قلت: ما قام زيد، فقد نابت «ما» عن أنفي كما نابت «إلا» عن أستثني، وكما نابت الهمزة وهل عن «أستفهم»، وكما نابت حروف العطف عن أعطف، ونحو ذلك.

فلو ذهبتَ تحذف الحرف؛ لكان ذلك اختصاراً، واختصارُ المختصَر إجحاف به؛ إلا إذا صحّ التوجّه إليه، وقد جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه. انتهى.

فمنه: الواو تحذف لقصد البلاغة؛ فإنّ في إثباتها ما يقتضي تغاير المتعاطفين؛ فإذا حذفت أشعر بأن الكلّ كالواحد: كقوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾(١)؛ تقديره: ولا يألونكم خبالاً.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾(٢)، أي: ووجوه.

---

(١) سورة: آل عمران آية: ١١٨.
(٢) سورة: الغاشية آية: ٨.

وخرّج عليه الفارسيّ قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا. . .﴾[1] الآية.

وقال: تقديره: «وقلت لا أجد»، فهو معطوف على قوله: «أتوك» لأن جواب «إذا» قوله: ﴿تولوا﴾.

ومنعه ابن الشجريّ في أماليه؛ وعلى هذا فلا موضع له من الإعراب، لأنه معطوف على الصلة؛ والصلة لا موضع لها من الإعراب، فكذلك ما عطف عليها.

وقال الزمخشريّ: هي حال من الكاف في «أتوك» و«قد» قبله مضمرة كما في قوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[2] أي: إذا ما أتوك قائلاً: لا أجد تولوْا. وعلى هذا فله موضع من الإعراب لأنه حال.

قال السهيليّ في «أماليه»: ليس معنى الآية كما قالوا؛ لأنّ رفع الحرج عن القوم ليس مشروطاً بالبكاء عند التولّي؛ وإنما شرطه عدم الجِدَة، والآية نزلت في السبعة الذين سمى أبو إسحاق؛ ،ولو كان جواب «إذا أتوك» في قوله: ﴿تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾[3] لكان مَنْ لَمْ تَفِضْ عيناه من الدمع هو الذي حَرِج وأثم؛ وما رفع الله الحرج عنهم إلا لأن الرسول لم يجد ما يحملهم عليه. وإذا عطفت «قلت لا أجد» على «أتوك» كان الحرج غيرَ مرفوع عنهم حتى يقال: ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾[4]، فجواب «إذا» في قوله «لا أجد»، وما بعد ذلك خبر وَنَبأ على هؤلاء السبعة الذين كانوا سبب نزول هذه الآية، ففضيلة البكاء مخصوصه بهم، ورفع الحرج بشرط عدم الجِدَة عامّ فيهم وفي غيرهم.

وقال الواحديّ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً﴾[5]: آية البقرة في مصاحف الشام بغير واو، يعني: قراءة ابن عامر؛ لأن هذه الآية ملابِسة لما قبلها

---

(١) سورة: التوبة آية: ٩٢.
(٢) سورة: النساء آية: ٩٠.
(٣) سورة: التوبة آية: ٩٢.
(٤) سورة: التوبة آية: ٩٢.
(٥) سورة: البقرة آية: ١١٦.

من قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ﴾[1]؛ لأن القائلين: «اتخذ الله ولداً» من جملة المتقدم ذكرهم، فيستغنى عن ذكر الواو لالتباس الجملة بما قبلها، كما استغنى عنها في نحو قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2] ولو كان «وهم» كان حسناً؛ إلا أنّ التباسَ إحدى الجملتين بالأخرى وارتباطها بها أغنى عن الواو.

ومثله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ﴾[3] ولم يقل: «ورابعهم» كما قال: ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾[4]، ولو حذف الواو منها كما حذف من التي قبلها واستغنى عن الواو بالملابسة التي بينهما كان حسناً.

ويمكن أن يكون حذف الواو لاستئناف الجملة، ولا يعطف على ما تقدم. انتهى.

وحصل من كلامه أنه عند حذف الواو يجوز أن يُلاحظ معنى العطف، ويكتفي للرّبط بينها وبين ما قبلها بالملابسة كما ذكر.

ويجوز ألّا يلاحظ ذلك؛ فتكون الجملة مستأنفة.

قال ابن عمرون: وحذف الواو في الجمل أسهلُ منه في المفرد، وقد كثُر حذفها في الجمل في الكلام المحمول بعضه على بعض، نحو قوله تعالى:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ. قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ. قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ. قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ. قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[5].

كلّه محمول بعضه على بعض، والواو مُزادة، حذفت لاستقلال الجمل بأنفسها بخلاف المفرد؛ ولأنه في المفرد ربّما أوْقع لبساً في نحو «رأيت زيداً

(١) سورة: البقرة آية: ١١٤.
(٢) سورة: البقرة آية: ٣٩.
(٣) سورة: الكهف آية: ٢٢.
(٤) سورة: الكهف آية: ٢٢.
(٥) سورة: الشعراء آية: ٢٣ ـ ٢٨.

ورجلاً عاقلاً»؛ ولو[1] جاز حذف الواو احتمل أن يكون «رجلاً» بدلاً بخلاف الجملة.

وقريب منه: قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾[2]، أي «وقال».

ومنه: الفاء في جواب الشرط على رأي، وخُرِّج عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ﴾[3] أي: فالوصية.

والفاء في العطف كقوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ﴾[4] تقديره «فقال أعوذ بالله»، ذكره ابن الشجري في أماليه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا اللهَ﴾[5] حذف حرف العطف من قوله: «قال»، ولم يقل: «فقال» كما في قصة نوح[6]؛ لأنه على تقدير سؤال سائل قال: ما قال لهم هود؟ فقيل: قال يا قوم اعبدوا الله واتقوه.

ومنه: حذف همزة الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾[7]، أي: أهذا ربي؟

وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[8] أي: أفمن نفسك.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾[9] أي: أَوَ تِلْكَ نعمة؟

وقوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾[10] على قراءة ابن كثير بكسر الهمزة، على

---

(1) في جـ: فلو.
(2) سورة: القصص آية: ٧٩.
(3) سورة: البقرة آية: ١٨٠.
(4) سورة: البقرة آية: ٦٧.
(5) سورة: الأعراف آية: ٦٥.
(6) سورة: الأعراف آية: ٥٩.
(7) سورة: الأنعام آية: ٧٦.
(8) سورة: النساء آية: ٧٩.
(9) سورة: الشعراء آية: ٢٢.
(10) سورة: يوسف آية: ٩٠.

خلاف في ذلك جميعه.

ومنه: حذف ألف ما الاستفهامية مع حرف الجر للفرق بين الاستفهامية والخبرية كقوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ﴾(١)، ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾(٢)، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾(٣) و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾(٤).

ومنه: حذف الياء في ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾(٥): للتخفيف ورعاية الفاصلة.

ومنه: حذف حرف النداء، كقوله: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾(٦)، أي: يا هؤلاء.

وقوله: ﴿يُوسُفُ﴾(٧)، أي: يا يوسف.

وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾(٨)، أي: يا رب.

ويكثر في المضاف نحو: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾(٩). ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾(١٠).

وكثر ذلك في نداء الرّب سبحانه؛ وحكمة ذلك دلالتُه على التعظيم والتنزيه؛ لأن النداءَ يتشرّب معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيد، فمعناه أدعوك يا زيد، فحذفت «يا» من نداء الرب؛ ليزول معنى الأمر، ويتمحض التعظيم والإجلال.

وقال الصفار: يجوز حذف حرف النداء من المنادى، إلا إذا كان المنادى نكرة مقبلاً عليها؛ إذ لا دليل عليه؛ وإلا إذا كان اسم إشارة.

ومنه: حذف «لو» في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ

---

(١) سورة: البقرة آية ٩١.
(٢) سورة: النازعات آية: ٤٣.
(٣) سورة: النبأ آية: ١.
(٤) سورة: الطارق آية: ٥.
(٥) سورة: الفجر آية: ٤.
(٦) سورة: آل عمران آية: ٦٦.
(٧) سورة: يوسف آية: ٢٩.
(٨) سورة: مريم آية: ٤.
(٩) سورة: يوسف آية: ١٠١.
(١٠) سورة: المائدة آية: ١١٤.

إِلٰهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1]، تقديره: لو كان معه إله لذهب كلّ إله بما خلق.

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَنْ لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[2]، معناه: لو كان كذلك لارتاب المبطلون.

ومنه: حذف «قد» في قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[3]، أي: وقد اتبعك؛ لأن الماضي لا يقع موقع الحال إلا و«قد» معه ظاهرة أو مقدرة.

ومثلها: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً﴾[4] أي: وقد كنتم.

وقوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[5] قيل معناه: «قد حصرت» بدلالة قراءة يعقوب. «حَصِرَةً صدورهم». وقال الأخفش: الحال محذوفة، و«حصرت صدورهم» صفتها؛ أي جاءوكم يوماً حصرت؛ دعاء عليهم بأن تُحْصَرَ صدورُهم عن قتالهم لقومهم طريقته قاتلهم الله. وردّه أبو علي بقوله أي قاتلوا قومهم فلا يجوز أن يدعي عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتالهم لقومهم؛ لكن بقول: اللهم ألْق بأسهَم بينهم.

ومنه: حذف «أن» في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[6] المعنى: أن يريكم.

وحذف «لا» في قوله: ﴿تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ﴾[7]، أي: لا تفتأ، لأنها ملازمة للنفي، ومعناها لا تبرح.

وقوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾[8]، أي: لا تميد.

(١) سورة: المؤمنون آية: ٩١.
(٢) سورة: العنكبوت آية: ٤٨.
(٣) سورة: الشعراء آية: ١١١.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢٨.
(٥) سورة: النساء آية: ٩٠.
(٦) سورة: الروم آية: ٢٤.
(٧) سورة: يوسف آية ٨٥.
(٨) سورة: النحل آية: ١٥.

وقوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾(1)، أي: لا تبوء.

وبهذا يزول الإشكالُ من الآية: ﴿وَعَلى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾(2) أي: لا يطيقونه، على قول.

فائدة:

كثر في القرآن حذفُ الجار، ثم إيصال الفعل إلى المجرور به، كقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾(3)، أي: من قومه.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾(4).

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾(5)، أي: على عقدة.

﴿إِنَّمَا ذٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾(6)، أي: يخوفكم بأوليائه، ولذلك قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾(7).

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾(8)، أي: يبغون لها.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ﴾(9) أي: قدرنا له.

﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾(10) أي: على سيرتها.

---

(1) سورة: المائدة آية: ٢٩.
(2) سورة: البقرة آية: ١٨٤.
(3) سورة: الأعراف آية: ١٥٥.
(4) سورة: البقرة آية: ٢٥٣.
(5) سورة: البقرة آية: ٢٣٥.
(6) سورة: آل عمران آية: ١٧٥.
(7) سورة: آل عمران آية: ١٧٥.
(8) سورة: الأعراف آية: ٤٥.
(9) سورة: يس آية: ٣٩.
(10) سورة: طه آية: ٢١.

فصـــل

من الأنواع ما حُذِف في آية، وأثبت في أخرى:

وهو قسمان:

أحدهما: أن يكون ما حذف منه محمولاً على المذكور؛ كالمطلَق في الرقبة[٢] في كفارة الظهار، مقيّداً بالمؤمنة في كفارة القتل[١].

وكقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلأَرْضُ﴾[٣] قيدت بالتشبيه في موضع آخر[٤].

ومنه: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾[٥].

وقوله في سورة النحل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾[٦]، فإن هذه تقتضي أن الأولى على حذف مضاف.

والقسم الثاني: لا يكون مراداً.

فمنه: قوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا

---

(١) سورة: المجادلة آية: ٣.
(٢) سورة: النساء آية: ٩٢.
(٣) سورة: آل عمران آية: ١٣٣.
(٤) سورة: الحديد آية: ٢١.
(٥) سورة: البقرة آية: ٢١٠.
(٦) سورة: النحل آية: ٣٣.

تَأْكُلُونَ﴾[1].

وفي الزخرف: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[2].

وقوله في البقرة: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

وفي سورة الأعراف: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ﴾[4].

وحكمته أنه قد اختلف الخبران في سورة البقرة؛ فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين في الأعراف؛ فإنهما متفقان؛ لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم واحد؛ فكانت الجملة الثالثة مقررة ما في الأولى فهي من العطف بمعزل.

ومنه: قوله تعالى في البقرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾[5].

وقال في يسٓ: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾[6] مع العاطف، وحكمته أنّ ما في يسٓ وما بعده جملة معطوفة على جملة أخرى، فاحتاجب إلى العاطف.

والجملة هنا ليست معطوفة، فهي من العطف بمعزل.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾[7] فأثبت الواو في الأعراف، وحذفها في الكهف، فقال: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَى﴾[8].

والفرق بينهما: أن الذي في الأعراف خطاب لجمع، وأصله «تدعونهم»، حذفت للجزم، والتي في الكهف خطاب للنبي ﷺ، وهو واحد، وعلامة الجزم

(1) سورة: المؤمنون آية: ١٩.

(2) سورة: الزخرف آية: ٧٣.

(3) سورة: البقرة آية: ٥.

(4) سورة: الأعراف آية: ١٧٩.

(5) سورة: البقرة آية: ٦.

(6) سورة: يسٓ آية: ١٠.

(7) سورة: الأعراف آية: ١٩٣.

(8) سورة: الكهف آية: ٥٧.

فيه سقوط الواو.

ومنه: في آل عمران: ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾(١).

وفي فاطر: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾(٢).

والفرق: أن الأولى حذفت الباء فيها للاختصار استغناء بالتي قبلها، والثانية خرجت عن الأصل للتوكيد، وتقدير المعنى كما تقول: مررت بك وبأخيك وبأبيك؛ إذا اختصرت.

ومنه: قوله في قصة ثمود: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾(٣).

وفي قصة شعيب: ﴿وَمَا أَنْتَ﴾(٤)، بالواو.

والفرق: أن الأولى جرى على انقطاع الكلام عند النحويين، واستئناف ﴿مَا أَنْتَ﴾، فاستغنى عن الواو لما تقرّر من الابتداء، وفي الثانية جرى في العطف، وأن يكون قوله ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ معطوفاً على ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾(٥).

ومنه: قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾(٦).

وفي سورة النمل ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾(٧)، بإثبات النون.

وحكمته: أن القصة لما طالت في سورة النحل ناسب التخفيف بحذف النون، بخلافه في سورة النمل؛ فإنّ الواو استئنافية، ولا تعلّق لها بما قبلها.

وقوله في البقرة: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(٨)، وفي آل عمران: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(٩)؛ وحكمته أنّ الخطاب في البقرة لليهود وهم أشد جدالاً.

(١) سورة: آل عمران آية: ١٨٤.
(٢) سورة: فاطر آية: ٢٥.
(٣) سورة: الشعراء آية: ١٥٤.
(٤) سورة: الشعراء آية: ١٨٦.
(٥) سورة: الشعراء آية: ١٨٥.
(٦) سورة: النحل آية: ١٢٧.
(٧) سورة: النمل آية: ٧٠.
(٨) سورة: البقرة آية: ١٤٧.
(٩) سورة: آل عمران آية: ٦٠.

ومنه: قوله في الأعراف: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾[1].

وفي الأنعام: ﴿يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾[2].

ومنه: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[3].

وفي سورة آل عمران: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[4].

والحكمة فيه: أن الجملة في آل عمران خرجت مخرج الشرط، وهو عام، فناسب أن يكون النفي بصيغة التنكير؛ حتى يكون عاماً، وفي سورة البقرة جاء عن أناس معهودين؛ وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[5]، فناسب أن يؤتى بالتعريف، لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم كان معروفاً، كقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[6]، فالحقّ هنا الذي تقتل به الأنفس معهود معروف، بخلاف ما في سورة آل عمران.

ومنه: قوله تعالى في هود حاكياً عن شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[7]، وأمر نبينا ﷺ أن يقول لقريش: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[8].

ويمكن أن يقال: لما كررت مراجعته لقومه، ناسب اختصاص قصته بالاستئناف الذي هو أبلغ من الإنذار والوعيد؛ وأما نبينا ﷺ فكانت مدة إنذاره لقومه قصيرة، فعقّب عملهم على مكافأتهم بوعيدهم بالفاء؛ إشارة إلى قرب نزول الوعيد لهم، بخلاف شعيب، فإنه طالت مدته في قومه، فاستأنف لهم ذكر الوعيد.

---

(1) سورة: الأعراف آية: ١٧٢.
(2) سورة: الأنعام آية: ١٣٠.
(3) سورة: البقرة آية: ٦١.
(4) سورة: آل عمران آية: ٢١.
(5) سورة: البقرة آية: ٦١.
(6) سورة: المائدة آية: ٤٥.
(7) سورة: هود آية: ٩٣.
(8) سورة: النحل آية: ٥٥.

ولعلّ قوم شعيب سألوه السؤال المتقدم، فأجابهم بهذا الجواب، والفاء لا تحسن فيه، والنبي ﷺ لم يقل ذلك جواباً للسؤال، ولا يحسن معه الحذف.

ومنه: أنه تعالى قال في خطاب المؤمنين:

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، إلى أن قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١).

وقال في خطاب الكافرين: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾(٢).

﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾(٣).

قال الزمخشري في تفسير سورة إبراهيم: ما علمته جاء الخطاب هكذا في القرآن إلا في خطاب الكافرين، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين، لئلا يسوّى بين الفريقين في الميعاد.

واعترض الإمام فخر الدين بأن هذا التبعيض إن حصل فلا حاجة إلى ذكر هذا الجواب، وإن لم يحصُل كان هذا الكلام فاسداً.

وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان في تفسيره: ويقال: ما فائدة الفرق في الخطاب والمعنى مشترك؟ إذ الكافر إذا آمن والمؤمن إذا تاب مشتركان في الغفران، وما تخيلت فيه مغفرة بعض الذنوب من الكافر إذا هو آمن، موجود في المؤمن إذا تاب.

وسيأتي بسطُ الكلام على ذلك في آخر الكتاب.

---

(١) سورة: الصف آية: ١٠ ـ ١٢.

(٢) سورة: إبراهيم آية: ١٠.

(٣) سورة: الأحقاف آية: ٣١.

٤ ـ الإيجاز

وهو قسم من الحذف، ويسمى إيجاز القصر؛ فإن الإيجاز عندهم قسمان: وجيز بلفظ، ووجيز بحذف.

فالوجيز باللفظ: أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقلَّ من القدر المعهود عادة؛ وسبب حسنه أنه يدلُّ على التمكن في الفصاحة، ولهذا قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»[١].

واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساوياً لمعناه وهو المقدر؛ أو أقل منه وهو المقصور.

أما المقدر فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ. . .﴾[٢] الآية.

وقوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾[٣]، وهو كثير.

وأما المقصور؛ فإما أن يكون نقصان لفظه عن معناه لاحتمال لفظه لمعان كثيرة، أولاً.

الأول: كاللفظ المشترك الذي له مجازان، أو حقيقة ومجاز إذا أريد

(١) أنظر: (صحيح مسلم، حديث ٨،٧ مساجد. ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٥٠، ٣١٤، ٤٤٢، ٥٠١. وتفسير ابن كثير ٤/ ٧٢. ودلائل النبوة، لأبي نعيم ١/ ١٤. وسنن سعيد ابن منصور ٢٨٦١. ومصنف ابن أبي شيبة ١١/ ٤٨٠).

(٢) سورة: النحل آية: ٩٠.

(٣) سورة: عبس آية: ١٧.

معانيه؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ﴾[1]؛ فإن الصلاة من الله مغايرة للصلاة من الملائكة، والحق أنه من القدر المشترك وهو الاعتناء والتعظيم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ...﴾[2] الآية؛ فإن السجود في الكل يجمعه معنى واحد؛ وهو الانقياد.

والثاني: كقوله:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[3].

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[4].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[5]، إذْ معناه كبير، ولفظه يسير.

وقد نُظِر لقول العرب: «القتل أنفَى للقتل»؛ وهو بنون ثم فاء، ويروى بتاء ثم قاف، ويروى «أوقى». والمعنى: أنه إذا أقيم وتحقق حكمه خاف مَنْ يريد قتل أحد أن يقتصّ منه.

وقد حكاه الحوْفيّ في تفسيره عن علي بن أبي طالب، وقال: قول عليّ في غاية البلاغة؛ وقد أجمع الناس على بلاغته وفصاحته؛ وأبلغ منه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[6] وقد تكلّموا في وجه الأبلغية، انتهى.

وقد أشار صاحب «المثل السائر» إلى إنكار ذلك، وقال:

لا نسبة بين كلام الخالق عزّ وجل وكلام المخلوق؛ وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك؛ وهو كما قال: وكيف يقابَل المعجِز بغيره

---

(1) سورة: الأحزاب آية: ٥٦.
(2) سورة: الحج آية: ١٨.
(3) سورة: الأعراف آية: ١٩٩.
(4) سورة: الأنعام آية: ٨٢.
(5) سورة: البقرة آية: ١٧٩.
(6) سورة: البقرة آية: ١٧٩.

مفاضلة، وهو منه في مرتبة العَجْز عن إدراكه:

وَمَـاذَا يَقُولُ الْقَـائِلُونَ إِذَا بَدَا   جَمَالُ خطابٍ فَاتَ فَهْمَ الْخَلاَئِقِ

وجملة ما ذكروا في ذلك وجوه:

أحدها: أن قوله ﴿الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أوجز؛ فإن حروفه عشرة، وحروف «القتل أنفى للقتل» أربعة عشر حرفاً، والتاء وألف الوصل ساقطان لفظاً، وكذا التنوين لتمام الكلام المقتضى للوقف.

الثاني: أن قولهم فيه كُلفة بتكرير القتل، ولا تكرير في الآية.

الثالث: أنّ لفظ «القصاص»، فيه حروف متلائمة؛ لما فيه من الخروج من القاف إلى الصاد، إذ القاف من حروف الاستعلاء، والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق؛ بخلاف الخروج من القاف إلى التاء، التي هي حرف منخفض، فهو غير ملائم، وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة، لبعد ما دون طرف اللسان وأقصى الحلق.

الرابع: في النطق بالصاد، والحاء، والتاء حسن الصوت، ولا كذلك تكرير القاف، والفاء.

الخامس: تكرير ذلك في[1] كلمتين متماثلتين بعد فصل طويل، وهو ثِقَل في الحروف أو الكلمات.

السادس: الإثبات أول والنفي ثان عنه؛ والإثبات أشرف.

السابع: أنّ القصاص المبنيّ على المساواة أوْزَن في المعادلة من مطلق القتل، ولذلك يلزم التخصيص، بخلاف الآية.

الثامن: الطباع أقْبَلُ للفظ «الحياة» من كلمة «القتل»، لما فيه من الاختصار، وعدم تكرار الكلمة، وعدم تنافر الحروف، وعدم تكرار الحرفين؛

---

(١) في جـ: «تكرير ذلك من».

وقبول الطبع للفظ «الحياة» وصحة الإطلاق.

التاسع: أنّ نفي القتل لا يستلزم الحياة، والآية ناصّة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه.

العاشر: أن قولهم لا يكاد يفهم إلا بعد فهم أن القصاص هو الحياة، وقوله: ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (١) مفهوم لأوّل وهلة.

الحادي عشر: أنّ قولهم خطأ؛ فإن القتل كلّه ليس نافياً للقتل؛ فإنّ القتل العدواني لا ينفي القتل، وكذا القتل في الرِّدة والزنا لا ينفيه؛ وإنما ينفيه قتل خاص وهو قتل القصاص؛ فالذي في الآية تنصيص على المقصود، والذي في المثل لا يمكن حمله على ظاهره.

الثاني عشر: فيه دلالة على ربط المقادير بالأسباب، وإن كانت الأسباب أيضاً بالمقادير، وكلام العرب يتضمنه؛ إلّا أنّ فيه زيادة وهي الدلالة على ربط الأجل في الحياة؛ بالسبب، لا من مجرد نفي القتل.

الثالث عشر: في تنكير «حياة» نوع تعظيم؛ يدلّ على أنّ في القصاص حياة متطاولة، كقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ عَلَى حَيَاةٍ﴾ (٢) ولا كذلك المَثَل؛ فإن اللام فيه للجنس؛ ولهذا فسروا الحياة فيها بالبقاء.

الرابع عشر: فيه بناء أفعل التفضيل من متعد؛ والآية سالمة منه.

الخامس عشر: أنّ «أفعل» في الغالب تقتضي الاشتراك؛ فيكون ترك القصاص نافياً للقتل؛ ولكن القصاص أكثر نفياً، وليس الأمر كذلك، والآية سالمة من هذا.

السادس عشر: أنّ اللفظ المنطوق به إذا توالت حركاتُه تمكّن اللسان من النطق به، وظهرت فصاحته، بخلافه إذا تعقب كل حركة سكون، والحركات تنقطع بالسكنات. نظيرُه: إذا تحركت الدابة أدنى حركة، فخنست، ثم تحركت

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٧٩.

(٢) سورة: البقرة آية: ٩٦.

فخنست، لا يتبين انطلاقها، ولا تتمكن من حركتها على ما نختاره؛ وهي كالمقيّدة، وقولهم: «القتل أنفى للقتل»، حركاته متعاقبة بالسكون بخلاف الآية.

السابع عشر: الآية اشتملت على فنّ بديع؛ وهو جعل أحد الضدين الذي هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لضدّه الذي هو الحياة، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة، ذكره في الكشاف.

الثامن عشر: أنّ في الآية طِباقاً؛ لأنّ القصاص مُشعر بضدّ الحياة، بخلاف المثَل.

التاسع عشر: القصاص في الأعضاء والنفوس، وقد جُعل في الكلّ حياة؛ فيكون جمعاً بين حياة النفس والأطراف، وإن فُرِض قصاص بما لا حياة فيه كالسنّ؛ فإن مصلحةَ الحياة تنقص بذهابه، ويصير كَنوع آخر؛ وهذه اللطيفة لا يتضمنها المثل.

العشرون: أنها أكثر[1] فائدة لتضمنه القصاص في الأعضاء، وأنه نبّه على حياة النفس من وجهين: من وجه به القصاص صريحاً، ومن وجه القصاص في الطرْف؛ لأن أحد أحوالها أن يسري إلى النفس فيزيلها، ولا كذلك المثل.

وقد قيل غير ذلك.

وأما زيادة ﴿لَكُمْ﴾ ففيها لطيفة؛ وهي بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص، وأنهم المراد حياتهم لا غيرهم، لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم.

والحاصل أنّ هذا من البيان الموجز الذي لا يقترن به شيء.

ومن بديع الإيجاز قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ...﴾[2] الآية، فإنها نهاية التنزيه.

---

(١) في جـ: أكبر فائدة.

(٢) سورة: الإخلاص آية: ١ ـ ٢.

وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ﴾[1]، وهذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإمهال.

وقوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[3]، وهذا من أحسن الوعد والوعيد.

وقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[4]، فهذه ثلاث كلمات اشتملت على جميع ما في الرسالة.

وقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُـرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـاهِلِينَ﴾[5]، فهذه جَمَعَت مكارم الأخلاق كلّها؛ لأن في ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ صلة القاطعين، والصفح ن الظالمين، وفي الأمر بالمعروف تقوي الله وصلة الأرحام، وصرف اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السفيه.

وقوله: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[6]، معناه مسودّتان من شدة الخضرة.

وقـوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسـاً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَـا مَـا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَـا مَـا ٱكْتَسَبَتْ﴾[7].

وقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاها﴾[8]، فدلّ بأمرين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام، من العشب، والشجر، والحبّ، والثمر، والعَصْف، والحطب، واللباس، والنار، والملح؛ لأن النار من العيدان، والملح من الماء.

---

(1) سورة: الدخان آية: ٢٦.
(2) سورة: الدخان آية: ٤٠.
(3) سورة: الدخان آية: ٥١.
(4) سورة: الحجر آية: ٩٤.
(5) سورة: الأعراف آية ١٩٩.
(6) سورة: الرحمن آية: ٦٤.
(7) سورة: البقرة آية: ٢٨٦.
(8) سورة: النازعات آية: ٣١.

وقوله: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾[1]، فدلّ على نفسه ولطفه ووحدانيته وقدرته، وهدى للحجة على من ضلّ عنه؛ لأنه لو كان ظهور الثمرة بالماء والتربة، لوجب في القياس ألّا تختلف الطعوم والروائح، ولا يقع التفاضل في الجنس الواحد إذا نَبت في مغرس واحد؛ ولكنه صنع اللطيف الخبير.

وقوله: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾[2]، كيف نَفى بهذين جميع عيوب الخمر، وجمع بقوله: ﴿لَا يُنْزِفُونَ﴾[3] عدم العقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾[4] فدلّ على فضل السمع والبصر، حيث جعل من الصمّ فقدان العقل، ولم يجعل مع العمي إلا فقدان البصر وحده.

وقوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾[5] كيف أمر ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمّى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقصّ من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ، والبلاغة، والإيجاز، والبيان لجفّت الأقلام، وانحسرت الأيدي.

وقوله تعالى عن النملة: ﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[6] فجمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام، نادت، وكنّت، ونبهت وسمّت، وأمرت، وقضت وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت، وغذرت؛ فالنداء «يا»، والكناية «أيّ»، والتنبيه «ها»، والتسمية النمل، والأمر، «ادخلوا»، والقصص

---

(١) سورة: الرعد آية: ٤.
(٢) سورة: الواقعة آية: ١٩.
(٣) سورة: الواقعة آية: ١٩.
(٤) سورة: يونس آية: ٤٢ ـ ٤٣.
(٥) سورة: هود آية: ٤٤.
(٦) سورة: النمل آية: ١٨.

«مساكنكم»، والتحذير «لا يحطمنكم»، والتخصيص «سليمان»؛ والتعميم «جنوده»، والإشارة «وهم»، والغدر لا يشعرون.

فأدت خمس حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها وحق جنود سليمان.

فحقّ الله أنها اسْتُرْعِيَت على النمل فقامت بحقهم.

وحق سليمان أنها نبهته على النمل.

وحقها إسقاطها حق الله عن الجنود في نصحهم[1].

وحق الجنود بنصحها لهم ليدخلوا مساكنهم.

وحق الجنود إعلامها إياهم وجميع الخلق أن من استرعاه رعية فوجب[2] عليه حفظها والذبّ عنها؛ وهو داخل في الخبر المشهور: «كُلّكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[2].

ويقال: إن سليمان عليه السلام لم يضحك في عمره إلا مرة واحدة، وأخرى حين أشرف على وادي النمل فرآها على كبر الثعالب، لها خراطيم وأنياب، فقال رئيسهم: ادخلوا مساكنكم، فخرج كبير[3] النمل في عظم الجواميس، فلما نظر إليه سليمان هاله، فأراه الخاتم، فخضع له، ثم قال: أهذه كلها نمل؟ فقال: إن النمل لكبير، إنها ثلاثة أصناف: صِنْف في الجبال،

---

(١) في جـ: «الجنود في نصيحتهم». (١) في جـ: «استرعاه رعية فواجب».

(٢) أنظر: (صحيح البخاري ٢/ ٦، ٣/ ١٩٦، ٤/ ٦، ٧/ ٣٤، ٤١، ٩/ ٧٧. وسنن أبي داود، الباب ١ الخراج. وسنن الترمذي ١٧٠٥. ومسند أحمد بن حنبل ٣/ ٥، ٥٤، ١١١، ١٢١. والسنن الكبرى، للبيهقي ٦/ ٢٨٧، ٧/ ٢٩١، ٨/ ١٦٠. وفتح الباري ٢/ ٣٨٠، ٥/ ١٨١، ٩/ ٢٥٤. والترغيب والترهيب ٣/ ٤٨. والدر المنثور للسيوطي ٣/ ٦٩. وتفسير القرطبي ٥/ ٢٥٨، ١٨/ ١٩٥، ١٠/ ٢٥٩ وزاد المسير، لابن الجوزي ٨/ ٣١٣).

(٣) في ب: فخرج كثير.

وصنفٌ في القرى، وصِنْف في المدن.

فقال سليمان عليه السلام: أعرضها عليّ، فقال له: قف. فبقي سليمان عليه السلام تسعين يوماً واقفاً، يمرّ عليه النمل؛ فقال: هل انقطعت عساكركم، فقال ملك النمل: لو وقفت إلى يوم القيامة ما انقطعت.

فذكر الجنيد أنّ سليمان عليه السلام قال لعظيم النمل: لِمَ قلت للنمل: ادخلوا مساكنكم؟ أخِفْتَ عليهم من ظلمنا؟ قال: لا، ولكن خفت أن يفتتنوا بما رأوا من ملكك، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله.

وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(١)، وهذا أشدّ ما يكون من الحجاج.

وقوله: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾(٢)، وهذا أعظم ما يكون من التحسير.

وقوله: ﴿ٱلأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣)، وهذا أشدّ ما يكون من التنفير عن الخَلة إلا على التقوى.

وقوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللهِ﴾(٤)، وهذا أشدّ ما يكون من التحذير من التفريط.

وقوله: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾(٥)، وهذا أشدّ ما يكون من التبعيد.

وقوله: ﴿ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾(٦)؛ فهذا أعظم ما يكون من التخيير(٧).

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ. لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا

---

(١) سورة: يسۤ آية: ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) سورة: الزخرف آية: ٣٩.
(٣) سورة: الزخرف آية: ٦٧.
(٤) سورة: الزمر آية: ٥٦.
(٥) سورة: فصلت آية: ٤٠.
(٦) سورة: فصلت آية: ٤٠.
(٧) في جـ: «ما يكون من التخسير».

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1]، وهذا أبلغ ما يكون من التذكير.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[2]، وهذا أشدّ ما يكون في التقريع على التمادي في الباطل.

وقوله: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ. يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[3]، وهذا أشدّ ما يكون من التقريع.

﴿وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ﴾[4]، وهذا غاية الترهيب.

وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[5]، وهذه غاية الترغيب.

وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[6].

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[7]، وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج؛ وهو الأصل الذي عليه أُثْبِتت دلالة التمانع في علم الكلام.

وقوله: ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[8]، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بكل ما تميل إليه النفس من الشهوات، وتلذّ الأعين من المرئيات، ليُعلم أن هذا اللفظ القليل جداً، حوى معانيَ كثيرة لا تنحصر عدداً.

وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾[9]، وهذا أشدّ ما يكون

---

(١) سورة: قٓ آية: ٢١ ـ ٢٢.
(٢) سورة: الذاريات آية: ٥٢ ـ ٥٣.
(٣) سورة: الرحمن آية: ٤٣ ـ ٤٤.
(٤) سورة: آل عمران آية: ١٨٥.
(٥) سورة: فصلت آية: ٣١.
(٦) سورة: المؤمنون آية: ٩١.
(٧) سورة: الأنبياء آية: ٢٢.
(٨) سورة: الزخرف آية: ٧١.
(٩) سورة: المنافقون آية: ٤.

من الخوف.

وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (١).

وقوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ (٢).

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٣).

وقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

وقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (٥).

وقوله: ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ (٦)، معناه: قابلْهم بما يفعلونه معك، وعاملهم مثل معاملتهم لك سواء، مع ما يدلّ عليه «سواء» من الأمر بالعدل.

وقوله: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ (٧)، فإنه أشار به إلى انقطاع مدة الماء النازل من السماء والنابع من الأرض.

وقوله: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: هلك مَنْ قضى هلاكه، ونجا من قدرت نجاته، وإنما عدل عن لفظه إلى لذظ التمثيل؛ لأمرين: اختصار اللفظ، وكون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع، إذ الأمر يستدعي آمراً ومطاعاً، وقضاؤه يدلّ على قدرته

ومن أقسام الإيجاز:

الاقتصار على السبب الظاهر للشيء؛ اكتفاء بذلك عن جميع الأسباب، كما يقال: فلان لا يخاف الشجعان، والمراد لا يخاف أحداً.

---

(١) سورة: فاطر آية: ٤٣.
(٢) سورة: يونس آية: ٢٣.
(٣) سورة: سبإ آية: ٥١.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢.
(٥) سورة: غافر آية: ١٨.
(٦) سورة: الأنفال آية: ٥٨.
(٧) سورة: هود آية: ٤٤.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾(١)، ولا شك أنّ من فسخت النكاح أيضاً تتربص، لأن السبَب الغالب للفراق الطلاق.

وقوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ ٱلْغَائِطِ﴾(٢)، ولم يذكر النوم وغيره؛ لأنّ السبَب الضروريّ الناقض خروج الخارج: فإن النوم الناقضَ ليس بضروري، فذكر السببَ الظاهر، وعُلِم منه الحكم في الباقي.

ومنه: قوله: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾(٣)، أي: وهو ما لم يقع في وهم الضمير من الهواجس، ولم يخطر على القلوب من مخيّلات الوساوس.

ومنه: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾(٤)، ونظائره.

وكذلك زيد وعمرو قائم، على القول بأن «قائم» خبر عن أحدهما، واستغنى به عن خبر الآخر.

ومنها: الاقتصار على المبتدأ وإقامة الشيء مقام الخبر نحو: أقائم الزيدان، فإن «قائم» مبتدأ لا خبر له.

ومنها: باب «علمت أنك قائم»، إذا جعلنا الجملة سادة مسدّ المفعولين؛ فإن الجملة مَحلَّة لاسم واحد سدّ مسدّ اسمين مفعولين من غير حذف.

ومنه: باب النائب عن الفاعل، في «ضُرِب زيد»، فـ «زيد» دلّ على الفاعل بإعطائه حكمه، وعلى المفعول بوضعه.

ومنها: جميع أدوات الاستفهام والشرط؛ فإنّ «كم مالك»؟ يغني عن عشرين أو ثلاثين، و«من يقم أكرمه»(٥) يغني عن زيد وعمرو، قاله ابن الأثير في «الجامع».

ومنه: الألفاظ اللازمة للعموم، مثل أحد وديّار، قاله ابن الأثير أيضاً.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٢٨.
(٢) سورة: النساء آية: ٤٣.
(٣) سورة: طه آية: ٧.
(٤) سورة: الأحزاب آية: ٥٦.
(٥) «من يقم أكرمه» ساقط من جـ.

ومنه: لفظ الجمع؛ فإن «الزيدين» يغني عن زيد وزيد وزيد، وكذا التثنية أصلها رجل ورجل، فحذفوا العطف والمعطوف، وأقاموا حرف الجمع والتثنية مقامهما اختصاراً؛ وصحّ ذلك لاتفاق الذاتين في التسمية بلفظ واحد، فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا إلى التكرار بالعطف؛ نحو مررت بزيد وبكر.

ومنه: باب الضمائر على ما سيأتي بيانه؛ في قاعدة الضمير.

ومنه: لفظ «فعل» فإنه يجيء كثيراً كناية عن أفعال متعددة؛ قال تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾[2].

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾[3]، أي: فإن لم تأتوا بسورةٍ من مثله، ولن تأتوا بسورةٍ من مثله.

---

(١) سورة: المائدة آية: ٧٩.

(٢) سورة: النساء آية: ٦٦.

(٣) سورة: البقرة آية: ٢٤.

القول في التقديم والتأخير

هو أحد أساليب البلاغة؛ فإنهم أتوْا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملَكتهم في الكلام وانقياده لهم. وله في القلوب أحسنُ موقع، وأعذب مذَاق.

وقد اختلف في عدّه من المجاز؛ فمنهم من عدّه منه؛ لأنّه تقديم ما رتبته التأخير، كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم، كالفاعل، نُقِلَ كلٌّ واحد منهما عن رتبته وحقه.

والصحيح أنّه ليس منه؛ فإنّ المجاز نَقْل ما وضع له إلى ما لم يوضع.

ويقع الكلام فيه في فصول:

الفصلُ الأوّل
في أسبابه أي في أسباب التقديم والتأخير

وهي كثيرة:

أحدها: أن يكون أصله التقديم، ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها؛ نحو جاء زيداً راكباً.

والثاني: أن يكون في التأخير إخلالٌ ببيان المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[1]، فإنه لو أخر قوله: ﴿من آل فرعون﴾، فلا يفهم أنه منهم.

وجعل السكاكي من الأسباب كون التأخير مانعاً، مثل الإخلال بالمقصود، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]، بتقديم الحال أعني ﴿من قَوْمِهِ﴾ على الوصف، أعني ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولو تأخر[3] لتُوهِّم أنه من صفة الدنيا؛ لأنها ها هنا اسم تفضيل؛ من الدنو، وليست اسماً، والدنوّ يتعدى بـ «مِنْ»، وحينئذ يشتبه الأمر في القائلين أنهم أهمْ: من قومه أم لا؟ فقدِّم لاشتمال التأخير على الإخلال ببيان المعنى المقصود؛ وهو كون القائلين من قومه. وحين أمِنَ هذا الإخلال بالتأخير قال

---

(١) سورة: غافر آية: ٢٨.

(٢) سورة: المؤمنون آية: ٣٣.

(٣) في جـ: «وإذ تأخر».

تعالى في موضع آخر من هذه السورة: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1]، بتأخير المجرور عن صفة المرفوع.

الثالث: أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدَّم لمشاكلة الكلام[2]، ولرعاية الفاصلة، كقوله: ﴿وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3]، بتقديم «إياه» على «تعبدون» لمشاكلة رؤوس الآي.

وكقوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾[4]، فإنه لو أخر ﴿في نفسه﴾ عن ﴿موسى﴾؛ فات تناسبُ الفواصل؛ لأن قبله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[6]، وبعده: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[4].

وكقوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[5]؛ فإن تأخيرَ الفاعل عن المفعول لمناسبته لما بعده.

وكقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[6]، وهو أشكلُ بما قبله، لأن قبله: ﴿مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾[7].

وجعل منه السكاكي: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾[8]، بتقديم ﴿هارون﴾ مع أن ﴿موسى﴾ أحقُّ بالتقديم.

الرابع: لعظمه والاهتمام به؛ وذلك أنّ من عادة العرب الفصحاء، إذا أخبرتْ عن مخبَرٍ مَا ـ وأناطت به حكماً ـ وقد يشركه غيره في ذلك الحكم، أو فيما أخبر به عنه وقد عطفت أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب ـ فإنهم مع ذلك إنما يبدأون بالأهم والأولى.

قال سيبويه: كأنهم يقدّمون الذي شأنه أهمّ لهم، وهم ببيانه أعْنَى، وإن

---

(١) سورة: المؤمنون اية: ٢٤.

(٢) في ب: «فقدم لمشاكلة الكلام».

(٣) سورة: فصلت آية: ٣٧.

(٤) سورة: طه آية: ٦٦ ـ ٦٨.

(٥) سورة: إبراهيم آية: ٥٠.

(٦) سورة: إبراهيم آية: ٥١.

(٧) سورة: إبراهيم آية: ٤٩.

(٨) سورة: طه آية: ٧٠.

كانا جميعاً يهمّانهم ويَعْنيانهم. انتهى.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ﴾[1]، فبدأ بالصلاة لأنها أهمّ.

وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3]؛ فقدّم العبادة للاهتمام بها.

ومنه: تقدير المحذوف في بسم الله مؤخراً.

وأوردوا: ﴿ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[4]؛ وأجيب بوجهين:

أحدهما: أنّ تقديم الفعل هناك أهمّ، لأنها أولُ سورة نزلت.

والثاني: أن ﴿باسم رَبِّكَ﴾ متعلق بـ ﴿اقرأ﴾[5] الثاني، ومعنى الأول: أوجد القراءة، والقصد التعميم.

الخامس: أن يكون الخاطر ملتفَتاً إليه والهمة معقودة به؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ﴾[6]، بتقديم المجرور على المفعول الأول؛ لأن الإنكار متوجه إلى الجعْل لله، لا إلى مطلق الجَعْل.

السادس: أن يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجيب من حال المذكور؛ كتقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ ٱلْجِنَّ﴾[7]، والأصل «الجنَّ شركاءَ»؛ وقدّم، لأنّ المقصود التوبيخ، وتقديم الشركاء أبلغ في حصوله.

ومنه: قوله تعالى في سورة يسٓ: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾[8]، وسنذكره.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٤٣.
(٢) سورة: التغابن آية: ١٢.
(٣) سورة: الفاتحة آية: ٥.
(٤) سورة: العلق آية: ١.
(٥) سورة: العلق آية: ٣.
(٦) سورة: الأنعام آية: ١٠٠.
(٧) سورة: الأنعام آية: ١٠٠.
(٨) سورة: يسٓ آية: ٢٠.

السابع: الاختصاص؛ وذلك بتقديم المفعول، والخبر، والظرف، والجار والمجرور، ونحوها على الفعل؛ كقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[1]، أي: نخصّك بالعبادة فلا نعبد غيرك.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2]، أي: إن كنتم تخصونه بالعبادة.

والخبر كقوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي﴾[3].

وقوله: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ﴾[4].

وأما تقديم الظرف؛ ففيه تفصيل، فإن كان في الإثبات دلّ على الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[6]، وكذلك: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾[5]، فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى. وقوله: ﴿لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾[7] أي: لا إلى غيره.

وقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[8]، أخّرت صلة الشهادة في الأوّل وقدمت في الثاني؛ لأنّ الغرضَ في الأول إثباتُ شهادتهم على الأمم، وفي اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم.

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾[9]، أي: لجميع الناس من العجم والعرب، على أن التعريف للاستغراق.

وإن كان في النفي فإن تقديمه يفيد تفضيل المنفيّ عنه، كما في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾[10]، أي: ليس في خمر الجنة ما في خمرة غيرها من الغَوْل.

---

(١) سورة: الفاتحة آية: ٥.
(٢) سورة: النحل آية: ١١٤.
(٣) سورة: مريم آية: ٤٦.
(٤) سورة: الحشر آية: ٢.
(٥) سورة: الغاشية آية: ٢٥ ـ ٢٦.
(٦) سورة: التغابن آية: ١.
(٧) سورة: آل عمران آية: ١٥٨.
(٨) سورة: البقرة آية: ١٤٣.
(٩) سورة: النساء آية: ٧٩.
(١٠) سورة: الصافات آية: ٤٧.

وأما تأخيره فإنها تُفيد النفي فقط، كما في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1] فكذلك إذا قلنا لا عيب في الدار؛ كان معناه: نفي العيب في الدار، وإذا قلنا لا في الدار عيب، كان معناه: أنها تفضل على غيرها بعدم العيب.

تنبيه:

ما ذكرناه من أن تقديمَ المعمول يفيد الاختصاص، فهمه الشيخ أبو حيان في كلام الزمخشري وغيره، والذي عليه محققو البيانيين أن ذلك غالب لا لازم، بدليل قوله تعالى:

﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾[2]، وقوله: ﴿أَفِي ٱللهِ شَكٌّ﴾[3]، إن جعلنا ما بعد الظرف مبتدأ.

وقد ردّ صاحب «الفلك الدائر» القاعدة بالآية الأولى، وكذلك ابن الحاجب، والشيخ أبو حيان، وخالفوا البيانيين في ذلك، وأنت إذا علمت أنهم ذكروا في ذلك قيد الغلبة سَهُل الأمر. نعم له شرطان:

أحدهما: ألا يكون المعمول مقدماً بالوضع؛ فإن ذلك لا يسمى تقديماً حقيقة، كأسماء الاستفهام، وكالمبتدأ عند من يجعله معمولاً لخبره.

والثاني: ألّا يكون التقديم لمصلحة التركيب، مثل: ﴿وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[4] على قراءة النصب.

وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في آية واحدة؛ وهي قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ﴾[5]، التقديم في الأول قطعاً ليس للاختصاص، بخلاف الثاني.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢.
(٢) سورة: الأنعام آية: ٨٤.
(٣) سورة: إبراهيم آية: ١٠.
(٤) سورة: فصلت آية: ١٧.
(٥) سورة: الأنعام آية: ٤٠ - ٤١.

الفصل الثاني
في أنواعه

وهي إما أن يُقدَّم والمعنى عليه، أو يقدّم وهو في المعنى مؤخر، أو بالعكس.

النوع الأول
ما قدم والمعنى عليه

ومقتضياته كثيرة، قد يسّر الله منها خمساً وعشرين؛ ولله درّ ابنِ عَبْدون في قوله:

سَقَاكَ الْحَيَا من مَعَانٍ سِفَاحِ فكم لي بها من مَعانٍ فِصَاحِ

١ ـ أحدها: السبق

وهو أقسام:

منها: السبق بالزمان والإيجاد، كقوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾[١].

قال ابن عطية: المراد بالذين اتبعوه في زمن الفترة.

---

(١) سورة: آل عمران آية: ٦٨.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1]؛ فإنّ مذهبَ أهلِ السنّة تفضيل البشر، وإنّما قُدِّم الملَكُ لسبقه في الوجود.

وقوله: ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾[2]؛ فإن الأزواجَ أسبق بالزمان؛ لأن البناتِ أفضلُ منهنّ، لكونهنّ بضعة منه ﷺ.

وقوله: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[3].

واعلم أنّه ينضم إليه مع ذلك التشريف، كقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ ٱصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾[4].

وقوله: ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾[5].

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[6].

وأما قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ. وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰ﴾[7] فإنما قدم ذكرَ موسى لوجهين:

أحدهما: أنه في سياق الاحتجاج عليهم بالتّرك وكانت صحف موسى منتشرة أكثر انتشاراً من صحف إبراهيم.

وثانيهما: مراعاة رءُوس الآي.

وقد ينضم إليه التحقير، كما في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ﴾[8]؛ تقدّم اليهود لأنهم كانوا أسبق من النصارى، ولأنهم كانوا أقرب إلى المؤمنين بالمجاورة.

وقد لا يلحظ هذا كقوله تعالى:

---

(١) سورة: الحج آية: ٧٥.
(٢) سورة: الأحزاب آية: ٥٩.
(٣) سورة: الفرقان آية: ٧٤.
(٤) سورة: آل عمران آية: ٣٣.
(٥) سورة: الأحزاب آية: ٧.
(٦) سورة: الأعلى آية: ١٩.
(٧) سورة: النجم آية: ٣٦ ـ ٣٧.
(٨) سورة: الفاتحة آية: ٧.

﴿وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾[1] وقوله: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً ٱلْأُولى. وَثَمُودَ فَمَا أَبْقى﴾[2].

ومن التقديم بالإيجاد تقديمُ السِّنَةِ على النوم في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[3]، لأن العادة في البَشَر أن تأخذ العبدَ السِّنةُ قبل النوم، فجاءت العبارة على حسب هذه العادة.

ذكره السهيليّ وذكر معه وجهاً آخر؛ وهو أنها وردت في معرض التمدح والثناء وافتقادُ السِّنة أبلغ في التنزيه فبدىء بالأفضل؛ لأنه إذا استحالت عليه السنة فأحرى أن يستحيل عليه النوم.

ومنه: تقديم الظّلمة على النور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ﴾[4].

فإنّ الظلمات سابقة على النور في الإحساس، وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي؛ قال تعالى:

﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ﴾[5].

فانتفاء العلم ظلمة، وهو متقدم بالزمان على نور الإدراكات.

ومنه: تقديم الليل على النهار: ﴿وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾[6].

﴿سِيرُوا فيها لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِين﴾[7].

﴿بَلْ مَكْرُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[8].

---

(١) سورة: العنكبوت آية: ٣٨.
(٢) سورة: النجم آية: ٥٠ ـ ٥١.
(٣) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.
(٤) سورة: الأنعام آية: ١.
(٥) سورة: النحل آية: ٧٨.
(٦) سورة: الإسراء آية: ١٢.
(٧) سورة: سبإ آية: ١٨.
(٨) سورة: سبإ آية: ٣٣.

﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[1].

ولذلك اختارت العرب التاريخ بالليالي دون الأيام؛ وإن كانت الليالي مؤنثة والأيام مذكّرة، وقاعدتهم تغليب المذكّر إلا في التاريخ.

فإن قلتَ: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾[2].

قلتُ: استشكل الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في «قواعده» بالإجماع على سَبْق الليلة على اليوم.

وأجاب بأن المعنى: تُدرك القمرَ في سلطانه، وهو الليل، أي لا تجيء الشمس في أثناء[3] الليل، فقوله بعده: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4] أي: لا يأتي في بعض سلطان الشمس وهو النهار. وبين الجملتين مقابلة.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾[5]، مُشْكل على هذا؛ لأن الإيلاج إدخالُ الشيء في الشيء، وهذا البحث ينافيه.

قلتُ: المشهور في معنى الآية أن الله يزيد في زمن الشتاء مقداراً من النهار، ومن النهار في الصيف[6] مقداراً من الليل؛ وتقدير الكلام: يولج بعض مقدار الليل في النهار، وبعض مقدار النهار في الليل. وعلى غير المشهور، يجعل الليل في المكان الذي كان فيه النهار ويجعل النهار في المكان الذي كان فيه الليل، والتقدير: يُولج الليل في مكان النهار ويُولج النهار في مكان الليل.

ومنه: تقديم المكان على الزمان في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ

---

(1) سورة: الروم آية: ١٧.

(2) سورة: يس آية: ٤٠.

(3) «أثناء»: ساقطة من ب.

(4) سورة: يس آتية: ٤٠.

(5) سورة: الحديد آية: ٦.

(6) في ب: «وفي النهار في الصيف».

﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ﴾[1]، أي: الليل والنهار.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2].

وهذه مسألة مهمّة قلَّ من تعرَّض لها ـ أعني سبق المكان على الزمان ـ وقد صرّح بها الإمام أبو جعفر الطبري في أول تاريخه[3]، واحتجّ على ذلك بحديث ابن عباس:

إن الله خلق التربة يوم السبت، وخلق الشمس والقمر.

وكان ذلك كلُّه ولا ليل ولا نهار؛ إذ كانا إنما هما أسماء لساعات معلومة من قَطْع الشمس والقمر دَرَج الفلك[4] وإذا كان ذلك صحيحاً وأنه لا شمس ولا قمر، كان معلوماً أنه لا ليل ولا نهار.

قال: وحديث أبي هريرة ـ يعني في صحيح مسلم ـ صريح فيه؛ فإن فيه: «وخلق الله[5] النور يوم الأربعاء»[6]، قال: ويعني به الشمس إن شاء الله.

والحاصل: أنَّ تأخر خلق الأيام عن بعض الأشياء المذكورة في الخبر لازم.

فإن قلت: الحديث كالمصرّح بخلافه؛ فإنه قال: خلق الله التربة يوم السبت، حين خلق البرية، وهي أول المخلوقات المذكورة، فلا يمكن أن يكون خلق الأيام كلّها متأخر عن ذلك.

قلت: قد نَبّه الطبريّ على جواب ذلك بما حاصله: أن الله تعالى سمّى

---

(١) سورة: الأنعام آية: ١.

(٢) سورة: الأنبياء آية: ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) أنظر: (تاريخ الطبري ١/ ١٣).

(٤) «درج الفلل»، ساقط من الأصول.

(٥) لفظ الجلالة، ساقط من الأصول.

(٦) أنظر: (تاريخ الطبري ١/ ٢٢، ٤٥، ٦٣. والسنن الكبرى، للبيهقي ٩/ ٣. والدر المنثور ١/ ٤٣. وزاد المسير، لابن الجوزي ٣/٢١١، ٧/ ٢٤٣).

أسماء الأيام قبل خلق التربة، وخلق الأيام كلّها، ثم قدّر كل يوم مقداراً، فخلَق التربة في مقدار يوم السبت قبل خلقه يوم السبت، وكذا الباقي.

وهذا وإن كان خلاف الظاهر، لكن أوجبه ما قاله الطبري؛ من أنه يتعين تأخير خلْق الأيام لما ذكرناه من الدليل المستفاد من الخبرين.

والحاصل أن الزمان قسمان: تحقيقيّ وتقديريّ؛ والمذكور في الحديث التقديريّ.

ومنه: قوله تعالى:

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[1].

﴿مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾[2].

ولذلك لما استغنى عن أحدهما ذكرَ المشرق فقط، فقال:

﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَارِقِ﴾[3]. ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا﴾[4].

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ﴾[5].

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُو أَمَاتَ وأَحْيا﴾[6]. ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾[7].

ويمكن فيه وجوه أخر:

منها: أن فيه قهراً للخلق، والمقام يقتضيه.

ومنها: أنّ حياة الإنسان كلا حياة، ومآله إلى الموت، ولا حياة إلا بعد الموت.

ومنها: أنّ الموت تقدم في الوجود، إذ الإنسان قبل نفخ الروح فيه كان

(١) سورة: الرحمن آية: ١٧.
(٢) سورة: الأعراف آية: ١٣٧.
(٣) سورة: الصافات آية: ٥ ـ ٦.
(٤) سورة: الصافات آية: ٥ ـ ٦.
(٥) سورة: الملك آية: ٢٠.
(٦) سورة: النجم آية: ٤٤.
(٧) سورة: البقرة آية: ٢٨.

ميتاً لعدم الروح. وهذا إن أريد بالموت عدم الوجود؛ بدليل: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾، وإن أريد به بعد الوجود، فالناس متنازعون في الموت: هل هو أمر وجوديّ كالحياة أو لا؟

وقيل: بالوقف، فقالت الفلاسفة: الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً.

والجمهور على أنه أمر وجوديّ يضادّ الحياة، محتجين بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾، والحديث في الإتيان بالموت على صورة كبش وذبحه[1].

وأجيب عن الآية بأن الْخَلق بمعنى التقدير، ولا يجب في المقدّر أن يكون وجودياً، وعن الثاني بأنّ ذلك على طريق التمثيل؛ لبيان انقطاع الموت وثبوت الخلود.

فإن قلنا: عدميّ، فالتقابل بينه وبين الحياة تقابل العَدَم والمَلَكَة، وعلى الصحيح تقابل التضاد.

وعلى القول بأنه وجوديّ يجب أن يقال: تقديم الموت الذي هو عدم الوجود؛ لكونه سابقاً أو معدوم الحياة، الذي هو مفارقة الروح البدنيّ يجوز أن يَكونَ لكونه الغاية التي يساق إليها الإنسان في دار الدنيا؛ فهي العلّة الغائبة بعدم تحقيقها، لتحققه[2] فخص العلة العامة كما وقع تأكيده في قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾[3]، أو تزهيداً في الدار الفانية، وترغيباً فيما بعد الموت.

فإن قيل: فما وجه تقدُّم «الحياة» في قوله:

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [4]

---

(١) أنظر: (صحيح البخاري، الباب ١ من سورة ١٩ من كتاب التفسير. وصحيح مسلم، حديث ٤ جنة. وسنن الترمذي، الباب ٢، سورة ١٩ من التفسير. وسنن الدارمي، الباب ٩٠ رقاق. ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٧٧، ٤٢٣، ٥١٣، ٣/ ٩).

(٢) هكذا في الأصول.

(٣) سورة: المؤمنون آية: ١٥.

(٤) سورة: الأعراف آية: ٢٥.

وقوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١)؟

قلنا: إن كان الخطاب لآدم وحواء، فلأنّ حياتهما في الدنيا سبقت الموت، وإن كان للخَلْق فالخطاب لمن هو حيّ يعقبه الموت، فما التقديم بالترتيب، وكذا الآية بعده.

فإن قيل: فما وجهُ تقديم الموت على الحياة في الحكاية عن مُنْكِري البعثْ:

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾(٢)؟

قلت: لأجل مناسبة رءُوس الآي.

فإن قلت: فما وجه تقدم التوفّي على الرفع في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(٣) مع أنّ الرفع سابق؟

قيل: فيه جوابان:

أحدهما: المراد بالتوفّي النوم، كقوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾(٤).

وثانيهما: أن التاء في «مُتَوَفِّيكَ» زائدة، أي: موفيك عملَك.

ومنها: سَبْق إنزال، كقوله: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾(٥).

وقوله: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾(٦).

وأما قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾(٧)، فإنما قدم القرآن مُنبِّهاً له على فضيلة المنزَّل إليهم.

---

(١) سورة: الأنعام آية: ١٦٢.
(٢) سورة: المؤمنون آية: ٣٧.
(٣) سورة: آل عمران آية: ٥٥.
(٤) سورة: الأنعام آية: ٦٠.
(٥) سورة: آل عمران آية: ٣ - ٤.
(٦) سورة: الأعراف آية: ١٥٧.
(٧) سورة: آل عمران آية: ١٩٩.

ومنها: سبق وجوب، كقوله تعالى: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾[1].

وقوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾[2].

فإن قيل: فقد قال: ﴿اسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[3].

قيل: يحتمل أنه كان في شريعتهم السجود قبل الركوع، ويحتمل أن يراد بالركوع ركوع الركعة الثانية.

وقيل: المراد بـ «اركَعِي» اشكري.

وقيل: أراد بـ «اسجدي» صلي وحدك، و بـ «اركعي» صلّي في جماعة، ولذلك قال: ﴿مع الراكعين﴾.

ومنها: سبق تنزيه، كقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾[4]، فبدأ بالرسول قبل المؤمنين، ثم قال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾[5]، فبدأ بالإيمان بالله؛ لأنه قد يحصل بدليل العقل، والعقل سابق في الوجود على الشرع، ثم قال: ﴿وملائكته﴾ مراعاة لإيمان الرسول، فإنه يتعلق بالملَك الذي هو جبريل أوّلاً، ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل، ثم بمعرفة نفسه أنه رسول.

وإنما عرف نبوةَ نفسه بعد معرفته بجبريل عليه السلام وإيمانه، فترتّب الذكر المنزل عليه بحسب ذلك، فظهرت الحكمة والإعجاز، فقال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[6]؛ لأن الملَك هو النازل بالكتاب، وإن كان الكتاب أقدم من الملَك، ولكن رؤية النبي ﷺ للملَك كانت قبل سماعه الكتاب. وأما إيمانُنا نحن بالعقل. آمنا بالله، أي: بوجوده، ولكن الرسول ﷺ عرفنا اسمه ووجوب النظر المؤدي إلى معرفته، فآمنا بالرسول ثم بالكتاب المنزل

---

(1) سورة: الحج آية: ٧٧.

(2) سورة: الفتح آية: ٢٩.

(3) سورة: آل عمران آية: ٤٣.

(4) سورة: البقرة آية: ٣٨٥.

(5) سورة: البقرة آية: ٣٨٥.

(6) سورة: البقرة آية: ٣٨٥.

عليه، وبالمَلَك النازل به، فلو ترتب اللفظ على حسب إيماننا لبدأ بالرسول قبل الكتاب؛ ولكن إنما ترتب على حسب إيمان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، الذي هو إمام المؤمنين. ذكره السهيليّ في أماليه.

وقال غيره: في هذا الترتيب سرّ لطيف، وذلك لأن النور والكمال والرحمة والخير كلّه مضاف إلى الله تعالى، والوسائط في ذلك الملائكة، والمقابل لتلك الرحمة هم الأنبياء والرسل، فلا بدّ أولاً: من أصل، وثانياً: من وسائط، وثالثاً: من حصول تلك الرحمة، ورابعاً: من وصولها إلى المقابل لها؛ والأصل المقتضى للخيرات والرحمة هو الله، ومِنْ أعظم رحمةٍ رَحِم بها عبادَه إنزالُ كتبه إليهم، والموصل لها هم الملائكة، والمقابل لها المنزلة عليهم هم الأنبياء؛ فجاء الترتيب على ذلك بحسب الوقائع.

٢ ـ الثاني: بالذات

كقوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[١].

ونحوه ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[٢].

وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[٣] وكذلك جميع الأعداد كلّ مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾[٤] فوجه تقديم المثْنى أن المعنيّ حثُّهم على القيام بالنصيحة لله، وترك الهوى، مجتمعيْن متساوييْن أو منفردين متفكرين. ولا شك أنّ الأهمّ حالة الاجتماع فبدأ بها.

---

(١) سورة: النساء آية: ٣.
(٢) سورة: المجادلة آية: ٧.
(٣) سورة: الكهف آية: ٢٢.
(٤) سورة: سبإ آية: ٤٦.

٣ - الثالث: بالعلّة والسببية

كتقديم «العزيز» على «الحكيم»، لأنه عَزّ فحكم، وتقديم «العليم» على «الحكيم»، لأن الاتقان ناشيء عن العلم، وكذا أكثر ما في القرآن من تقديم وصف العلم على الحكمة.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(١).

ويجوز أن يكون قدم وُصِف العلم هنا ليتّصل بما يناسبه، وهو ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾، وفي غيره من نظائره؛ لأنه صفات ذات فيكون من القِسْم قبله.

ومنه: قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٢)، قدمت العبادة لأنها سبب حصول الإعانة.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٣)؛ فإنّ التوبةَ سبب الطهارة.

وكذا: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾(٤)؛ لأن الإفك سبب الإثم.

وكذا: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾(٥).

وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً. لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾(٦) قدم إحياءَ الأرْض؛ لأنّه سببُ إحياء الأنعام والأناسيّ، وقَدَّم إحياء الأنعام؛ لأنّه مما يحيا به الناس، بأكل لحومها وشُرْبِ ألبانها.

وكذا كل علة مع معلولها، كقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

---

(١) سورة: البقرة آية: ٣٢.

(٢) سورة: الفاتحة آية: ٥.

(٣) سورة: البقرة آية: ٢٢٢.

(٤) سورة: الجاثية آية: ٧.

(٥) سورة: المطففين آية: ١٢.

(٦) سورة: الفرقان آية: ٤٨ - ٤٩.

فِتْنَةٌ﴾[1].

قيل: قدّم الأموال من باب تقديم السبب؛ فإنه إنّما شرع النكاح عند قدرته على مؤونته، فهو سبب التزويج، والتزويج سبب للتناسل؛ ولأنّ المال سبب للتنعيم بالولد، وفقده سبب لشقائه.

وكذا تقديم البنات على البنين في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّـاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾[2].

وأخّر ذكر الذهب والفضة عن النساء والبنين؛ لأنهما أقوى في الشهوة الجِبلّية من المال، فإن الطبع يحث على بذل المال، فيحصل النكاح، والنساء أقعد من الأولاد في الشهوة الجبلّية، والبنون أقعد من الأموال، والذهب أقعد من الفضة، والفضة أقعد من الأنعام؛ إذ هي وسيلة إلى تحصيل النّعم، فلما صُدِّرت الآية بذكر الحب، وكان المحبوب مختلفَ المراتب، اقتضت حكمةُ الترتيب أن يقدَّم ما هو الأهمّ فالأهمّ، في رتبة المحبوبات.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾[3].

قدّم الشكر على الإيمان؛ لأنّ العاقل ينظر إلى[4] ما عليه من النعمة العظيمة في خَلْقه وتعريضه للمنافع، فيشكر شكراً مبْهَماً؛ فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعِم آمن به، ثم شكر شكراً متصلاً فكان الشكر متقدماً على الإيمان؛ وكأنه أصل التكليف ومداره. انتهى.

وجعله غيرُه من عطف الخاص على العام؛ لأن الإيمان من الشكر، وخُصّ بالذكْر لشرفه.

---

(١) سورة: الأنفال آية: ٢٨.

(٢) سورة: آل عمران آية: ١٤.

(٣) سورة: النساء آية: ١٤٧.

(٤) «إلى» ساقطة من الأصول، واستدركت من الكشاف ١/ ٤٥١.

٤ ـ الرابع: بالمرتبة (الرتبة)

كتقديم «سميع» على «عليم» فإنه يقتضي التخويفَ والتهديد، فبدأ بالسميع لتعلقه بالأصوات، وإنّ مَنْ سَمْعِ حسّك فقد يكونُ أقربَ إليك في العادة ممن يعلم، وإن كان علمُ الله تعلق بما ظهر وما بطن.

وكقوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١)، فإن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة؛ وإنما تأخرت في آية سبإ في قوله: ﴿الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾(٢)؛ لأنها منتظمة في سلك تعدادِ أصناف الخلق من المكلّفين وغيرهم، وهو قوله: ﴿مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾(٣)، فالرحمة شملتْهم جميعاً، والمغفرة تخصّ بعضاً، والعموم قبل الخصوص بالرتبة.

وقوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾(٤) فإن الهمّاز هو المغتاب؛ وذلك لا يفتقر إلى شيء بخلاف النميمة.

وقوله: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾(٥)، فإنّ الغالبَ أنّ الذين يأتون رجالاً من مكان قريب، والذين يأتون على الضامر من البعيد.

ويحتمل أن يكونَ من التقديم بالشرف؛ لأن الأجر في المشْيِ مضاعَف.

وأما قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾(٦)، مع أنّ الراكب متمكن من الصلاة أكثر من الماشي، فجبراً له في باب الرخصة.

ومنه: قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(٧)، فقدّم الطائفين لقربهم من البيت؛ ثم ثنّى بالقائمين وهم

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٧٣.
(٢) سورة: سبإ آية: ٢.
(٣) سورة: سبإ آية: ٢.
(٤) سورة: القلم آية: ١١.
(٥) سورة: الحج آية: ٢٧.
(٦) سورة: البقرة آية: ٢٣٩.
(٧) سورة: البقرة آية: ١٢٥.

العاكفون؛ لأنهم يخصّون موضعاً بالعكوف والطواف بخلافه فكان أعمّ منه، والأعم قبل الأخصّ، ثم ثلث بالرّكُوع، لأنّ الركوع لا يلزم أن يكون في البيت[1] ولا عنده.

ثم في هذه الآية ثلاثة أسئلة:

الأول: كيف جمع الطائفين والقائمين جمع سلامة، والرّكع جمع تكسير؟

والجواب: أنّ جمعَ السلامة أقربُ إلى لفظ الفعل، فطائفون بمنـزلة يطوفون، ففي لفظه إشعار بصلة التطهير، وهو حدوث الطواف وتجدّده، ولو قال: بالطواف لم يفد ذلك، لأن لفظ المصدر يخفي ذلك؛ وكذا القول في القائمين، وأمّا الراكعون فَلِما سبق أنّه لا يلزم كَونه في البيت ولا عنده؛ فلهذا لم يجمع جمع سلامة؛ إذ لا يحتاج فيه إلى بيان الفعل الباعث على التطهير، كما احتيج فيما قبله.

الثاني: كيف وصف الركع بالسجود، ولم يعطف بالواو؟

والجواب: لأن الركّع هم السُّجود، والشيء لا يعطف على نفسه؛ لأن السجود يكون عبارة عن المصدر، وهو هنا عبارة عن الجمع، فلو عطف بالواو لأوهم إرادةَ المصدر دون اسم الفاعل؛ لأن الراكع إن لم يسجد فليس براكع شرعاً، ولو عطف بالواو لأوهم أنه مستقلّ، كالذي قبله.

الثالث: هلّا قيل: السّجّد كما قيل الركّع، وكما جاء في آية أخرى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾[2]، والركوع قبل السجود؟

والجواب: أنّ السجود يُطلق على وضع الجبهة بالأرض وعلى الخشوع، فلو قال: السجّد، لم يتناول إلا المعنى الظاهر، ومنه: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾[3]، وهو من رؤية العين، ورؤية العين لا تتعلّق إلا بالظاهر، فقصد

---

(1) في جـ: «يكون بالبيت».

(2) سورة: الفتح آية: ٢٩.

(3) سورة: الفتح آية: ٢٩.

بذلك الرمز إلى السجود المعنويّ والصوري؛ بخلاف الركوع، فإنّه ظاهر في أعمال الظاهر التي يشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام المتقدم، دون أعمال القلب، فجعل السجود وصفاً للركوع وتتميماً له؛ لأنّ الخشوع روح الصلاة وسرّها الذي شرعت له.

٥ ـ الخامس: بالداعية

كتقدم الأمر بغضّ الأبصار على حفظ الفروج في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[١]؛ لأن البصرَ داعية إلى الفرج، لقوله ﷺ: «العينان تَزْنيان والفرج يصدّق ذلك أو يكذبه»[٢].

٦ ـ السادس: التعظيم

كقوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[٣].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[٤].

﴿شَهِدَ ٱللهُ أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ﴾[٥].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾[٦].

٧ ـ السابع: الشرف وهو أنواع

منها: شرف الرسالة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ

---

(١) سورة: النور آية: ٣٠.

(٢) أنظر: (مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٣٧٢، ٤١١، ٥٢٨، ٥٣٥. والمعجم الكبير، للطبراني ١٠/ ١٩٢. ومجمع الزوائد ٦/ ٢٥٦، ٧/ ١٢٥. وتلخيص الحبير، لابن حجر ٣/ ٢٢٥. ونصيب الراية، للزيلعي ٤/ ٢٤٨).

(٣) سورة: النساء آية: ٦٩.

(٤) سورة: الأحزاب آية: ٥٦.

(٥) سورة: آل عمران آية: ١٨.

(٦) سورة: المائدة آية: ٥٥.

نَبِيٍّ﴾[1]، فإنّ الرسول أفضل من النبي؛ خلافاً لابن عبد السلام.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ النَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ﴾[2].

﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾[3].

ومنها: شرف الذكورة:

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ﴾[4].

وقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلأُنْثَىٰ﴾[5].

وقوله: ﴿رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾[6].

وأما تقديم الإناث في قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً﴾[7]، فلجبرهنّ، إذ هنّ موضع الانكسار، ولهذا جُبِر الذكور بالتعريف، للإشارة إلى ما فاتهم من فضيلة التقديم.

ويُحْتَمَل أنّ تقديم الإناث، لأن المقصود بيان أن الخلق كلّه بمشيئة الله تعالى، لا على وفق غرض العباد.

ومنها: شرف الحريّة، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحرُّ بِالحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾[8]، ومن الغريب حكاية بعضهم قولين في أن الحرّ أشرف من العبد أم لا، حكاه القرطبي، في تفسير سورة النساء فلينظر فيه.

ومنها: شرف العقل، كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾[9].

---

(١) سورة: الحج آية: ٥٢.
(٢) سورة: الأعراف آية: ١٥٧.
(٣) سورة: مريم آية: ٥٤.
(٤) سورة: الأحزاب آية: ٣٥.
(٥) سورة: النجم آية: ٢١.
(٦) سورة: سبإ آية: ١.
(٧) سورة: الشورى آية: ٤٩.
(٨) سورة: البقرة آية: ١٧٨.
(٩) سورة: النور آية: ٤١.

وقوله: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[1].

وأما تقديم الأنعام عليهم في قوله: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾[2]، فمن باب تقديم السَّبب، وقد سبق.

ومنها: شرف الإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾[3]، وكذلك تقديم المسلمين على الكافرين في كلّ موضع، والطائع على العاصي، وأصحاب اليمين عن أصحاب الشمال.

ومنها: شرف العلم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

ومنها: شرف الحياة، كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[5].

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَاءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ﴾[6].

وأما تقديم الموت في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[7]، فمن تقدّم السبق بالوجود، وقد سبق.

ومنها: شرف المعلوم؛ نحو: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[8]، فإن علم الغيبيّات أشرف من المشاهدات.

ومنه: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾[9]. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[10]، وأما قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[11]، أي: من السرّ، فعن

---

(١) سورة: النازعات آية: ٣٣.
(٢) سورة: السجدة آية: ٢٧.
(٣) سورة: الأعراف آية: ٨٧.
(٤) سورة: الزمر آية: ٩.
(٥) سورة: الروم آية: ١٩.
(٦) سورة: فاطر آية: ٢٢.
(٧) سورة: الملك آية: ٢.
(٨) سورة: المؤمنون آية: ٩٢.
(٩) سورة: الأنعام آية: ٦.
(١٠) سورة: التغابن آية: ٤.
(١١) سورة: طه آية: ٧.

ابن عباس وغيره: السرّ: ما أسررتَ في نفسك، وأخفى منه ما لم تحدّث به نفسك، مما يكون في عدّ علم الله فيهما سواء، ولا شكّ أن الآتي أبلغُ.

وفيه وجهان:

أحدهما: أنه أفعل تفضيل يستدعي مفضّلاً عليه، علم حتى يتحقق في نفسه، فيكون حينئذ تقديم السرّ من النوع الأول.

وثانيهما: مراعاة رءُوس الآي.

ومنها: شرف الإدراك، كتقديم السَّمْع على البصر، والسميع على البصير؛ لأنّ السمع أشرفُ على أرجح القولين عند جماعة، وقدم القلب عليهما في قوله تعالى:

﴿خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾(١).

لأن الحواسّ خَدَمة القلب، وموصّلة إليه؛ وهو المقصود؛ وأما قوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾(٢)، فأخّر القلب فيها؛ لأن العناية هناك بذمّ المتصامّين عن السماع؛ ومنهم الذين كانوا يجعلون القطن في آذانهم حتى لا يسمعوا، ولهذا صدرت السورة بذكرهم في قوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾(٣).

ومنها: شرف المجازاة، كقوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾(٤).

ومنها: شرف العموم؛ فإنّ العامّ أشرف من الخاص، كتقديم العفوّ على الغفور؛ أي: عفوّ عَمَّا لم يؤاخذنا به مما نستحقّه بذنوبنا، غفور لما وَاخذنا به في الدنيا، قبِلَنا ورجعْنا إليه؛ فتقدم العفوّ على الغفور، لأنه أعمّ، وأخِّرَت المغفرة لأنها أخصّ.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٧.

(٢) سورة: الجاثية آية: ٢٣.

(٣) سورة: الجاثية آية: ٧ ـ ٨.

(٤) سورة: الأنعام آية: ١٦٠.

ومنها: شرف الإباحة للإذن بها، كقوله تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾[1].

وإنما تقديم الحرام في قوله: ﴿فَجَعَلْتُم مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً﴾[2] فللزيادة في التشنيع عليهم، أو لأجل السياق؛ لأن قبله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً﴾[3]. ثم ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾[4].

ومنها: الشّرف بالفضيلة، كقوله تعالى:

﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[5].

وقوله: ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[6].

وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾[7] الآية.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾[8].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾[9].

وقوله: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾[10] في الأعراف، والشعراء، فإنّ موسى استأثر باصطفائه تعالى له بتكليمه، وكونه من أولي العزم.

فإن قلت: فقد جاء هارون، وموسى: في سورة طه بتقديم هارون؟

قلنا: لتناسب رءوس الآي.

---

(١) سورة: النحل آية: ١١٦.
(٢) سورة: يونس آية: ٥٩.
(٣) سورة: النحل آية: ١١٤.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٧٣.
(٥) سورة: النساء آية: ٢٣.
(٦) سورة: الأحزاب آية: ٧.
(٧) سورة: الفتح آية: ٦٩.
(٨) سورة: الأنبياء آية: ٤٨.
(٩) سورة: يونس آية: ٧٥.
(١٠) سورة: الأعراف آية: ١٢٢.

ومنه: تقديم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[1]؛ لأنّ جبريل صاحبُ الوحي والعلم، وميكائيل صاحب الأرزاق، والخيرات النفسانية أفضلُ من الخيرات الجسمانية.

ومنه: تقديم المهاجرين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾[2].

وقوله: ﴿والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾[3]، ويدلّ على فضيلة الهجرة قوله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت أمرأً من الأنصار»[4]، وبالآية احتجّ الصِّدِّيق على تفضيلهم وتعيين الإمامة فيهم.

ومنه: قوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[5]، فإن الصلاة أفضلُ من السلام.

وقوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ﴾[6]، قدم القريب؛ لأن الصدقة عليه أفضلُ من الأجنبي.

ومنه: تقديم الوجه في قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾[7].

---

(١) سورة: البقرة آية: ٩٨.

(٢) سورة: التوبة آية: ١١٧. (٣) سورة: التوبة آية: ١٠٠.

(٤) أنظر: (صحيح البخاري ٥/ ٣٨، ٧١، ٢٠٠، ٩/ ١٠٦، ١٠٧. وصحيح مسلم، الباب ٤٦، حديث ١٣٩ من الزكاة. وسنن الترمذي ٣٨٩٩. ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٣١٥، ٤١٠، ٤١٤، ٤١٩، ٤٦٩، ٥١٠، ٣/ ٥٧، ٦٧، ٧٧، ٨٩، ١٥٦، ١٩١، ٤/ ٤٢، ٥/ ١٣٧، ١٣٨. وسنن الدارمي ٢/ ٢٤٠. والسنن الكبرى، للبيهقي ٦/ ٣٣٩. والمستدرك ٤/ ٧٨. وسنن سعيد بن منصور ٢٩٠. ومسند الحميدي ١٠٢١. وموارد الظمآن ٢٢٩٢. والدر المنثور، للسيوطي ٣/ ٢٧٠. ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٢. وفتح الباري ٧/ ١١١، ٢٢٦، ٨/ ٤٧، ١٣/ ٢٢٥).

(٥) سورة: الأحزاب آية: ٥٦.

(٦) سورة: البقرة آية: ١٧٧. (٧) سورة: المائدة آية: ٦.

وتقديم اليمين على الشمال في نحو: ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾(1)، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾(2).

ومنه: تقديم الأنفس على الأموال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾(3)

وأما تقديم الأموال في سورة الأنفال في قوله: ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾(4)، فوجهُ التقديم أنّ الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأموال، فهو من باب السبق بالسببية.

ومنه: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾(5)، فإن الحلْق أفضل من التقصير.

ومنه: تقديمُ السَّمٰوَات على الأرض كقوله: ﴿خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾(6)، وهو كثير، وكذلك كثيراً ما يقع «السمٰوات» بلفظ الجمع، و«الأرض» لم تقع إلا مفردة.

وأما تأخيرها عنها في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾(7)؛ فلأنه لما ذكر المخاطبين، وهو قوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾(8)، وهو خطاب لأهل الأرض، وعملهم يكون في الأرض؛ وهذا بخلاف الآية التي في سبإ؛ فإنها منتظمة في سياق علم الغيب.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾(9).

وأما تأخيرها عنها في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ

---

(1) سورة: سبإ آية: 15.
(2) سورة: المعارج آية: 37.
(3) سورة: التوبة آية: 111.
(4) سورة: الأنفال آية: 72.
(5) سورة: الفتح آية: 27.
(6) سورة: العنكبوت آية: 44.
(7) سورة: يونس آية: 61.
(8) سورة: يونس آية: 61.
(9) سورة: آل عمران آية: 5.

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[1]؛ فلأن الآية في سياق الوعد والوعيد؛ وإنما هو لأهل الأرض.

وكذا قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتُ﴾[2].

ومنه: تقديم الإنس على الجن في قوله: ﴿قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾[3] الآية.

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[4].

وقوله: ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللهِ كَذِباً﴾[5].

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ. وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[6].

وأما تقديم الجن في مواضع أخر، كقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾[7]؛ فلأنهم أقدمُ في الخلق، فيكون من النوع الأول - أعني التقديم بالزمان - ولهذا لمّا أخر في آية الحجر صرّحَ بالقَبْلية بذكر خلق الإنسان، ثم قال: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾[8].

ويجوز أن يكون في الأمثلة السالفة من باب تقديم الأعجب؛ لأنَّ خَلْقها أغرب، كقوله تعالى:

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾[9].

أو لأنهم أقوى أجساماً؛ وأعظم أقداماً؛ ولهذا قُدِّموا في:

---

(١) سورة: الزمر آية: ٦٧.
(٢) سورة: إبراهيم آية: ٤٨.
(٣) سورة: الإسراء آية: ٨٨.
(٤) سورة: الرحمن آية: ٣٩.
(٥) سورة: الجن آية: ٥.
(٦) سورة: الرحمن آية: ١٤ - ١٥.
(٧) سورة: الأنعام آية: ١٣٠.
(٨) سورة: الحجر آية: ٢٧.
(٩) سورة: النور آية: ٤٥.

﴿يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ﴾[1].

وفي ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَالإِنْسِ وَٱلطَّيْرِ﴾[2].

ومنه: تقديم السجَّد على الراكعين في قوله: ﴿وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾[3] وسبق فيه شيء آخر.

ومنه: تقديم الخيل على البغال، والبغال على الحمير في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾[4].

ومنه: تقديم الذهب على الفضّة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾[5].

فإن قلت: فهل يجوز أن يكون من تقديم المذكر على المؤنث؟

قلت: هيهات، الذهب أيضاً مؤنث، ولهذا يصغَّر على ذهيبة كـ «قَدَم».

ومنه: تقديم الصّوف في قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾[6]؛ ولهذا احتجَّ به بعض الصوفية على اختيار لبس الصوف على غيره من الملابس؛ وأنه شعار الملائكة في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾[7]

قيل: سيماهم يومئذ الصّوف.

وعن عليّ: الصوف الأبيض؛ رواه أبو نعيم في مَدْح الصوف، وقال: إنه شعار الأنبياء.

وقال ابن مسعود: كانت الأنبياء قبلكم يلبسون الصوف.

وفي الصحيح في موسى عليه السلام: «عليه عباءة».

---

(١) سورة: الرحمن آية: ٣٣.
(٢) سورة: النمل آية: ١٧.
(٣) سورة: آل عمران آية: ٤٣.
(٤) سورة: النحل آية: ٨.
(٥) سورة: التوبة آية: ٣٤.
(٦) سورة: النحل آية: ٨٠.
(٧) سورة: آل عمران آية: ١٢٥

ومنه: تقديم الشمس على القمر في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾(١).

وقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾(٢).

ولهذا قال تعالى: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾(٣)، والحكماء يقولون: إن نور القمر مستمَدّ من نور الشمس.

قال الشاعر:

يا مُفْرَداً بِالحُسْنِ وَالشَّكْلِ ... مَنْ دَلَّ عَيْنَيْكَ عَلَى قَتْلِي
الْبَدْرُ من شمسِ الضُّحَىٰ نُورُهُ ... والشَّمْس من نوركَ تَسْتَمْلِي

وأما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾(٤) فيحتمل وجهين:

مناسبة رءُوس الآي: أو أنَّ انتفاع أهل السموات به أكثر.

قال ابن الأنباري: يقال: إن القمر وجهه يضيء لأهل الشمس، وظهره إلى الأرض، ولهذا قال تعالى: ﴿فيهنَّ﴾ لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء.

٨ ـ الثامن: الغلبة والكثرة

كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ﴾(٥)، قدم الظالم لكثرته، ثم المقتصد، ثم السابق.

وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾(٦).

﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾(٧).

---

(١) سورة: الحج آية: ١٨.
(٢) سورة: الفرقان آية: ٦١.
(٣) سورة: يونس آية: ٥.
(٤) سورة: نوح آية: ١٥ ـ ١٦.
(٥) سورة: فاطر آية: ٣٢.
(٦) سورة: هود آية: ١٠٥.
(٧) سورة: آل عمران آية: ١٥٢.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[1].

وجعل منه الزمخشري: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[2] يعني بدليل قوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[3] وحديث بعث النار.

وأما قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾[4]، قدّم ذكر العذاب لكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعيسى وراموا قتلَه.

وجعل مِنْ هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾[5]؛ لأنّ السرقة في الذكور أكثر.

وقدم في الزنى المرأة في قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾[6] لأن الزنَى فيهن أكثر.

وأما قولُهُ: ﴿﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾[7].

فقال الزمخشري: سِيقت الآية التي قبلها لعقوبتهما على ما جَنَيَا؛ والمرأة هي المادة التي نشأت منها الخيانة؛ لأنها لو لم تُطمِع الرجلَ، ولم تومض له[8] وتمكِّنه، لم يطمع ولم يتمكَّنْ، فلمّا كانت أصلاً وأوّلاً في ذلك بدأ بذكرها، وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح، والرجل أصل فيه[9] لأنّه هو الراغب والخاطب، ومنه يبدأ الطلب.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[10]

---

(١) سورة: النور آية: ٢٦.
(٢) سورة: التغابن آية: ٢.
(٣) سورة: يوسف آية: ١٠٣.
(٤) سورة: آل عمران آية: ٥٦.
(٥) سورة: المائدة آية: ٣٨.
(٦) سورة: النور آية: ٢.
(٧) سورة: النور آية: ٣.
(٨) «ولم تومض له»، ساقطة من الأصول، واستدركت من الكشاف ٣/ ١٦٨.
(٩) «فيه» ساقط من الأصول.
(١٠) سورة: النور آية: ٣٠.

قال الزمخشري: قدم غضّ البصر؛ لأن النظر بَرِيد الزنى، ورائد الفجور، والبلْوى به أشدّ وأكثر، ولا يكاد يُقْدَر على الاحتراس منه.

ومنه: تقديم الرحمة على العذاب، حيث وقع في القرآن، ولهذا ورد: «إن رحمتي غلبت غضبي»[1].

وأما تقديمُ التعذيب على المغفرة في آية المائدة[2] فللسياق.

ومنه: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ﴾[3].

قال ابن الحاجب في أماليه: إنّما قدم الأزواج؛ لأن المقصود الإخبار أن فيهم أعداء، ووقوع ذلك في الأزواج أقعد منه في الأولاد؛ فكان أقعد في المعنى المراد فَقُدِّم، ولذلك قدمت الأموال في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[4]، لأن الأموال لا تكاد تفارقها الفتنة: ﴿إِنَّ ٱلْإِنْسَـانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ ٱسْتَغْنَىٰ﴾[5]. ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾[6]، وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها، وكان تقدّمها أوْلى.

٩ ـ التاسع: سبق ما يقتضي تقديمه

وهو دلالة السياق، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[7]؛ لما كان إسراحُها وهي خِماص، وإراحتها وهي بِطَان، قدم الإراحة لأن الجمال بها حينئذ أفخر.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[8]؛ لأن السياقَ في ذكر مريم في

---

(١) أنظر: (الدر المنثور، للسيوطي ٣/ ٦. والأسماء والصفات، للبيهقي ٣١٩. والسنة، لابن أبي عاصم ١/ ٢٧٠. ومختصر العلوم ٩٢).

(٢) سورة: المائدة آية: ١١٨.

(٣) سورة: التغابن آية: ١٤.

(٤) سورة: التغابن آية: ١٥.

(٥) سورة: العلق آية: ٦ ـ ٧.

(٦) سورة: الإسراء آية: ١٦.

(٧) سورة: النحل آية: ٦.

(٨) سورة: الأنبياء آية: ٩١.

قوله: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[1]، ولذلك قدم الابن في غير هذا المكان.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[2].

وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾[3]؛ فإنه قدّم الحكم مع أن العلم لا بد من سبقه للحكم؛ ولكن لما كان السياق في الحكم قدّمه، قال تعالى:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾[4].

ويحتمل أن المراد بالحكم الحكمة، وبها فسر الزمخشري قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾[5].

وأما تقديم الحكيم على العليم في سورة الأنعام؛ فلأنه مقام تشريع الأحكام.

وأما في أول سورة يوسف فقدّم العليم على الحكيم[6]، لقوله في آخرها: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[7].

ومنه تقديم المحو على الإثبات في قوله: ﴿يَمْحُو ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[8]، فإنّ قبله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[9].

ويمكن أن يقال: ما يقع عليه المحو أقلّ مما يقع عليه غيره، ولا سيما عَلَى قراءة تشديد «يُثَبِّت»؛ فإنها ناصّة على الكثرة، والمراد به الاستمرار لا الاستئناف.

---

(1) سورة: الأنبياء آية: ٩١.
(2) سورة: المؤمنون آية: ٥٠
(3) سورة: الأنبياء آية: ٧٩.
(4) سورة: الأنبياء آية: ٧٨.
(5) سورة: يوسف آية: ٢٢.
(6) سورة: الأنعام آية: ٨٣.
(7) سورة: يوسف آية: ٦.
(8) سورة: الرعد آية: ٣٩.
(9) سورة: الرعد آية: ٣٨.

وقوله: ﴿وَيَمْحُ ٱللهُ ٱلْبَاطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾(1).

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً﴾(2)، قدّم «رُسُلاً» هنا على «مِنْ قَبْلِكَ» وفي غير هذه(3) بالعكس؛ لأن السياق هنا في الرسل.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَٱللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾(4)، قدم القبض لأن قبله ﴿مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾(5)، وكان هذا بسطاً، فلا يناسب تلاوة البسط، فقدم القبض لهذا، وللترغيب في الإنفاق؛ لأن الممتنع منه سببه خوف القِلّة، فبيّن أنّ هذا لا ينجيه، فإن القبض مقدر ولا بدّ.

العاشر: مراعاة اشتقاق اللفظ

كقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾(6).

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾(7).

﴿يُنَبَّأُ ٱلْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾(8).

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ. إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾(9).

﴿ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ ٱلْآخِرِينَ﴾(10).

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَأْخِرِينَ﴾(11).

وأما قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(12)، فقدّم

---

(1) سورة: الشورى آية: ٢٤.
(2) سورة: الرعد آية: ٣٨.
(3) سورة: الروم آية: ٤٧.
(4) سورة: البقرة آية: ٢٤٥.
(5) سورة البقرة آية: ٢٤٥.
(6) سورة: المدثر آية: ٣٧.
(7) سورة: الانفطار آية: ٥.
(8) سورة: القيامة آية: ١٣.
(9) سورة: الواقعة آية: ٣٩ ـ ٤٠.
(10) سورة: الواقعة آية: ٣٩ ـ ٤٠.
(11) سورة: الحجر آية: ٢٤.
(12) سورة: النحل آية: ٦١.

نفيَ التأخير؛ لأنه الأصل في الكلام، وإنما ذكر التقدّم مع عدم إمكان التقدم، نفياً لأطراف الكلام كله.

وكقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾(١).

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(٢).

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾(٣).

﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾(٤).

وقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾(٥).

﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾(٦).

فإن قلت قد جاء: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ﴾(٧).

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ. فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾(٨).

قلت: لمناسبة رءُوس الآي.

ومثله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾(٩)، ولأنّ الخطاب لهم، فقدّموا.

١١ ـ الحاديَ عشر: للحث عليه خيفة من التهاون به

كتقديم تنفيذ الوصية على وفاء الدين، في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾(١٠)؛ فإن وفاء الدَّيْن سابق على الوصية، لكن قدّم الوصية، لأنهم

---

(١) سورة: البروج آية: ١٣.

(٢) سورة: الأعراف آية: ٢٩.

(٣) سورة: الروم آية: ٤.

(٤) سورة: القصص آية: ٧٠.

(٥) سورة: الحديد آية: ٣.

(٦) سورة: البقرة آية: ٢٢٠.

(٧) سورة: النازعات آية: ٣٥.

(٨) سورة: النجم آية: ٢٤ ـ ٢٥.

(٩) سورة: المرسلات آية: ٣٨.

(١٠) سورة: النساء آية: ١١.

كانوا يتساهلون بتأخيرها، بخلاف الدَّيْن.

ونظيره: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً﴾[1]، قدم الإناث حثاً على الإحسان إليهم.

وقال السهيلي في «النتائج»: إنما قدمت الوصية لوجهين:

أحدهما: أنها قُرْبة إلى الله تعالى، بخلاف الدين الذي تعوّذ الرسل منه، فبدىء بها للفضل.

والثاني: أنّ الوصية للميت، والدين لغيره، ونفسك قبل نفس غيرك، تقول: هذا لي وهذا لغيري، ولا تقول في فصيح الكلام هذا لغيري وهذا لي.

١٢ ـ الثاني عشر: لتحقق ما بعده واستغنائه هو عنه في تصوّره

كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ﴾[2].

وقوله: ﴿وَمَن أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَىٰ ٱللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾[3].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾[4].

١٣ ـ الثالث عشر: الاهتمام عند المخاطب

كقوله: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[5].

ونظيره قوله عليه السلام: «وأن تقرأ السلام عَلَى مَنْ عرفته ومن لم تعرفه»[6].

---

(١) سورة: الشورى آية: ٤٩.
(٢) سورة: مريم آية: ٩٦.
(٣) سورة: فصلت آية: ٣٣.
(٤) سورة: الأعراف آية: ١٥٣.
(٥) سورة: النساء آية: ٨٦.
(٦) أنظر: (صحيح البخاري، الباب ٢٠ من كتاب الأعيان، والباب ٩، ١٩ من كتاب الاستئذان. وصحيح مسلم، حديث ٦٣ من الأعيان. وسنن أبي داوود، الباب ١٣١ من =

وقوله: ﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾[1] لفضل الصدقة على القريب.

وكقوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[2].

وقوله: ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾[3]، فقدم الكفارة على الديّة، وعكس في قتل المعاهد حيث قال:

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾[4].

قال الماوردي في «الحاوي»:

ووجهه أنّ المسلِمَ يَرَى تقديمَ حَقّ الله على نفسه، والكافرَ يرى تقديمَ نفسِه على حق الله، قال: وقال ابن أبي هريرة: إنما خَلَف بينهما ولم يجعلهما على نسق واحدٍ؛ لئلا يلحق بهما ما بينهما من قتل المؤمن في دار الحرب، في قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾،[5] فضم إليه الدِّيَة إلحاقاً بأحد الطرفين، فأزال هذا الاحتمال باختلاف اللفظين.

وقال الفقيه نجم الدين بن الرِّفعة[6].

= الأدب. وسنن النسائي، الباب ١٢ من الأعيان. ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ١٦٩. والجامع الكبير، للسيوطي خط ١/ ٤٧٢. والآداب، للبيهقي ٢٥٠).

(١) سورة: الأنفال آية: ٤١.

(٢) سورة: النساء آية: ٩٢.

(٣) سورة: النساء آية: ٩٢.

(٤) سورة: النساء آية: ٩٢.

(٥) سورة: النساء آية: ٩٢.

(٦) نجم الدين بن الرفعة، هو: أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة. فقيه شافعي من فضلاء مصر. كان محتسب القاهرة، وناب في الحكم، له كتب منها: «الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان». و«كفاية النبيه في شرح التنبيه، للشيرازي» و«المطلب» في شرح الوسيط».

أنظر ترجمته في: (البدر الطالع ١/ ١١٥. وطبقات الشافعية ٥/ ١٧٧. والدرر

يحتمل أن يقال: إنه لما كان الكفر يَهْدِر الدماء وهو موجود، كان الغاية يبذل الدم عند العصمة لأجل الميثاق أتمّ؛ لأنه يُغْمَض حُكْمُه، فلذلك قدمت الدِّية فيه، وأخّرت الكفارة، لأن حكمها قد سبق. ولما كانت عصمةُ المسلِم ثابتة، وقياس الأصول أنّه لا تجب الكفارة في قتل الخطأ، لأنّه لا إثمَ فيه، خصوصاً على المسلمين لرفع القلم عن الخطأ، كانت العناية بذكر الكفارة فيه أتمّ؛ لأنها التي تغمض، فقدّمت.

ومن هذا النوع: قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾[1]

قيل: لماذا بدأ بالمغرب قبل المشرق، وكان مسكن ذي القرنين من ناحية المشرق؟

قيل: لقصد الاهتمام، إما لتمرّد أهله وكثرة طغيانهم في ذلك الوقت، أو غير ذلك مِمّا لم ينته إلينا علمه.

ومن هذا أنَّ تأخر المقصود بالمدح والذم أوْلَى مِنْ تَقدُّمه؛ كقوله: نعم الرجل زيد، أحسن من قولك: زيد نعم الرجل؛ لأنهم يقدّمون الأهمّ، وهُمْ في هذا بذكر المدح والذمّ أهمّ.

فأما تقديمه في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[2] فإن الممدوح هنا بـ «نعم العبد» هو سليمان عليه السلام، وقد تقدم ذكره.

وكذلك أيوب في الآية الأخرى، والمخصوص بالمدح في الآيتين ضمير سليمان وأيوب، وتقديره: نعم العبد هو إنه أوّاب.

= الكامنة ١/ ٢٨٤. وإيضاح المكنون ١/ ١٥٨. وحسن المحاضرة ١/ ١٧٦. والأعلام ١/ ٢٢٢).

(١) سورة: الكهف آية: ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) سورة: صٓ آية: ٣٠ ـ ٤٤. (٤)

١٤ ـ الرابع عشر: للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد

كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾[(١)]، على القول بأن «الله» في موضع المفعول الثاني لـ «جعل»، و«شركاء» مفعول أول، ويكون «الجن» في كلام ثان مقدر، كأنه قيل: فمن جعلوا شركاء؟ قيل: الجن؛ وهذا يقتضي وقوع الإنكار على جعلهم «لله شركاء» على الإطلاق، فيدخل مشركةُ غير الجنّ، ولو أُخِّر فقيل: وجعلوا الجنّ شركاء لله، كان الجن مفعولاً أولاً، وشركاء ثانياً، فتكون الشركة مقيَّدة غير مطلقة؛ لأنه جرى على الجن، فيكون الإنكار توجه لجعل المشاركة للجن خاصة، وليس كذلك وفيه زيادة سبقت.

١٥ ـ الخامس عشر: للتنبيه على أن السبب مرتب

كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾[(٢)].

قدّم الجباه ثم الجنوب؛ لأن مانع الصدقة في الدنيا كان يصرف وجهه أولاً عن السائل، ثم ينوء بجانبه، ثم يتولّى بظهره.

١٦ ـ السادس عشر: التنقل

وهو أنواع:

إما من الأقرب إلى الأبعد، كقوله:

﴿يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشاً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[(٣)].

---

(١) سورة: الأنعام آية: ١٠٠.

(٢) سورة: التوبة آية: ٣٥.

(٣) سورة: البقرة آية: ٢١ ـ ٢٢.

قدم ذكر المخاطبين على من قبلهم، وقدم الأرض على السماء.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ﴾(١)، لقصد الترقي.

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَاتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٢).

وإمّا بالعكس، كقوله في أول الجاثية:

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾(٣).

وإما من الأعلى، كقوله:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(٤).

وقوله: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾(٥).

وإما من الأدنى، كقوله:

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾(٦).

وقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾(٧).

وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(٨).

فإن قلت: لم لا أكتفي بنفي الأدنى، ليُعلم منه نفيُ الأعلى بطريق الأوْلى؟ قلت: يُعلم جوابه ممّا سبق من التقديم بالزمان.

وكقوله: ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ...﴾(٩) الآية،

---

(١) سورة: آل عمران آية: ٥.
(٢) سورة: المؤمنون آية: ٨٦.
(٣) سورة: الجاثية آية: ٣ ـ ٤.
(٤) سورة: آل عمران آية: ١٨.
(٥) سورة: هود آية: ٤٩.
(٦) سورة: التوبة آية: ١٢١.
(٧) سورة: الكهف آية: ٤٩.
(٨) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.
(٩) سورة: المدثر آية: ٣١.

وبهذا يتبين فسادُ استدلال المعتزلة على تفضيل الملَك على البشر بقوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ﴾[1] فإنّهم زعموا أنّ سياقها يقتضي الترقّي من الأدنى إلى الأعلى، إذ لا يحسن أن يقال: لا يستنكف فلان عن خدمتك، ولا مَنْ دونه بل ولا من فوقه.

وجوابه: أن هؤلاء لمّا عبدوا المسيح، واعتقدوا فيه الوالديّة لما فيه من القدرة على الخوارق والمعجزات، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمهَ والأبـرص، وغيره؛ ولكونه خُلِق من غير تراب.

والتزهيدُ في الدنيا وغالب هذه الأمور هي للملائكة أتمّ، وهم فيها أقوى، فإن كانت هذه الصفات أوجبت عبادته، فهو مع هذه الصفات لا يستنكف عن عبادة الله، بل ولا مَنْ هو أكبر منه في هذه الصفات، للترقي من الأدنى إلى الأعلى في المقصود، ولم يلزم منه الشرف المطلق والفضيلة على المسيح.

١٧ ـ السابع عشر: الترقي

كقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا...﴾[2] الآية؛ فإنه سبحانه بدأ منها بالأدنى لغرض الترقي؛ لأن منفعه الرابع أهمّ من منفعة الثالث، فهو أشرف منه، ومنفعة الثالث أعمّ من منفعة الثاني، ومنفعة الثاني أعم من منفعة الأول، فهو أشرف منه.

وقد قُرِنَ السمع بالعقل ولم يقرن بـه البصر في قـوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لاَ يُبْصِرُونَ﴾[3]، وما قُرِن بالأشرف كان أشرف؛ وحكي ذلك عن علي بن عيسى الربعيّ[4].

---

(١) سورة: النساء آية: ١٧٢.

(٢) سورة: الأعراف آية: ١٩٥.

(٣) سورة: يونس آية: ٤٢.

(٤) علي بن عيسى الربعي، هو: علي بن عيسى بن فرج بن صالح، أبو الحسن الربعي: عالم بالعربية. أصله من شيراز. ولد عام (٣٢٨ هـ: ٩٤٠ م) اشتهر وتوفي في بغداد عام=

قال الشيخ أبو الفتح القُشَيْريّ:

فإن قيل: قد كان الأوْلى أن يقدّم الوصف الأعلى، ثم ما دونه، حتى ينتهيَ إلى أضعفها؛ لأنّه إذا بدأ بسلب الوصف الأعلى، ثم بسلب ما دونه، كان ذلك أبلغَ في الذمّ؛ لأنّه لا يلزم من سلب الأعلى سلبُ ما دونه، كما تقول: ليس زيد بسلطان، ولا وزير، ولا أمير، ولا والٍ. والغرض من الآية المبالغة في الذم.

قلت: ما ذكرته طريقة حسنة في علم المعاني، والمقصود من الآية طريقة أخرى، وهي أنه تعالى أثبت أنّ الأصنامَ التي تعبدها الكفار أمثالُ الكفار، في أنها مقهورة مربوبة، ثم حطّها عن درجة المثْلية بنفيِ هذه الصفات الثابتة للكفار عنها.

وقد علمتَ أن المماثلةَ بين الذوات المتنائية إنما تكون باعتبار الصفات الجامعة بينها؛ إذ هي أسباب في ثبوت المماثلة بينها، وتَقْوَى المماثلة بقوة أسبابها، وتضعف بضعفها، فإذا سُلِبَ وصفٌ ثابت لإحدى الذاتين عن الأخرى انتفى وجه من المماثلة بينهما، ثمّ سُلب وصفٌ من الأول انتفى وجهٌ من المماثلة أقوى من الأول، ثم لا يزال يسلب أسباب المماثلة، أقواها فأقواها؛ حتى تنتفيَ المماثلة كلُّها بهذا التدريج.

وهذه الطريقة ألطف من سلب أسباب المماثلة؛ أقواها ثم أضعفها فأضعفها.

١٨ ـ الثامن عشر: مراعاة الإفراد

فإن المفرد سابقٌ على الجمع، كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾(١).

(٤٢٠ هـ : ١٠٢٩ م) من مصنفاته «البديع»، و«شرح مختصر الجرمي» و«شرح الايضاح» والتنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي».

أنظر ترجمته في: (ابن خلكان ١/ ٣٤٣. وإرشاد الأريب ٥/ ٢٨٣. وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٧)

(١) سورة: الكهف آية: ٤٦.

وقوله: ﴿مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾[1].

ولهذا لما عَبِّر عن المال بالجمع أُخِّر عن البنين في قوله:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾[2].

ومنه تقديم الوصف بالمفرد على الوصف بالجملة، في قوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾[4].

١٩ ـ التاسع عشر: التحذير منه والتنفير عنه

كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾[5]، قَرَنَ الزنى بالشرك وقدّمه.

وقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ﴾[6]، قدّمهن في الذِّكْر؛ لأنّ المحنة بهن أعظم من المحنة بالأولاد.

وفي صحيح مسلم: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي في الناس فِتْنَةً أَضَرَّ على الرجال من النساء»[7].

ومن الحكمة العظيمة أنه بدأ بذكر النساء في الدنيا، وختم بـ «الْحَرْثِ» وهما طَرَفان متشابهان، وفيهما الشهوة والمعاش الدنيويّ، ولمّا ذكر بعد ذلك ما

---

(١) سورة: المؤمنون آية: ٥٥.
(٢) سورة: آل عمران آية: ١٤.
(٣) سورة: غافر آية: ٢٨.
(٤) سورة: الأنبياء آية: ٥٠.
(٥) سورة: النور آية: ٣.
(٦) سورة: آل عمران آية: ١٤.
(٧) أنظر: (صحيح البخاري ٧/ ١١. وصحيح مسلم، الباب ٢٦، حديث ٩٧، ٩٨ من الذكر والدعاء. وسنن الترمذي ٢٧٨٠. ومسند أحمد بن حنبل ٥/ ٢٠٠. والسنن الكبرى، للبيهقي ٧/ ٩١. والمعجم الكبير، للطبراني ١/ ١٣٣. وفتح الباري ٩/ ١٣٧. وتفسير القرطبي ٤/ ٢٩، ١٢/ ٣١١. وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/ ٣٩٥).

أعـدّه للمتقين أخّر ذكـر الأزواج كما يجب في التـرتيب الأخـرويّ، وختم بالرضوان.

وكم في القرآن من مثل هذا العجب إذا حضر له الذهن، وفرغ له الفهم.

ومنه: تقديم نفي الولد على نفي الـوالد، في قـوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[1]؛ فإنه لما وقـع في الأول منازعة الكفرة وتقوّلهم اقتضت الرتبة بالطبع تقديمة في الذكر، اعتناء به، قبل التنزيه عن الوالد الذي لم ينازِع فيه أحد من الأمم.

٢٠ ـ العشرون: التخويف منه

كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[2]، ونظائره السابقة في الثامن.

٢١ ـ الحادي والعشرون: التعجيب من شأنه

كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[3].

قال الزمخشري: قدم الجبال على الطير؛ لأن تسخيرَها له وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة، وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد، والطير حيوان ناطق.

قال ابن النحاس[4]: وليس مراد الزمخشري بـ «ناطق» ما يراد به في حدّ

---

(١) سورة: الإخلاص آية: ٣.

(٢) سورة: هود آية: ١٠٥.

(٣) سورة: الأنبياء آية: ٧٩.

(٤) ابن النحاس، هو: محمد بن إبراهيم بن محمد، بهاء الدين، ابن النحاس الحلبي: شيخ العربية بالديار المصرية في عصره. ولد في حلب عام (٦٢٧ هـ: ١٢٣٠ م) وسكن القاهرة وتوفي بها عام (٦٩٨ هـ: ١٢٩٩ م). من مصنفاته: «إملاء على كتاب المقرب». و«هدي أمهات المؤمنين» و«التعليقة». وغيرها.

أنظر ترجمته في: (فوات الوفيات ٢/ ١٧٢. وبغية الوعاة ٦. وغاية النهاية ٢/ ٤٦. وإعلام النبلاء ٤/ ٥٣٣. والوافي بالوفيات ٢/ ١٠).

الإنسان.

٢٢ ـ الثاني والعشرون: كونه أدلّ على القدرة

كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾

٢٣ ـ الثالث والعشرون: قصد الترتيب

كما في آية الوضوء ، فإن إدخال المسح بين الغَسْلين، وقطع النظر عن النظير مع مراعاة ذلك في لسانهم، دليل على قصد الترتيب.

وكذلك البداءة في الصفا بالسعي . ومثله الكفارة المرتبة في الظهار والقتل .

وهنا قاعدة ذكرها أصحابنا، وهي أن الكفارة المرتبة بدأ الله فيها بالأغلظ، والمخيّرة بدأ فيها بالأخفّ، كما في كفارة اليمين، ولهذا حملوا آية المحاربة في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ آللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي آلْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا...﴾[٢]، الآية.

على الترتيب لا التخيير؛ لأنه بدأ فيها بالأغلظ طرداً للقاعدة، خلافاً لمالك حيث جعلها على التخيير.

٢٤ ـ الرابع والعشرون: خفة اللفظ

كما في قولهم: ربيعة ومضر؛ مع أنّ مضر أشرفُ لكون النبيّ ﷺ منهم، لأنهم لو قدّموا مُضرَ لَتوالَى حركات كثيرة، وذلك يثقُل، فإذا قدّموا ربيعة ووقفوا

(١) سورة: النور آية: ٤٥.

(٢)سورة: المائدة آية: ٣٣.

على مضر، بسكون الراء، نقص الثِّقَل لقلة الحركات المتوالية.

وقد يكون تقديم الإنس على الجنّ من ذلك؛ فالإنس أخفّ لمكان النون والسين المهموسة.

٢٥ ـ الخامس والعشرون: رعاية الفواصل

كتأخير الغفور في قوله: ﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[(١)].

وقوله: ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾[(٢)].

وإن كانت القاعدة في علم البيان تأخيرَ ما هو الأبلغ، فإنه يقال: عالم نحرير، وشجاع باسل، وسَبَق له نظائر.

وكقوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ. ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[(٣)].

ولو قال: صَلُّوه الجحيم لأفاد المعنى؛ ولكن يفوت الجمع.

وقيل: فائدته الاختصاص.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[(٤)]، فقدم «إياه» على «تعبدون» لمشاكلة رؤوس الآي.

تنبيه:

قد يكون في كلّ واحد مما ذكرنا من الأمثلة سببان فأكثر للتقديم، فإمّا أن يُعتقد إرادة الكلّ، أو يرجح بعضها لكونه أهمّ في ذلك المحلّ. وإن كانت الأخرى أهمّ في محل آخر. وإذا تعارضت الأسباب رُوعي أقواها، فإن تساوت كان المتكلم بالخيار في تقديم أيّ الأمرين شاء.

---

(١) سورة: الحج آية: ٦٠.

(٢) سورة: مريم آية: ٥٤.

(٣) سورة: الحاقة آية: ٣٠ ـ ٣١.

(٤) سورة: النحل آية: ١١٤.

النوع الثاني
مما قدم والنية به التأخير

فمنه: ما يدل على ذلك الإعراب، كتقديم المفعول على الفاعل في نحو قوله:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ﴾[1].

و ﴿لَنْ يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾[2].

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾[3].

ونحوه: ممّا يجب في الصناعة النحوية كذلك، ولكن ذلك لقصد الحصر. كتقديم المفعول، كقوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾[4]. ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾[5].

وكتقديم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ ٱللَّهِ﴾[6].

ولو قال: «وظنوا أنّ حصونَهم مانعتُهم» لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم.

---

(1) سورة: فاطر آية: ٢٨.

(2) سورة: الحج آية: ٣٧.

(3) سورة: البقرة آية: ١٢٤.

(4) سورة: الزمر آية: ٦٤.

(5) سورة: الزمر آية: ١٤.

(6) سورة: الحشر آية: ٢.

وكذا: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي﴾[1].

ولو قال: «أأنت راغب عنها»؟ ما أفادت زيادة الإنكار على إبراهيم.

وكذلك: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلحقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2].

ولم يقل: «فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة»، وكان يستغني عن الضمير، لأن هذا لا يُفيد اختصاص الذين كفروا بالشخوص.

ومنه: ما يدلّ على المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[3].

قال البغويّ: هذا أول القصة، وإن كانت مؤخّرة في التلاوة.

وقال الواحدي: كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة، وإنما أخِّر في الكلام لأنه سبحانه لما قال: ﴿إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ...﴾[4] الآية عَلِم المخاطبون أنّ البقرة لا تُذبح إلا للدلالة على قاتلٍ خفيت عينه عليهم، فلما استقر عِلْمُ هذا في نفوسهم أتبع بقوله:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ على جهة التوكيد، لا أنه عرّفهم الاختلاف في القاتل بعد أنّ دلّهم على ذبح البقرة.

وقيل: إنه من المؤخر الذي يراد به التقدم، وتأويله: وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها فسألتم موسى فقال لكم: ﴿إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾.

وأما الزمخشري ففي كلامه ما يدل على أن إيرادها إنما كان يتأتى على الوجه الواقع في القرآن، لمعنىً حسن لطيف استخرجه وأبداه.

ومنه: قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ﴾[5].

---

(١) سورة: مريم آية: ٤٦.
(٢) سورة: الأنبياء آية: ٩٧.
(٣) سورة: البقرة آية: ٧٢.
(٤) سورة: البقرة آية: ٦٧.
(٥) سورة: الجاثية آية: ٢٣.

وأصل الكلام: «هواه إلٰهه» كما تقول: اتخذ الصنم معبوداً، لكن قدّم المفعول الثاني على الأول للعناية، كما تقول: علمت منطلقاً زيداً، لفضل عنايتك بانطلاقه.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ...﴾[1] الآية، أي: أنزله قيّماً ولم يجعل له عِوَجاً. قاله جماعة منهم: الواحدي.

وردّه فخر الدين في تفسيره بأن قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾[2]؛ معناه أنّه كاملٌ في ذاته، وأن «قَيّماً» معناه أنه مكمّل لغيره، وكونُه كامِلاً في ذاته، سابق على كونه مكمّلاً لغيره؛ لأن معنى «قَيِّماً» أنه قائم بمصالح الغير.

قال: فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيبَ الصحيح ما ذكر في الآية، وما ذكر من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه. انتهى.

وهذا فهم عجيب من الإمام، لأنّ القائل بالتقديم والتأخير لا يقول بأن كَوْنه غير ذي عِوَج متأخر عن كونه «قَيّماً» في المعنى، وإنما الكلام في ترتيب اللفظ لأجل الإعراب. وقد يكون أحد المعنيين ثابتاً قبل الآخر ويذكر بعده.

وأيضاً فإن هذا البحث إنّما هو على تفسير القيم بالمستقيم، فأما إذا فُسِّر بالقيام على غيره فلا نسلّم أنّ القائل يقول بالتقديم والتأخير.

وها هنا أمران:

١ ـ **أحدهما**: أنّ الأظهر جَعْل هذه الجملة ـ أعني قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً. قَيِّماً﴾ ـ من جملة صلة «الذي» وتمامها، وعلى[3] هذا لا موضعَ لها من الإعراب لوجهين[4]:

أحدهما: أنها في حَيِّز الصلة؛ لأنها معطوفة عليها.

(١) سورة: الكهف آية: ١.
(٢) سورة: الكهف آية: ٢.
(٣) في ب: «وهذه لا موضع لها من الاعراب».
(٤) في جـ: «بوجهين».

والثاني: أنها اعتراض بين الحال وعاملها.

ويجوز في الجملة المذكورة أن يكون موضعها النصب؛ على أنها حال من «الكتاب»، والعامل فيها «أنزل». قاله جماعة، وفيه نظر.

وأما قوله: «قَيِّماً» فيجوز في نصبه وجوه:

أحدها: وهو قول الأكثر ـ أنّه منصوب على الحال من «الكتاب» والعامل فيه «أنزل»، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: «الحمد لله الَّذي أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً»، فتكون الجملة على هذا اعتراضاً.

والثاني: أن يكون منصوباً بفعل مقدر، وتقديره: «ولكن جعله قيماً»، فيكون مفعولاً للفعل المقدر.

والثالث: أن يكون حالاً من الضمير في قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوجاً﴾، وتكون حالاً مؤكدة.

واختار صاحبُ الكشاف أن يكون «قَيِّماً» مفعولاً لفعل مقدر كما ذكرناه؛ لأن الجملة التي قبلها عنده معطوفة على الصلة، و«قَيِّماً» من تمام الصلة، وإذا كان حالاً يكون فيه فَصْلٌ بين بعض الصلة وتمامها، فكان الأحسن جعلُه معمولاً لمقدر.

وقال جماعة منهم ابن المنيّر في «تفسير البحر» بعد نقله كلام الزمخشري:

وعجيب من كونه لم يجعل الفاصل المذكور حالاً أيضاً، ولا فصل، بل هما حالان متواليان من شيء واحد، والتقدير: أنزل الكتاب غير معوجّ.

وهذا القول ـ وهو جعل الجملة حالاً ـ قد ذكره جماعة قبل ابن المنيّر، والظاهر أن الزمخشريّ لم يرتضِ هذا القول؛ لأنّ جَعْل الجملة حالاً لا يفيد، ما يفيد العطف، من نفي العِوَج عن الكتاب مطلقاً، غير مقيد بالإنزال وهو المقصود.

فالفائدة التي هي أتمّ إنما تكون على تقدير استقلال الجملة. كيف والقول

بالتقديم والتأخير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما؟! نقله الطبري، وغيره.

وقال الواحدي: هو قول جميع أهل اللغة والتفسير.

والزمخشري ربما لاحظ هذا المعنى، ولم يمنع جواز غير ما قال، لكنّ ما قال هو الأحسن.

وقال غير ابن المنيّر في الاعتراض على الزمخشري:

إن الجملة وإن كانت مستقلّة فهي في حيّز الصلة للعطف، فلم يقع فصل، ويؤيد ما ذكره صاحب «الكشاف» أنّ بعضَ القراء يسكت عند قوله: «عِوَجاً» ويفصل بينه وبين «قيّما» بسكتة لطيفة، وهي رواية حفص[1] عن عاصم، وذلك يحتمل أن يكون لما ذكرنا من تقدير الفصل، وانقطاع الكلام عما قبله.

قال ابن المنيِّر: وتحتمل السكتة وجهاً آخر، وهو أن يكون ذلك لرفع توهُّم أن يكون «قيما» نعتاً للعوج؛ لأن النكرة تستدعي النعت غالباً، وقد كثر في كلامهم إيلاء النكرة الجامدة نعتَها، كقوله: ﴿صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾، و﴿قُرْآناً عَرَبِيًّا﴾، فإذا وَلِي النكرة الجامدة اسم مشتق نكرة ظهر فيه معنى الوصف، فربما خِيف اللبس في جعل «قيما» نعتاً لـ «عِوَج»، فوقع اللبس بهذه السكتة.

وهذا أيضاً فيه نظر، لأن ذلك إنما يتوهم فيما يصلح أن يكون وصفاً، ولا يصلح «قيماً» أن يكون وصفاً لـ «عوج» فإنّ الشيء لا يوصف بضده؛ لأن العوج لا يكون قيماً.

والأَوْلى ما ذكرناه أولاً.

٢ ـ الثاني: نقل الإمام عن بعضهم أن «قَيِّماً» بدل من قوله: «عِوَجاً»، وهو مُشْكِل، لأنه لا يظهر له وجه.

* * *

---

(١) في ب: «عاصم عن حفص».

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾[1].

قيل: التقدير: لقد همّت به لولا أن رأى برهان ربه وهَمّ بها. وهذا أحسن؛ لكن في تأويله قَلَق، ولا يُحتاج إلى هذا التأويل إلّا على قول من قال: إنّ الصغائر يجوز وقوعها منهم.

وقوله: ﴿فَضَحِكَتْ، فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾[2].

قيل: أصله: فبشرناها بإسحاق فضحكت.

وقيل: ضحكت أي حاضت بعد الكَبر عند البُشْرَى، فعادت إلى عادات النساء من الحيض والحمل والولادة.

وقوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[3].

قدّم على ما بعده، وهو مؤخر عنه في المعنى؛ لأنّ ذلك يحصل للتوافق.

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[4].

أي: أحوى غثاء، أي: أخضر، يميل إلى السواد، والموجب لتأخير ﴿أَحْوَى﴾ رعاية الفواصل.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً﴾[5].

قال ابن بَرْهان النحوي: أصله: ومن يبتغ ديناً غير الإسلام.

وقوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[6].

قال أبو عبيد: الغربيب الشديد السواد، ففي الكلام تقديم وتأخير.

---

(١) سورة: يوسف آية: ٢٤.
(٢) سورة: هود آية: ٧١.
(٣) سورة: الكهف آية: ٧٩.
(٤) سورة: الأعلى آية: ٥.
(٥) سورة: آل عمران آية: ٨٥.
(٦) سورة: فاطر آية: ٢٧.

وقال صاحب «العجائب والغرائب»[1]: قال ابن عيسى: الغربيب الذي لون لون الغراب، فصار كأنه غراب. قال: والغراب يكون أسودَ وغير أسود، وعلى هذا فلا تقديم ولا تأخير فيه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾[2] على قول من يقول: إنّ الذكر هنا القرآن.

وقوله: ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[3].

وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[4].

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾[5] أي: فعقروها، ثم كذبوه في عَقْرها وفي إجابتهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾[6]، تقديره: ثم قضى أجلاً وعندهُ أجل مسمى، أي: وقت مؤقّت.

وقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ﴾[7] أي: الأوثان من الرجس.

﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[8] أي: يرهبون ربهم.

---

(١) هو: محمود بن حمزة الكرماني، المعروف بتاج القراء. عالم بالقراءات. نقل في التفسير آراء مستنكرة في معرض التحذير منها، كان أولى إهمالها، أثنى عليه الجزري وذكر بعض كتبه منها: «لباب التفسير» ويعرف «بالعجائب والغرائب». و«لباب التأويل». و«البرهان في متشابه القرآن». وغيرها.

أنظر ترجمته في: (غاية النهاية ٢/ ٢٩١. وإرشاد الأريب ٧/ ١٤٦. والاتقان للسيوطي ٢/ ٢٢١. ومفتاح السعادة ١/ ٤٢١. وكشف الظنون ١٣١، ١٥٦٢. وهدية العارفين ٢/ ٤٠٢. والأعلام ٧/ ١٦٨).

(٢) سورة: الأنبياء آية: ١٠٥.

(٣) سورة: النور آية: ٢٧.

(٤) سورة: القمر آية: ١.

(٥) سورة: الشمس آية: ١٤.

(٦) سورة: الأنعام آية: ٢.

(٧) سورة: الحج آية: ٣٠.

(٨) سورة: الأعراف آية: ١٥٤.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾(١)، أي: الذين هم حافظون لفروجهم.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾(٢) أي: مخلفَ رسله وعده.

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾(٣)، أي: بل الإنسان بصيرٌ على نفسه في شهود جوارحه عليه.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾(٤)، أي: خُلِق العجل من الإنسان.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾(٥)، أي: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان العذاب لازماً لهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾(٦)، أي: كيف مدّه ربك.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(٧) أي: لشديدٌ لحبّ الخير.

﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ﴾(٨) أي: زيّن للمشركين شركاؤهم قتلَ أولادهم؛ لأن الشياطين كانوا يحسّنون لهم قتل بناتهم خشية العار.

وقوله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾(٩).

وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(١٠)، أي: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذّبهم بها في الآخرة.

---

(١) سورة: المؤمنون آية: ٥.
(٢) سورة: إبراهيم آية: ٤٧.
(٣) سورة: القيامة آية: ١٤.
(٤) سورة: الأنبياء آية: ٣٧.
(٥) سورة: طه آية: ١٢٩.
(٦) سورة: الفرقان آية: ٤٥.
(٧) سورة: العاديات آية: ٨.
(٨) سورة: الأنعام آية: ١٣٧.
(٩) سورة: النساء آية: ٨٣.
(١٠) سورة: التوبة آية: ٥٥.

وقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾[1]، تقديره: مثل الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[2]، أي: فأنا عدوّ آلهتهم وأصنامهم، وكلّ معبود يعبدونه من دون الله.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا﴾[3]، أي: فزعوا وأخذوا، فلا فوت، لأن الفوت يكون بعد الأخذ.

وقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ﴾، يعني القيامة.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[4]؛ وذلك يوم القيامة. ثم قال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾[5]، والنصب والعمل يكونان في الدنيا، فكأنه على التقديم والتأخير، معناه: وجوه عاملة ناصبة ويوم القيامة خاشعة، والدليل عليه قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾[6].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾[7].

تقديره: لَمَقْت الله إياكم في الدنيا حين دعيتم إلى الإيمان فكفرتم، ومقته إياكم اليوم أكبر من مقتكم أنفسكم إذ دُعِيتم إلى النار.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[8].

لأن الفجرَ ليس له سواد، والتقدير: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل؛ أي حتى يتبين لكم بياض الصبح من بقية

(١) سورة: إبراهيم آية: ١٨.
(٢) سورة: الشعراء آية: ٧٧.
(٣) سورة: سبإ آية: ٥١.
(٤) سورة: الغاشية آية: ١ - ٢.
(٥) سورة: الغاشية آية: ٣.
(٦) سورة: الغاشية آية: ٨.
(٧) سورة: غافر آية: ١٠.
(٨) سورة: البقرة آية: ١٨٧.

سواد الليل.

وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ ٱللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾[1].

وقوله: ﴿كأن لم تكن﴾ منظوم بقوله: ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ﴾[2]، لأنه موضع الشماتة.

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[3]، أي: اثنين إلٰهين، لأن اتخاذ اثنين يقع على ما يجوز وما لا يجوز، و«إلٰهين» لا يقع إلا على ما لا يجوز، فـ «إلٰهين» أخصّ، فكان جعله صفة أوْلى.

---

(١) سورة: النساء آية: ٧٣.

(٢) سورة: النساء آية: ٧٣.

(٣) سورة: النحل آية: ٥١.

النوع الثالث
ما قدّم في آية وأخّر في أخرى

فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لله﴾[1]

وفي خاتمة الجاثية ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ﴾[2].

فتقديم «الحمد» في الأول جاء على الأصل، والثاني على تقدير الجواب، فكأنه قيل عند وقوع الأمر: لمن الحمد؟ ومَنْ أهله؟ فجاء الجواب على ذلك، نظيره: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، ثم قال: ﴿لله ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[3].

وقوله في سورة يسٓ: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾[4]، قدّم المجرور على المرفوع، لاشتمال ما قبلَه من سوء معاملة أصحاب القرية الرسل، وإصرارِهم على تكذيبهم، فكان مظنة التتابع على مجرى العبارة، تلك القرية، ويبقى مخيلاً في فكره: أكانت كلّها كذلك، أم كان فيها...[5] على خلاف ذلك، بخلاف ما في سورة القصص[6].

ومنها: قوله في سورة النمل: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾[7].

وفي سورة المؤمنين: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هٰذَا مِنْ قَبْلُ﴾[8]، فإنّ ما

---

(١) سورة: الفاتحة آية: ٢.

(٢) سورة: الجاثية آية: ٣٦.

(٣) سورة: غافر آية: ١٦.

(٤) سورة: يسٓ آية: ٢٠.

(٥) مكان النقط مطموس في الأصول.

(٦) سورة: القصص آية: ٢٠.

(٧) سورة: النمل آية: ٦٨.

(٨) سورة: المؤمنون آية: ٨٣.

قبل الأولى ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا﴾[1]، وما قبل الثانية: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً﴾[2] ، فالجهة المنظور فيها هناك كون أنفسهم وآبائهم تراباً، والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً، ولا شبهة أنّ الأوْلى أدْخَلُ عندهم في تبعيد البعث.

ومنها: قوله في سورة المؤمنين: ﴿ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3]، فقدّم المجرور على الوصف؛ لأنه لو أخبر عنه ـ وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل عليه الموصوف، وتمامه: ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾[4] ـ لاحتمل أن يكون من نعيم الدنيا.

واشْتَبَه الأمر في القائلين: أهم من قومه، أم لا؟ بخلاف قوله في موضع آخر منها: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾[5]؛ فإنه جاء على الأصل.

ومنها: قوله في سورة طه: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾[6]، تتميماً على الفاصلة، بخلاف قوله في سورة الشعراء: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾[7].

ومنها: قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[8].

وقال في سورة الإسراء: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[9].

قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية، لأنّ الخطاب في الأولى في الفقراء، بدليل قوله: ﴿مِنْ إملاقٍ﴾، فكان رزقهم عندهم أهمّ من رزق أولادهم، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، والخطاب في الثانية للأغنيء؛ بدليل ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، ، فإنّ الخشية إنما تكون مما لم يقع، فكان رزق أولادهم هو المطلوب، دون رزقهم، لأنّه حاصل، فكان أهمّ، فقدم الوعد

---

(١) سورة: النمل آية: ٦٧.
(٢) سورة: المؤمنون آية: ٨٢.
(٣) سورة: المؤمنون آية: ٣٣.
(٤) سورة: المؤمنون آية: ٣٣.
(٥) سورة: المؤمنون آية: ٢٤.
(٦) سورة: طه آية: ٧٠.
(٧) سورة: الشعراء آية: ٤٨.
(٨) سورة: الأنعام آية: ١٥١.
(٩) سورة: الإسراء آية: ٣١.

برزق أولادهم على الوعد برزقهم.

ومنها: ذكر الله في أواخر سورة الملائكة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

فقدم ذكر السموات؛ لأن معلوماتها أكثر، فكان تقديمها أدلّ على صفة العالمية.

ثم قال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ﴾[2].

فبدأ بذكر الأرض، لأنه في سياق تعجيز الشركاء عن الخلق والمشاركة، وأمرُ الأرضِ في ذلك أيسرُ من السماء بكثير؛ فبدأ بالأرض مبالغة في بيان عجزهم؛ لأنَ مَنْ عجز عن أيسر الأمرين كان عن أعظمهما أعجز.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[3].

فقدّم السماوات تنبيهاً على عِظَم قدرته سبحانه؛ لأنّ خَلْقَها أكبرُ من خلْق الأرض، كما صُرِّح به في سورة المؤمن[4]؛ ومَنْ قَدَر على إمساك الأعظم كان على إمساك الأصغر أقدر.

فإن قلت: فهلّا اكتفى من ذكر الأرض بهذا التنبيه البَيِّن، الذي لا يَشُكّ فيه أحد!؟

قلت: أراد ذكرها مطابقة؛ لأنه على كلّ حال أظهرُ وأبْيَن؛ فانظر أيها العاقل حكمة القرآن، وما أُودِعَه من البيان والتبيان، تحمد عاقبة النظر، وتنتظر خير مُنْتظر!

---

(١) سورة: فاطر آية: ٣٨.

(٢) سورة: فاطر آية: ٤٠.

(٣) سورة: فاطر آية: ٤١.

(٤) سورة: غافر آية: ٥٧.

ومن أنواعه:

أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها؛ لقصد أن يقع البداءة والختم به، للاعتناء بشأنه، وذلك كقوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾(١).

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا...﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾(٢).

وكذلك قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْض وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(٣).

فإنه لولا ما أسلفناه، لقيل: ما تكتمون وما تبدون؛ لأنّ الوصف بعلمه أمْدَح، كما قيل:

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾(٤).

و﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾(٥).

﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾(٦).

فإن قلت: فقد قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٧).

قلت: لأجلِ تناسب رءوس الآي.

ومنها: أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر، واللفظ واحد، والقصة واحدة، للتفنن في الفصاحة، وإخراج الكلام على عدة أساليب، كما في قوله تعالى:

---

(١) سورة: آل عمران آية: ١٠٦

(٢) سورة: الجمعة آية: ١١.

(٣) سورة: البقرة آية: ٣٣.

(٤) سورة: الأنعام آية: ٣.

(٥) سورة: الرعد آية: ٩.

(٦) سورة: النحل آية: ١٩.

(٧) سورة: طه آية: ٧.

﴿وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[1].

وقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّداً﴾[2].

وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾[3].

وقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾[4].

قال الزمخشري في كشافه القديم: عُلم بذلك أنّ كلا الطريقين داخل تحت الْحُسْن؛ وذلك لأنّ العطف في المختلفين، كالتثنية في المتفقين، فلا عليك أن تقدّم أيّهما شئت، فإنه حسن مؤدّ إلى الغرض.

وقد قال سيبويه: ولم يجعل للرجل منزلة بتقديمك إياه، بكونه أوْلى بها من الجائي؛ كأنك قلت: مررت بهما، يعني في قولك: مررت برجل وجاءني، إلّا أن الأحسن تقديم الأفضل، فالقلب رئيس الأعضاء، والمضغة لها الشأن، ثم السمع طريق إدراك وحي الله، وكلامه الذي قامت به السماوات والأرض، وسائر العلوم التي هي الحياة كلها.

قلت: وقد سبق توجيه كل موضع بما ورد فيه من الحكمة.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٥٨.

(٢) سورة: الأعراف آية: ١٦١.

(٣) سورة: البقرة آية: ٧.

(٤) سورة: الجاثية آية: ٢٣.

[الأسلوب الثالث]
القلب

وفي كونه من أساليب البلاغة خلاف، فأنكره جماعة، منهم حازم في كتاب «منهاج البلغاء» وقال:

إنه مما يجب أن ينزّه كتاب الله عنه؛ لأن العربَ إن صدر ذلك منهم فبقصد العَبَث، أو التهكّم، أو المحاكاة، أو حال اضطرار، والله منزّه عن ذلك.

وقبله جماعة مطلقاً، بشرط عدم اللّبس كما قاله المبرّد في كتاب «ما اتفق لفظه واختلف معناه»(١).

وفصَّل آخرون بين أن يتضمن اعتباراً لطيفاً، فبليغ وإلا فلا؛ ولهذا قال ابن الضائع: يجوز القلب على التأويل، ثم قد يَقْرُبُ التأويل فيصحّ في فصيح الكلام، وقد يبعد فيختص بالشعر.

وهو أنواع:

أحدها: قلب الإسناد

وهو أن يشمل الإسنادَ إلى شيء والمراد غيره، كقوله تعالى:

﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾(٢).

---

(١) أنظر: (ما اتفق لفظه واختلف معناه ٣٨٤). (٢) سورة: القصص آية: ٧٦.

إن لم تجعل الباء للتعدية؛ لأن ظاهره أن المفاتح تنوء بالعصبة، ومعناه أنّ العصبة تنوء بالمفاتح لثقلها، فأسند «لَتنوء» إلى «المفاتح»، والمراد إسناده إلى العصبة؛ لأن الباء للحال، والعُصْبة مستصحبة المفاتح، لا تستصحبها المفاتح. وفائدته: المبالغة، يجعل المفاتح كأنها مستتبعة للعُصْبة القوية بثقلها.

وقيل: لا قَلْبَ فيه، والمراد ـ والله أعلم ـ أنّ المفاتح تنوء بالعصبة، أي: تُميلها من ثقلها. وقد ذكر هذا الفراء وغيره.

وقال ابن عصفور: والصحيح ما ذهب إليه الفارسيّ: أنّها بالنقل ولا قلب، والفعل غير متعدٍّ، فصار متعدّياً بالباء؛ لأن «ناء» غير متعدّ، يقال: ناء النجم، أي: نهض، ويقال: ناء، أي: مال للسقوط. فإذا نقلت الفعل بالباء قلت: نؤت به، أي: أنهضته وأملته للسقوط، فقوله: ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَـةِ﴾[1] أي: تميلها المفاتح للسقوط لثقلها.

قال: وإنما كان مذهب الفارسي أصحّ؛ لأن نقل الفعل غير المتعدي بالباء مَقيس، والقلب غيرُ مَقيس، فحمْل الآية على ما هو مَقِيس أوْلى.

ومنه: قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[2]، أي: خُلِق العجل من الإنسان. قاله ثعلب، وابن السكيت.

قال الزجّاج: ويدل على ذلك: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[3].

قال ابن جني: والأحسن أن يكون تقديره: خُلق الإنسان من العجلة، لكثرة فعله إياه، واعتماده له، وهو أقوى في المعنى من القلْب؛ لأنه أمر قد اطّرد واتسع، فحمْله على القلب يبعد في الصنعة، ويضعِف المعنى.

ولَمَّا خَفي هذا على بعضهم قال: إنّ العجل ها هنا الطين، قال: ولَعَمْري إنه في اللغة كما ذكر، غير أنه ليس المراد هنا إلا نفس العجل، ألا ترى إلى

---

(١) سورة: القصص آية: ٧٦.

(٢) سورة: الأنبياء آية: ٣٧.

(٣) سورة: الإسراء آية: ١١.

قوله عقبة:

﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[1].

ونظيره قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[2].

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾[3].

لأن العجلة ضرب من الضعف، لما تؤذن به الضرورة والحاجة.

وقيل في قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[4]: أي إنه من المقلوب، وأنه ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾، وهكذا في قراءة أبي بكر[5].

ومثله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[6].

قال الفراء: أي: لكل أمرٍ كتبه الله أجل مؤجّل.

وقيل في قوله: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾[7]: هو من المقلوب، أي: يريد بك الخير، ويقال: أراده بالخير وأراد به الخير.

وجعل ابن الضائع منه: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[8]، قال: فآدم صلوات الله على نبينا وعليه هو المتلقِّي للكلمات حقيقة، ويقرب أن ينسب التلقي للكلمات؛ لأنّ مَنْ تلقّى شيئاً، أو طلب أن يتلقّاه فلقيَه كان الآخر أيضاً قد طلب ذلك؛ لأنه قد لقيه. قيل: ولقرب هذا المعنى قرىء بالقلب[9].

وجعل الفارسيّ منه: قوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾[10]، أي: فعميتم عليها.

---

(١) سورة: الأنبياء آية: ٣٧.

(٢) سورة: الإسراء آية: ١١.

(٣) سورة: النساء آية: ٢٨.

(٤) سورة: ق آية: ١٩.

(٥) أنظر: (الكشاف، للزمخشري ٤/ ٣٠٦).

(٦) سورة: الرعد آية: ٣٨.

(٧) سورة: يونس آية: ١٠٧.

(٨) سورة: البقرة آية: ٣٧.

(٩) أنظر: (تفسير القرطبي ١/ ٢٢٦).

(١٠) سورة: هود آية: ٢٨.

وقوله: ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾[1].

وقوله: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[2].

﴿وَقَدْ بَلَغَنِي ٱلْكِبَرُ﴾[3]، أي: بلغت الكبر.

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾[4].

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[5]؛ فإنّ الأصنام لا تعادي وإنما المعنى: فإني عدوّ لهم، مشتقّ من عدوت الشيء، إذا جاوزتَه وخلفته وهذا لا يكون إلا فيمن له إرادة، وأمّا «عاديته» فمفاعلة لا يكون إلا من اثنين.

وجعل منه بعضهم: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[6]، أي: إنّ حبّه للخير لشديد.

وقيل: ليس منه، لأنّ المقصود منه أنه لحبّ المال لَبخيل، والشدة: البخل، أي: من أجل حبّه للمال يبخل.

وجعل الزمخشريّ منه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ﴾[7]، كقوله: عرضت الناقة على الحوض، لأنّ المعروض ليس له اختيار، وإنما الاختيار للمعروض عليه؛ فإنّه قد يفعل ويريد؛ وعلى هذا فلا قلبَ في الآية؛ لأنّ الكفار مقهورون فكأنهم لا اختيار لهم، والنار متصرفة فيهم، وهو كالمتاع الذي قرب منه مَنْ يعرض عليه، كما قالوا: عرضت الجارية على البيع.

وقوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾[8]، ومعلوم أنّ التحريم لا يقع إلا على المكلّف، فالمعنى: وحرّمنا على المراضع أن ترضعه. ووجه تحريم إرضاعه عليهنّ ألاّ يقبل إرضاعهنّ حتى يردّ إلى أمّه.

---

(١) سورة: يونس آية: ٢٤.
(٢) سورة: مريم آية: ٨.
(٣) سورة: آل عمران آية: ٤٠.
(٤) سورة: الجاثية آية: ٢٣.
(٥) سورة: الشعراء آية: ٧٧.
(٦) سورة: العاديات آية: ٨.
(٧) سورة: الأحقاف آية: ٢٠.
(٨) سورة: القصص آية: ١٢٠.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾[1].

قيل: الأصل وما تخدعهم إلَّا أنفسهم، لأنَّ الأنفسَ هي المخادِعة، والمسوِّلة.

قال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾[2].

ورُدَّ بأن الفاعل في مثل هذا هو المفعول في المعنى، وأنّ التغاير في اللفظ فقط، فعلى هذا يصحّ إسناد الفعل إلى كلٍّ منهما؛ ولا حاجة إلى القلب.

الثاني: قلب المعطوف

إما بأن تجعل المعطوفَ عليه معطوفاً والمعطوف معطوفاً عليه، كقوله تعالى: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[3].

حقيقته: فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم، لأنّ نظره ما يرجعون من القول غير متأتٍّ مع توليه عنهم. وما يفسّر به التولّي من أنه يتوارى في الكوّة التي أُلقي منها الكتاب مجاز، والحقيقة راجحة عليه.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[4]، أي: تدلّى فدنا؛ لأنه بالتدلّي نال الدنوّ والقرب إلى المنزلة الرفيعة وإلى المكانة، لا إلى المكان.

وقيل: لا قلب، والمعنى: ثم أراد الدنوّ فتدلّى، وفي صحيح البخاري[5]: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ﴾[6]، المعنى: فإذا استعذت فاقرأ.

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[7].

وقال صاحب الإيضاح: لا قلب فيه؛ لعدم تضمنه اعتباراً لطيفاً.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٩.
(٢) سورة: يوسف آية: ١٨.
(٣) سورة: النمل آية: ٢٨.
(٤) سورة: النجم آية: ٨.
(٥) سورة: النحل آية: ٣ ـ ١٤٨.
(٦) سورة: النحل آية: ٩٨.
(٧) سورة: الأعراف آية: ٤٠.

وردّ بتضمنه المبالغة في شدة سَوْرة البأس؛ يعني هلكت بمجرد توجه الناس إليها، ثم جاءها.

الثالث: العكس

العكس؛ وهو أمر لفظي، كقوله:

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾(١).

وقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾(٢).

﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(٣).

﴿يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ﴾(٤).

الرابع: المستوى

وهو أنّ الكلمة أو الكلمات تقرأ من أوّلها إلى آخرها، ومن آخرها إلى أوّلها، لا يختلف لفظها ولا معناها، كقوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾(٥) ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾(٦).

الخامس: مقلوب البعض

وهو أن تكون الكلمة الثانية مركبة من حروف الكلمة الأولى، مع بقاء بعض حروف الكلمة الأولى، كقوله تعالى:

﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(٧)، فـ «بَنِي» مركّب من حروف «بين»، وهو مفرّق، إلا أن الباقي بعضها في الكلمتين، وهو أولها.

---

(١) سورة: الأنعام آية: ٥٢.
(٢) سورة: البقرة آية: ١٨٧.
(٣) سورة: الممتحنة آية: ١٠.
(٤) سورة: الحج آية: ٦١.
(٥) سورة: المدثر آية: ٣.
(٦) سورة: الأنبياء آية: ٣٣.
(٧) سورة: طه آية: ٩٤.

المدرج

هذا النوع سميتُه بهذه التسمية، بنظير المُدْرَج من الحديث[١]، وحقيقته في أسلوب القرآن أن تجيء الكلمة إلى جنب أخرى كأنها في الظاهر معها، وهي في الحقيقة غير متعلقة بها، كقوله تعالى ذاكراً عن بلقيس:

﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٢] هو من قول الله لا من قول المرأة.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ٱلْآنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ﴾[٣]. انتهى قول المرأة[٤] ثم قال يوسف عليه السلام: ﴿ذٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾[٥]، معناه: ليعلم الملك أني لم أخنه.

ومنه: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[٦]، تمّ الكلام، فقالت الملائكة: ﴿هٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[٧].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ

---

(١) أنظر تعريف المدرج في: (الباعث الحثيث ٨٠).

(٢) سورة: النمل آية: ٣٤.

(٣) سورة: يوسف آية: ٥١.

(٤) كذا في الأصول، وهو خطأ فآخر قول المرأة في الآية ٥٣.

(٥) سورة: يوسف آية: ٥٢.

(٦) سورة: يٓس آية: ٥٢.

(٧) سورة: يٓس آية: ٥٢.

مُبْصِرُونَ﴾[١] فهذه صفة لأتقياء المؤمنين، ثم قال: ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾[٢]، فهذا يرجع إلى كفار مكة تمدهم إخوانهم من الشياطين في الغيّ.

وقوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾[٣] ثم أخبر عن فرعون متصلاً: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[٤].

وقوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾[٥]، فالظاهر أنّ الكلام كلّه من كلام الزبانية، والأمر ليس كذلك.

وقوله: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٦] من كلامه تعالى، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٧].

---

(١) سورة: الأعراف آية: ٢٠١.
(٢) سورة: الأعراف آية: ٢٠٢.
(٣) سورة: الشعراء آية: ٣٥.
(٤) سورة: الشعراء آية: ٣٥.
(٥) سورة: صٓ آية: ٥٩.
(٦) سورة: الصافات آية: ٨٤.
(٧) سورة: الشعراء آية: ٨٩.

التّرقّي

كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1].

﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾[2].

فإن قيل: فقد ورد: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾[3]، والغالب أن يقدم فيه القليل على الكثير؛ مع أن الظّلم مَنع للحق من أصله، والهضم مَنْعٌ له مَنْ وجه كالتطفيف؛ فكان يناسبه[4] تقديم الهضم.

قلت: لأجل فواصل الآي؛ فإنه تقدم قبله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾[5].

فَعَدَل عنه في الثاني، كيلا يكون أبطأ، وقد سبقت أمثلة الترقّي في أسباب التقديم.

---

(1) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.

(2) سورة: الكهف آية: ٤٩.

(3) سورة: طه آية: ١١٢.

(4) في ب: فكان قياسه.

(5) سورة: طه آية: ١١١.

الاقتصاص

ذكره أبو الحسين بن فارس، وهو أن يكون كلام في سورة مقتصًا من كلامٍ في سورة أخرى، أو في السورة نفسها، ومثّله بقوله تعالى:

﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾(١)، والآخرة دار ثواب لا عمل فيها، فهذا مقتصٌ من قوله:

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ ٱلصَّالِحَاتِ فَأُولٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلْعُلَىٰ﴾(٢).

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾(٣)، مأخوذ من قوله تعالى:

﴿فَأُولٰئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾(٤).

وقوله: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾(٥).

فأما قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلأَشْهَادُ﴾(٦).

فيقال: إنها مقتصّة من أربع آيات؛ لأن الأشهاد أربعة:

الملائكة عليهم السلام في قولـه: ﴿وَجَاءتْ كُـلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَـائِقٌ

(١) سورة: العنكبوت آية: ٢٧.
(٢) سورة: طه آية: ٧٥.
(٣) سورة: الصافات آية: ٥٧.
(٤) سورة: الروم آية: ١٦.
(٥) سورة: مريم آية: ٦٨.
(٦) سورة: غافر آية: ٥١.

وَشَهِيدٌ﴾[1].

والأنبياء عليهم السلام لقوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾[2].

وأمة محمد ﷺ لقوله:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ ٱلنَّاسِ﴾[3].

والأعضاء لقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

ومنه: قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾[5]، وقرئت مخففة ومثقلة، فمن شدد فهو من «ندَّ» إذا نفر؛ وهو مقتصّ من قوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ...﴾[6] الآية.

ومن خفف فهو تفاعل من النداء، مقتصّ من قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابَ ٱلنَّارِ﴾[7].

---

(1) سورة: قٓ آية: ٢١.
(2) سورة: النساء آية: ٤١.
(3) سورة: البقرة آية: ١٤٣.
(4) سورة: النور آية: ٢٤.
(5) سورة: غافر آية: ٣٢.
(6) سورة: عبس آية: ٣٤.
(7) سورة: الأعراف آية: ٤٤.

الإلغاز

واللّغز الطريق المنحرف، سُمِّي به لانحرافه عن نَمَط ظاهر الكلام؛ ويسمَّى أيضاً أحجيّة؛ لأنّ الحجى هو العقل؛ وهذا النوع يقوِّي العقل عند التمرن والارتماض، بَحَلِّه والفكر فيه.

وذكر بعضهم أنه وقع في القرآن العظيم، وجعل منه ما جاء في أوائل السُّورَ من الحروف المفردة والمركبة التي جهل معناها، وحارت العقول في منتهاها.

ومنه: قوله تعالى في قصة إبراهيم لما سئل عن كسر الأصنام.

وقيل له: أنت فعلته؛ فقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[1]، قابلهم بهذه المعارضة ليقيم عليهم الحجة، ويوضّح لهم المحجة.

وكذلك قول نمروذ: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[2]، أتى باثنين فقتل أحدهما، وأرسل الآخر، فإن هذا مغالطة.

---

(١) سورة: الأنبياء آية: ٦٣.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢٥٨.

الإستطراد

وهو التعريض بعيب إنسان بذكر عيب غيره، كقوله تعالى:

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾(١).

وكقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾(٢).

وقوله: ﴿أَلَا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾(٣).

---

(١) سورة: إبراهيم آية: ٤٥.

(٢) سورة: فصلت آية: ١٣.

(٣) سورة: هود آية: ٩٥.

الترديدُ

وهو أن يعلِّق المتكلم لفظة من الكلام ثم يردّها بعينها، ويعلِّقها بمعنى آخر كقوله:

﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ٱللهِ ٱللهُ أَعْلَمُ...﴾[1]، الآية.

فإنّ الأول مضاف إليه، والثاني مبتدأ.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَٰهِراً مِنَ ٱلْحَيَٰوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

وقوله: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾[3].

وقد يحذف أحدها ويضمر، أو لا يلاحظ[4]؛ على الخلاف في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[5].

(١) سورة: الأنعام آية: ١٢٤.
(٢) سورة: الروم آية: ٦ - ٧.
(٣) سورة: التوبة آية: ١٠٨.
(٤) في جـ: أو لا يلحظ.
(٥) سورة: البقرة آية: ٢.

التغليب

وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره. وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظه عليهما؛ إجراءً للمختلفَيْن مجرى المتفقَيْن.

وهو أنواع:

الأول: تغليب المذكّر

كقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[1] غلّب المذكر؛ لأن الواو جامعة؛ لأن لفظ الفعل مقتض[2]، ولو أردت العطف امتنع.

وقوله: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[3].

وقوله: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[4]، والأصل «من القانتات والغابرات» فعدّت الأنثى من المذكّر بحكم التغليب.

هكذا قالوا؛ وهو عجيب؛ فإنّ العرب تقول: نحن من بني فلان؛ لا تريد إلا موالاتهم، والتصويب لطريقتهم؛ وفي الحديث الصحيح في الأشعريين: «هم مني وأنا منهم»[5].

---

(١) سورة: القيامة آية: ٩.

(٢) في حـ: «لأن لفظ الفعل يقتضي».

(٣) سورة: التحريم آية: ١٢.

(٤) سورة: الأعراف آية: ٨٣.

(٥) أنظر: (صحيح مسلم، حديث ١٦٧ فضائل الصحابة. ومسند أحمد بن حنبل ٤/ ١٢٩. ومجمع الزوائد ١٠/ ٥٠).

فقوله سبحانه: ﴿مِنَ ٱلْقَانِتِينَ﴾ ولم يقل: «من القانتات»؛ إيذاناً بأنْ وَضَعها في العُبَّاد جِدّاً واجتهاداً، وعلماً وتبصُّراً ورفعة من الله لدرجاتها من أوصاف الرجال القانتين وطريقهم، ونظيره.

ولكن بالعكس قول عُقْبة بن أبي معيط[1] لأميّة بن خلَف لما أجْمع القعود عن وقعة بدر؛ لأنه كان شيخاً فجاء بمجمرة، فقال: يا أبا عليّ استجمر، فإنما أنت من النساء؛ فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به، ثم تجهّز.

ونازع بعضُهم في ذلك من وجه آخر، فقال: يحتمل ألّا يكون «من» للتبعيض بل لابتداء الغاية، أي كانت ناشئة من القوم القانتين، لأنها من أعقاب، هارون أخي موسى عليه السلام.

الثاني: تغليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب

فيقال: أنا وزيد فعلنا، وأنت وزيد تفعلان.

ومنه: قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[2]، بتاء الخطاب، غلّب جانب «أنتم» على جانب «قوم»، والقياس أن يجيء بالياء؛ لأنه وصف القوم، وقوم اسم غيبة؛ ولكن حَسُن آخر الخطاب، وصفاً لـ «قومٍ» لوقوعه خبراً عن ضمير المخاطبين. قاله ابن الشجري.

ولو قيل: إنه حال لـ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾[3]؛ لأنّ في الضمير الخطاب معنى الإشارة لملازمته لها، أو لمعناها لكان متجهاً وإن لم تساعده الصناعة،

---

(١) عقبة بن أبي معيط، هو: عقبة بن أبان بن ذكوان ابن أمية بـن عبد شمس. من مقدمي قريش في الجاهلية، كنيته أبو الوليد، وكنية أبيه أبو معيط. كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه وهو أول مصلوب في الإسلام.
أنظر: (الروض الأنـف ٢/ ٧٦. وابن الأثير ٢/ ٢٧. والأعلام ٤/ ٢٤٠).

(٢) سورة: النمل آية: ٥٥.

(٣) سورة: النمل آية: ٥٢.

لكن يبعده أن المراد وصفهم بجهل مستمر، لا مخصوص بحال الخطاب، ولم يقلْ «جاهلون»؛ إيذاناً بأنهم يتجددون عند كل مصيبة لطلب آيات جهلهم.

وقال أبو البركات بن الأنباري: ولو قيل: إنما قال ﴿تجهلون﴾ بالتاء ـ لأن «قوم» هو «أنتم» في المعنى فلذلك، قال: «تجهلون» حملاً على المعنى ـ لكان حسناً. ونظيره قوله: وهو علي بن أبي طالب - انظر الرياض النضرة -

* أنا الذي سمّتنِيَ أمِّي حيدَرَهْ *

بالياء حملاً على «أنا» لأن «الذي» هو «أنا» في المعنى.

ومنه: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾(١)، غلّب فيه جانب «أنت» على جانب «مَنْ» فأسند إليه الفعل، وكان تقديره: فاستقيموا، فغلّب الخطاب على الغيبة؛ لأن حرف العطف فصل بين المسنَد إليهم الفعل، فصار كما ترى.

قال صاحب الكشاف: تقديره: فاستقم كما أمرت وليستقم كذلك من تاب معك.

وما قلنا أقل تقديراً من هذا فاختر أيّهما شئت.

وقوله تعالى: ﴿اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾(٢)، فأعاد بلفظ الخطاب، وإن كان «من تبعك» يقتضي الغيبة، تغليباً للمخاطب وجعل الغائب تبعاً له، كما كان تبعاً له في المعصية والعقوبة، فحسن أن يُجعل تبعاً له في اللفظ؛ وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى.

وكقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة: هود آية: ١١٢.

(٢) سورة: الإسراء آية: ٦٣.

(٣) سورة: البقرة آية: ٢١.

فإنّ الخطاب في ﴿لعلكم﴾ متعلق بقوله: ﴿خلقكم﴾ لا بقوله ﴿اعبدوا﴾ حتى يختص بالناس المخاطبين، إذ لا معنى لقوله: «اعبدوا لعلكم تتقون».

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١)، فيمن قرأ بالتاء.

ويجوز أن يكون المراد بـ «تعملون» الخلق كلهم، والمخاطب النبي ﷺ وكلّ سامع أبداً، فيكون تغليباً، ولا يجوز أن يعتبر خطاب من سواه بدونه من غير اعتبار التغليب، لامتنان أن يخاطب في كلام واحد اثنان أو أكثر من غير عطف أو تثنية أو جمع.

ومنه قوله تعالى(٢) . . .

الثالث: تغليب العاقل على غيره

بأن يتقدم لفظ يعم مَنْ يعقل ومَنْ لا يعقل، فيُطلق اللفظ المختصّ بالعاقل على الجميع، كما تقول: «خَلق الله الناس والأنعام ورزقهم»، فإن لفظ «هم» مختصّ بالعقلاء.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِنْ مَآءٍ﴾(٣)، لمّا تقدم لفظُ الدابة، والمراد بها عمومَ مَنْ يعقل ومَنْ لا يعقل غلّب من يعقل، فقال: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي﴾(٤).

فإن قيل: هذا صحيح في ﴿فَمِنْهُمْ﴾ لأنّه لمن يعقل؛ وهو راجع إلى الجميع، فلم قال: «مَنْ» وهو لا يقع على العامّ، بل خاصّ بالعاقل؟

قلت: «مَنْ» هنا بعض «هُمْ»، وهو ضمير من يعقل.

فإن قلت: فكيف يقع على بعضه لفظ ما لا يعقل؟

---

(١) سورة: هود آية: ١٢٣.
(٢) مكان النقط، بياض في الأصول.
(٣) سورة: النور آية: ٤٥.
(٤) سورة: النور آية: ٤٥.

قلت: من هنا قال أبو عثمان: إنه تغليبٌ من غير عموم لفظ متقدّم، فهو بمنزلة من يقول: رأيت ثلاثة: زيداً وعمراً وحماراً.

وقال ابن الضائع: هُمْ لا تقع إلا على مَنْ يعقل، فلما أعاد الضمير على كل دابة غلّب مَنْ يعقل، فقال: «هم»، و«مَنْ» بعضُ هذا الضمير؛ وهو للعاقل، فلزم أن يقول «من» فلما قال: بوقوع التغليب في الضمير، صار ما يقع عليه حكمه حُكْمَ العاقلين؛ فتمّم ذلك بأن أوقع «منْ».

وقوله تعالى حاكياً عن السماء والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(١)، إنما جمعهما جمع السلامة، ولم يقل «طائعَيْن» ولا «طائعات»، لأنه أراد ائتيا بمن فيكم من الخلائق طائعين، فخرجت الحال على لفظ الجمع، وغلّب من يعقل من الذكور.

وقال بعض النحويين: لما أخبر عنهما أنهما يقولان كما يقول الآدميون أشبهتا الذكورَ من بني آدم. وإنما قال: «طائعين» ولم يقل: «مطيعين» لأنه من طِعنا أي انْقَدْنَا، وليس من أطعْنا؛ يقال: طاعت الناقة تطوع طوعاً؛ إذا انقادت.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰواتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾(٢).

قيل: أوقع «ما» لأنها تقع على أنواع مَنْ يَعْقل؛ لأنه إذا اجتمع من يعقل وما لا يعقل فغلّب ما لا يعقل؛ كان الأمر بالعكس. ويناقضه: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾(٣).

وقال الزمخشري: جاء بـ «ما» تحيراً لشأنهم وتصغيراً، قال: «له قانتون» تعظيم.

ورد عليه ابن الضائع بصحة وقوعها على الله عز وجل، قال: وهذا غاية الخطأ.

---

(١) سورة: فصلت آية: ١١.
(٢) سورة: البقرة آية: ١١٦.
(٣) سورة: البقرة آية: ١١٦.

وقوله في دعاء الأصنام: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾[1].

وقوله: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾[2].

وأما قوله: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[3].

وقوله: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4].

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾[5].

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[6].

﴿لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾[7].

﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[8].

لما أخبر عنها بأخبار الآدميين جرى ضميرها على حدّ من يعقل، وكذا البواقي.

فإن قيل: فقد غلّب غير العاقل على العاقل في قوله: ﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾[9] فإنه لو غلّب العاقل على غير العاقل لأتى بـ «مَن».

فالجواب: أنّ هذا الموضع غلّب فيه من يعقل، وعبّر عن ذلك بـ «ما»، لأنها واقعة على أجناس من يعقل خاصة، كهذه الآية.

وقله: ﴿للهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾[10]، ولم يقل «وَمَنْ فيهن» قيل: لأن كلمة «ما» تتناول الأجناس كلّها تناولاً عاماً بأصل الوضع؛

---

(١) سورة: الشعراء آية: ٧٢.
(٢) سورة: فصلت آية: ٢١.
(٣) سورة: الشعراء آية: ٤.
(٤) سورة: يسٓ آية: ٤٠.
(٥) سورة: الأنبياء آية: ٦٥.
(٦) سورة: يوسف آية: ٤.
(٧) سورة: الأنبياء آية: ٩٩.
(٨) سورة: النمل آية: ١٨.
(٩) سورة: النحل آية: ٤٩.
(١٠) سورة: المائدة آية: ١٢٠.

و «من» لا تتناول غير العقلاء بأصل الوضع، فكان استعمال «ما» هنا أَوْلى.

وقد يجتمع في لفظ واحد تغليب المخاطب على الغائب، والعقلاء على غيرهم، كقوله:

﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[1].

أي: خَلَقَ لكم أيها الناس مِنْ جنسكم ذكوراً ذكوراً وإناثاً، وخلق الأنعام أيضاً من أنفسها ذكوراً وإناثاً، يذرؤكم، أي: ينبتكم ويكثركم أيها الناس والأنعامِ، في هذا التدبير والجعْل، فهو خطاب للجميع؛ للناس المخاطبين وللأنعام المذكورة بلفظ الغيبة، ففيه تغليب المخاطب على الغائب، وإلا لما صحّ ذكر الجميع ـ أعني الناس والأنعام ـ بطريق الخطاب؛ لأن الأنعام غيب، و[فيه][2] تغليب العقلاء على غيرهم؛ وإلّا لما صح خطاب الجمع بلفظ «كم» المختص بالعقلاء، ففي لفظ «كم» تغليبان، ولولا التغليب لكان القياس أن يقال: يذرؤكم وإياها.

هكذا قرره السكاكيّ والزمخشري.

ونوزعا فيه؛ بأن جَعْل الخطاب شاملاً للأنعام تكلُّف لا حاجة إليه؛ لأن الغرض إظهار القدرة وبيان الألطاف في حق الناس؛ فالخطاب مختصّ بهم.

والمعنى: يكثركم أيها الناس في التدبير حيث مكّنكم من التوالُد والتناسل، وهيأ لكم من مصالحكم ما تحتاجون إليه في ترتيب المعاش وتدبير التوالد، وجَعَلَها أزواجاً تبقى ببقائكم، وعلى هذا يكون التقدير: وجعل لكم من الأنعام أزواجاً.

وهذا أنسب بنظم الكلام مما قرروه، وهو جَعْل الأنعام أنفسها أزواجاً.

وقوله: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[3] أي: في هذا التدبير؛ كأنه محلّ لذلك، ولم

---

(١) سورة: الشورى آية: ١١.
(٢) ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصول.
(٣) سورة: الشورى آية: ١١.

يقل «به» كما قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[1]؛ لأنه مسوقٌ لإظهار الاقتدار مع الوحدانية، فأسقط السببية، وأثبت «في» الظرفية، وهذا وجهٌ من إعجاز قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾؛لأن الحياة من شأنها الاستناد إليه سبحانه لا إلى غيره، فاختيرت «في» على «الباء»؛ لأنه مسوق لبيان الترغيب والمعنى مفهوم، والقصاص مسوقٌ للتجويز وحسن المشروعية، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2].

الرابع: تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به

كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[3].

قيل: غلّب غير المرتابين على المرتابين، واعترض بقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[4]، وهذا خطاب للكفار فقط قطعاً، فهم المخاطبون أوّلاً بذلك؛ ثم «إن كنتم صادقين» لا يتميز فيها التغليب، ثم هي شاهدة بأن المتكلّم معهم يخصُّ الجاحدين بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[5]، وإذا لم يكن الخطاب إلا فيهم، فتغليب حال مَنْ لم يدخل في الخطاب، لا عهد به في مخاطبات العرب.

الخامس: تغليب الأكثر على الأقل

بأن ينسب إلى الجميع وصفٌ يختص بالأكثر، كقوله تعالى:

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[6].

أدخِل شعيب عليه السلام في قوله :﴿لَتَعُودُنَّ﴾ بحكم التغليب؛ إذ لم

---

(1) سورة: البقرة آية: ١٧٩.
(2) سورة: البقرة آية: ٢٣٧.
(3) سورة: البقرة آية: ٢٣.
(4) سورة: البقرة آية: ٢٣.
(5) سورة: البقرة آية: ٢٣.
(6) سورة: الأعراف آية: ٨٨.

يكن في ملتهم أصلاً حتى يعود إليها.

ومثله قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾[1]، واعترض بأن «عاد» بمعنى «صار» لغة معروفة.

وأنشدوا:

فإن تكن الأيام أحسنَّ مـرَّةً إليَّ فقد عادت لَهُنَّ ذُنُـوبُ

ولا حجة فيه؛ لجواز أن يكون ضمير «الأيام» فاعل «عادت»؛ وإنما الشاهد في قول أمية:

تلك المكارم لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَـا بماءٍ فعـاد بَعْـدُ أَبْـوَالاَ

ويحتمل جواباً ثالثاً؛ وهو أن يكون قولُهم لشعيب ذلك، من تعنتهم وبهتانِهِمْ وادّعائهم أنّ شعيباً كان على ملتهم، لا كما قال فرعون لموسى.

وقوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾[2] كناية عن اتباعه لمجرّد فائدتهم، وأنه ﷺ إن قال ذلك عن نفسه وأتباعه فقد استثنى، والمعلّق بالمشيئة لا يلزم إمكانه شرعاً تقديراً، والاعترافُ بالقدرة والرجوع لعلمه سبحانه، وأنّ عِلمِ العبد عصمة نفسه أدباً مع ربه لا شكّاً.

ويجوز أن يراد بالعَوْد في مِلّتهم مجرد المساكنة والاختلاط، بدليل قوله: ﴿إِذْ نَجَّانَا ٱللهُ مِنْهَا﴾[3].

ونظيره: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4]، ويكون ذلك إشارة إلى الهجرة عنهم، وتركُ الإجابة لهم، لا جواباً لهم. وفيه بعد.

---

(١) سورة: الأعراف آية: ٨٩.

(٢) سورة: الأعراف آية: ٨٩.

(٣) سورة: الأعراف آية: ٨٩.

(٤) سورة: آل عمران آية: ٥٥.

السادس: تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس مغموز فيما بينهم، بأن يطلق اسم الجنس على الجميع

كقوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ﴾(١)، وأنّه عدّ منهم؛ مع أنه كان من الجن، تغليباً لكونه جنّياً واحداً فيما بينهم؛ ولأن حمْل الاستثناء على الاتصال هو الأصل.

ويدلّ على كونه من غير الملائكة ما رواه مسلم في صحيحه: «خُلِقَت الملائكة من نور والجن من النار»(٢).

وقيل: إنه كان ملَكاً فسُلِبَ الملَكيّة، وأجيب عن كونه من الجن بأنه اسم لنوع من الملائكة.

قال الزمخشري: كان مختلطاً بهم، فحينئذ عَمّتْه الدعوة بالخلطة لا بالجنس؛ فيكون من تغليب الأكثر.

هذا إن جعلنا الاستثناء متصلاً؛ ولم يجعل «إلا» بمعنى «لكن».

وقال ابن جني في «القد»: قال أبو الحسن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(٣): وإنما المتّخَذ إلٰهاً عيسى دون أمه؛ فهو من باب:

* لنا قمراها والنجوم الطوالع *

---

(١) سورة: صٓ آية: ٧٣ - ٧٤.

(٢) أنظر: (صحيح مسلم، حديث ١٠ الزهد. ومسند أحمد بن حنبل ٦/ ١٥٣، ١٦٨. والسنن الكبرى، للبيهقي ٩/ ٣. ومجمع الزوائد ٨/ ١٣٤. والدر المنثور ٦/ ١٤٣. ومصنف عبد الرزاق ٢٠٩٠٤. وزاد المسير ٣/ ٣٩٩، ٥/ ٣٤٧. وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٨، ٥/ ١٦٣، /٤٦٧. وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٤ والأسماء والصفات، للبيهقي ٣٤٣، ٣٨٦).

(٣) سورة: المائدة آية: ١١٦.

السابع: تغليب الموجود على ما لم يوجد

كقوله: ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[1].

قال الزمخشري: فإن المراد: المنزّل كلّه؛ وإنما عبّر عنه بلفظ المضيّ وإن كان بعضه مُتَرَقَّباً، تغليباً للموجود على ما لم يوجد.

الثامن: تغليب الإسلام

كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ﴾[2].

قاله الزمخشريّ: لأن الدرجات للعلو والدركات للسفل، فاستعمل الدرجات في القسمين تغليباً.

التاسع: تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه

كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[3]،

ذكر الأيدي لأنّ أكثر الأعمال يزاول بها، فحصل الجمع بالواقع بالأيدي، تغليباً أشار إليه الزمخشري في آخر آل عمران.

ويشاكله ما أنشده الغزنويّ في «العامريات» لصفية بنت عبد المطلب[4]: كما في تفسير البحر المحيط

فلا والْعَادياتِ غَدَاةَ جَمْعٍ ... بـأيديهـا إذا سـطع الغُبَـار

---

(١) سورة: البقرة آية: ٤.

(٢) سورة: الأحقاف آية: ١٩. (٣) سورة: آل عمران آية: ١٨٢.

(٤) هي: صفية بنت عبد المطلب بن هاشم: سيدة قريش، شاعرة باسلة، وهي عمة النبي ﷺ، أسلمت قبل الهجرة، وهاجرت إلى المدينة.

أنظر: (طبقات ابن سعد ٨/ ٢٧. والمحبر ١٧٢. ورغبة الأمل ٧/ ٩٦. والدر المنثور ٢٦١. والأعلام ٣/ ٢٠٦).

العاشر: تغليب الأشهر

كقوله تعالى؛ ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾[1].

أراد المشرق والمغرب؛ فغلّب المشرق؛ لأنه أشهر الجهتين، قاله ابن الشجري وسيأتي فيه وجه آخر.

فائدتان:

إحداهما:

جميع باب التغليب من المجاز؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، ألَا ترى أن القانتين موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف، فإطلاقه على الذكور والإناث على غير ما وضع له، وقسْ على هذا جميع الأمثلة السابقة.

الثانية:

الغالب من التغليب أن يراعى الأشرف كما سبق؛ ولهذا قالوا في تثنية الأب والأم: أبوان، وفي تثنية المشرق والمغرب: المشرقان، لأن الشرق دالّ على الوجود، والغرب دالّ على العدم؛ والوجود لا محالة أشرف، وكذلك القرمان:

قال: الفرزدق

*لنا قمراها والنجوم الطوالع *

أراد الشمس والقمر، فغلّب القمر لشرف التذكير. وأما قولهم سنّة العمرين؛ يريدون: أبا بكر وعمر.

قال ابن سِيده في «المحكم»: إنما فعلوا ذلك إيثاراً للخفّة، أي: غلب الأخفّ على الأثقل، لأن لفظ «عمر» مفرد ولفظ أبي بكر مركب.

---

(١) سورة: الزخرف آية: ٣٨.

وذكر أبو عبيد في «غريب الحديث» أن ذلك للشهرة وطول المدة.

وذكر غيرهما أن المراد به: عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز[1]، وعلى هذا فلا تغليب.

ورُدَّ بأنهم نطقوا بالعُمرين قبل أن يعرفوا عمر بن عبد العزيز، فقالوا يوم الجمل لعليّ بن أبي طالب: سُنّة العمرين.

(١) في ب: عمر أبي عبد العزيز. خطأ

الالتفاتُ

وفيه مباحث:

[البحث][1] الأول: في حقيقته

وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطريةً واستدراراً للسامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه، كما قيل:

لَا يُصْلِحُ إن كانت مصرّفةً   إلاّ التنقلُ من حال إلى حال

قال حازم في «منهاج البلغاء»:

وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة. وكذلك أيضاً يتلاعب المتكلم بضميره، فتيارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافاً فيجعل نفسه مخاطباً وتارة يجعله هاء، فيقيم نفسه مقام الغائب.

فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب؛ وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض، وهو نقل معنويّ لا لفظيّ؛ وشرطه

(١) ما بين المعقوفتين: ساقط الأصول.

أن يكون الضمير في المتنقَل من بعضها إلى بعض، وهو نقل معنويّ لا لفظيّ؛ وشرطه أن يكون الضمير في المتنقَل إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتَفَت عنه؛ ليخرج[1] نحو أَكْرِمْ زيداً، وأَحْسِنْ إليه؛ فضمير «أنت» الذي هو «أكرم» غير الضمير في «إليه».

واعلم أنّ للتكلّم والخطاب والغيبة مقامات، والمشهور أنّ الالتفات هو الانتقال من أحدِها إلى الآخر بعد التعبير بالأول.

وقال السكاكي: إما ذلك، وإما التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره.

---

(١) «ليخرج»، ساقطة من ب.

البحث الثاني: في أقسامه

أي: أقسام الالتفات

وهي كثيرة:

الأول: الالتفات من التكلم إلى الخطاب

ووجهُه حثُّ السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأنّه أعطاه فَضْل عناية وتخصيص بالمواجهة، كقوله تعالى:

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١)

الأصل: «وإليه أرجع» فالتفت من التكلم إلى الخطاب، وفائدتُه أنّه أخرج الكلامَ في مَعْرِض مناصحته لنفسه، وهو يريد نُصْحَ قومه، تلطّفاً وإعلاماً أنه يُريد لهم ما يريده لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله.

وأيضاً: فإنّ قومه لما أنكروا عليه عبادته لله، أخرج الكلام معهم بحسب حالهم، فاحتجّ عليهم بأنّه يقبح منه أنّه لا يعبد فاطرَه ومبدعَه؛ ثم حذّرهم بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢).

لذا جعلوه من الالتفات، وفيه نظر لأنه؛ إنّما يكون منه إذا كان القصد الإخبارَ عن نفسه في كلتا الجملتين، وها هنا ليس كذلك، لجواز أن يكون أراد

(١) سورة: يس آية: ٢٢.

(٢) سورة: يس آية: ٢٢.

بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] المخاطبين؛ ولم يرد نفسه، ويؤيده ضمير الجمع، ولو أراد نفسه لقال: «نرجع».

وأيضاً فشرط الالتفات أن يكون في جملتين، و«فطرني» و«إليه ترجعون» كلام واحد.

وأجيب بأنه لو كان المراد بقوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ ظاهرَه لما صحّ الاستفهام الإنكاري؛ لأنّ رجوع العبد إلى مولاه ليس بمعنى أن يعبده غير ذلك الراجع.

فالمعنى: كيف أعبد مَنْ إليه رجوعي؛ وإنما ترك «وإليه أرجع» إلى ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لأنّه داخل فيهم. ومع ذلك أفاد فائدة حسنة؛ وهي أنه نبّههم أنّهم مثلُه في وجوب عبادة مَنْ إليه الرجوع؛ فعلى هذا، الواو للحال، وعلى الأول واو العطف.

ومنه قوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[2] عدل عن قوله: «رَحْمَةً مِنَّا» إلى قوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾؛ لما فيه من الإشعار بأنّ ربوبيته تقتضي رحمته؛ وأنّه رحيم بعبده، كقوله: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾[3].

وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾[4].

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾[5]، وهو كثير.

وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللهُ﴾[6] ولم يقل: «لنغفر لك» تعليقاً لهذه المغفرة التامة باسمه المتضمّن لسائر أسمائه الحسنى، ولهذا علّق به النصر، فقال:

﴿وَيَنْصُرَكَ ٱللهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾[7].

---

(١) سورة: يسٓ آية: ٢٢.
(٢) سورة: الكهف آية: ٨٢.
(٣) سورة: سبإ آية: ١٥.
(٤) سورة: الأعراف آية: ٥٥.
(٥) سورة: الحج آية: ٧٧.
(٦) سورة: الفتح آية: ١ ـ ٢.
(٧) سورة: الفتح آية: ٣.

الثاني: من التكلم إلى الغيبة

ووجهُ أن يَفْهَم السامعُ أنّ هذا نمط المتكلم وقصده من السامع؛ حضر أو غاب، وأنّه في كلامه ليس مِمّن يتلوّن ويتوجّه، فيكون في المضمر ونحوه ذا لَوْنَين، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب؛ من قرعه في الوجه بسهام الهجْر، فالغيبةُ أرْوَحُ له، وأبقى على ماء وجهه أن يفوت، كقوله:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾(1).

حيثُ لم يَقُل «لنا» تحريضاً على فعل الصلاة لحقّ الربوبية.

وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(2).

وقوله: ﴿يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً...﴾ إلى قوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾(3)، ولم يقل: «بي».

وله فائدتان:

إحداهما: دفع التهمة عن نفسه بالعصبيّة لها.

والثاني: تنبيههُم على استحقاقه الاتباع بما اتّصف به من الصفات المذكورة، من النبوّة والأمية، التي هي أكبرُ دليل على صِدْقه، وأنّه لا يستحق الاتباع لذاته، بل لهذه الخصائص.

الثالث: من الخطاب إلى التكلم

كقوله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هٰذِهِ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا﴾(4).

---

(1) سورة: الكوثر آية: ١ ـ ٢.

(2) سورة: الدخان آية: ٤ ـ ٦.

(3) سورة: الأعراف آية: ١٥٨.

(4) سورة: طه آية: ٧٢ ـ ٧٣.

وهذا إنما يتمشّى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحداً؛ فأما مَن اشترطه فلا يحسن أن يمثّل به، ويمكن أن يمثل بقوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾(١).

على أنه سبحانه نَزَّلَ نَفْسَه منزلة المخاطب.

الرابع: من الخطاب إلى الغيبة

كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾(٢)، فقد التفتَ عن ﴿كُنتُمْ﴾ إلى ﴿جَرَيْنَ بِهِم﴾، وفائدة العدول عن خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم، لتعجّبه من فعلهم وكفرهم، إذ لو استمرّ على خطابهم لفاتت تلك الفائدة.

وقيل: لأنّ الخطاب أولاً كان مع الناس: مؤمنهم وكافرهم؛ بدليل قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾(٣).

فلو قال: «وجرين بكم» للزِم الذمّ للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية، فعدَل عن الخطابِ العامّ إلى الذمّ الخاصّ ببعضهم، وهم الموصوفون بما أخبر به عنهم.

وقيل: لأنهم وقت الركوب حصروا، لأنّهم خافوا الهلاك وتقلّب الرياح، فناداهم نداء الحاضرين. ثم إنّ الرياحَ لما جرت بما تشتهي النفوس، وأمنت الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على ما هي عادة الإنسان؛ أنّه إذا أمن غاب، فلما غابوا عند جريه بريح طيبة فكّرهم الله بصيغة الغيبة؛ فقال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾(٤).

وقوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾(٥) ثم قال: ﴿يُطَافُ

---

(١) سورة: يونس آية: ٢١.
(٢) سورة: يونس آية: ٢٢.
(٣) سورة: يونس آية: ٢٢.
(٤) سورة: يونس آية: ٢٢.
(٥) سورة: الزخرف آية: ٧٠.

عَلَيْهِم﴾(1) فانتقل عن الخطاب إلى الغيبة، ولو ربط بما قبله لقال: «يطاف عليكم»، لأنه مخاطَب لا مخبَر، ثم التفت فقال: ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(2) فكرّر الالتفات.

وقوله: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾(3).

وقوله: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ ٱلرَّاشِدُونَ﴾(4).

وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ. وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾(5).

والأصل «فقطعتم» عطفاً على ما قبله، لكنْ عَدَلَ من الخطاب إلى الغيبة، فقيل؛ إنّه سبحانه نعى عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين، ووبخهم عليه قائلاً: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله!؟

وجعل منه ابن الشجريّ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾(6).

وقد سبق أنه على حذف المفعول، فلا التفات.

الخامس: من الغيبة إلى التكلم

كقوله: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾(7).

﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا﴾(8).

---

(1) سورة: الزخرف آية: 71.
(2) سورة: الزخرف آية: 71.
(3) سورة: الروم آية: 39.
(4) سورة: الحجرات آية: 7.
(5) سورة: الأنبياء آية: 92 - 93.
(6) سورة: الضحى آية: 3.
(7) سورة: الإسراء آية: 1.
(8) سورة: فصلت آية: 12.

﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾(١).

وقوله: ﴿وَاللهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ﴾(٢).

وفائدته: أنّه لمّا كان سَوْقُ السحاب إلى البلد إحياءً للأرض بعد موتها بالمطر، دالاً على القدرة الباهرة، والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره، عَدَل عن لفظ الغيبة إلى التكلم؛ لأنه أدخلُ في الاختصاص، وأدلُّ عليه وأفخم.

وفيه معنى آخر؛ وهو أنّ الأقوال المذكورة في هذه الآية، منها ما أخبر به سبحانه بسببه؛ وهو سَوْق السحاب، فإنه يسوق الرياح، فتسوقه الملائكة بأمره، وإحياء الأرض بواسطة إنزاله، وسائر الأسباب التي يقتضيها حكمه وعلمه. وعادته سبحانه في كلّ هذه الأفعال أن يخبر بها بنون التعظيم، الدالة على أن له جنداً وخلقاً قد سخرهم في ذلك، كقوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾(٣)، أي: إذا قرأه رسولنا جبريل.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾(٤).

وأما إرسال السحاب فهو سحاب يأذن في إرسالها، ولم يذكر له سبباً، بخلاف سوق السحاب، وإنزال المطر فإنه قد ذكر أسبابه:

﴿أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا﴾(٥).

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءٍ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾(٦).

وجعل الزمخشري منه قوله: في سورة طه: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ﴾(٧).

---

(١) سورة: مريم آية: ٨٨ ـ ٨٩.
(٢) سورة: فاطر آية: ٩.
(٣) سورة: القيامة آية: ١٨.
(٤) سورة: طه آية: ١٠٢.
(٥) سورة: فاطر آية: ٢٧.
(٦) سورة: النحل آية: ٦٠.
(٧) سورة: طه آية: ٥٣.

وزعم الجرجاني أن في هذه الآية التفاتاً، وجعل قوله: ﴿وأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً﴾[1] آخر كلام موسى، ثم ابتدأ الله تعالى فأخبر عن نفسه بأوصافه لمعالجتها.

وأشار الزمخشري إلى أن فائدة الالتفات إلى التكلم في هذه المواضع التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرة واحد، وهو معنى قول غيره: إن الإشارة إلى حكاية الحال واستحضار تلك الصورة البديعة الدّالة على القدرة. وكذا يفعلون لكلّ فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تُستغرب، أو تهمّ المخاطب؛ وإنما قال: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[2]، لإفادة بقاء المطر زماناً بعد زمان.

ومثله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[3] عَدلَ عن الغيبة في «قضاهنّ» و«سواهنّ» إلى التكلم في قوله: ﴿وَزَيَّنَّا﴾، فقيل للاهتمام بذلك، والإخبار عن نفسه، بأنّه جعل الكواكب زينة السماء الدنيا، وحفظاً، تكذيباً لمن أنكر ذلك.

وقيل: لما كانت الأفعال المذكورة في هذه الآية نوعين:

أحدهما: وجه الإخبار عنه بوقوعه في الأيام المذكورة، وهو خلْق الأرض في يومين، وجَعْل الرواسي من فوقها وإلقاء البركة فيها، وتقدير الأقوات في تمام أربعة أيام؛ ثم الإخبار بأنّه استوى إلى السماء، وأنّه أتمّها وأكملها سبعاً في يومين؛ فأتى في هذا النوع بضمير الغائب، عطفاً على أول الكلام في قوله:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ...﴾ إلى قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ...﴾[4] الآية.

---

(1) سورة: طه آية: ٥٣.
(2) سورة: الحج آية: ٦٣.
(3) سورة: فصلت آية: ١٢.
(4) سورة: فصلت آية: ٩ ـ ١٢.

والثاني: قصد به الإخبار مطلقاً، من غير قصد مدة خلقه، وهو تزيين سماء الدنيا بمصابيح، وجعلها حفظاً؛ فإنه لم يقصد بيان مدّة ذلك؛ بخلاف ما قبله؛ فإنْ نوع الأول يتضمن إيجاداً لهذه المخلوقات العظيمة في هذه المدة اليسيرة، وذلك من أعظم آثار قدرته.

وأما تزيين السماء الدنيا بالمصابيح فليس المقصود به الإخبار عن مدة خلق النجوم، فالتفت من الغيبة إلى التكلم، فقال: ﴿زَيَّنَّا﴾.

فائدة: في تكرار الالتفات في موضع واحد.

وقد تكرر الالتفات في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(1) في أربعة مواضع.

فانتقل عن الغيبة في قوله: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾، إلى التكلم في قوله: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿لِيُرِيَهُ﴾، بالياء على قراءة الحسن، ثم عن الغيبة إلى التكلم في قوله: ﴿آيَاتِنَا﴾؛ ثم عن التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وكذلك في الفاتحة، فإنّ من أولها إلى قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾(2) أسلوب غَيْبة، ثم التفت بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(3) إلى أسلوب خطاب في قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾(4)، ثم التفت إلى الغيبة بقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾(5)، ولم يقل «الذين غضبتَ» كما قال: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾(6).

---

(1) سورة: الإسراء آية: ١.

(2) سورة: الفاتحة آية: ٤.

(3) سورة: الفاتحة آية: ٥.

(4) سورة: الفاتحة آية: ٧.

(5) سورة: الفاتحة آية: ٧.

(6) سورة: الفاتحة آية: ٧.

السادس: من الغيبة إلى الخطاب

كقوله: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَداً. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾(١)، ولم يقل: «لقد جاءُوا» للدلالة على أنّ من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موبّخاً عليهم، منكراً عليه قوله، كأنّه يخاطب به قوماً حاضرين.

وقوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلأَمْرُ﴾(٢)، ثم قال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا﴾(٣).

وقوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً. إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾(٤).

وقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ﴾(٥).

وقوله: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾(٦).

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾(٧)، ثم قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾(٨).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ...﴾(٩) الآية.

وقوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾(١٠).

وقوله: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١١).

وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾(١٢).

---

(١) سورة: مريم آية: ٨٨ ـ ٨٩.
(٢) سورة: مريم آية: ٣٩.
(٣) سورة: مريم آية: ٧١.
(٤) سورة: الدهر آية: ٢١ ـ ٢٢.
(٥) سورة: آل عمران آية: ١٠٦.
(٦) سورة: التوبة آية: ٣٥.
(٧) سورة: الفرقان آية: ٤٥.
(٨) سورة: الفرقان آية: ٤٥.
(٩) سورة: البقرة آية: ٦.
(١٠) سورة: البقرة آية: ٥٧.
(١١) سورة: الأحزاب آية: ٥٠.
(١٢) سورة: الأنعام آية: ٦.

وقوله حكاية عن الخليل: ﴿ٱعْبُدُوا ٱللهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾(١)، إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾(٢).

وقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللهِ بِعَزِيزٍ. وَبَرَزُوا للهِ جَمِيعاً﴾(٣).

وقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾(٤).

وقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ ٱللهِ وَٱللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ. . .﴾(٥) الآية.

وجعل بعضهم منه قوله تعالى: ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾(٦)، وهو عجيب لأن «الذين» موصول لفظه للغيبة، ولا بدّ له من عائد وهو الضمير في «آمنوا»، فكيف يعود ضمير مخاطب على غائب؟ فهذا مما لا يعقل.

وقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾(٧)؛ فقد التفت عن الغيبة وهو ﴿مَالِكِ﴾ إلى الخطاب وهو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

ولَكَ أن تقول: إن كان التقدير: قولوا الحمد لله، ففيه التفاتان ـ، أعني في الكلام المأمور به:

أحدهما: في لفظ الجلالة، فإن الله تعالى حاضر، فأصله الحمد لك.

والثاني: ﴿إِيَّاكَ﴾ لمجيئه على خلاف الأسلوب السابق وإن لم يقدّر:

---

(١) سورة: العنكبوت آية: ١٦ ـ ١٧.
(٢) سورة: العنكبوت آية: ٢٤.
(٣) سورة: إبراهيم آية: ١٩ ـ ٢١.
(٤) سورة: الأعراف آية: ١٧٥ ـ ١٧٦.
(٥) سورة: المائدة آية: ٣٨ ـ ٣٩.
(٦) سورة: المائدة آية: ٦.
(٧) سورة: الفاتحة آية: ٤ ـ ٥.

«قولوا» كان في الحمد لله» التفاتٌ عن التكلم إلى الغيبة؛ فإنّ الله سبحانه حَمِد نفسه، ولا يكون في ﴿إياك نعبد﴾ التفات؛ لأن «قولوا» مقدرة معها قطعاً؛ فإمّا أن يكون في الآية التفات، أو لا التفات بالكلية.

السابع: بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه

فيكون التفاتاً عنه، كقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[1] بعد ﴿أَنْعَمْتَ﴾؛ فإن المعنى «غير الذين غضبت عليهم» ذكره التنوخي في «الأقصى القريب» والخفاجي، وابن الأثير، وغيرهم.

واعلم أنّه على رأي السكاكي تجيء الأقسام الستة في القسم الأخير، وهو الانتقال التقديري.

وزعم صاحب «ضوء المصباح» أنه لم يستعمل منها إلا وضع الخطاب والغيبة موضع التكلم، ووضع التكلم موضع الخطاب، ومثّل الثالث بقوله: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾[2]، مكان «وما لكم لا تعبدون الذي فطركم».

وجعل بعضهم من الالتفات قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ ثم قال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ﴾[3].

وقوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَاةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ﴾[4].

---

(١) سورة: الفاتحة آية: ٧.

(٢) سورة: يسٓ آية: ٢٢.

(٣) سورة: البقرة آية: ١٧٧.

(٤) سورة: النساء آية: ١٦٢.

البحث الثالث: في أسبابه

أعلم أن للالتفات[1] فوائد عامة وخاصة؛ فمن العامة التفنّن والانتقال من أسلوب إلى آخر، لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صَفائه، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية.

وقال البيانيون: إن الكلام إذا جاء على أسلوب واحد وطال حَسُن تغيير الطريقة.

ونازعهم القاضي شمس الدين بن الجوزيّ[2]، وقال: الظاهر أنّ مجرّد هذا لا يكفي في المناسبة، فإنّا رأينا كلاماً أطولَ في هذا، والأسلوب محفوظ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ...﴾[3]

---

(١) في جـ: «اعلم أن اليقين».

(٢) شمس الدين ابن الجوزي، هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج. علامة في التاريخ والحديث والتفسير، كثير التصنيف ولد عام (٥٠٨ هـ: ١١١٤ م) ببغداد، وتوفي بها عام (٥٩٧ هـ: ١٢٠١ م) من مصنفاته «زاد المسير في علم التفسير» و«الموضوعات» وغيرها.
أنظر ترجمته في: (وفيات الأعيان ١/ ٢٧٩. البداية والنهاية ٣/ ٢٨. ومفتاح السعادة ١/ ٢٠٧. وآداب اللغة ٣/ ٩١. ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٢٥. ومرآة الزمان ٨/ ٤٨١. والأعلام ٣/ ٣١٧).

(٣) سورة: الأحزاب آية: ٣٥.

إلى أن ذكر عشرة أصناف، وختم بـ ﴿ٱلذَّاكِرِينَ ٱللهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ﴾[1]، ولم يغير الأسلوب؛ وإنما المناسبة أن الإنسان كثير التقلب، وقلبه بين إصبعين من أصابع الرحمٰن، يقلّبه كيف يشاء، فإنه يكون غائباً فيحضر بكلمة واحدة، وآخر يكون حاضراً فيغيب، فالله تعالى لما قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لله رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[2] تنبّه السامع وحضر قلبه، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3].

وأمّا الخاصة فتختلف[4] باختلاف محالّه ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم.

فمنها: قَصْد تعظيم شأن المخاطب، كما في: ﴿ٱلْحَمْدُ لله رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[5]، فإنّ العبد إذا افتتح حَمْد مولاه بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لله﴾ الدَّال على اختصاصه بالحمد، وجد من نفسه التحرّك للإقبال عليه سبحانه؛ فإذا انتقل إلى قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ الدالّ على ربوبيّته لجميعهم قَوِيَ تحرّكه، فإذا قال: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[6] الدّال على أنّه منعّم بأنواع النعم؛ جليلها وحقيرها تزايد التحرُّك عنده، فإذا وصل لـ ﴿مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[7] وهو خاتمة الصفات الدّالّة على أنه مالك الأمر يوم الجزاء، فيتأهّب قربه، وتيقّن الإقبال عليه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات.

وقيل: إنما اختير للحمد لفظ الغيبة، وللعبادة الخطاب، للإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة؛ فإنّك تحمَد نظيرك ولا تعبده، إذ الإنسان يَحْمَد من لا يعبده، ولا يعبد من لا يحمده، فلما كان، كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال: ﴿الحمد لله﴾ ولم يقل «الحمد لك»، ولفظ العبادة مع الخطاب فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[8] لينسب إلى العظيم حال المخاطبة

---

(1) سورة: الأحزاب آية: ٣٥.
(2) سورة: الفاتحة آية: ٢.
(3) سورة: الفاتحة آية: ٥.
(4) في جـ: «والخاصة تختلف».
(5) سورة: الفاتحة آية: ٢.
(6) سورة: الفاتحة آية: ٣.
(7) سورة: الفاتحة آية: ٤.
(8) سورة: الفاتحة آية: ٥.

والمواجهة، على ما هو أعلى رتبة؛ وذلك على طريق التأدب. وعلى نحوٍ من ذلك جاء آخر السورة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾(١) مصرّحاً بذكر المنعم، وإسناد الإنعام إليه لفظاً ولم يقل «صراط المنعم عليهم»؛ فلما صار إلى ذكر الغضب روى عنه لفظ الغضب في النسبة إليه لفظاً، وجاء باللفظ متحرفاً عن ذكر الغاضب؛ فلم يقل «غير الذين غضبت عليهم»، تفادياً عن نسبة الغضب في اللفظ حال المواجهة.

ومن هذا قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾(٢)؛ فإنّ التأدب في الغيبة دون الخطاب.

وقيل: لأنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه رباً للعالمين ورحماناً ورحيماً، ومالكاً ليوم الدين، تعلق العِلْم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بأن يكون معبوداً دون غيره، مستعاناً به، فخوطب بذلك لتميّزه بالصفات المذكورة، تعظيماً لشأنه كلّه؛ حتى كأنه قيل: إياك، يا مَنْ هذه صفاته نخصّ بالعبادة والاستعانة لا غيرك.

قيل: ومن لطائف التنبيه على أنّ مبتدأ الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه، وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته، وقيام حجاب العظمة عليهم، فإذا عرفوه بما هو له، وتوسلوا للقرب بالثناء عليه، وأقروا بالمحامد له وتعبّدوا له بما يليق بهم، تأهّلوا لمخاطباته ومناجاته فقالوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٣).

وفيه أنّهم يُبدون بين يدي كلّ دعاء له سبحانه ومناجاةٍ له صفات عظمته لمخاطبته على الأدب والتعظيم، لا عن الغفلة والإغفال، ولا عن اللعب والاستخفاف، كمن يدعو بلا نيّة أو على تلعب وغفلة، وهم كثير.

ومنه: أن مناجاته لا تصعد إلا إذا تطهر من أدناس الجهالة به، كما لا تسجد الأعضاء إلا بعد التطهير من حَدث الأجسام؛ ولذلك قدمت الاستعاذة

---

(١) سورة: الفاتحة آية: ٧.
(٢) سورة: الإسراء آية: ١١١.
(٣) سورة: الفاتحة آية: ٥.

على القرآن.

قال الزمخشريّ: وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾(١)، ولم يقل «واستغفرت لهم» [وعدل عنه إلى طريق الالتفات](٢) لأنّ في هذا الالتفات بيان تعظيم استغفاره، وأنّ شفاعة من اسمه الرسول بمكان.

ومنها: التنبيه على ما حق الكلام أن يكون وارداً عليه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣).

أصل الكلام «وما لكم لا تعبدون الذي فطركم» ولكنه أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم؛ ليتلطّف بهم، ويريَهم أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، ثم لما انقضى غرضه من ذلك، قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٤) ليدلّ على ما كان من أصل الكلام، ومقتضياً له، ثم ساقه هذا المساق إلى أن قال: ﴿آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾(٥).

ومنها: أن يكون الغرض به التتميمُ لمعنى مقصود للمتكلم؛ فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب له، كقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٦).

أصل الكلام «إنا مرسلين رحمة منّا»، ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر، للإنذار بأنّ الربوبية تقتضي الرحمة للمربوبين، للقدرة عليهم، أو لتخصيص النبيّ ﷺ بالذكر، أو الإشارة إلى أنّ الكتاب إنما هو إليه دون غيره، ثم التفت

---

(١) سورة: النساء آية: ٦٤.
(٢) وعدل عنه إلى طريق الالتفات» ساقط من الأصول. وانظر: (الكشاف للزمخشري ٢/ ٤٠٨).
(٣) سورة: يسّ آية: ٢٢.
(٤) سورة: يسّ آية: ٢٢.
(٥) سورة: يسّ آية: ٢٥.
(٦) سورة: الدخان آية: ٤ ـ ٦.

بإعادة الضمير إلى الربّ الموضوع موضع المضمر، للمعنى المقصود من تتميم المعنى.

ومنها: قصد المبالغة، كقوله تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾(١).

كأنّه يذكر لغيرهم حالَهم، ليتعجّب منها ويستدعي منه الإنكار والتقبيح لها؛ إشارة منه على سبيل المبالغة إلى أنّ ما يعتمدونه بعد الإنجاء من البغي في الأرض بغير الحقِّ، مِمَّا ينكر ويقبح.

ومنها: قصد الدلالة على الاختصاص، كقوله:

﴿وَاللهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾(٢).

فإنه لما كان سَوْق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دَالًّا على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره، عَدَل عن لفظ الغيبة إلى التكلم؛ لأنه أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه: «سقنا» و«أحيينا».

ومنها: قصد الاهتمام، لقوله تعالى:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوٰاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾(٣).

فعدل عن الغيبة في «قضاهن» «وأوحى» التكلم في «وزيّنا السماء الدنيا» للاهتمام بالإخبار عن نفسه، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ؛ وذلك لأن طائفة اعتقدت في النجوم أنها ليست في سماء الدنيا، وأنها

---

(١) سورة: يونس آية: ٢٢.

(٢) سورة: فاطر آية: ٩.

(٣) سورة: فصلت آية: ١١ ـ ١٢.

ليست حفظاً ولا رجوماً، فعدل إلى التكلّم والإخبار عن ذلك، لكونه مُهمّاً من مهمات الاعتقاد، ولتكذيب الفرقة المعتقدة بطلانه.

ومنها: قصد التوبيخ، كقوله تعالى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾[١].

عَدَل عن الغيبة إلى الخطاب، للدلالة على أنّ قائلَ مثل قولهم، ينبغي أن يكون مُوَبَّخاً ومنكراً عليه؛ ولما أراد توبيخَهم على هذا أخبر عنه بالحضور، فقال: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾، لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له.

ومنه: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ. وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾[٢].

قال: ﴿تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ دون «تقطّعتم أمركم بينكم»، كأنّه ينعي عليهم ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين وتُقَبِّح عندهم ما فعلوه، ويوبخهم عليه قائلاً: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله، فجعلوا أمر دينهم به قِطعاً، تمثيلاً لأخلاقهم في الدين.

فائدة:

اختلف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٣] بعد ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[٤].

فقيل: إن الكلام تمّ عند قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وهذا الذي بعده من مقول الله تصديقاً لهم.

وقيل: بل هو من بقية كلامهم الأول على طريقة الالتفات من الخطاب إلى

---

(١) سورة: مريم آية: ٨٨ ـ ٩٩.
(٢) سورة: الأنبياء آية: ٩٢ ـ ٩٣.
(٣) سورة: آل عمران آية: ٩.
(٤) سورة: آل عمران آية: ٩.

الغيبة، كقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾[1].

فإن قلت: قد قال في آخر السورة: ﴿وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[2]، فلم عَدَل عن الخطاب هنا؟

قلت: إنما جاء الالتفات في صدر السورة، لأن المقام يقتضيه، فإن الإلٰهية تقتضي الخير والشر لتنصف المظلومين من الظالمين، فكان العدول إلى ذكر الاسم الأعظم أولى.

وأما قوله تعالى في آخر السورة: ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[3]، فذلك المقام مقام الطلب للعبد من ربه أن يُنعم عليه بفضله، وأن يتجاوز عن سيئاته، فلم يكن فيه ما يقتضي العدول عن الأصل المستمرّ.

(١) سورة: يونس آية: ٢٢.

(٢) سورة: آل عمران آية: ١٩٤.

(٣) سورة: آل عمران آية: ١٩٤.

البحث الرابع: في شرطه

تقدم أنّ شرط الالتفات أن يكون الضميرُ في المنتقل إليه عائداً في نَفْس الأمر إلى المنتقَل عنه؛ وشرطه أيضاً أن يكون في جملتين، أي كلامين مستقلين، حتى يمتنع بين الشرط وجوابه.

وفي هذا الشرط نظر، فقد وقع في القرآن مواضع، الالتفات فيها وقع في كلام واحد؛ وإن لم يكن بين جزأي الجملة، كقوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾[1].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾[2].

وقوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾، بعد قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾[3].

التقدير: إن وهبت امرأة نفسها للنبيّ ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾، وجملتا الشرط والجزاء كلام واحد.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ فَيَقُولُ﴾[4].

---

(١) سورة: العنكبوت آية: ٢٣.

(٢) سورة: القصص آية: ٥٩.

(٣) سورة: الأحزاب آية: ٥٠.

(٤) سورة: الفرقان آية: ١٧.

وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[1].

وفيه التفاتان: أحدهما: بين «أرسلنا» والجلالة، والثاني: بين الكاف في «أرسلناك» «ورسوله» وكلّ منهما في كلام واحد.

وقوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ﴾[2].

وقوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾[3]، وجوز الزمخشري فيه أن يكون ضمير «جزاؤكم» يعود على «التّابعين» على طريق الالتفات.

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً يُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ﴾[4]، على قراءة الياء.

وقوله: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾[5].

قال التنوخي في «الأقصى القريب»: الواو للحال.

وقوله: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[6].

---

(١) سورة: الفتح آية: ٨ ـ ٩.
(٢) سورة: آل عمران آية: ١٥١.
(٣) سورة: الإسراء آية: ٦٣.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢٨١.
(٥) سورة: المائدة آية: ١٢.
(٦) سورة: يسٓ آية: ٢.

البحث الخامس

أنه يقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره

وإنما يُفعل ذلك إذا ابتلِيَ العاقل بخصم جاهل متعصّب، فيجب أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة؛ لأنه كلّما كان خوضُه معه أكثر، كان بعدهُ عن القبول أشدّ، فالوجه حينئذ أن يُقطعَ الكلام معه في تلك المسألة، وأن يوخَذ في كلام آخر أجنبي ويطنب فيه، بحيث ينسى الأول، فإذا اشتغل خاطرُه به أدرج له في أثناء الكلام الأجنبيّ مقدمة تناسب ذلك المطلب الأول، ليتمكن من انقياده.

وهذا ذكره الإمام أبو الفضل في كتاب «درة التنزيل»[1]، وجعل منه قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾[2]، قال: إن قوله «وٱذكر» ليس متصلاً بما قبله، بل نقلاً لهم عما هم عليه، والمقدمة المدرجة قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾ إلى قوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الألبابِ﴾[3].

وهذا الذي قاله يُخرج الآية عن الاتصال، مع أنّ في الاتصال وجوهاً مذكورة في موضعها.

وألحق به الأستاذ، وأبو جعفر بن الزبير[4] قوله تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْآنِ

---

(١) هو: درة التنزيل وغرة التأويل، للفخر الرازي.

(٢) سورة: صٓ آية: ١٧.

(٣) سورة: صٓ آية: ٢٧ ـ ٢٩.

(٤) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير =

ٱلْمَجِيدِ. بَلْ عَجِبُوا...﴾[1] الآية، فهذا إنكار منهم للبعث واستبعاد، نحو الوارد في سورة «صٓ»؛ فأعقب ذلك بما يشبه الالتفات بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا...﴾ إلى قوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[2]، فبعدّ العدول عن مجاوبتهم، في قولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾[3]، وذِكْر اختلافهم المسبّب عن تكذيبهم، في قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾[4]، صرف تعالى الكلام إلى نبيّه والمؤمنين، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا...﴾ إلى قوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾[5]، وذلك حكمة تُدْرك مشاهدة، لا يمكنهم التوقف في شيء منه ولا حفظ عنهم إنكاره، فعند تكرر هذا، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[6].

ومما يقرب أيضاً الانتقال من خطاب الواحد والإثنين والجمع إلى خطاب آخر؛ وهو ستة[7] أقسام، كما سبق تقسيم الالتفات:

أحدها: الانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين، كقوله تعالى:

﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[8].

الثاني: منه خطاب الواحد إلى خطاب الجمع:

= والأصول. ولد في جيان عام (٦٢٧ هـ:١٢٣٠ م) وأقام بمالقة، وهوفي في غرناطة عام: (٧٠٨ هـ: ١٣٠٨ م). من مصنفاته: «صلة الصلة» و«ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل»(١) و«البرهان في ترتيب سور القرآن» وغيرها.

أنظر ترجمته في: (الإحاطة ١/ ٧٢. والدرر الكامنة ١/ ٨٤. والبدر الطالع ١/ ٣٣. وشذرات الذهب ٦/ ١٦. والاعلام ١/ ٨٦).

(١) سورة: قٓ آية: ١ ـ ٢.

(٢) سورة: قٓ آية: ٦ ـ ١١.

(٣) سورة: قٓ آية: ٣.

(٤) سورة: قٓ آية: ٥.

(٥) سورة: قٓ آية: ٦ ـ ١١.

(٦) سورة: قٓ آية: ١١.

(٧) في ب: «وهو سبعة أقسام».

(٨) سورة: يونس آية: ٧٨.

(١) وقد لخص فيه كتاب درة التنزيل للفخر الرازي ٣٨٤ وزاد عليه أشياء. انظر الدرر الكامنة.

﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ﴾(١) .

الثالث: من الاثنين إلى الواحد، كقوله:

﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾(٢).

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾(٣).

الرابع: من الاثنين إلى الجمع، كقوله:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤)

وفيه انتقال آخر من الجمع إلى الـ ، فإنه ثنّى ثم جمع، ثم وحّد، توسعاً في الكلام. وحكمة التثنية أنّ موسـ هرون هما اللذان يقرران قواعد النبوة، ويحكمان في الشريعة، فخصهما بذلك، ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبلة للعبادة؛ لأن الجميع مأمورون بها، ثم قال لموسى وحده: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٥)؛ لأنه الرسول الحقيقي الذي إليه البشارة والإنذار.

الخامس: من الجمع إلى الواحد، كقوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٦) وقد سبق حكمته.

ومن نظائره قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾(٧)، ثم قال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾(٨)، ولم يقل «منّا» مع أنه للجمع أو للواحد المعظم نفسه، وحكمته المناسبة للواقع، فالهدى لا يكون إلا من الله، فناسب الخاصّ للخاصّ.

السادس: من الجمع إلى التثنيـة، كقوله:

---

(١) سورة: الطلاق آية: ١.
(٢) سورة: طه آية: ٤٩.
(٣) سورة: طه آية: ١١٧.
(٤) سورة: يونس آية: ٨٧.
(٥) سورة: يونس آية: ٨٧.
(٦) سورة: يونس آية: ٨٧.
(٧) سورة: البقرة آية: ٣٨.
(٨) سورة: يونس آية: ٨٧.

﴿يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا. . .﴾ إلى قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١).

السابع: ذكر بعضهم من الالتفات تعقيب الكلام بجملة مستقلة ملاقية له في المعنى على طريق المثل إلى الدعاء.

فالأول: كقوله: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (٢).

والثاني كقوله: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٣).

الثامن: من الماضي إلى الأمر، كقوله:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ﴾ (٤).

وقوله: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ (٥).

التاسع: من المستقبل إلى الأمر، تعظيماً لحال مَنْ أجرى عليه المستقبل. وبالضد من ذلك في حق من أجرى عليه الأمر، كقوله تعالى:

﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ. . .﴾ إلى قوله: ﴿بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٦)، فإنه إنما قال: ﴿أُشْهِدُ ٱللهَ﴾، ﴿وَٱشْهَدوا﴾ ولم يقل: «وأشهدكم» ليكون موازناً له؛ ولا شك أنّ معنى إشهاد الله على البراءة صحيح في معنى يثبت التوحيد؛ بخلاف إشهادهم؛ فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة به، فلذلك عَدلَ عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر، كما تقول للرجل منكِراً: اشهد عليّ أني أحبّك.

العاشر: من الماضي إلى المستقبل، نحو:

---

(١) سورة: الرحمن آية: ٣٣ ـ ٣٤.
(٢) سورة: الإسراء آية: ٨١.
(٣) سورة: التوبة آية: ١٢٧.
(٤) سورة: الأعراف آية: ٢٩.
(٥) سورة: الحج آية: ٣٠.
(٦) سورة: هود آية: ٥٣ ـ ٥٤.

﴿وَٱللهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ﴾[1].

﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[3].

والحكمة في هذه أن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبّر عنه بالماضي؛ ليفيد ذلك مع كونه نافياً أنه قد مضى عليه زمان؛ ولا كذلك الصدّ عن سبيل الله، فإن حكمه إنما ثبت حال حصوله مع أن في الفعل المستقبل إشعاراً بالتكثير، فيُشعر قوله: «ويصدون»، أنه في كلّ وقت بصدد ذلك، ولو قال: «وصدّوا» لأشعر بانقطاع صدّهم.

الحادي عشر: عكسه، كقوله:

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ﴾[4].

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾[5].

قالوا: والفائدة في الفعل الماضي، إذا أخبر به عن المستقبل الذي لم يوجد أنه أبلغ وأعظم موقعاً، لتنزيله منزلة الواقع.

والفائدة في المستقبل؛ إذا أخبر به عن الماضي، لتتبين هيئة الفعل باستحضار صورته، ليكون السامع كأنه شاهد، وإنما عبر في الأمر بالتوبيخ بالماضي بعد قوله: ﴿ينفخ﴾ للإشعار بتحقيق الوقوع وثبوته، وأنه كائن لا محالة، كقوله: ﴿وَبَرَزُوا للهِ جَمِيعاً﴾[6].

والمعنى: «يبرزون»، وإنما قال: ﴿وحشرناهم﴾ بعد ﴿نُسَيِّرُ﴾ ﴿وترى﴾، وهما مستقبلان، لذلك.

---

(١) سورة: فاطر آية: ٩.

(٢) سورة: الحج آية: ٣١.

(٣) سورة: الحج آية: ٢٥.

(٤) سورة: النمل آية: ٨٧.

(٥) سورة: الكهف آية: ٤٧.

(٦) سورة: إبراهيم آية: ٢١.

التضمين

وهو إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء، وفي الأفعال، وفي الحروف.

فأمّا في الأسماء: فهو أن تضمِّن اسماً معنى اسم؛ لإفادة معنى الاسمين جميعاً، كقوله تعالى:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾(١)، ضمّن «حقيق» معنى «حريص» ليُفيد أنه محقوق بقوْل الحقِّ، وحريص عليه.

وأما الأفعال: فأنْ تضمِّن فعلاً معنى فعل آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً؛ وذلك بأن يكون الفعل يتعدّى بحرف، فيأتي متعدياً بحرف آخر ليس من عادته التعدّي به، فيُحتاج إمّا إلى تأويله، أو تأويل الفعل، ليصحّ تعدّيه به.

واختلفوا أيّهما أولى؟

فذهب أهلُ اللغة، وجماعة من النحويين إلى أنّ التوسع في الحرف، وأنه واقع موقع غيره من الحروف أوْلى.

وذهب المحققون إلى أن التوسع في الفعل وتعديته بما لا يتعدى لتضمّنه معنى ما يتعدى بذلك الحرف أوْلى؛ لأن التوسع في الأفعال أكثر.

---

(١) سورة: الأعراف آية: ١٠٥.

مثاله: قوله تعالى: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللهِ﴾[1]، فضمّن «يشرب» معنى «يروى»؛ لأنه لا يتعدى بالباء، فلذلك دخلت الباء، وإلا فـ «يشرب» يتعدّى بنفسه، فأريد باللفظ الشربِ والريّ معاً، فجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد.

وقيل: التجوّز في الحرف؛ وهو الباء؛ فإنها بمعنى «من».

وقيل: لا مجاز أصلاً، بل العين ها هنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء؛ لا إلى نفسه، نحو: نزلت بعينٍ فصار كقوله: مكاناً يشرب به.

وعلى هذا: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[2]، قاله الراغب.

وهذا بخلاف المجاز؛ فإنّ فيه العدولَ عن مسمَّاه بالكلّية، ويراد به غيره، كقوله: ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[3]، فإنّه استعمل «أراد» في معنى مقاربة السقوط؛ لأنه من لوازم الإرادة، وإنّ من أراد شيئاً فقد قارب فعله، ولم يُرِدْ باللفظ هذا المعنى الحقيقيّ الذي هو الإرادة، وإنّ من أراد شيئاً فقد قارب فعله، ولم يُرِدْ باللفظ هذا المعنى الحقيقيّ الذي هو الإرادة البتة.

والتضمين أيضاً مجاز؛ لأنّ اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معاً، والجمع بينهما مجاز خاصّ يسمونه بالتضمين، تفرقةً بينه وبين المجاز المطلق.

ومن التضمين: قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾[4]؛ لأنه لا يقال: رفثتُ إلى المرأة؛ لكن لما كان بمعنى الإفضاء ساغ ذلك.

وهكذا قوله: ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾[5]؛ وإنما يقال: هل لك في كذا؟ لكن المعنى أدعوك إلى أن تزكّى.

---

(١) سورة: الدهر آية: ٦.
(٢) سورة: آل عمران آية: ١٨٨.
(٣) سورة: الكهف آية: ٧٧.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٨٧.
(٥) سورة: النازعات آية: ١٨.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾(١)، فجاء بـ «عن»؛ لأنه ضمّن التوبة معنى العفو والصفح.

وقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾(٢).

وإنما يقال: خلوت به، لكن ضمّن «خَلَوْا» معنى «ذهبوا» «وانصرفوا»، وهو معادل لقوله: «لقوا»؛ وهذا أوْلى من قول من قال: إنّ «إلى» هنا بمعنى الباء، أو بمعنى «مع».

وقال مَكيّ: إنما لم تأت الباء؛ لأنه يقال: خلوت به إذا سخرت منه، فأتى بـ «إلى» لدفع هذا الوهم.

وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(٣).

قيل: الصراط منصوب على المفعول به، أي لألزمنّ لك صراطك، أو لأملّكَنّه لهم، و«أقعد» وإن كان غير متعدّ ضمّن معنى فعل متعدّ.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾(٤)، ضمّن «تَعْدُ» معنى «تنصرف»، فعدّي بـ «عن».

قال ابن الشجريّ: ومن زعم أنه كان حق الكلام؛ لا «تعدُ عينيك عنهم» بالنصب؛ لأن «تعد» متعدّ بنفسه فباطل، لأن عدوت وجاوزت بمعنى واحد.

وأنت لا تقول: جاوز فلان عينَه عن فلان، ولو كانت التلاوة بنصب العين لكان اللفظ يتضمّنها محمولاً أيضاً على: لا تصرف عينك عنهم، وإذا كان كذلك، فالذي وردت به التلاوة من رفع العين يؤول إلى معنى النصب فيها؛ إذ كان «لا تعد عيناك» بمنزلة «لا تنصرف»، ومعناه لا تصرف عينك عنهم، فالفعل مسند إلى العين، وهو في الحقيقة موجّه إلى النبي ﷺ، كما قال: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ

(١) سورة: الشورى آية: ٢٥.
(٢) سورة: البقرة آية: ١٤.
(٣) سورة: الأعراف آية: ١٦.
(٤) سورة: الكهف آية: ٢٨.

أَمْوَالُهُمْ﴾[١]، أسند الإعجاب إلى الأموال، والمعنى: لا تُعْجَب بأموالهم.

وقوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[٢]، ضُمِّن معنى «لتدخلنّ» أو «لتصيرنّ».

وأما قول شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾[٣] فليس اعترافاً بأنّه كان فيهم، بل مؤول على ما سبق. وتأويل آخر وهو أن يكون من نسبة فعل البعض إلى الجماعة، أو قاله على طريق المشاكلة لكلامهم، وهذا أحسن.

وقوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾[٤]، ضمّن «لا تشرك» معنى «لاتعدل» والعدل: التسوية، أي لا تسوّي به شيئاً.

وقوله: ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[٥] ضُمِّن معنى «أنابوا» فعدّى بحرفه.

وقوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾[٦] ضمّن ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾ معنى: «تخبر به»، أو «لتعلم» ليفيد الإظهار معنى الإخبار؛ لأن الخبر قد يقع سراً غير ظاهر.

وقوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾[٧]، جوّز الزمخشري نصب ﴿مَقاماً﴾، على الظرف على تضمين ﴿يَبْعَثَكَ﴾ معنى: «يقيمك».

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[٨].

قال الفارسي: ومن قرأ «فَأَجْمِعُوا» بالقطع أراد فأجمعوا أمركم وشركاءكم، كقوله:

* مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحاً *

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾[٩].

---

(١) سورة: التوبة آية: ٨٥.
(٢) سورة: إبراهيم آية: ١٣.
(٣) سورة: الأعراف آية: ٨٩.
(٤) سورة: الحج آية: ٢٦.
(٥) سورة: هود آية: ٢٣.
(٦) سورة: القصص آية: ١٠.
(٧) سورة: الإسراء آية: ٧٩.
(٨) سورة: يونس آية: ٧١.
(٩) سورة: سبإ آية: ٢٣.

قال ابن سيده: عدّاه بـ «عن» لأنه في معنى كشف الفزع.

وقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾(١)، فإنه يقال: ذلّ له، لا عليه، ولكنه هنا ضمّن معنى التعطف والتحنن.

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾(٢) ضمن ﴿يُؤْلُونَ﴾ معنى «يمتنعون» من وطئهن بالاليَّة.

وقوله: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(٣)، أي: لا يُصغون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ﴾(٤)، أي: أنزل.

﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ﴾(٥)، أي: أحلّ له.

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾(٦) أي: مميّزك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٧) أي: لا يَرْضى.

﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾(٨)، أي: أنيبوا إليه وارجعوا.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾(٩)، أي: زال.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾(١٠)، فإنه يقال: خالفت زيداً، من غير احتياج لتعديه بالجارّ؛ وإنما جاء محمولاً على «ينحرفون» أو «يزيغون».

ومثله: تعدية «رحيم» بالباء، في نحو: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾(١١) حملاً على «رءُوف»، في نحو: ﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(١٢)، ألا ترى أنك تقول: رأفت به، ولا تقول: رحمت به؛ ولكن لما وافقه في المعنى تنزّل منزلته في التعدية.

(١) سورة: المائدة آية: ٥٤.
(٢) سورة: البقرة آية: ٢٢٦.
(٣) سورة: الصافات آية: ٨.
(٤) سورة: القصص آية: ٨٥.
(٥) سورة: الأحزاب آية: ٣٨.
(٦) سورة: آل عمران آية: ٥٥.
(٧) سورة: يونس آية: ٨١.
(٨) سورة: فصلت آية: ٦.
(٩) سورة: الحاقة آية: ٢٩.
(١٠) سورة: النور آية: ٦٣.
(١١) سورة: الأحزاب آية: ٤٣.
(١٢) سورة: التوبة آية: ١٢٨.

وقوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1]، ضمّن معنى «سائل».

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[2].

قال الزمخشري: ضمن معنى «تحاملوا»، فعداه بـ «عَلَى»، والأصل فيه «من».

تنبيهان:

١ ـ الأول: الأكثر أن يُراعى في التعدية ما ضمّن منه، وهو المحذوف لا المذكور، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[3]، أي: الإفضاء.

وقوله: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللهِ﴾[4]، أي: يروى بها، وغيره مما سبق.

ولم أجد مراعاة الملفوظ به إلا في موضعين:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[5]، على قول ابن الضائع أنه ضمن «يقال» معنى «ينادي» وإبراهيم «نائب» عن الفاعل؛ وأورد على نفسه: كيف عدّي باللام والنداء لا يتعدى به؟.

وأجاب بأنه رُوعي الملفوظ به؛ وهو القول؛ لأنه يقال: قلت له.

الثاني: قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾[6]؛ فإنه قد يقال: كيف يتعلّق التكليف بالمرضع.

فأجيب بأنّه ضمن «حرّم» المعنى اللغوي، وهو المنع. فاعترض كيف عدّى بـ « على» والمنع لا يتعدى به؛ فأجيب بأنه روعي صورة اللفظ.

٢ ـ الثاني: أن التضمين يُطلق على غير ما سبق.

قال القاضي أبو بكر في كتاب «إعجاز القرآن»: هو حصول معنى فيه من

---

(١) سورة: القصص آية: ٢٤.
(٢) سورة: المطففين آية: ٢.
(٣) سورة: البقرة آية: ١٨٧.
(٤) سورة: الدهر آية: ٦.
(٥) سورة: الأنبياء آية: ٦٠.
(٦) سورة: القصص آية: ١٢.

غير ذكره له باسم [أو صفة][1] هي عبارة عنه، ثم قسمه إلى قسمين:

أحدهما: ما يفهم من البنية، كقولك: معلوم؛ فإنه يوجب أنه لا بد من عالم.

والثاني: من معنى العبارة [من حيث لا يصح إلا به][2] كالصفة، فضارب يدل على مضروب.

قال: والتضمين كله إيجاز، قال: وذكر أن ﴿بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحيم﴾ من باب التضمين؛ لأنّه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى، أو التبرّك باسمه.

وذكر ابن الأثير في كتاب «المعاني المبتدعة»: أنّ التضمين واقع في القرآن خلافاً لما أجمع عليه أهلُ البيان؛ وجعل منه قوله تعالى في الصافات: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ. لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[3].

ويطلق التضمين أيضاً على: إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لتأكيد المعنى، أو لترتيب النظم؛ ويسمى الإبداع كإبداع الله تعالى في حكايات أقوال المخلوقين، كقوله تعالى حكاية عن قول الملائكة:

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ﴾[4].

ومثل ما حكاه عن المنافقين: ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[5].

وقوله: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ ٱلسُّفَهَاءُ﴾[6].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾[7].

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصول. وانظر: (إعجاز القرآن ٤١٢، ٤١٣).
(٢) ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصول.
(٣) سورة: الصافات آية: ١٦٩.
(٤) سورة: البقرة آية: ٣٠.
(٥) سورة: البقرة آية: ١١.
(٦) سورة: البقرة آية: ١٣.
(٧) سورة: البقرة آية: ١١٣.

﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ﴾[1]، ومثله في القرآن كثير.

وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الأعجمية.

ويقرب من التضمين في إيقاع فعل موقع آخر إيقاع الظن موقع اليقين في الأمور المحققة، كقوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾[2].

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا ٱللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾[3].

﴿وَرَأَىٰ ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾[4].

﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾[5].

﴿وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾[6].

وشرط ابن عطية في ذلك ألا يكون متعلّقه حِسّياً، كما تقول العرب في رجل يُرى حاضراً: أظن هذا إنساناً، وإنما يستعمل ذلك فيما لم يخرج إلى الحسّ بعد، كالآيات السابقة.

قال الراغب في «الذريعة»: الظنّ إصابة المطلوب بضرب من الأمارة متردّد بين يقين وشك، فيُقرب تارة من طرف اليقين، وتارة من طَرَف الشك، فصار أهل اللغة يُفسّرونه بهما؛ فمتى رُئِيَ إلى طَرَف اليقين أقرب استعمل معه «أنّ» المثقلة والمخففة فيهما، كقوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا ٱللهِ﴾[7] ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾[8].

ومتى رُئي إلى الشك أقرب استعمل معه «أن» التي للمعدومين من الفعل،

---

(1) سورة: البقرة آية: ١١٣.
(2) سورة: البقرة آية: ٤٦.
(3) سورة: البقرة آية: ٢٤٩.
(4) سورة: الكهف آية: ٥٣.
(5) سورة: صّ آية: ٢٤.
(6) سورة: فصلت آية: ٤٨.
(7) سورة: البقرة آية: ٢٤٩.
(8) سورة: الأعراف آية: ١٧١.

نحو ظننت أن يخرج.

قال: وإنما استعمل الظن بمعنى العلم في قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾(١) لأمرين:

أحدهما: للتنبيه على أنّ علم أكثر الناس في الدنيا بالنسبة إلى علمهم في الآخرة، كالظنّ في جنب العلم.

أن العلم الحقيقيّ في الدنيا لا يكاد يحصل إلا للنّبيين والصديقين المعنيّين بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾(٢)، والظنّ متى كان عن أمارة قوية فإنه يُمدَح به، ومتى كان عن تخمين لم يُمدَح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾(٣).

وجوّز أبو الفتح في قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٤) أن يكون المراد بها اليقين، وأن تكون على بابها، وهو أقوى في المعنى، أي: فقد يمنع من هذا التوهم، فكيف عند تحقيق الأمر، فهذا أبلغ كقوله: «يكفيك من شرّ سَماعُه» أي: لو توهم البعث والنشور وما هناك من عظم الأمر وشدته لاجتنب المعاصي، فكيف عند تحقق الأمر! وهذا أبلغ.

وقيل: آيتا البقرة بمعنى الاعتقاد، والباقي بمعنى اليقين، والفرق بينهما أن الاعتقاد يقبل التشكيك بخلاف اليقين، وإن اشتركا جميعاً في وجوب الجزم بهما.

وكذلك قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾(٥).

وقد جاء عكسه وهو التجوّز عن الظن بالعلم، كقوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾(٦)، ولم يكن ذلك علماً جازماً بل اعتقاداً ظنياً.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٤٦.

(٢) سورة: الحجرات آية: ١٥.

(٣) سورة: الحجرات آية: ١٢.

(٤) سورة: المطففين آية: ٤ ـ ٥.

(٥) سورة: الحاقة آية: ٢٠.

(٦) سورة: يوسف آية: ٨١.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1]، وكان يحكم بالظن وبالظاهر.

وقوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾[2]، وإنما يحصل بالامتحان في الحكم، ووجه التجوز أنّ بين الظن والعلم قَدْراً مشتركاً وهو الرجحان، فتجوّز بأحدهما عن الآخر.

---

(١) سورة: الإسراء آية: ٣٦.

(٢) سورة: الممتحنة آية: ١٠.

وضع الخبر موضع الطلبِ
في الأمر والنهي

كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾[1].

﴿وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾[2].

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[3].

﴿ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللهُ لَكُمْ﴾[4].

وقوله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ. . .﴾[5] الآية.

ولهذا جعلها العلماء من أمثلة الواجب:

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾[6] على قراءة نافع، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا.

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ﴾[7] قالوا: هو خبر، وتأويلُه نهي، أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، كقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[8] وكقوله: ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾[9]، على قراءة الرفع.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٣٣.
(٢) سورة: البقرة آية: ٢٢٨.
(٣) سورة: الرعد آية: ٢٤.
(٤) سورة: يوسف آية: ٩٢.
(٥) سورة: المائدة آية: ٨٩.
(٦) سورة: البقرة آية: ١٩٧.
(٧) سورة: البقرة آية: ٢٧٢.
(٨) سورة: الواقعة آية: ٧٩.
(٩) سورة: البقرة آية: ٢٣٣.

وقيل: إنه نهي مجزوم - أعني قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ - ولكن ضُمّنت اتباعاً للضمير، كقوله ﷺ: «إنّا لم نردّه عليك إلا أنّا حرم»[1].

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[2]، ضمّن «لا تعبدون» معنى «لا تعبدوا» بدليل قوله بعده: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[3]، وبه يزول الإشكال في عطف الإنشاء على الخبر؛ لكن إن كان «حسناً» معمولاً لأحسنوا، فعطفُ «قولوا» عليه أوْلى لاتفاقهما لفظاً ومعنًى، وإن كان التقدير و«يحسنون» فهو الذي قبله، والعطف على القريب أوْلى. وقيل: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهيّ يسارع إلى الانتهاء، فهو مخبر عنه.

وكذا قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾[4] في موضع «لا تسفكوا».

وقوله في سورة الصف: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] عطفاً على قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[6]، ولهذا جزم الجواب.

وقوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱمْتَازُوا ٱلْيَوْمَ﴾[7]؛ فإن المقام يشتمل على تضمين ﴿إنّ أصحاب الجنّة اليوم﴾ معنى الطلب، بدليل ما قبله: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾[8]، فإنه كلام وقت الحشر لوروده معطوفاً بالفاء، على قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[9] وعامّ لجميع الخلق لعموم قوله: ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾

---

(1) أنظر: (صحيح مسلم، حديث ٨٥٠. ومسند أحمد بن حنبل ٤/ ٣٨، ٧١. ومسند الشافعي ٨٤. والتمهيد لابن عبد البر ٩/ ٥٤. وفتح الباري ٤/ ٣١).

(2) سورة: البقرة آية: ٨٣.

(3) سورة: البقرة آية: ٨٣.

(4) سورة: البقرة آية: ٨٤.

(5) سورة: الصف آية: ١٣.

(6) سورة: الصف آية: ١٣.

(7) سورة: يس آية: ٥٥ - ٥٩.

(8) سورة: يس آية: ٥٤.

(9) سورة: يس آية: ٥٣.

شَيْئاً﴾ [١]، وإن الخطاب الوارد بعده على سبيل الالتفات، وهو قوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٢]، خطاب عام لأهل المحشر، فيكون قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [٣] مقيداً بهذا الخطاب لكونه تفصيلاً لما أجمله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٤] وإن التقدير أن أصحاب الجنة منكم يا أهل المحشر، ثم جاء في التفسير أن قوله هذا: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [٥] يقال لهم حين يساق بهم إلى الجنة، بتنزيل ما هو للتكوين مَنْزِلَة الكائن، أي إن أصحاب الجنة منكم يا أهل المحشر، يؤول حالُهم إلى أسعد حال، والتقدير حينئذ «فامتازوا عنكم إلى الجنة»، هكذا قرره السكّاكيّ في «المفتاح».

قيل: وفيه نظر؛ لأنها إذا كانت طلبية ومعناها أمر المؤمنين بالذهاب إلى الجنة، فليكن الخطاب معهم لا مع أهل المحشر.

ولهذا قال بعضهم: إن تضمين أصحاب أهل الجنة للطّلب ليس المراد منه أن الجملة نفسها طلبية، بل معناه أن يقدر جملة إنشائية بعدها، بخلاف قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [٦].

ومنه: قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [٧].

فإنه يقال: كيف جاء الجزم في جواب الخبر؟

وجوابه: أنه لما كان في معنى الأمر جاز ذلك، إذ المعنى: آمنوا وجاهدوا.

وقال ابن جِنّي: لا يكون «يغفر» جواباً لـ «هَلْ أدلكم» وإن كان أبو العباس

---

(١) سورة: يسٓ آية: ٥٤.

(٢) سورة: يسٓ آية: ٥٤.

(٣) سورة: يسٓ آية: ٥٥ ـ ٥٩.

(٤) سورة: يسٓ آية: ٥٥.

(٥) سورة: يسٓ آية: ٥٥ ـ ٥٩.

(٦) سورة: البقرة آية: ٨٣.

(٧) سورة: الصف آية: ١١ ـ ١٢.

قد قاله، لأن المغفرة تحصل بالإيمان لا بالدلالة. انتهى.

وقد يقال الدلالة: سبب السبب.

إذا علمت هذا؛ فإنما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته؛ وأنه مما ينبغي أن يكون واقعاً ولا بد، وهذا هو المشهور.

وفيه طريقة أخرى نقلت عن القاضي أبي بكر وغيره؛ وهي أنّ هذا خبر حقيقة غير مصروف عن جهة الخبرية؛ ولكنه خبر عن حكم الله وشرعه ليس خبراً عن الواقع؛ حتى يلزم ما ذكره من الإشكال؛ وهو احتمال عدم وقوع مخبره؛ فإن هذا إنما يلزم الخبر عن الواقع؛ أما الخبر عن الحكم فلا؛ لأنه لا يقع خلافه أصلاً.

وضع الطلب موضع الخبر

كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي ٱلضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَنُ مَدًّا﴾[1].

وقوله: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾[2].

وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبراهِيمَ مُصَلًّى﴾[3].

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ. يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ. وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾[4]

فقوله: ﴿وألق﴾ معطوف على قوله: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ فـ «ألق» وإن كان إنشاء لفظاً، لكنه خبر معنى. والمعنى: فلما جاءها قيل بورك مَنْ في النار. وقيل: ألق.

والموجب لهذا قول النحاة إن «أنْ» هذه مفسّرة لا تأتي إلا بعد فعل في معنى القول، وإذا قيل: كتبت إليه أن أرجع، وناداني أن قم، كلّه بمنزله: قلت له، وقال لي قم. كذا قاله صاحب المفتاح.

وما ذكره من أن «بورك» خبرية لفظاً ومعنى ممنوع؛ لجواز أن يكون دعاء

---

(1) سورة: مريم آية: ٧٥.

(2) سورة: التوبة آية: ٥٣.

(3) سورة: البقرة آية: ١٢٥.

(4) سورة: النمل آية: ٨ ـ ١٠.

وهو إنشاء؛ وقد ذكر هذا التقدير الفارسي وأبو البقاء، فتكون الجملتان متفقتين في معنى الإنشاء؛ فتكون مثل ﴿لا تعبدون إلا الله﴾.

وقوله: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1]؛ فإنه يقال: كيف ورد التمني على التكذيب وهو إنشاء؟

وأجاب الزمخشري أنه ضمّن معنى العِدّة، وأجاب غيره بأنه محمول على المعنى من الشرط والخبر؛ كأنه قيل: إن رددنا لم نكذّب وآمنّا. والشرط خبر، فصحّ ورود التكذيب عليه[2].

وقوله: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾[3]، أي: ونحن حاملون، بدليل قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[4] والكذب إنما يَرِد على الخبر.

وقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[5]؛ تقديره: ما أسمعهم وأبصرهم! لأنّ الله تعالى لم يتعجّب منهم، ولكنّه دلّ المكلّفين على أن هؤلاء قد نُزِّلوا منزلة مَنْ يُتعجب منه.

وممّا يدلّ على كونه ليس أمراً حقيقياً ظهورُ الفاعل الذي هو الجار والمجرور في الأول، وفعل الأمر لا يبرز فاعله أبداً.

ووجه التجوّز في هذا الأسلوب أنّ الأمرَ شأنه أن يكون ما فيه داعية للأمر؛ وليس الخبر كذلك، فإذا عبّر عن الخبر بلفظ الأمر أشعر ذلك بالدّاعية، فيكون ثبوته وصدقه أقرب. هذا بالنسبة لكلام العرب لا لكلام الله؛ إذ يستحيل في حقه سبحانه الداعية للفعل.

بقيَ الكلام في أيّهما أبلغ؟ هذا القسم أو الذي قبله؟

قال الكواشيّ في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾[6]، الأمر بمعنى

---

(١) سورة: الأنعام آية: ٢٧ ـ ٢٨.
(٢) على هامش ب: التكذيب على التمني.
(٣) سورة: العنكبوت آية: ١٢.
(٤) سورة: الأنعام آية: ٢٨.
(٥) سورة: مريم آية: ٤٠.
(٦) سورة: مريم آية: ٧٥.

الخبر؛ لتضمنه اللزوم؛ نحو إن زرتنا فلنكرمك، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1]، ورود الخبر، والمراد الأمر أو النهي، أبلغ من صريح الأمر والنهي؛ كأنّه سورع فيه إلى الامتثال والخبر عنه.

وقال النَّوَوِيّ في «شرح مسلم» في باب «تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها»:

وقوله ﷺ: «لا يخطبُ الرجل على خِطْبة أخيه، وَلَا يَسُوم على سوم أخيه»[2]، هكذا هو في جميع النسخ، «ولا يسوم» بالواو «ولا يخطب» بالرفع، وكلاهما لفظه لفظ الخبر؛ والمراد به النهي وهو أبلغ في النهي، لأن خبر الشارع لا يتصور وقوع خلافه، والنهي قد يقع مخالفته، فكأن المعنى: عاملوا هذا النهي معاملة خبر الحتم، ثم قال ﷺ: «ولا تسأل المرأة طلاق أختها»[3] يجوز في «تسأل» الرفع والكسر[4]، والأول على الخبر الذي يراد به النهي، وهو المناسب لقوله قبله: «لَا يَخْطُبُ وَلَا يَسُومُ»، والثاني على النهي الحقيقي. انتهى.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٨٣.

(٢) أنظر: (صحيح مسلم، حديث ٣٨ من كتاب النكاح. وسنن أبي داود ٢٠٨٠. ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٥٠٨، ٥٢٩ وجامع مسانيد أبي حنيفة ٢/ ١٦، ٨٧. والمعجم الكبير، للطبراني ٧/ ٢٦٢. والمطالب العالية، لابن حجر ٣٠٣٩. وفتح الباري ٩/ ١٩٨. وشرح معاني الآثار ٣/ ٤. والكامل، لابن عدي ٥/ ١٩٦٥. وإرواء الغليل ٦/ ٢١٨. والدر المنثور، للسيوطي ٦/ ٩٢. ومصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٤٠٣).

(٣) أنظر: (مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٧٤، ٣٩٤، ٤١٠، ٤٢٠، ٤٨٧، ٥١٦. والسنن الكبرى، للبيهقي ٧/ ١٨٠. مجمع ٤/ ٨٢، ٣٣٣. وسنن الدارقطني ٧/ ٧٤).

(٤) على هامش ب: «أي لالتقاء الساكنين وهو مجزوم بسكون مقدر».

وضع النّداء موضع التعجُّب

كقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَىٰ ٱلْعِبَادِ﴾[1].

قال الفراء: معناه: فيا لها من حسرة، والحسرة في اللغة أشدّ الندم؛ لأن القلب يبقى حسيراً.

وحكى أبو الحسين بن خالويه في كتاب «المبتدأ» عن البصريين أن هذه من أصعب مسألة في القرآن، لأن الحسرة لا تنادَى، وإنما تنادي الأشخاص؛ لأن فائدته التنبيه، ولكن المعنى على التعجب، كقوله: يا عجباً لم فعلت!، ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ﴾[2]، وهو أبلغ من قولك: العجب.

قيل: فكأنّ التقدير يا عجباً احضر، يا حسرة احضري!

وقرأ الحسن: ﴿يَا حَسْرَةَ العبادِ﴾.

ومنهم من قال: الأصل «يا حسرتاه» ثم أسقطوا الهاء تخفيفاً، ولهذا قرأ عاصم ﴿يَا أَسَفَاهُ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[3].

وقال ابن جني في كتاب «التفسير»: معناه أنه لو كانت الحسرة مما يصحّ نداؤه لكان هذا وقتها.

---

(١) سورة: يسٓ آية: ٣٠.
(٢) سورة: الزمر آية: ٥٦.
(٣) سورة: يوسف آية: ٨٤.

وأما قوله تعالى: ﴿يَا بُشْرَىٰ﴾(١)، فقالوا: معنى النداء فيما لا يعقل تنبيه المخاطب وتوكيد القصة؛ فإذا قلت: يا عجباً! فكأنك قلت: اعجبوا، فكأنه قال: يا قوم أبشروا.

قال أبو الفتح في «الخاطريات»: وقد توضع الجملة من المبتدأ والخبر موضع المفعول به، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾(٢) بعد قوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾(٣)، المعنى: ولتنتفعوا بها، عطفاً على قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾. وعلى هذا قال: ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾(٤). وكذلك قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾(٥)، أي: ولتأكلوا منها. ولذلك أتى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾(٦)، فعطف الجملة من الفعل ومرفوعه على المفعول له.

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾(٧)، أي: ولأنِّي ربّكم فاتقون، فوضع الجملة من المبتدأ والخبر موضع المفعول له.

وبهذا يبطل تعلّق من تعلق على ثبوته في قوله تعالى:

﴿وَأَذَانٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللهَ بَرِيءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾(٨).

وقوله: إن هذا ليس من مواضع الابتداء لجواز تقدير: وأذان بأن الله بريء، وبأن رسوله كذلك.

---

(١) سورة: يوسف آية: ١٩.
(٢) سورة: غافر آية: ٨٠.
(٣) سورة: غافر آية: ٧٩.
(٤) سورة: غافر آية: ٨٠.
(٥) سورة: غافر آية: ٧٩.
(٦) سورة: غافر آية: ٨٠.
(٧) سورة: المؤمنين آية: ٥٢.
(٨) سورة: التوبة آية: ٣.

وضع جمع القِلة موضع الكثرة

لأن الجموع يقع بعضها موقع بعض، لاشتراكها في مطلق الجمعية، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[1]، فإن المجموع بالألف والتاء للقلة، وغرف الجنة لا تحصى.

وقوله: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ ٱللهِ﴾[2]، ورُتَبُ الناس في علم الله أكثر من العشرة لا محالة.

وقوله: ﴿ٱللهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ﴾[3].

وقوله: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[4]، وهو كثير.

وقيل: سبب ذلك في الآية الأولى دخولُ الألف واللام الجنسية؛ فيكون ذلك تكثيراً لها، وكان دخولها على جمع القلة أوْلَى من دخولها على جمع الكثرة، إشارةً إلى قلة من يكون فيها، ألا ترى أنّه لا يكون فيها إلا المؤمنون!

وقد نصّ سبحانه على قلّتهم بالإضافة إلى غيرهم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[5]، فيكون التكثير الداخل في قوله: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَاتِ﴾[6]، لا من جهة وضع جمع القلة موضع جمع

---

(١) سورة: سبإ آية: ٣٧.

(٢) سورة: آل عمران آية: ١٦٣.

(٣) سورة: الزمر آية: ٤٢.

(٤) سورة: النمل آية: ١٤.

(٥) سورة: صَ آية: ٢٤.

(٦) سورة: سبإ آية: ٣٧.

الكثرة؛ ولكن من جهة ما اقتضته الألف واللام للجنس.

واعلم أن جموع التكسير الأربعة وجَمْعَي التصحيح - أعني جمع التأنيث وجمع التذكير - كل ذلك للقلّة؛ أما جموع التكسير فبالوضع، وأمّا جمعا التصحيح؛ فلأنهما أقرب إلى التثنية؛ وهي أقل العدد، فوجب أن يكون الجمع المشابه لها بمنزلتها في القلّة، وما عداها من الجموع فيرد تارة للقلة وتارة للكثرة بحسب القرائن.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ﴾(١). ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٣). ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾(٤).

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾(٥). ﴿مُسْتَهْزِئُونَ﴾(٦) ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾(٧).

﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾(٨). ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(٩).

﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(١٠). ﴿بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾(١١).

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾(١٢). ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ﴾(١٣).

﴿وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(١٤).. ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ

---

(١) سورة: الفاتحة آية: ٧.
(٢) سورة: البقرة آية: ٢.
(٣) سورة: البقرة آية: ٥.
(٤) سورة: البقرة آية: ١١.
(٥) سورة: البقرة آية: ١٢.
(٦) سورة: البقرة آية: ١٤.
(٧) سورة: البقرة آية: ١٦.
(٨) سورة: البقرة آية: ٢٨.
(٩) سورة: البقرة آية: ٣١.
(١٠) سورة: البقرة آية: ٣١.
(١١) سورة: البقرة آية: ٢٠.
(١٢) سورة: البقرة آية: ٤٤.
(١٣) سورة: الطلاق آية: ١.
(١٤) سورة: التوبة آية: ٧٠.

أَنْفُسَكُمْ﴾[1] .

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[2] . ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْهُدَى﴾ .

﴿وَٱتَّقُونِ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾[3] . ﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[4] .

﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾[5] .

﴿حَافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ﴾[6] .

فإن قلت: ليس هذا منه، بل هي للقلة، لأنها خمس.

قلت: لو كان كذلك لما صحّ:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ﴾[7] .

﴿فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَاءِ﴾[8].

فالمراد منها واحد، والجواب عن أحدهما الجواب عن الآخر.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ﴾[9]. ﴿إِنْ تُبْدُوا ٱلصَّدَقَاتِ﴾[10]؟

﴿ٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّادِقِينَ﴾[11] الآية: ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾[12] الآية، ولا تحصى كثرة.

ومن شواهد مجيء جمع القلة مراداً به الكثرة قول حسّان رضي الله عنه:

لَنَا ٱلْجَفَنَاتُ ٱلْغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي ٱلضُّحَى ... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

---

(1) سورة: البقرة آية: ٨٥.
(2) سورة: البقرة آية: ١٥٤.
(3) سورة: البقرة آية: ١٩٧.
(4) سورة: المائدة آية: ٨٩.
(5) سورة: البقرة آية: ٢٣٢.
(6) سورة: البقرة آية: ٢٣٨.
(7) سورة: البقرة آية: ٢٣٦.
(8) سورة: البقرة: آية: ٢٣٦.
(9) سورة: البقرة آية: ٢٦٦.
(10) سورة: البقرة آية: ٢٧١.
(11) سورة: آل عمران آية: ١٧.
(12) سورة: الأحزاب آية: ٣٥.

وحُكِي أن النابغة قال له: قد قلّلت جفناتك وأسيافك.

وطعن الفارسي في هذه الحكاية لوجود وضع جمع القلة موضع الكثرة، فيما له جمع كثرة، وفيما لا جمع له كثرة في كلامهم.

وصحّحها بعضهم قال: يعني أنه كان ينبغي لحسان تجنّب اللفظ الذي أصله أن يكون في القلة، وإن كان جائزاً في اللسان وضعه لقرينة إذا كان الموضع موضع مدح، أو أنّه وإن كانت القلة توضع لمعنى الكثرة، لكن ليس في كل مقام.

ومن المشكل: قوله تعالى: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾(١) فإن «أضعافاً» جمع قلّة فكيف جاء بعده كثرة؟

والجواب: أن جمع القلة يستعمل مراداً به الكثرة، وهذا منه.

تنبيهان:

١ ـ **الأول**: إنما يُسأل عن حكمة ذلك حيث كان له جمع كثرة، فإن لم يكن فلا، كقوله: ﴿أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾(٢)؛ فإنّ «أياماً» أفعال مع أنها ثلاثون، لكن ليس لليوم جمع غيره؛ ومن ثم أفرد السَّمْع وجمع الأبصار في قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾(٣)؛ لأن «فعلاً» ساكن العين صحيحها لا يجمع على «أفعال» غالباً؛ وليس له جمع تكسير؛ فلما كان كذلك اكتفى بدلالة الجنس على الجمع.

وجعل بعضهم من هذا «أنفسكم» على كثرتها في القرآن؛ وليس كذلك، فقد جاء ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾(٤)، وحكمته هنا ظاهرة، لأنّ المراد استيعاب جميع الخلق في المحشر.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٤٥.
(٢) سورة: البقرة آية: ١٨٤.
(٣) سورة: البقرة آية: ٧.
(٤) سورة التكوير آية: ٧.

ونظيره: ﴿مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ﴾[1]، لإمكان «الثمار» وليس رأس آية.

ومنه: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾[2]، لإمكان «آي»، ولا يقال إنه لطلب المشاكلة.

فقد قال تعالى بعده ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[3]، فدل على عدم المشاكلة لإمكان «أخريات».

وكذلك قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ﴾[4]، وليس رأس آية، ولا فيه مشاكلة، لإمكان «الأنهر».

وقد جاء أنفس للقلة، كقوله: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[5].

وقيل المراد نفسان من باب: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[6].

٢ ـ **الثاني**: إنما يتم في المنكّر أما المعرّف فيستغنى بالعموم عن ذلك، وبهذا يخدش في كثير مما سبق جعله من هذا النوع.

وقد قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ﴾[7] إنه جمع قلة، وضع موضع جمع الكثرة، وردّ عليه بأن «أل» في «الثمرات» للعموم فيصير كالثمار، ولا حاجة إلى ارتكاب وضع جمع قلة موضع جمع كثرة، وكذلك بيت حسان السابق فإن الجفنات معرّفة بـ «أل» و«أسيافنا» مضاف، ليعمّ.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٢.
(٢) سورة: آل عمران آية: ٦١.
(٣) سورة: آل عمران آية: ٦١.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢٥.
(٥) سورة: آل عمران آية: ٦١.
(٦) سورة: التحريم آية: ٤.
(٧) سورة: البقرة آية: ٢٢.

تذكير المؤنث

يكثر في تأويله بمذكر، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[1] على تأويلها بالوعظ.

وقوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾[2]، على تأويل البلدة بالمكان، وإلا لقال: «ميتة».

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي﴾[3]، أي: الشخص أو الطالع.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[4]، أي: بيان ودليل وبرهان.

وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَاءَ عَلَيْهِم مِدْرَاراً﴾[5].

. وإنما يترك التأنيث كما يترك في صفات المذكر، لا كما في قولهم؛ امرأة معطار؛ لأن السماء بمعنى المطر، مذكر، قال:

إذا نَزَلَ السَماءُ بِأَرْضِ قومٍ رَعَيْنَـاهُ وإن كانـوا غضابـاً

(١) سورة: البقرة آية: ٢٧٥.
(٢) سورة: قَ آية: ١١.
(٣) سورة: الأنعام آية: ٧٨.
(٤) سورة: الأعراف آية: ٨٥.
(٥) سورة: الأنعام آية: ٦.

ويجمع على أسمية وسميّ.

قال العجاج[1]:

* تَلُفُّهُ الأرواح والسميّ *

وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾، إلى قوله: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾[2]، ذكّر الضمير؛ لأنه ذهب بالقسمة إلى المقسوم.

وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾[3]، ذهب بالأنعام إلى معنى النعم، أو حمله على معنى الجمع.

وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4]، ولم يقل «قريبة».

قال الجوهري: ذُكِّرَت على معنى الإحسان، وذكر الفراء أن العرب تفرق بين النسب، والقرب من المكان، فيقولون: هذه قريبتي من النسب، وقريبي من المكان، فعلوا ذلك فرقاً بين قرب النسب والمكان.

قال الزجاج: وهذا غلَط، لأنّ كلّ ما قرب من مكان ونسبٍ، فهو جار على ما يقتضيه من التذكير والتأنيث؛ يُريد أنّك أردت القرب من المكان، قلت: زيد قريب من عمرو، وهند قريبة من العباس، فكذا في النسب.

وقال أبو عبيدة: ذكّر «قريب» لتذكير المكان، أي: مكاناً قريباً.

وردَّه ابن الشجري بأنه لو صحّ لنصب «قريب» على الظرف.

---

(١) العجاج، هو: عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء، العجاج. راجز مجيد من الشعراء. ولد في الجاهلية. وقال الشعر فيها ثم أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك وتوفي عام (نحو ٩٠ هـ: ٧٠٨ م).
أنظر: (شرح شواهد المغني ١٨. والشعر والشعراء ٢٣٠. والأعلام ٤/ ٨٧).

(٢) سورة: النساء آية: ٨.

(٣) سورة: النحل آية: ٦٦.

(٤) سورة: الأعراف آية: ٥٦.

وقال الأخفش: المراد بالرحمة هنا المَطر؛ لأنه قد تقدم ما يقتضيه، فحُمِل المذكّر عليه.

وقال الزجّاج: لأن الرحمة والغفران بمعنى واحد؛ وقيل: لأنها والرحم سواء.

ومنه: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾(١)، فحملوا الخبر على المعنى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾(٢).

وقيل: الرحمة مصدر، والمصادر كما لا تجمع لا تؤنث.

وقيل: «قريب» على وزن «فعيل» و«فعيل» يستوي فيها المذكر والمؤنث حقيقيّاً كان أو غير حقيقي.

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾(٣).

وقيل: من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، مع الالتفات إلى المحذوف، فكأنه قال: وإنّ مكان رحمة الله قريب، ثم حذف المكان وأعطى الرحمة إعرابه وتذكيره.

وقيل: من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، أي: أنّ رحمة الله شيء قريب، أو لطيف، أو برّ، أو إحسان.

وقيل: من باب إكساب المضاف حكمَ المضاف إليه؛ إذا كان صالحاً للحذف والاستغناء عنه بالثاني، والمشهور في هذا تأنيث المذكر لإضافته إلى مؤنث، كقوله:

مَشَيْنَ كما اهتزَّتْ رِماحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرياحِ النَّوَاسِمِ

فقال: «تسفهت» والفاعل مذكر؛ لأنه اكتسب تأنيثاً من الرياح، إذ

(١) سورة: الكهف آية: ٨١.
(٢) سورة: الكهف آية: ٩٨.
(٣) سورة: يسٓ آية: ٧٨.

الاستغناء عنه جائز، وإذا كانت الإضافة على هذا تعطى المضافَ تأنيثاً لم يكن له، فَلأنْ تعطيه تذكيراً لم يكن له ـ كما في الآية الكريمة ـ أحقّ وأولى؛ لأنّ التذكير أولى والرجوع إليه أسهل من الخروج عنه.

وقيل: من الاستغناء بأحد المذكورين لكون الآخر تبعاً له، ومعنىً من معانيه.

ومنه: في أحد الوجوه قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[1]، فاستغنى عن خبر الأعناق بخبر أصحابها؛ والأصل هنا إن رحمة الله قريب، وهو قريب من المحسنين، فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الموجود، وسوغ ذلك ظهور المعنى.

ونظير هذه الآية الشريفة قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[2].

قال البغويّ: لم يقل «قريبة» لأن تأنيثها غير حقيقيّ، ومجازها الوقت.

وقال الكسائي: إتيانها قريب.

وقيل في قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾[3]، ولم يقل: «صرصرة» كما قال: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[4]؛ لأنّ الصرصر وصف مخصوص بالريح لا يوصف به غيرها، فأشبه باب «حائض» ونحوه؛ بخلاف «عاتية» فإن غير الريح من الأسماء المؤنثة يوصف به.

وأما قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾[5]، ففي تذكير «منفطر» خمسة أقوال:

أحدها: للفراء، أن السماء تذكر وتؤنث، فجاء «منفطر» على التذكير.

والثاني: لأبي علي أنّه من باب اسم الجنس الذي بينه وبين واحدة التاء،

---

(١) سورة: الشعراء آية: ٤.
(٢) سورة: الشورى آية: ١٧.
(٣) سورة: الحاقة آية: ٦.
(٤) سورة: الحاقة آية: ٦.
(٥) سورة: المزمل آية: ١٨.

مفردة سماعة؛ واسم الجنس يذكر ويؤنث، نحو: ﴿أَعجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[1].

والثالث: للكسائي، أنه ذكّر حملاً على معنى السقف.

والرابع: لأبي علي أيضاً على معنى النسب: أي: ذات انفطار؛ كقولهم: امرأة مرضع، أي: ذات رضاع.

والخامس: للزمخشري، أنه صفة لخبر محذوف مذكّر، أي: شيء منفطر.

وسأل أبو عثمان المازنيّ بحضرة المتوكل قوماً من النحويّين؛ منهم ابن السِّكيت، وأبو بكر بن قادم عن قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾[2]: كيف جاء بغير هاء، ونحن نقول: امرأة كريمة: إذا كانت هي الفاعل وليست بمنزلة «القتيل» التي هي بمعنى «المفعول»؟ فأجاب ابن قادم وخلّط، فقال له المتوكّل[3]: أخطأت، قل يا ـ بكر ـ للمازني، قال: «بغيّ» ليس لـ «فعيل» وإنما هو «فعول» والأصل فيه «بغوي»، فلما التقت واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون أدغمت الواو في الياء، فقيل: «بغيّ» كما تقول: امرأة صبورة، بغير هاء؛ لأنها بمعنى صابرة؛ فهذا حكم «فعول» إذا عدل عن فاعله، فإن عدل عن مفعوله جاء بالهاء، كما قال: عنترة .

* منها اثنتان وأربعون حَلُوبة *

بمعنى «محلوبة» حكاه التوحيدي في «البصائر».

وقال البغويّ في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُحْيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[4]، ولم يقل «رميمة»، لأنه معدول عن فاعلة، وكلما كان معدولاً عن جهته ووزنه كان مصروفاً عن فاعلة، كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾[5]، أسقط الهاء؛ لأنها مصروفة عن «باغية».

---

(١) سورة: القمر آية: ٢٠.
(٢) سورة: مريم آية: ٢٨.
(٣) المتوكل، هو الخليفة العباسي.
(٤) سورة: يس آية: ٧٨.
(٥) سورة: مريم آية: ٢٨.

وقال الشريف المرتضى[١] في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٢] إن الضمير في ذلك يعود للرحمة، وإنما لم يقل و«لتلك»[٣]، لأنّ تأنيث الرحمة غير حقيقي، كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾[٤] ولم يقل «هذه»؛ على أنّ قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾[٥] كما يدل على الرحمة يدل على «أن يرحم» ويجوز رجوع الكتابة إلى قوله إلا أن يرحم، والتذكير في موضعه.

قال: ويجوز أن يكون قوله ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان، وكونهم فيه أمة واحدة، ولا محالة أنه لهذا خلقهم.

ويطابق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٦].

قال: فأما قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمعناه: الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات. وذكر أبو مُسلم[٧] بن بحر فيه معنى

---

(١) الشريف المرتضى، هو: علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب. نقيب الطالبيين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، يقول بالاعتزال. ولد ببغداد عام (٣٥٥ هـ: ٩٦٦ م) وتوفي بها عام (٤٣٦ هـ: ١٠٤٤ م) من مصنفاته: «الغرر والدرر» ويعرف بأمالي المرتضى. و«الشهاب في الشيب والشباب» و«الشافي في الإمامة» وغيرها

أنظر: (روضات الجنات ٣٨٣. وميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٣. وإرشاد الأريب ٥/ ١٧٣: ١٧٩. ولسان الميزان ٤/ ٢٢٣. وجمهرة الأنساب ٥٦. وابن خلكان ١/ ٣٣٦. وإنباه الرواة ٢/ ٢٤٩. والأعلام ٤/ ٢٧٨).

(٢) سورة: هود آية: ١١٨ - ١١٩.

(٣) في الأصول: لم يقل وتلك.

(٤) سورة: الكهف آية: ٩٨.

(٥) سورة: هود آية: ١١٨ - ١١٩.

(٦) سورة: الذاريات آية: ٥٦.

(٧) هو: محمد بن الأصبهاني، أبو مسلم. وال من أهل أصفهان معتزلي من كبار الكتاب. كان عالماً بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر. ولي أصفهان وبلاد فارس. ولد =

غريباً، فقال: معناه أنّ خلف هؤلاء الكفار يخلف سلفَهم في الكفر، لأنه سواء قولك: خلف بعضهم بعضاً، وقولك[1] اختلفوا كما سواء قولك: قتل بعضهم بعضاً، وقولهم: اقتتلوا. ومنه قولهم: لا أفعله ما اختلف العصران، والجديدان[2]، أي: جاء كل واحد منهم بعد الآخر.

واختلف في قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾[3]، فقال الكسائي: أي: من بطون ما ذكرنا.

وقال الفراء: ذكّر لأنه ذهب إلى المعنى؛ يعني معنى النّعم، وقيل: الأنعام تذكر تؤنث.

وقال أبو عبيدة: أراد البعض، أي: من بطونِ أيها كان ذا لبن.

وأنكر أبو حاتم تذكير الأنعام، لكنه أراد معنى النعم.

= عام (٢٥٤ هـ: ٨٦٨ م) وتوفي عام: (٣٢٢ هـ ٩٣٤ م). من مصنفاته: «جامع التأويل» و«الناسخ والمنسوخ». وغيرها.

أنظر: (إرشاد الأريب ٦/ ٤٢٠. والأعلام ٦/ ٥٠).

(١) في الأصول: «وقولك». أنظر: (أمالي المرتضى ١/ ٧٠).

(٢) «الجديدان»: ساقط من الأصول.

(٣) سورة: النحل آية: ٦٦

تأنيث المذكّر

كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا﴾[1]؛ فأنث «الفردوس»، وهو مذكّر، حملاً على معنى الجنة.

وقوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2]؛ فأنث «عشر» حيث جرّدت من الهاء مع إضافته إلى الأمثال، وواحدها مذكر.

وفيه أوجه:

أحدها: أُنِّث لإضافة الأمثال إلى مؤنث؛ وهو ضمير الحسنات، والمضاف يكتسب أحكام المضاف إليه، فتكون كقوله: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾[3].

والثاني: هو من باب مراعاة المعنى؛ لأنّ الأمثال في المعنى مؤنثة؛ لأن مثل الحسنة حسنة لا محالة، فلما أريد توكيد الإحسان إلى المطيع، وأنه لا يضيع شيء من علمه؛ كأنّ الحسنة المنتظرة واقعة، جعل التأنيث في أمثالها مَنْبهةً على ذلك الوضع، وإشارة إليه، كما جعلت الهاء في قولهم: راوية وعلّامة، تنبيهاً على المعنى المؤنث المراد في أنفسهم، وهو الغاية والنهاية؛ ولذلك أنت المثل هنا توكيداً لتصوير الحسنة في نفس المطيع؛ ليكون ذلك أدْعى له إلى الطاعة، حتى كأنه قال: «فله عشر حسنات أمثالها» حذف وأقيمت

---

(١) سورة: المؤمنين آية: ١١.

(٢) سورة: الأنعام آية: ١٦.

(٣) سورة: يوسف آية: ١٠.

صفته مقامه، وروعي ذلك المحذوف الذي هو المضاف إليه، كما يراعى المضاف في نحو قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾[1]، أي: «أو كذي ظلمات»، وراعاه في قوله: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾[2]، وهذا الوجه هو الذي عوّل عليه الزمخشريّ، ولم يذكر سواه.

وأما ابن جني فذكر في «المحتسب» الوجه الأول، وقال: فإن قلت: فهلاّ حملتَه على حذف الموصوف، فكأنه قال: «فله عشر حسنات وأمثالها»؟

قيل: حَذْف الموصوف وإقامة الموصوف مقامه ليس بمستحسن في القياس؛ وأكثر ما أتى في الشعر، ولذلك حمل ﴿دانية﴾ من قوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾[3]؛ على أنه وصف جنة أو «وجنّة دانية﴾ عطف على «جنة» من قولهم: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً﴾[4]؛ لما قدّر حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، حتى عطف على قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾[5] فكانت حالاً معطوفة على حال.

وفي «كشف المشكلات» للأصبهاني[6]. حذْف الموصوف هو اختيار سيبويه، وإن كان لا يرى حُسْن «ثلاثة مسلمين»، بحذف الموصوف.

وقوله تعالى حكاية عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾[7] فأنث الفعل المسند لـ «مثقال» وهو مذكر، لكن لما أضيف إلى «حبة» اكتسب منه التأنيث، فساغ تأنيث فعله.

وذكر أبو البقاء في قوله تعالى. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[8]: أنّ التأنيث في «ذائقة» باعتبار معنى «كلّ» لأنّ معناها التأنيث، قال: لأن كلّ نفس نفوس، ولو ذكّر على لفظ «كلّ » جاز ـ يعني أنه لو قيل: كلّ نفس ذائق، جاز.

---

(١) سورة: النور آية: ٤٠.
(٢) سورة: النور آية: ٤٠.
(٣) سورة: الدهر آية: ١٤.
(٤) سورة: الدهر آية: ١٢.
(٥) سورة: الدهر آية: ١٣.
(٦) سبقت ترجمته، راجع الفهرس.
(٧) سورة: لقمان آية: ١٦.
(٨) سورة: آل عمران آية: ١٨٥.

وهو مردود؛ لأنه يجب اعتبار ما يضاف إليه «كلّ» إذا كانت نكرة، ولا يجوز أن يعتبر كلّ.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾[1]؛ فإنّ الظاهر عَوْد الضمير إلى الإبداء؛ بدليل قوله: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[2]، فذكّر الضمير العائد على الإخفاء، ولو قصد الصدقات لقال: «فهي»؛ وإنما أنث «هي» والذي عاد إليه مذكّر؛ على حذف مضاف، أي وإبداؤها نعم ما هي، كقوله: القرية اسألها.

ومنه: ﴿سَعِيراً﴾[3] وهو مذكر، ثم قال: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾[4] فحمله على النار.

وأما قوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا للهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾[5]، فقيل: الضمير عائد على الآيات المتقدمة في اللفظ.

وقال البغويّ: إنما قال: ﴿خَلَقَهُنَّ﴾، بالتأنيث؛ لأنه أجري على طريق جمع التكسير، ولم يجر على طريق التغليب للمذكر على المؤنث؛ لأنه فيما لا يعقل.

وقيل في قوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[6]: إنّ المراد آدم فأنثه ردّاً إلى النفس. وقد قرىء شاذّاً «من نفس واحد».

وحكى الثعلبي في «تفسيره» في سورة «اقترب» بإسناده إلى المبرّد؛ سئل عن ألف مسألة، منها: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾[7] وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾[8] وقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[9]

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٧١.
(٢) سورة: البقرة آية: ٢٧١.
(٣) سورة: الفرقان آية: ١١ ـ ١٢.
(٤) سورة: الفرقان آية: ١٢.
(٥) سورة: فصلت آية: ٣٧.
(٦) سورة: فصلت آية: ٣٧.
(٧) سورة: يونس آية: ٢٢.
(٨) سورة: الأنبياء آية: ٨١.
(٩) سورة: الحاقة آية: ٧.

و﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾[1]

فقال: كلّ ما ورد عليك من هذا الباب، فلك أن تردّه إلى اللفظ تذكيراً، ولك أن تردّه إلى المعنى تأنيثاً؛ وهذا من قاعدة أن اسم الجنس تأنيثه غير حقيقي، فتارة يلحظ معنى الجنس فيذكّر، وتارة معنى الجماعة فيؤنث.

قال تعالى في قصة شعيب: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ﴾[2].

وفي قصة صالح: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ﴾[3].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾[4]، وقرىء «تشابهت».

وأبدى السُّهيلي للحذف والإثبات معنى حسناً فقال: إنما حذفت منه، لأن «الصيحة» فيها بمعنى العذاب والخزي؛ إذ كانت منتظمة بقوله: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾[5]، فقوِيَ التذكير؛ بخلاف قصة شعيب، فإنّه لم يذكر فيها ذلك.

وأجاب غيره: بأنّ الصيحة يراد بها المصدر بمعنى الصياح، فيجيء فيها التذكير، فيطلق ويراد بها الوحدة من المصدر، فيكون التأنيث أحسن.

وقد أخبر سبحانه عن العذاب الذي أصاب به قوم شعيب بثلاثة أمور، كلّها مفردة اللفظ:

أحدها: الرجفة. في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾[6].

والثاني: الظّلّة. في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾[7].

والثالث: الصيحة. وجمع لهم الثلاثة؛ لأن الرجفة بدأت بهم فأصحروا في الفضاء، خوفاً من سقوط الأبنية عليهم، فضربتهم الشمس بحرّها، ورفعت لهم الظلّة، فهرعوا إليها يستظلون بها من الشمس، فنزل عليهم العذاب وفيه

---

(1) سورة: القمر آية: ٢٠.
(2) سورة: هود آية: ٩٤.
(3) سورة: هود آية: ٦٧.
(4) سورة: البقرة آية: ٧٠.
(5) سورة: هود آية: ٦٦.
(6) سورة: العنكبوت آية: ٣٧.
(7) سورة: الشعراء آية: ١٨٩.

الصيحة؛ فكان ذكر الصيحة مع الرجفة والظلّة أحسن من ذكر الصياح، فكان ذكر التاء أحسن.

فإن قلت: ما الفرق بين قوله سبحانه: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَالَةُ﴾[1]، وبين قوله: ﴿فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ﴾[2].

قيل: الفرق بينهما من وجهين: لفظي، ومعنوي:

أما اللفظي: فهو أن الفصل بين الفعل والفاعل في قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ﴾[3]، أكثر منها في قوله: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَالَةُ﴾[4]، والحذف مع كثرة الحواجز أحسن.

وأما المعنويّ: فهو أنّ «مَن» في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَالَةُ﴾[5]، راجعة على الجماعة، وهي مؤنثة لفظاً؛ بدليل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً﴾[6]، ثم قال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَالَةُ﴾[7]، أي: من تلك الأمم، ولو قال: «ضلت» لتعينت التاء ـ والكلامان واحد وإن كان معناهما واحداً ـ فكان إثبات التاء أحسن من تركها، لأنها ثابتة فيما هو من معنى الكلام المتأخر.

وأما ﴿فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ﴾[8]، فالفريق مذكّر، ولو قال: «ضَلُّوا» لكان بغير تاء، وقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ﴾[9] في معناه، فجاء بغير تاء، وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب، أن يَدَعوا حكم اللفظ الواجب في قياس لغتهم، إذا كان في مركّبه كلمة لا يجب لها حكم ذلك الحكم.

---

(١) سورة: النحل آية: ٣٦.
(٢) سورة: الأعراف آية: ٣٠.
(٣) سورة: الأعراف آية: ٣٠.
(٤) سورة: النحل آية: ٣٦.
(٥) سورة: النحل آية: ٣٦.
(٦) سورة: النحل آية: ٣٦.
(٧) سورة: النحل آية: ٣٦.
(٨) سورة: الأعراف آية: ٣٠.
(٩) سورة: الأعراف آية: ٣٠.

تنبيه:

جاء عن ابن مسعود: ذكّروا القرآن. ففهم منه ثعلب أنّ ما احتمل تأنيثه وتذكيره كان تذكيرُه أجودَ.

ورُدّ بأنه يمتنع إرادة تذكير غير الحقيقي التأنيث، لكثرة ما في القرآن منه بالتأنيث:

﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾[1].

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ﴾[2].

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾[3].

﴿وَإِذا امتنع إرادة غير الحقيقي، فالحقيقيّ أوْلى.

قالوا: ولا يستقيم إرادة أن ما احتمل التذكير والتأنيث غُلِّبَ فيه التذكير، لقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾[4] ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[5]، فأنّث مع جواز التذكير، قال تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[6]، ﴿مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾[7].

قال: فليس المراد ما فُهِم، بل المراد الموعظة والدعاء، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ...﴾[8] إلاّ أنّه، حذف الجارّ والمقصود ذكّروا الناس بالقرآن، أي ابعثوهم على حفظه كيلا ينسوه.

وقال الواحدي: إنّ قول ابن مسعود على ما ذهب إليه ثعلب، والمراد أنه إذا احتمل اللفظ التذكير والتأنيث ولم يحتج في التذكير إلى مخالفة المصحف ذُكّر، نحو: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾[9].

---

(١) سورة: الحج آية: ٧٢.
(٢) سورة: القيامة آية: ٢٩.
(٣) سورة: إبراهيم آية: ١١.
(٤) سورة: قٓ آية: ١٠.
(٥) سورة: الحاقة آية: ٧.
(٦) سورة: القمر آية: ٢٠.
(٧) سورة: يسٓ آية: ٨٠.
(٨) سورة: قٓ آية: ٤٥.
(٩) سورة: البقرة آية: ٤٨.

قال: ويدلّ على إرادته هذا أن أصحاب عبد الله من قراء الكوفة: كحمزة، والكسائي، ذهبوا إلى هذا فقرأُوا ما كان من هذا القبيل بالتذكير، نحو:

﴿يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾[1].

وهذا في غير الحقيقي.

ضابط التأنيث ضربان[2]:

حقيقيّ وغيره.

فالحقيقي لا يحذف التأنيث من فعله غالباً إلا أن يقع فصل، نحو: قام اليوم هند، وكلما كثر الفصل حَسُن الحذف، والإثبات مع الحقيقي أوْلى ما لم يكن جمعاً.

وأمّا غير الحقيقي: فالحذف فيه مع الفصل حَسَن، قال تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾[3]، فإن كثُر الفصل ازداد حسناً.

ومنه: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ﴾[4] ويحسن الإثبات أيضاً؛ نحو: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ﴾[5] فجمع بينهما في سورة هود.

وأشار بعضهم إلى ترجيح الحذف، واستدلّ عليه بأن الله تعالى قدّمه عليه حيث جمع بينهما في سورة واحدة. وفيما قاله نظر.

---

(١) سورة: النور آية: ٢٤.

(٢) من هنا إلى: «وفيما قاله نظر» ساقط من جـ.

(٣) سورة: البقرة آية: ٢٧٥.

(٤) سورة: هود آية: ٦٧.

(٥) سورة: هود آية: ٩٤.

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه

قد سبق منه كثير من نوع الالتفات؛ ويغلب ذلك فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهدّدة المتوعّد بها، فيعدَل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه، كقوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ﴾(1).

وقوله في الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾(2).

وقوله: ﴿وَبَرَزُوا لله جَمِيعاً﴾(3).

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾(4)، أي: نحشرهم.

وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالاً﴾(5).

ثم تارة يُجعل المتوقع فيه كالواقع، فيؤتَى بصيغة الماضي مراداً به المضيّ، تنزيلاً للمتوقّع ما وقع، فلا يكون تعبيراً عن المستقبل بلفظ الماضي، بل جُعِل المستقبل ماضياً مبالغة.

---

(1) سورة: النمل آية: ٨٧.
(2) سورة: الزمر آية: ٦٨.
(3) سورة: إبراهيم آية: ٢١.
(4) سورة: الكهف آية: ٤٧.
(5) سورة: الأعراف آية: ٤٨.

ومنه: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[1].

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ﴾[2] ونحوه.

وقد يعبّر عن المستقبل بالماضي مراداً به المستقبل؛ فهو مجاز لفظي، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾[3]؛ فإنه لا يمكن أن يراد به المضيّ؛ لمنافاة ﴿يُنفَخُ﴾ الذي هو مستقبل في الواقع. وفائدة التعبير عنه بالماضي الإشارة إلى استحضار التحقق، وإنه من شأنه لتحققه أن يعبّر عنه بالماضي وإن لم يرد معناه. والفرق بينهما أنّ الأول مجاز، والثاني لا مجاز فيه إلا من جهة اللفظ فقط.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَىٰ﴾[4]؛ أي: يقول: عَكَسه لأن المضارع يراد به الديمومة والإستمرار، كقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ﴾[5].

وقوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[6]، أي: فكان استحضاراً لصورة تكوّنه.

وقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[7] أي: ما تَلَت.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾[8]، أي: علمنا.

فإن قيل: كيف يتصور التقليل في علم الله؟

قيل: المراد أنهم أقل معلوماته؛ ولأن المضارع هنا بمعنى الماضي فـ «قد» فيه للتحقيق لا التقليل.

وقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ ٱللَّهِ﴾[9]، أي: فلم قلتم!

---

(١) سورة: النحل آية: ١.
(٢) سورة: الأعراف آية: ٤٤.
(٣) سورة: النمل آية: ٨٧.
(٤) سورة: المائدة آية: ١١٦.
(٥) سورة: البقرة آية: ٤٤.
(٦) سورة: آل عمران آية: ٥٩.
(٧) سورة: البقرة آية: ١٠٢.
(٨) سورة: الحجر آية: ٩٧.
(٩) سورة: البقرة آية: ٩١.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾[1] أي: لم يتعارفوا حتى تأتيهم.

وقوله: ﴿مُنفَكِّينَ﴾[2]، قال مجاهد: «منتهين» وقيل: زائلين من الدنيا.

وقال الأزهري: ليس هو من باب «ما انفك» و«ما زال» إنما هو من انفكاك الشيء إذا انفصل عنه.

وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾[3].

المعنى: فلم عذّب آباءكم بالمسخ والقتل؟ لأن النبيّ ﷺ لم يؤمر بأن يحتجّ عليهم بشيء لم يكن بعدُ؛ لأن الجاحد يقول: إني لا أُعذَّب، لكن احتجّ عليهم بما قد كان.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[4].

فعدَل عن لفظ «أصبحت» إلى «تصبح»، قصداً للمبالغة في تحقيق اخضرار الأرض لأهميته؛ إذ هو المقصود بالإنزال.

فإن قلت: كيف قال النحاة: إنه يجب نصبُ الفعل المقرون بالفاء إذا وقع في جواب الاستفهام، كقوله: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾[5] و«فتصبح» هنا مرفوع؟

قلت: لوجوه:

أحدها: أنّ شرط الفاء المقتضية للنصب أن تكون سببية، وهنا ليست كذلك، بل هي للاستئناف؛ لأن الرؤية ليست سبباً للإصباح.

الثاني: أن شرط النصب أن ينسبك من الفاء وما قبلها شرط وجزاء، وهنا

---

(١) سورة: البينة آية: ١.

(٢) سورة: البينة آية: ١.

(٣) سورة: المائدة آية: ١٨.

(٤) سورة: الحج آية: ٦٣.

(٥) سورة: الأعراف آية: ٥٣.

ليس كذلك؛ لأنه لو قيل: إن تر أن الله أنزل ماء تصبح؛ لم يصح؛ لأن إصباح الأرض حاصل، سواء رُئِيَ أم لا.

فإن قيل: شاع في كلامهم إلغاء فعل الرؤية، كما في قوله: «ولا تزال ـ تراها ـ ظالمة» أي: ولا تزال ظالمة؛ وحينئذ فالمعنى منصبّ إلى الإنزال لا إلى الرؤية؛ ولا شك أنّه يصحّ أن يقال: «إنْ أنزل تُصبح»، فقد انعقد الشرط والجزاء.

قلت: إلغاء فعل الرؤية في كلامهم جائز لا واجب، فمن أين لنا ما يقتضي تعيينَ حمل الآية عليه؟

الثالث: إن همزة الاستفهام إذا دخلت على موجب تقلبه إلى النفي، كقوله تعالى: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾[1]، وإذا دخلت على نفي تقلبه إلى الإيجاب؛ فالهمزة في الآية للتقرير، فلما انتقل الكلام من النفي إلى الإيجاب لم ينتصب الفعل، لأن شرط النفي كون السابق منفياً محضاً، ذكره العزيزي في «البرهان».

ونظيره هذه الآية قوله تعالى في سورة السجدة:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَاءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً﴾[2].

الرابع: أنه لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار، فكان ينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار، مثاله أن تقول لصاحبك: ألم تر أني أنعمت فتشكر! إن نصبت فأنت ناف لشكره، شاكٍ تفريصَه، وإن رفعت فأنت مثبت لشكره. ذكر هذا الزمخشري في الكشاف، قال: وهذا ومثاله مما يجب أن يَرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير أهله.

وقال ابن الخباز: النصب يفسد المعنى؛ لأنّ رؤيةَ المخاطب الماء الذي أنزله الله ليس سبباً للاخضرار؛ وإنما الماء نفسه هو سبب الاخضرار.

---

(١) سورة: المائدة آية: ١١٦.
(٢) سورة: السجدة آية: ٢٧.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾[1]، فقال: «تثير» مضارعاً، وما قبله وما بعده ماضياً، مبالغة في تحقيق إثارة الرياح السحاب للسامعين وتقدير تصوّره في أذهانهم.

فإن قيل: أهمّ الأفعال المذكورة في الآية إحياء الموتى، وقد ذكر بلفظ الماضي، وما ذكرته يقتضي أولوية ذكره بلفظ المضارع، إذ هو أهمّ، وإثارة السحاب سبب أعيد على قريب.

قيل: لا نسلم بأهمّية إحياء الأرض بعد موتها؛ فالمقدمات المذكورة أهمّها وأدلّها على القدرة أعجبُها وأبعدُها عن قدرة البشر، وإثارة السحاب أعجبها؛ فكان أوْلى بالتخصيص بالمضارع؛ وإنما قال: إن إثارة السحاب أعجب لأن سببها أخفى؛ من حيث إنّا نعلم بالفعل أن نزول الماء سبب في اخضرار الأرض، وإثارة السحاب وسوقه سبب نزول الماء. فلو خُلّينا وظاهر العقل لم نقل: إن الرياح سببها، لعدم إحساسنا بمادّة السحاب وجهته.

ومن لواحق ذلك العدول عن المستقبل إلى اسم المفعول، لتضمّنه معنى الماضي، كقوله: ﴿يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾[2]، تقريراً للجمع فيه، وأنّه لا بد أن يكون معاداً للناس، مضروباً لجميعهم، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾[3] لتعرف صحة هذا المعنى.

فإن قلت: الماضي أدلّ على المقصود من اسم المفعول، فلم عدلَ عنه إلى ما دلالته أضعف؟ قلت: لتحصل المناسبة بين «مجموع» و«مشهور» في استواء شأنهما طلباً للتعديل في العبارة.

ومنه العدول عن المستقبل إلى اسم الفاعل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾،[4] فإن اسم الفاعل ليس حقيقة في الاستقبال، بل في الحال.

---

(١) سورة: فاطر آية: ٩.
(٢) سورة: هود آية: ١٠٢.
(٣) سورة: التغابن آية: ٩.
(٤) سورة: الذاريات آية: ٦.

مشاكلة اللفظ للفظ

هي قسمان:

أحدهما ـ وهو الأكثر ـ المشاكلة بالثاني للأول؛ نحو «أخذه ما قَدُمَ وما حدث».

وقوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾[1]؛ على مذهب الجمهور وأن الجرّ للجوار: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ. وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾[2].

وقد تقع المشاكلة بالأول للثاني، كما في قراءة إبراهيم بن أبي عبيلة: ﴿الحمدِ للهِ﴾ بكسر الدال، وهي أفصح من ضم اللام للدال.

---

(١) سورة: المائدة آية: ٦.

(٢) سورة: الرحمن آية: ٧ ـ ٨.

مشاكلة اللفظ للمعنى

ومتى كان اللفظ جَزْلاً كان المعنى كذلك.

ومنه: قولـه تعالى: ﴿إِنَّ مَثَـلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللهِ كَمَثَـلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾[1]، ولم يقل من «طين» كما أخبر به سبحانه في غير موضع: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾[2] إنما عَدَل عن الطين الذي هو مجموع الماء والتراب إلى ذكر مجرّ التراب لمعنى لطيف؛ وذلك أنه أدنى العنصرين وأكثفُهما، لما كان المقصودُ مقابلةَ من ادّعى في المسيح الإلٰهية أتَى بما يصغّر أمر خلقِه عند من ادعى ذلك؛ فلهذا كان الإتيان بلفظ التراب أمسّ في المعنى من غيره من العناصر؛ ولما أراد سبحانه الامتنانَ على بني إسرائيل، أخبرهم أن يخلق لهم من الطين كهيئة الطير، تعظيماً لأمر ما يخلقه بإذنه؛ إذ كان المطلوب الاعتداد عليهم بخلْقه ليعظموا قدر النعمة به.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَٱللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾[3] فإنه سبحانه إنما اقتصر على ذكر الماء دون بقية العناصر؛ لأنه أتى بصيغة الاستغراق، وليس في العناصر الأربع ما يعمّ جميعَ المخلوقات إلا الماء، ليدخل الحيوان البحريّ فيها.

---

(١) سورة: آل عمران آية: ٥٩.
(٢) سورة: صٓ آية: ٧١.
(٣) سورة: النور آية: ٤٥.

ومنه: قوله تعالى: ﴿تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ﴾(١)؛ فإنه سبحانه أتى بأغرب ألفاظ القَسَم بالنسبة إلى أخواتها، فإنّ «والله» و«بالله» أكثر استعمالاً وأعرف من «تالله» لما كان الفعل الذي جاور القسم أغرب الصيغ التي في بابه؛ فإنّ «كان» وأخواتها أكثر استعمالاً من «تفتأ»، وأعرف عند العامة؛ ولذلك أتى بعدها بأغرب ألفاظ الهلاك بالنسبة، وهي لفظة «حَرَض»: ولما أراد غير ذلك قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾(٢)، لما كانت جميع الألفاظ مستعملة.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾(٣).

فإنه سبحانه لما نهى عن الركون إلى الظالمين، وهو الميل إليهم والاعتماد عليهم، وكان دون ذلك مشاركتهم في الظلم، أخبر أنّ العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم؛ وهو مسّ النار الذي هو دون الإحراق والاضطرام؛ وإن كان المسّ قد يُطلق ويراد به الإشعار بالعذاب.

ومنه: قوله تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾(٤).

فإنه نشأ في الآية سؤال، وهو أن الترتيب في الجمل الفعلية تقديم الفعل وتعقيبه بالفاعل، ثم بالمفعول، فإن كان في الكلام مفعولان: أحدهُما يعدّي وصول الفعل إليه بالحرف، والآخر بنفسه، قدّم ما تعدّى إليه الفعل بنفسه؛ وعلى ذلك جاء قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾(٥).

إذ ثبت هذا، فقد يقال: كيف توخّى حسنَ الترتيب في عَجزُ الآية دون صدرها؟

---

(١) سورة: يوسف آية: ٨٥.
(٢) سورة: فاطر آية: ٤٢.
(٣) سورة: هود آية: ١١٣.
(٤) سورة: المائدة آية: ٢٨.
(٥) سورة: الفتح آية: ٢٤.

والجواب: أنّ حسن الترتيب منع منه في صدر الآية مانع أقوى، وهو مخافة أن يتوالى ثلاثة أحرف متقاربات المخرج؛ فيثقل الكلام بسبب ذلك؛ فإنه لو قيل «لئن بسطت يدك إليّ» والطاء والتاء متقاربة المخرج؛ فلذلك حسن تقديم المفعول الذي تعدّى الفعل إليه بالحرف على الفعل الذي تعدى إليه بنفسه؛ ولما أمن هذا المحذور في عَجزُ الآية لما اقتضتْه البلاغة من الإتيان باسم الفاعل موضع الجملة الفعلية، لتضمنه معنى الفعل الذي تصحّ به المقابلة، جاء الكلام على ترتيبه؛ من تقديم المفعول الذي تعدّى الفعل إليه بنفسه، على المفعول الذي يعدي إليه بحرف الجرّ.

وهذا أمر يرجع إلى تحسين اللفظ؛ وأما المعنى فعلَى نظم الآية؛ لأنه لما كان الأول حريصاً على التعدّي على الغير قدم المتعدي على الآلة، فقال: إليّ يدك، ولما كان الثاني غير حريص على ذلك، لأنه نفاه عنه، قدّم الآلة فقال: «يديَ إليك»؛ ويدل لهذا أنه عبّر عن الأول بالفعل وفي الثاني بالاسم.

ويؤيد ذلك أيضاً قوله في سورة الممتحنة: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾[1]؛ لأنه لما نسبهم للتعدي الزائد قدّم ذكر المبسوط إليهم على الآلة؛ وذلك الجواب السابق لا يمكن في هذه الآية.

ومثله: قوله: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[2].

مقتضى الصناعة أن يُؤتى بالتجنيس للازدواج في صدر الآية، كما أتى به في عجزها، لكن منعه توخّي الأدب والتهذيب في نظم الكلام؛ وذلك أنه لما كان الضمير الذي في «يجزي» عائداً على الله سبحانه، وجب أن يعدل عن لفظ المعنى الخاصّ إلى رديفه، حتى لا تنسب السيئة إليه سبحانه، فقال في موضع السيئة: «بما عملوا»، فعوض عن تجنيس المزاوجة بالإرداف لما فيه من الأدب

---

(١) سورة: الممتحنة آية: ٢.
(٢) سورة: النجم آية: ٣١.

مع الله، بخلاف قوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[١]، فإن هذا المحذور منه مفقود، فجرى الكلام على مقتضى الصناعة.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وأَنَّهُ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾[٢]، فإنّه سبحانـه خصّ الشِّعْرى بالذكْر دون غيرها من النجوم؛ وهو ربّ كلّ شيء، لأن العرب ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كَبْشة عَبدَ الشِّعرى، ودعا خلْقاً إلى عبادتها.

وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٣]، ولم يقل: «لا تعلمون» لما في الفقه من الزيادة على العلم.

وقوله حكاية عن إبراهيم: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ﴾[٤]. فإنه لم يخلُ هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرّح فيه بأن العذاب لاحـق له، ولكنه قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾[٥] فذكر الخوف والمسّ، وذكر العذاب ونكّره ولم يصفْه بأنه يقصد التهويل بل قصد استعطافه؛ ولهذا ذكرَ «الرحمن» ولم يذكر «المنتقم» ولا «الجبار»، على حد قوله:

فما يوجِع الحرمان من كَفِّ حارِمٍ كما يوجع الحرمانُ مِنْ كَفِّ رازقِ

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ٱسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٦].

فإنه قد يقال: ما الحكمة في التعبير بالسخرية دون الاستهزاء؟ وهلّا قيل: ﴿فحاق بالذين استهزأوا بهم﴾ ليطابق ما قبله؟

والجواب: أنّ الاستهزاء هو إسماع الإساءة، والسخرية قد تكون في النفس ولهذا يقولون: سخِرت منه، كما يقولون: عجبت منه؛ ولا يقال: تجنّب ذلك لما في ذلك من تكرار الاستهزاء ثلاث مرات؛ لأنه قد كرر السخرية ثلاثاً

---

(١) سورة: الشورى آية: ٤٠.
(٢) سورة: النجم آية: ٤٩.
(٣) سورة: الإسراء آية: ٤٤.
(٤) سورة: مريم آية: ٤٥.
(٥) سورة: مريم آية: ٤٥.
(٦) سورة: الأنعام آية: ١٠.

في قوله تعالى:

﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[1]، وإنما لم يقل: «نستهزىء بكم» لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء.

وأما قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[2]، فالعرب تسمي الجزاء على الفعل باسم الفعل، كقوله: ﴿نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[3]؛ وهو مجاز حسن؛ وأما الاستهزاء الذي نحن بصدده فهو استهزاء حقيقة، لا يرضى به إلا جاهل.

ثم قال سبحانه: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾[4]، أي: حاق بهم من الله الوعيد البالغ لهم على ألسنة الرسل ما كانوا به يستهزئون بألسنتهم، فنزّلت كلّ كلمة منزلتها.

وقوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[5] ولم يذكر الكعبة، لأن البعيد يكفيه مراعاة الجهة، فإن استقبال عينها حرج عليه، بخلاف القريب؛ ولما خصّ الرسول بالخطاب تعظيماً وإيجاباً لشرعته عمّم تصريحاً بعموم الحكم، وتأكيداً لأمر القبلة.

قاعدة:

إذا اجتمع الحمْل على اللفظ والمعنى، بدىء باللفظ ثم بالمعنى، هذا هو الجادّة في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا﴾[6]، أفرد أوّلاً باعتبار اللفظ، ثم جمع ثانياً باعتبار المعنى، فقال: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[7] فعاد الضمير مجموعاً؛ كقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِـاللهِ وَيَعْمَلْ صَـالِحاً يُـدْخِلْهُ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا

(١) سورة: هود آية: ٦٧.
(٢) سورة: البقرة آية: ١٥.
(٣) سورة: التوبة آية: ٦٧.
(٤) سورة: الأنعام آية: ١٠.
(٥) سورة: البقرة آية: ١٤٩ ـ ١٥٠.
(٦) سورة: البقرة آية: ٨.
(٧) سورة: البقرة آية: ٨.

ٱلْأَنْهَارُ﴾(١).

فعاد الضمير من «يدخله» مفرداً على لفظ «من»، ثم قال: «خالدين» وهو حال من الضمير.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾(٢).

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ٱئْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾(٣).

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾(٤).

وقد يجري الكلام على أوله في الإفراد، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ...﴾(٥) الآيتين، فكرر فيها ثمانية ضمائر، كلّها عائد على لفظ «من»، ولم يرجع منها شيء على معناها، مع أن المعنى على الكثرة.

وقد يقتصر على معناها في الجميع، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾(٦).

وما ذكرنا من البداءة باللفظ عند الاجتماع هو الكثير.

قال الشيخ علم الدين العراقي: ولم يجىء في القرآن البداءة بالحمْل على المعنى إلا في موضع واحد؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾(٧)، فأنَّث «خالصة» حمةً على معنى «ما»، ثم راعى اللفظ فذكّر؛ وقال: ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾(٨).

واعترض بعض الفضلاء وقال: إنما يتمّ ما قاله من البداءة بالحمْل على

---

(١) سورة: الطلاق آية: ١١.
(٢) سورة: الأنعام آية: ٢٥.
(٣) سورة: التوبة آية: ٤٩.
(٤) سورة: التوبة آية: ٧٥ ـ ٧٦.
(٥) سورة: البقرة آية: ٢٠٤.
(٦) سورة: يونس آية: ٤٢.
(٧) سورة: الأنعام آية: ١٣٩.
(٨) سورة: الأنعام آية: ١٣٩.

المعنى في ذلك؛ إذا كان الضمير الذي في الصِّلَةَ التي في بطون هذه الأنعام يقدر مؤنثاً؛ أما إذا قدر مذكّراً، فالبداءة إنما هو بالحمْل على اللفظ.

وأجيب بأنّ اعتبار اللفظ والمعنى أمر يرجع إلى الأمور التقديرية؛ لأن اعتبار الأمرين أو أحدهما إنما يظهر في اللفظ؛ وإذا كان كذلك صدق أنّه إنما بدىء في الآية بالحمل على المعنى؛ فيتم كلام العراقيّ.

ونقل الشيخ أبو حيان في «تفسيره» عن ابن عصفور: أن الكوفيّين لا يجيزون الجمع بين الجملتين إلا بفاصل بينهما؛ ولم يعتبر البصريون الفاصل، قال: ولم يرد السماع إلا بالفاصل، كما ذهب إليه الكوفيون. ونازعه الشيخ أثير الدين بقوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ﴾(1).

وقال: ألا تراه كيف جمع بين الجملتين دون فصل! انتهى.

والذي ذكره ابن عصفور في شرح «المقرب» له: شَرَط الكوفيون في جواز اعتبار اللفظ بعد اعتبار المعنى الفصل؛ فيجوّزون: مَنْ يقومون اليوم وينظر في أمرنا إخوتنا، ولا يجوّزون: مَنْ يقومون وينظر في أمرنا إخوتنا؛ لعدم الفصل، وإنما ورد السماع بالفصل. انتهى.

وهذا يقتضي أن الكوفيين لا يشترطون الفصل عند اجتماع الجملتين إلا أن يقدم اعتبار المعنى ويؤخر اعتبار اللفظ كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ﴾(1) إنما بدىء فيه بالحمل على اللفظ.

وقال ابن الحاجب: إذا حُمِل على اللفظ جاز الحمل بعده على المعنى؛ وإذا حمِل على المعنى ضَعُف الحمل بعده على اللفظ؛ لأن المعنى أقوى، فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ، ويضعف بعد اعتبار المعنى القويّ الرجوعُ إلى الأضعف.

---

(1) سورة: البقرة آية: ١١١.

وهذا معترَض بأن الاستقراء دلّ على أن اعتبار اللفظ أكثر من اعتبار المعنى، وكثرة موارده تدل على قوله؛ وأما العوْد إلى اللفظ بعد اعتبار المعنى فقد ورد به التنزيل، كما ورد باعتبار المعنى بعد اعتبار اللفظ، فثبت أنه يجوز الحمل على كل واحد منهما، بعد الآخر من غير ضعف.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً﴾(١) فقرأه الجماعة بتذكير «يقنُت» حملاً على لفظ «مَنْ» في التذكير «وتعمل» بالتأنيث، حَمْلاً على معناها؛ لأنها للمؤنث. وقرأ حمزة والكسائي «يعمل» بالتذكير فيهما حملاً على لفظها رعاية للمناسبة في المتعاطفين. وتوجيهُ الجماعة أنّه لما تقدم على الثاني صريح التأنيث في «منكنّ» حسن الحمل على المعنى.

وقال أبو الفتح في «المحتسب»:

لا يجوز مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى. وقد يورد عليه قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ. وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ثم قال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾(٢)، فقد راجع اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى؛ إلا أن يقال: إن الضمير في «جاء» يرجع إلى الكافر لدلالة السياق عليه؛ لا إلى «مَنْ».

ومنه: الفرق بين «أسقي» و «سقى» بغير همز؛ لما لا كلفة معه في السقيا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾(٣) فأخبر أن السقيا في الآخرة لا يقع فيه كلفة، بل جميع ما يقع فيها من الملاذّ يقع فرصة وعفواً، بخلاف «أسقى» بالهمزة، فإنه لا بُدَّ فيه من الكلفة بالنسبة للمخاطبين؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً﴾(٤)، ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾(٥)، لأن الإسقاء في الدنيا لا يخلو من الكلفة أبداً.

---

(١) سورة: الأحزاب آية: ٣١.
(٢) سورة: الزخرف آية: ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) سورة: الدهر آية: ٢١.
(٤) سورة: المرسلات آية: ٢٧
(٥) سورة: الجن آية: ١٦.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[1].

قال أبو سلمة محمد بن بحر الأصفهاني[2] في «تفسيره»: إنما خصّ الموزون بالذكر دون المكيل، لأمرين:

أحدهما: أن غاية المكيل ينتهي إلى الموزون، لأن سائر المكيلات إذا صارت قطعاً دخلت في باب الموزون وخرجت عن المكيل، فكان الوزن أعمّ من المكيل.

والثاني: أن في الموزون معنى المكيل؛ لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشي ومقايسته وتعديله به، وهذا المعنى ثابت في المكيل، فخصّ الوزن بالذكر لاشتماله على معنى المكيل.

وقال الشريف المرتضى في «الغرر»: هذا خلاف المقصود؛ بل المراد بالموزون القدر الواقع بحسب الحاجة، فلا يكون ناقصاً عنها، ولا زائداً عليها زيادة مضرّة.

ومنه: قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾[3]، فذكر في مدة اللّبث السنة، وفي الانفصال العام؛ للإشارة إلى أنه كان في شدائد في مدته كلّها، إلا خمسين عاماً قد جاءه الفرج والغوث؛ فإ السنة تستعمل غالباً في موضع الجدْب؛ ولهذا سَمّوْا شدة القَحْط سنة.

قال السُّهيليّ: ويجوز أن يكون الله سبحانه قد علم أن عمره كان ألفاً؛ إلا أن الخمسين منها كانت أعواماً، فيكون عمره ألف سنة ينقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة؛ لأن الخمسين عاماً بحسب الأهلّة أقل

---

(١) سورة: الحجر آية: ١٩.

(٢) في المطبوعة: الأصبهاني، وهو تصحيف. وقد سبقت ترجمته.

(٣) سورة: العنكبوت آية: ١٤.

من خمسين سنة شمسية، بنحو عام ونصف.

وآبْنِ على هـذا المعنى قولـه: ﴿فِي يَوْمٍ كَـانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1].

وقوله: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[2]؛ فإنه كلام وردَ في موضع التكثير والتتميم بمدّة ذلك اليوم، والسنة أطول من العام.

1) سورة: المعارج آية: ٤.

2) سورة: الحج آية: ٤٧.

النّحتُ

نحو: الحوقلة، والبسملة، جعله ابن الزملكانِي من نظوم القرآن[1] ومثّله بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً﴾[2].

قال: وكفى، من كفيته الشيء؛ ولم يجىء للعرب كفيته بالشيء، فجعل بين الفعلين الفعل المذكور؛ وهو متعدّ، وخصّ من الفعل اللازم وهو اكتفيت به، بالباء، وكذلك انتصب «شهيداً» على التمييز أو الحال؛ كأنه قيل: كفى بالله فاكتف به، فاجتمع فيه الخبر والأمر.

(١) في جـ: في نظوم ا القرآن.

(٢) سورة: النساء آية: ٧٩.

الإِبْدال

من كلامهم إبدالُ الحروف، وإقامةُ بعضِها مقامَ بعض.

يقولون: مدحه ومدهَه، وهو كثير، ألّف فيه المصنفون، وجعل منه ابن فارس قوله تعالى: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾(١)، فقال: فالراء واللام متعاقبان، كما تقول العرب: فَلَق الصبح وفَرَقه. قال: وذُكِر عن الخليل ـ ولم أسمعه سماعاً ـ أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ ٱلدِّيَارِ﴾(٢)، إنما أراد «فحاسوا» فقامت الجيم مقام الحاء.

قال ابن فارس: وما أحسبن الخليلَ قال هذا، ولا أُحُقُّه عنه.

قلت: ذكر ابن جني في «المحتسب»: أنها قراءة أبو السِّمال، وقال: قال أبو زيد ـ أو غيره ـ قلت له: إنما هو «فجاسوا»، فقال: حاسوا، وجاسوا واحد. وهذا يدل على أنّ بعض القراء يتخير بلا رواية، ولذلك نظائر. انتهى.

وهذا الذي قاله ابن جني غير مستقيم، ولا يحلُّ لأحد أن يقرأ إلا بالرواية.

وقوله: «إنها بمعنى واحد» لا يوجب القراءة بغير الرواية كما ظنه أبو الفتح وقائل ذلك، والقارىء به هو أبو السوّار الغَنويّ لا أبو السّمال فاعلم ذلك.

كذلك أسنده الحافظ أبو عمرو الداني، فقال: حدثنا المازنيّ، قال:

---

(١) سورة: الشعراء آية: ٦٣. (٢) سورة: الإسراء آية: ٥.

سألت أبا السّوّار الغنويّ، فقرأ: «فحاسوا» بالحاء غير الجيم، فقلت: إنما هو «فجاسوا» قال: حاسوا وجاسوا واحد، يعني أن اللفظين بمعنى واحد؛ وإن كان أراد أن القراءة بذلك تجوز في الصلاة، والغرض كما جازت بالأولى، فقد غلط في ذلك وأساء.

وزعم الفارسيّ في تذكرته في قوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾(١)، أنه بمعنى: حبّ الخيل؛ وسميت الخيل خيراً لما يتصل بها من العز والمنَعة.

كما روي: «الخيل معقود بنواصيها الخير»(٢).

وحينئذ فالمصدر مضاف إلى المفعول به.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾(٣): إن أصله «ملاقح»، لأنه يقال: ألقحت الريح السحاب، أي جمعته، وكل هذا تفسير معنى، وإلا فالواجب صون القرآن أن يقال فيه مثل ذلك.

وذكر أبو عبيدة في قوله: ﴿إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾(٤)، معناه: «تصددة»، فأخرج الدال الثانية ياء لكثرة الدال الأولى، كما حكاه صاحب «الترقيص»(٥).

وحكي عن أبي رياش في قول امرىء القيس:

---

(١) سورة: صٓ آية: ٣٢.

(٢) أنظر: (صحيح البخاري ٤/ ٣٤، ١٠٤، ٢٥٢. وصحيح مسلم، الباب ٦، حديث ٢٦من كتاب الزكاة، والباب ٢٦، حديث ٩٧، ٩٨ من الإمارة. وسنن الترمذي، ١٦٣٦. وسنن النسائي، الباب ١، ٧ من الخيل. وسنن ابن ماجة ٢٧٨٨. ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٤٩، ٥٧، ١٠١، ١١٢، ٢٦٢، ٣/ ٣٩، ٣٥٢، ٤/ ١٠٤، ٣٧٥، ٣٧٦. وسنن الدارمي ٢/ ٢١٢. والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٨١، ٦/ ٣٢٩، ٩/ ١٥٦. والمستدرك ٥/ ٢، ٩١. والمعجم الكبير، للطبراني ٢/ ٣٨٥، ٦/ ١١٩، ١٧/ ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٨٨).

(٣) سورة: الحجر آية: ٢٢.

(٤) سورة: الأنفال آية: ٣٥.

(٥) هو: محمد بن علي الأزدي.

* فَسُلِّي ثيابي مِنْ ثِيابِكِ تَنْسَلِي *[1]

معناه: «تَنْسَلِل» فأخرج اللام الثانية [ياء] لكسرة اللام الأولى، ومثله قول الآخر: وهو مجنون بني عامر. انظر تزيين الأسواق

وإنِّي لأَسْتَنعي وَمَا بِيَ نَعْسَةٌ   لَعَلَّ خيالاً مِنْكِ يلقى خياليا

أراد أستنعس؛ فأخرج السين ياء.

وقال الفارسي في «التذكرة»: قرأ أبو الحسن ـ أو من قرأ له ـ قوله تعالى فيما حكي عن يعقوب في القلب والإبدال: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾[2]، «غير عائد»، واستحسنه الفارسي ألّا يعود إليه كما يعود في حال السعة من العشاء إلى الغذاء.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾[3]: إن خرقه واخترقه، وخلقه، واختلقه، بمعنى: هو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير، وقول قريش في الملائكة.

وجوّز الزمخشري كونه من خرق الثوب، إذا شقّه، أي أنهم اشتقوا له بنين وبنات.

---

(١) أنظر: (ديوانه ١٣).

(٢) سورة: الأنعام آية: ١٤٥.

(٣) سورة: الأنعام آية: ١٠٠.

المُحاذَاة

ذكره ابن فارس، وحقيقته أن يؤتَى باللفظ على وزن الآخـر، لأجل انضمامه إليه؛ وإن كان لا يجوز فيه ذلك لو استعمل منفرداً؛ كقولهم: أتيته الغدايا والعشايا، فقالوا: الغدايا، لانضمامها إلى العشايا.

قيل: ومن هذا كتابة المصحف، كتبوا: ﴿وَٱللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[1] بالياء؛ وهو من ذوات الواو، لما قرن بغيره مما يكتب بالياء.

ومنه: قوله تعالى: ﴿لَسَلَّطَهُمْ﴾[2] فاللام التي في ﴿لسلّطهم﴾ جواب ﴿لَوْ﴾. ثم قال: ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ فهذه حـوذيت بتلك اللام؛ وإلا فـالمعنى: لَسَلَّطهم عَلَيْكُمْ نَقَاتَلُوكُمْ.

ومثله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾[3] فهما لا ما قَسَم ـ ثم قَالَ: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾، فليس ذا موضع قَسَم؛ لأنه عذر[4] للهدهد؛ فلم يكن لِيُقسم على الهدهد أن يأتي بعذر، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القَسم أجراه مجراه.

ومنه: الجزاء عن الفعل بمثل لفظه نحو: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. ٱللَّهُ

---

(١) سورة: الضحى آية: ٢.

(٢) سورة: النساء آية: ٩٠.

(٣) سورة: النمل آية: ٢١.

(٤) في الأصول: لأنه حذر.

يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[1]؛ أي: يجازيهم جزاء الاستهزاء.

وقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[2].

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾[3].

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[4].

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٤ - ١٥.

(٢) سورة: آل عمران آية: ٥٤.

(٣) سورة: التوبة آية: ٧٩.

(٤) سورة: الشورى آية: ٤٠.

قواعِد في النّفي

قد تقدّم في شرح معاني الكلام جمل من قواعده؛ ونذكر ها هنا زيادات.

اعلم أنّ نفيَ الذات الموصوفة قد يكون نفياً للصفة دون الذوات، وقد يكون نفياً للذات. وانتفاء النهي عن الذات الموصوفة قد يكون نهياً عن الذات، وقد يكون نهياً عن الصفة دون الذوات.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾(١)، فإنه نَهى عن القتل بغير الحق.

وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِنْ إِمْلَاقٍ﴾(٢).

ومن الثاني: قوله: ﴿لَا تَقْتُلُوا ٱلصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾(٣).

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾(٤).

أي: فلا يكون موتكم إلا على حال كونكم ميِّتين على الإسلام، فالنهي في الحقيقة على خلاف حال الإسلام؛ كقول القائل: لا تصلّ إلا وأنت خاشع، فإنه ليس نهياً عن الصلاة، بل عن ترك الخشوع.

وقوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ...﴾(٥) الآية.

---

(١) سورة: الإسراء آية: ٣٣.

(٢) سورة: الأنعام آية: ١٥١.

(٣) سورة: المائدة آية: ٩٥.

(٤) سورة: آل عمران آية: ١٠٢.

(٥) سورة: النساء آية: ٤٣.

وقد ذكروا أن النفي بحسب ما يتسلط عليه يكون أربعة أقسام:

الأول: بنفي المسندَ نحو، ما قام زيد بل قعد.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً﴾[1] فالمراد نفيُ السؤال من أصله؛ لأنهم متعفِّفون؛ ويلزم من نفيه نفيُ الإلحاف.

الثاني: أن ينفي المسنَد إليه، فينتفي المسنَد، نحو: ما قام زيد إذا كان زيد غير موجود؛ لأنه يلزم من عدم زيد نفي القيام.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّافِعِينَ﴾[2]، أي: لا شافعين لهم فتنفهم شفاعتهم.

ومنه: قول الشاعر: وهو امرؤ القيس

* عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى لِمَنَارِهِ *

أي: على طريق لا منار له، فيهتدي به؛ ولم يكن مراده أن يثبت المنار فينتفي الاهتداء به.

الثالث: أن يُنْفَى المتعلق دون المسند والمسند إليه، نحو ما ضربت زيداً بل عَمْراً.

الرابع: أن ينفي قيد المسند إليه أو المتعلق؛ نحو ما جاءني رجل كاتب بل شاعر، وما رأيت رجلاً كاتباً بل شاعراً؛ فلما كان النفيُ قد ينصبّ على المسند، وقد ينصبّ على المسند إليه أو المتعلق، وقد ينصبّ على القيد احتمل في قولنا: ما رأيت رجلاً كاتباً أن يكون المنفيّ هو القيد؛ فيفيد الكلام رؤية غير الكاتب؛ وهو احتمال مرجوح؛ ولا يكون المنفيّ المسند؛ أي الفعل، بمعنى أنه لم يقع منه رؤية عليه؛ لا على رجل ولا على غيره؛ وهو في المرجوحية كالذي قبله.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٧٣.

(٢) سورة: المدثر آية: ٤٨.

نفي الشّيْء رأساً

لأنه عدم كمال وَصْفة أو لانتفاء ثمرته.

كقوله تعالى في صفة أهل النار: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾(١)، فنفى عنه الموت، لأنه ليس بموت صريح، ونفى عنه الحياة، لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة.

كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾(٢) أي: ما هم بسكارى مشروب، ولكن سُكارَى فزع.

وقوله: ﴿لَا يَنطِقُونَ. وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾(٣)، وهم قد نطقوا بقولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾(٤)، ولكنهم لما نطقوا بما لم ينفع فكأنهم لم ينطقوا.

وقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾(٥).

وقوله: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٦).

ومنه: قوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ

---

(١) سورة: طه آية: ٧٤.
(٢) سورة: الحج آية: ٢.
(٣) سورة: المرسلات آية: ٣٥ ـ ٣٦.
(٤) سورة: الأنعام آية: ٢٧.
(٥) سورة: الأعراف آية: ١٧٩.
(٦) سورة: الملك آية: ١٠.

وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1].

فإنّ المعتزلة احتجوا على نفي الرؤية، لأنّ النظر لا يستلزم الإبصارَ، ولا يلزم من قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2] إبصار.

وهذا وَهْم، لأن الرؤية تقال على أمرين: أحدهما: الحسبان، والثاني: العلم، والآية من المعنى الأول، أي: تحسبهم ينظرون إليك؛ لأن لهم أعيناً مصنوعة بأجفانها وسوادها، يحسب الإنسان أنها تنظر إليه بإقبالها عليه، وليست تبصر شيئاً.

ومنه: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[4]، فإنّه وَصَفهم أولاً بالعلم على سبيل التوكيد القَسَمي، ثم نفاه أخيراً عنهم لعدم جَرْيِهم على موجب العلم؛ كذا قاله السكاكي، وغيره.

وقد يقال: لم يتوارد النفي والإثبات على محلّ واحد، لأنّ المثبت أولاً نفس العلم، والمنفي إجراء العمل بمقتضاه. ويحتمل حذف المفعولين أو اختلاف أصحاب الضميرين.

قال: ونظيره في النفي والإثبات قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[5].

قلت: المنفيّ أولاً التأثير، والمثبت ثانياً نفس الفعل.

ومن هذه القاعدة يزول الإشكال في قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[6].

---

(١) سورة: الأعراف آية: ١٧٩.
(٢) سورة: القيامة آية: ٢٣.
(٣) سورة: التوبة آية: ١٢.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٠٢.
(٥) سورة: الأنفال آية: ١٧.
(٦) سورة: المائدة آية: ٦٧.

والمعنى: إن لم تفعل بمقتضى ما بلغت فأنت في حُكْمِ غير المبلِّغ، كقولك لطالب العلم: إن لم تعمل بما علمت فأنت لم تعلم شيئاً، أي في حُكْم من لم يعلم.

ومنه: نفي الشيء مقيداً والمراد نفيه مطلقاً؛ وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النفي وتأكيده، كقولهم: فلان لا يرجى خيره، ليس المراد أن فيه خيراً لا يُرجَى، وإنما غرضهم أنه لا خير فيه على وجه من الوجوه.

ومنه: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1]، فإنه يدلّ [على] أن قتلهم لا يكون إلا بغير حقّ، ثم وصف القتل بما لا بدّ أن يكون من الصفة، وهي وقوعه على خلاف الحق.

وكذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ ٱللهِ إِلٰهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[2]، إنها وصف لهذا الدعاء، وأنه لا يكون إلا عن غير برهان.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾[3]، تغليظ وتأكيد في تحذيرهم الكفر.

وقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾[4]؛ لأنّ كلّ ثمن لها لا يكون إلا قليلاً فصار نفيُ الثمن القليل نفياً لكل ثمن.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً﴾[5]، فإنّ ظاهرَه نفي الإلحاف في المسألة، والحقيقة نفي المسألة البتّة؛ وعليه أكثرُ المفسرين، بدليل قوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[6]، ومن لا يسأل لا يُلْحِف قطعاً؛ ضرورةَ أنّ نفيَ الأعمّ يستلزم نفيَ الأخصّ.

---

(١) سورة: آل عمران آية: ٢١.
(٢) سورة: البقرة آية: ١١٧.
(٣) سورة: البقرة آية: ٤١.
(٤) سورة: البقرة آية: ٤١.
(٥) سورة: البقرة آية: ٢٧٣.
(٦) سورة: البقرة آية: ٢٧٣.

ومثله قوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[1]، ليس المرادُ نفيَ الشفيع بقيد الطاعة؛ بل نفيهُ مطلقاً؛ وإنما قيّده بذلك لوجوه:

أحدها: أنه تنكيل بالكفار؛ لأنّ أحداً لا يشفع إلا بإذنه؛ وإذا شفَّع يشفَّع، لكن الشفاعة مختصّة بالمؤمنين، فكان نفيُ الشفيع المطاع تنبيهاً على حصوله لأضدادهم؛ كقولك لمن يناظر شخصاً ذا صديق نافع: لقد حَدَّثتَ صديقاً نافعاً، وإنما تريد التنويه بما حصل لغيره، لأنّ له صديقاً ولم يَنفَع.

الثاني: أنَّ الوصف اللازم للموصوف ليس بلازم أن يكون للتقييد؛ بل يدلّ لأغراض من تحْسينه أو تقبيحه، نحو: له مال يتمتع به، وقوله تعالى:

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾[2].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

الثالث: قد يكون الشفيع غيرَ مطاع في بعض الشفاعات، وقد ورد في بعض الحديث ما يوهم صورة الشفاعة من غير إجابة، كحديث الخليل مع والده يوم القيامة؛ وإنما دلّ على التلازم دليلُ الشرع.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾[4] أي: من خوف الذلّ، فنفي الوليّ لانتفاء خوف الذلّ، فإن اتخاذ الوليّ فرع من خوف الذل وسبب عنه.

وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[5]، نفي الغلبة؛ والمراد نفيُ أصلِ النوم والسِّنة عن ذاته؛ ففي الآية التصريح بنفي النوم وقوعاً وجوازاً.

أمّا وقوعاً فبقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[6].

وأما جوازاً فبقوله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾[7].

---

(١) سورة: غافر آية: ١٨.
(٢) سورة: سبإ آية: ٤٤.
(٣) سورة: البقرة آية: ١٧٤.
(٤) سورة: الإسراء آية: ١١١.
(٥) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.
(٦) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.
(٧) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.

وقد جمعهما قوله ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»(١).

وقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾(٢)؛ أي: بما لا وجود له، لأنه لو وُجِد لعلمِه بوجود الوجوب، تعلق علم الله تعالى بكل معلوم.

وقوله تعالى: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾(٣)، على قول مَنْ نفى القبول لانتفاء سببه، وهو التوبة، لا يوجد توبة فيوجد قبول.

وعكسه: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾(٤)، فإنّه نفيٌ لوجدان العهد؛ لانتفاء سببه، وهو الوفاء بالعهد.

وقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾(٥)، أي: من حجة، أي لا حجّة عليها، فيستحيل إذن أن ينزل بها حجة.

ونظيره من السنة قوله ﷺ: «الدجّال أعور، والله ليس بأعور»(٦)، أي: بذي جوارح كوامل بتخيل جوارح له نواقص.

ونظيره: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾(٧).

---

(١) أنظر: (صحيح مسلم، حديث ٢٩٤، ٢٩٥ من الأعيان. وسنن ابن ماجة ١٩٥، ١٩٦. ومسند أحمد بن حنبل ٤/ ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٥. والدر المنثور ٥/ ١٠٢. والشريعة للآجري ٢٩١، ٣٠٤. وفتح الباري ١٣/ ٣٩٦. والأسماء والصفات للبيهقي ١٨٠، ١٨١، ٣٠٩. وتفسير القرطبي ٣/ ١٥٩. وتفسير ابن كثير ١/ ٤٥٥، ٣/ ٣٠٤، ٦/ ١٩٠، ٥٤٤).

(٢) سورة: يونس آية: ١٨.

(٣) سورة: آل عمران آية: ٩٠.

(٤) سورة: الأعراف آية: ١٠٢.

(٥) سورة: يوسف آية: ٤٠.

(٦) أنظر: (صحيح مسلم، الباب ٢٠، حديث ١٠٠ من كتاب الفتن. ومصنف ابن أبي شيبة ١٥/ ١٣٢. والدر المنثور ٥/ ٣٥٤. ومسند أحمد بن حنبل ٣/ ٢٢٨).

(٧) سورة: الكهف آية ١٠٩.

ليس المراد أن كلمات الله تنفد بعد نفاد البحر؛ بل لا تنفَدُ أبداً، لا قبلَ نفادِ البحر ولا بعده. وحاصل الكلام: لنفِد البحر، ولا تنفد كلمات ربي.

ووقع في شعر جرير قوله:

فَيَا لَكَ يـوماً خَيْـرُهُ قَبْلَ شَـرِّهِ ... تَغَيَّبَ وَاشِيـهِ وَأَقْصَـرَ عَـاذِلُـهْ

قال الأصمعيّ: أنشدته كذلك لخلف الأحمر، فقال: أصْلِحْه:

* فَيَا لَكَ يَوماً خَيْرُهُ دُونَ شَرِّهِ *

فإنه لا خير لخيرٍ بعده شر، وما زال العلماء يصلحون أشعار العرب.

قال الأصمعيّ: فقلت: والله لا أرويه أبداً إلا كما أوصيتني(١).

نقل ابن رشيق هذه الحكاية في «العمدة» وصوّبها

قال ابن المنيِّر: ووقع لي أن الأصمعيّ، وخلف الأحمر، وابن رشيق(٢): أخطئوا جميعاً، وأصاب جرير وحده؛ لأنه لم يُرد إلا فيالك يوم خير لا شر فيه، وأطلق «قبل» للنفي كما قلناها، في قوله تعالى:

﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾(٣).

---

(١) أنظر: (الموشح ص ١٢٥).

(٢) ابن رشيق، هو: الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي: أديب، نقاد، باحث. كان أبوه من موالي الأزد. ولد في المسيلة (بالمغرب) وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيروان سنة ٤٠٦ ومدح ملكها واشتهر فيها. وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازر إحدى مدنها إلى أن توفي عام (٤٦٣ هـ: ١٠٧١ م) من مصنفاته.: «العمدة في صناعة الشعر ونقده» و«قراضة الذهب» و«الشذوذ في اللغة». وغيرها.

أنظر ترجمته في: (وفيات الأعيان ١/ ١٣٣. وإنباه الرواة ١/ ٢٩٨. والأعلام ٢/ ١٩١).

(٣) سورة: الكهف آية: ١٠٩.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[1].

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ﴾[2].

فإنّ ظاهره نفي هذه الجوارح، والحقيقة توجب نفيَ الآية عمّن يكون له فضلاً عمَّن لا يكون له.

وقوله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[3]، فالمراد: لا ذاك ولا علمك به؛ أي: كلاهما غير ثابت.

وقوله: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾[4]؛ أي: شركاء لا ثبوت لها أصلاً؛ ولا أنزل الله بإشراكها حجة، أي: تلك، وإنزال الحجة كلاهما منتف.

وقوله: ﴿أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾[5]، أي: ما لا ثبوت له ولا علمُ الله متعلقاً به؛ نفياً للملزوم وهو النيابة بنفي لازمه، وهو وجوب كونه معلوماً للعالم بالذات، لو كان له ثبوت، بأي اعتبار كان.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾[6]

أصله: لن يتوبوا فلن يكون لهم قبول توبة، فأوثر الإلحاق ذهاباً إلى انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم؛ وهو قبول التوبة الواجب في حكمه تعالى وتقدّس.

وقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾[7]، معلوم أنه لا إكراه على الفاحشة لمن لا يريد تحصناً؛ لأنها نزلت فيمن يفعل ذلك.

ونظيره: ﴿لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾[8]، وأكل الربا منهيّ عنه قليلاً وكثيراً؛ لكنها نزلت على سبب؛ وهو فعلهم ذلك؛ ولأنه مقام تشنيع عليهم، وهو

---

(١) سورة: الرعد آية: ٢.
(٢) سورة: الأعراف آية: ١٩٥.
(٣) سورة: لقمان آية: ١٥.
(٤) سورة: آل عمران آية: ١٥١.
(٥) سورة: يونس آية: ١٨.
(٦) سورة: آل عمران آية: ٩٠.
(٧) سورة: النور آية: ٣٣.
(٨) سورة: آل عمران آية: ١٣٠

بالكثير أليق.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ...﴾(١) الآية

المعنى: آمنا بالله دون الأصنام وسائر ما يدعى إليه دونها، إلا أنهم نفوا الإيمان بالملائكة، والرسل، والكتب المنزّلة، والدار الآخرة، والأحكام الشرعية، ولهذا أنه لمّا رد بقوله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾(٢)، بعد إثباته إيمانهم، لأنّه ضروري لا اختياري، أوجب ألّا يكون الكلام مسوقاً لنفي أمور، يُراعى فيها الحصر والتقييد، كقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾(٣)، فإنه لم يقدم المفعول في «آمنا» حيث لم يرد ذلك المعنى، فركب تركيباً يوهم إفراد الإيمان بالرحمن عن سائر ما يلزم من الإيمان.

وقوله: ﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾(٤)، فقيل من هذا الباب، فهي صفة لازمة، وقيل التكبر قد يكون بحق، وهو التنزه عن الفواحش والدنايا والتباعد من فعلها.

وأما قوله: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾(٥)، فإن أريد بالبغي الظلم كان قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ تأكيداً، وإن أريد به الطلب كان قيداً.

قاعدة:

أعلم أن نفي العام يدل على نفي الخاص، وثبوته لا يدل على ثبوته، وثبوت الخاص يدلّ على ثبوت العام، ولا يدل نفيه على نفيه؛ ولا شكَّ أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به، فلذلك كان نفيُ العام أحسن من نفي الخاص، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام.

---

(١) سورة: غافر آية: ٨٤ - ٨٥.
(٢) سورة: غافر آية: ٨٥.
(٣) سورة: الملك آية: ٢٩.
(٤) سورة: الأعراف آية: ١٤٦.
(٥) سورة: الأعراف آية: ٣٣.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللهُ بِنُورِهِمْ﴾(١).

ولم يقل: «بضوئهم» بعد قوله ﴿أضاءت﴾ لأن النور أعم من الضوء؛ إذ يقال على القليل والكثير؛ وإنما يقال الضوء على النور الكثير، ولذلك قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً﴾(٢)، ففي الضوء دلالة على الزيادة، فهو أخصُّ من النور، وعدمه لا يوجب عدم الضوء، لاستلزام عدم العام عدم الخاص، فهو أبلغ من الأول، والغرض إزالةُ النور عنهم أصلاً، ألا ترى ذكره بعده: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾(٣).

وها هنا دقيقة، وهي أنه قال: ﴿ذَهَبَ ٱللهُ بِنُورِهِمْ﴾(٤)، ولم يقل: «أذهب نورهم» لأن الإذهاب بالشيء إشعار له بمنع عودته، بخلاف الذهاب؛ إذ يفهم من الكثير استصحابه في الذهاب، ومقتضى منعه من الرجوع.

ومنه: قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾(٥)، ولم يقل: «ضلال»؛ كما قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ﴾(٦)؛ لأنَّ نفي الواحد يلزم منه نفي الجنس البتة.

وقال الزمخشري: لأن الضلالة أخصّ من الضلال، فكان أبلغَ في نفي الضلال عنه، فكأنّه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل [لك](٧): لك تمرة؟ فقلت: ما لي تمرة.

ونازعه ابن المنيّر وقال: تعليله نفيها أبلغ من نفي الضلال(٨) لأنها أخص منه(٩) وهذا غير مستقيم، فإنّ نفي الأعم أخصّ من نفي الأخص، ونفي الأخص

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٧.
(٢) سورة: يونس آية: ٥.
(٣) سورة: البقرة آية: ١٧.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٧.
(٥) سورة: الأعراف آية: ٦١.
(٦) سورة: الأعراف آية: ٦٠.
(٧) ما بين المعقوفتين، ساقط من الأصول. راجع حاشية المنير ٢/ ٨٩.
(٨) «من نفي الضلال» ساقط من الأصل.
(٩) «منه» ساقطة من الأصل.

أعم من نفي الأعم، فلا يستلزمه لأن الأعم لا يستلزم الأخصّ. فإذا قلت: هذا ليس بإنسان لم يلزمْ سلب الحيوانية عنه، وإذا قلت: هذا ليس بحيوان، لم يكن إنساناً، والحق أن يقال: الضلالة أدنى من الضلال وأقل[1]، لأنها لا تطلق إلا على الفعلة الواحدة[2] منه، والضلال يصلح للقليل والكثير، ونفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى لا من جهة كونه أخصّ، بل من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى.

والثاني: كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[3].

ولم يقل «طولها»، لأن العَرْض أخصّ، إذ كل ما له عَرْض فله طول، ولا ينعكس.

وأيضاً إذا كان للشيء صفة يغني ذكرها عن ذكر صفة أخرى، تدلّ عليها كان الاقتصار عليها أولى من ذكرها؛ لأن ذكرها كالتكرار، وهو مملّ؛ وإذا ذكرت فالأولى تأخير الدلالة على الأخرى؛ حتى لا تكون المؤخرة قد تقدمت الدلالة عليها.

وقد يخلّ بذلك مقصود آخر كما في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾[4] لأجل السجع وإذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على ثبوت آخر أو نفيه، كان الأولى الاقتصار على الدال على الآخر، فإن ذكر فالأولى تأخير الدال.

وقد يخلّ بذلك لمقصود آخر؛ كما في قوله تعالى:

﴿مَالِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[5].

وعلى قياس ما قلنا ينبغي الاقتصار على صغيرة، وإن ذكرت الكبيرة منها فلتذكر أولاً.

---

(١) «أقل» ساقطة من الأصل.
(٢) «الواحدة» ساقطة من الأصل.
(٣) سورة: آل عمران آية: ١٣٣.
(٤) سورة: مريم آية: ٥١.
(٥) سورة: الكهف آية: ٤٩.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾(١).

وعلى ذلك القياس يكفي «لهما أف» أو يقول «ولا تنهرهما» «فلا تقل لهما أف»؛ وإنما عدل عن ذلك للاهتمام بالنهي عن التأفيف، والعناية بالنهي؛ حتى كأنه قال: نهي عنه مرتين: مرة بالمفهوم، وأخرى بالمنطوق.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(٢) فإنّ النوم غَشْية ثقيلة تقع على القلب تمنعه معرفة الأشياء، والسِّنة مما يتقدمه من النعاس، فلم يكتف بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾(٢)؛ دون ذكر النوم؛ لئلا يُتَوَهَّم أن السِّنة إنما لم تأخذه لضعفها، ويتوهم أن النوم قد يأخذه لقوته؛ فجمع بينهما لنفـي التوهمين، أو السنة في الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب؛ تلخيصه هو منزه عن جميع المفترات، ثم أكد نفي السنة والنوم بقوله: ﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾(٣) لأنّه خلقهما بما فيهما، والمشاركة إنما تقع فيما فيهما، ومن يكن له ما فيهما؛ فمحال نومه ومشاركته؛ إذ لو وجد شيء من ذلك لفسدتا بما فيهما.

وأيضاً: فإنه يلزم من نفي السِّنة نفيُ النوم أنه لم يقل: لا ينام؛ وإنما قال: ﴿لَا تَأْخُذُهُ﴾(٤) يعني لا تغلبه؛ فكأنه يقول: لا يغلبه القليل ولا الكثير من النوم.

والأخذ في اللغة بمعنى القهر والغلبة؛ ومنه سمي الأسير: مأخوذاً وأخيذا.

وزيدت «لا» في قوله: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾(٥) لنفيهما عنه بكل حال، ولولاها لاحتمل أن يقال: لا تأخذه سنة ولا نوم في حال واحدة، وإذا ذكرت صفات فإن كانت للمدح فالأولى الانتقال فيها من الأدنى إلى الأعلى؛ ليكون المدح متزايداً بتزايد الكلام؛ فيقولون: فقيه عالم، وشجاع باسل، وجواد فياض، ولا يعكسون هذا لفساد المعنى؛ لأنه لو تقدم الأبلغ لكان الثاني داخلاً تحته، فلم يكن لذكره معنى؛ ولا يوصف بالعالم بعد الوصف بالعَلَّام.

---

(١) سورة: الإسراء آية: ٢٣.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.

(٣) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.

(٤) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.

(٥) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.

وقد اختلف الأدباء في الوصف بالفاضل والكامل: أيهما أبلغ على ثلاثة أقوال: ثالثهما أنهما سواء.

قال الأقليشي[1]: والحق أنّك مهما نظرت إلى شخص، فوجدته مع شرف العقل والنفس كريمَ الأخلاق والسجايا، معتدل الأفعال؛ وصفْته بالكمال، وإن وجدته وَصَل إلى هذه الرتب بالكسب، والمجاهدة، وإماطة الرذائل؛ وصفته بالفضل؛ وهذا يقتضي أنهما متضادان؛ فلا يُوصف الشخص الواحد بهما إلاّ بتجوز.

وقال ابن عبد السلام في قوله تعالى: ﴿عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ﴾[2]: إنما قَدّم الغيب مع أنّ علمَ المغيّبات أشرفُ من المشاهدات، والتمدّح به أعظم، وعلم البيان يقتضي تأخير الأمدح. وأجاب بأنّ المشاهداتِ له أكثرُ من الغائب عَنّا، والعلم يشرق بكثرة متعلّقاته؛ فكان تأخير الشهادة أولى.

وقول الشيخ: إن المشاهدات له أكثر فيه نظر؛ بل في غيبه ما لا يحصى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]؛ وإنما الجواب أن الانتقال للأمدح ترقٍّ؛ فالمقصود هنا بيان أن الغيب والشهادة في علمه سواء، فنزل الترقي في اللفظ منزلة ترقّ في المعنى، لإفادة استوائهما في علمه تعالى.

ويوضحه قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾[4] فصرح

---

(١) الأقليشي، لعله: أحمد بن قاسم بن عيسى اللخمي الأقليشي الأندلسي، أبو العباس. عالم بالقرآن سكن قرطبة ورحل إلى الشرق واستقر وتوفي بطبلطة. له كتاب في معاني القرآن، لعله المسمى «تفسير العلوم والمعاني المستودعة في السبع المثاني ونسبته إلى أقليش.

أنظر ترجمته في: (الصلة ٣٣ وجذوة المقتبس ١٣٣. وغاية النهاية ١/ ٩٧).

أو عبدالله بن يحيى التجيبي الأقليشي، شرح الشهاب واختصر كتاب مشكل القرآن لابن فورك وتوفي سنة ٥٠٢ هـ. أنظر (معجم البلدان ١/ ٣١٣).

(٢) سورة: المؤمنون آية: ٩٢.

(٣) سورة: النحل آية: ٨.

(٤) سورة: الرعد آية: ١٠.

بالاستواء.

هذا كلّه في الصفات، وأما الموصوفات فعلى العكس من ذلك؛ فإنّك تبدأ بالأفضل، فتقول: قام الأمير ونائبه وكاتبه؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا...﴾(1) الآية، فقدم الخيل لأنها أحمد وأفضل من البغال، وقدم البغال على الحمير لذلك أيضاً.

فإن قلت: قاعدة الصفات منقوضة بالقاعدة الأخرى؛ وهي أنهم يقدّمون الأهم فالأهم في كلامهم، كما نصّ عليه سيبويه وغيره.

وقال الشاعر:

أبى دَهْرُنا إسعافَنَا في نُفُوسِنَا ... وَأَسْعَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ
فقلتُ له نُعماكَ فيهم أَتِمَّها ... ودعْ أمرَنا إن المهمّ المقدَّمُ

قلت: المراد بقوله: «فقدم الأهم فالأهم» فيما إذا كانا شيئين متغايرين مقصودين، وأحدهما أهمُّ من الآخر؛ فإنه يقدّم، وأما تأخر الأمدح في الصفات فذلك فيما إذا كانتا صفتين لشيءٍ واحد؛ فلو أخرنا الأمدح لكان تقديم الأول نوعاً من العبث.

هذا كلّه في صفات المدح؛ فإن كانت للذم فقد قالوا: ينبغي الابتداء بالأشدّ ذمّاً، كقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾(2).

قال ابن النفيس(3): في كتاب «طريق الفصاحة»: وهو عندي مشكل؛ ولم

---

(1) سورة: النحل آية: 8.
(2) سورة: النحل آية: 98.
(3) ابن النفيس، هو: علي بن أبي الحزم القريشي، علاء الدين الملقب بابن النفيس: أعلم أهل عصره بالطب. أصله من بلده قرش، ومولده في دمشق، وتوفي بمصر عام (687 هـ: 1288 م)م). من كتبه «الموجز» في الطب. «وفاضل بن ناطق» وغيرها. تحرير الفصاحة
أنظر ترجمته في: (طبقات السبكي 5/ 129. وشذرات الذهب 5/ 401. ودول الإسلام، للذهبي 2/ 143. وتاريخ ابن الوردي 2/ 234. وكشف الظنون 1024. ومفتاح السعادة 1/ 269. والاعلام 4/ 271).

يذكر توجيهه.

وقال حازم في «منهاجه»: يُبْدَأ في الحسن بما ظهور الحسن فيه أوضح، وما النفس بتقديمه أعني، ويبدَأ في الذمّ بما ظهور القبح فيه أوْضح، والنفس بالالتفات إليه أعني، ويَتَنَقَّلَ في الشيء إلى ما يليه من المزية في ذلك، ويكون بمنزلة المصوّر الذي يُصور أوّلاً ما حلّ من رسوم تخطيط الشيء، ثم ينتقل إلى الأدق فالأدق.

فائدة:

نفيُ الاستطاعة قَدْ يُراد به نفي الامتناع، أو عدم إمكان وقوع الفعل مع إمكانه؛ نحو هل تستطيعُ أن تكلِّمني؟ بمعنى هل تفعل ذلك وأنت تعلم أنه قادر على الفعل؟

وقد حمل قوله تعالى حكاية عن الحواريين: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾[1] على المعنى الأول؛ أي: هل يجيبنا إليه؟ أو هل يفعل ربك؟ وقد علموا أن الله قادر على الإنزال، وأن عيسى قادر على السؤال، وإنما استفهموا هل هنا صارف أو مانع؟

وقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾[2].

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾[3].

﴿فَمَا آسْطَاعُـوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا آسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾[4].

وقد يراد به الوقوع بمشقة وكُلْفة كقولـه تعالى: ﴿لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾[5].

---

(١) سورة: المائدة آية: ١١٢.

(٢) سورة: يسٓ آية: ٥٠.

(٣) سورة: الأنبياء آية: ٤٠.

(٤) سورة: الكهف آية: ٧٢.

(٥) سورة: الكهف آية: ٦٧.

فائدة:

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(1).

قالوا: المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة، لا يقال للأسد ليس بشجاع.

وأجيب بأن المراد بالرَّمْيِ هنا المرتب عليه، وهو وصوله إلى الكفّار؛ فالوارد عليه السلب هنا مجاز لا حقيقة؛ والتقدير: وما رميتَ خَلْقاً إذ رميت كسباً، أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء؛ وما رميت مجازاً إذ رميت حقيقة.

(1) سورة: الأنفال آية: 17.

إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد

كقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

وهو يعلم أنه على الهدى، وأنّهم على الضلال، لكنه أخرج الكلام مخرج الشك، تقاضياً ومسامحة، ولا شك عنده ولا ارتياب.

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَابِدِينَ﴾[2].

ونحوه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[3].

أورده على طريق الاستفهام؛ والمعنى: هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمّرتم عليهم لما تبين لكم من المشاهد ولاح منكم في المخايل: ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[4] تهالكاً على الدنيا؟

وإنما أورد الكلام في الآية على طريق سَوْقِ غيرِ المعلوم سِياقَ غيره، ليؤدّيهم التأمل في التوقع عمن يتصف بذلك إلى ما يجب أن يكون مسبّباً عنه من أولئك الذين أصمّهم الله وأعمى أبصارهم، فيلزمهم به على ألطف وجه؛ إبقاءً عليهم من أن يفاجئهم به، وتأليفاً لقلوبهم، ولذلك التفت عن الخطاب إلى الغيبة، تفادياً عن مواجهتهم بذلك.

---

(١) سورة: سبإ آية: ٢٤.

(٢) سورة: الزخرف آية: ٨١.

(٣) سورة: محمد آية: ٢٢.

(٤) سورة محمد آية: ٢٢.

وقد يخرج الواجب في صورة الممكن، كقوله تعالى:

﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾[1].

﴿فَعَسَى ٱللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾[2].

و﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾[3].

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[4].

وقد يخرج الإطلاق في صورة التقييد كقوله:

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[5].

ومنه: قوله تعالى حاكياً عن شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ ٱللهُ رَبُّنَا﴾[6].

فالمعنى لا يكون أبداً من حيث علّقه بمشيئة الله؛ لما كان معلوماً أن يشاؤه؛ إذ يستحيل ذلك على الأنبياء، وكلّ أمرٍ قد علِّق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه.

وقال قطرب: في الكلام تقديمٌ وتأخير، والاستثناء من الكفار لا من شعيب، والمعنى: لَنُخْرِجنّك يا شعيب، والذين آمنوا معك من قريتنا؛ إلا أن يشاء الله أن تعودوا في ملتهم. ثم قال تعالى حاكياً عن شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾[6]، على كل حال.

وقيل الهاء عائدة إلى القرية، لا إلى الله.

---

(١) سورة: الإسراء آية: ٧٩.
(٢) سورة: المائدة آية: ٥٢.
(٣) سورة: الإسراء آية: ٨.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢١.
(٥) سورة: الأعراف آية: ٤٠.
(٦) سورة: الأعراف آية: ٨٩.

الإعراض عن صريح الحكم

كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَىٰ ٱللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللهِ﴾[1].

أعرض عن ذكر مقدار الجزاء والثواب، وذكر ما هو معلوم مشترك بين جميع أعمال البشر، تفخيماً لمقدار الجزاء، لما فيه من إبهام المقدار، وتنزيلاً له منزلة ما هو غير محتاج إلى بيانه، على حدِّ «فَمَنْ كَانَتْ هجرته إلى الله ورسوله»[2] أعرض عن ذكر الجزاء إلى إعادة الشرط، تنبيهاً على عِظَم ما يُنال، وتفخيماً لبيان ما أتى به من العمل، فصار السكوت عن مرتبة الثواب أبلغ من ذكرها.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[3].

وهذه الآية تتضمن الرجوع والبقاء والجمع، ألا تراه كيف رجع بعد ذكره المبتدأ الذي هو الذين عن ذكر خبره إلى الشروع في كلام آخر، فبنى مبتدأ على مبتدأ وجمع؟ والمعنى قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾[4] من خبر المبتدأ الأول، وتقديره: إنَّا لا نضيع أجرهم، لأنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً.

(١) سورة: النساء آية: ١٠٠.

(٢) أنظر: (صحيح البخاري ١/ ٢، ٨/ ١٧٥، ٩/ ٢٩. وسنن أبي داود ٢٢٠١. وسنن الترمذي ١٦٤٧. وصحيح مسلم ١٥٥ الإمارة).

(٣) سورة: الكهف آية: ٣٠.

(٤) سورة: الكهف آية: ٣٠.

الهَدم

وهو أن يأتِيَ الغير بكلام يتضمن معنىً، فتأتى بضده؛ فإنك قد هدمت ما بناه المتكلم الأول؛ كقوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[1].

هدَمه بقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللهُ مِنْ وَلَدٍ﴾[2]، وبقوله: ﴿وَٱللهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ﴾[3]، وبقوله: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾[4]؛ تقديره إن كنتم صادقين في دعواكم.

ومنه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللهِ﴾[5].

هَدَمه بقوله: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[6]، وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللهُ مِنْ وَلَدٍ﴾[7].

---

(١) سورة: المائدة آية: ١٨.
(٢) سورة: المؤمنون آية: ٩١.
(٣) سورة: آل عمران آية: ٥٧.
(٤) سورة: المائدة آية: ١٨.
(٥) سورة: التوبة آية: ٣٠.
(٦) سورة: التوبة آية: ٣٠.
(٧) سورة: المؤمنون آية: ٩١.

ومنه: ﴿إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[1].

هدمه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[2]، أي: في دعواهم الشهادة.

(١) سورة: المنافقون آية: ١.

(٢) سورة: المنافقون آية: ١.

التوسّع

منه الاستدلال بالنظر في الملكوت.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١).

ويكثر ذلك في تقديرات العقائد الإلٰهية: لتتمكن في النفوس، كقوله: ﴿أَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾(٢)؛ وذلك بعد ذكر النطفة وتقلّبها في مراتب الوجود، وتطورات الخلقة.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣).

ومنه: التوسّع في ترادف الصفات.

كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾(٤)، فإنه لو

---

(١) سورة: البقرة آية: ١٦٤.

(٢) سورة: القيامة آية: ٤٠.

(٣) سورة: الزمر آية: ٦٧.

(٤) سورة: النور آية: ٤٠.

أريد اختصاره لكان: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾[1] مظلم.

ومنه: التوسع في الذم.

كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾[2].

---

(١) سورة: النور آية: ٤٠.

(٢) سورة: القلم آية: ١٠ ـ ١٦.

التشبيه

اتفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة، وأنّه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها كمالاً، وكساها حلّة وجمالاً.

قال المبرد في «الكامل»: هو جار في كلام العرب حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد.

وقد صنّف فيه أبو القاسم بن البنداري البغدادي[1] كتاب «الجمان في تشبيهات القرآن».

وفيه مباحث:

الأول: في تعريفه

وهو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه.

وقيل: أن تثبت للمشبّه حكماً في أحكام المشبّه به.

وقيل: الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد: كالطِّيب في المسك، والضياء في الشمس، والنور في القمر. وهو حكم إضافيّ لا يرد إلا بين الشيئية بخلاف الاستعارة.

---

(١) أبو القاسم بن البنداري البغدادي، هو: عبدالله بن محمد بن الحسين، الأديب اللغوي المتوفى سنة (٤١٠ هـ).

الثاني: في الغرض منه

وهو تأنيس النفس بإخراجها من خفيّ إلى جليّ؛ وإدنائه البعيد من القريب؛ ليفيد بَياناً.

وقيل: الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار؛ فإنك إذا قلت: زيد أسد، كان الغرضُ بيان حال زيد، وأنّه متصف بقوة البطش والشجاعة وغير ذلك؛ إلا أنا لم نجد شيئاً يدل عليه سوى جعلنا إيّاه شبيهاً بالأسد، حيث كانت هذه الصفات مختصة به؛ فصار هذا أبين وأبلغ من قولنا: زيد شهم شجاع قوي البطش ونحوه.

الثالث: في أنه حقيقة أو مجاز

والمحققون على أنه حقيقة، قال الزنجاني في «المعيار»: التشبيه ليس بمجاز؛ لأنه معنى من المعاني، وله ألفاظ تدل عليه وضعاً؛ فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه؛ وإنما هو توطئة لمن سلك سبيل الاستعارة والتمثيل؛ لأنه كالأصل لهما، وهما كالفرع له. والذي يقع منه في حَيِّز المجاز عند البيانيين هو الذي يجيء على حد الاستعارة.

وتوسط الشيخ عز الدين، فقال: إن كان بحرف فهو حقيقة، أو بحذفه فمجاز، بناء على أن الحذف من باب المجاز.

الرابع: في أدواته

وهي أسماء، وأفعال، وحروف.

فالأسماء: مثل، وشبه، ونحوهما، قال تعالى:

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[1].

---

(١) سورة: آل عمران آية: ١١٧.

﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى﴾[1].

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾[2] ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾[3].

والأفعال كقوله:

﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً﴾[4].

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[5].

والحروف إما بسيطة كالكاف؛ نحو:

﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾[6].

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾[7].

وإما مركّبة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ﴾[8].

الخامس: في أقسامه

وهو ينقسم باعتبارات:

الأول: أنه إما أن يشبه بحرف، أو لا.

وتشبيه الحرف ضربان:

أحدهما: يدخل عليه حرف التشبيه فقط، كقوله تعالى:

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾[9].

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنْشَآتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾[10].

---

(1) سورة: هود آية: ٢٤.
(2) سورة: البقرة آية: ٢٥.
(3) سورة: البقرة آية: ٧٠.
(4) سورة: النور آية: ٣٩.
(5) سورة: طه آية: ٦٦.
(6) سورة: إبراهيم آية: ١٨.
(7) سورة: آل عمران آية: ١١.
(8) سورة: الصافات آية: ٦٥.
(9) سورة: النور آية: ٣٥.
(10) سورة: الرحمن آية: ٣٥.

﴿فَإِذَا ٱنْشَقتِ ٱلسَّماءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[1].

﴿خلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالْفَخَّارِ﴾[2].

﴿وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ ٱللُؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[3].

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4].

وثانيها: أن يضاف إلى حرف التشبيه حرف مؤكِّد، ليكون ذلك علماً على قوة التشبيه وتأكيده، كقوله تعالى:

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[5].

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[6].

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾[7].

﴿تَنْزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[8].

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[9].

فإن قيل: كيف استرسل أهل الجنة وقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾[10]، ولا شك أنه ليس به، واحترزت بلقيس فقالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾[11]، ولم تقل: هو هو؟

قيل: أهل الجنة وثقوا بأن الغرض مفهوم؛ وأن أحداً لا يعتقد في الحاضر أنه عين المستهلَك الماضي؛ وأما بلقيس فالتبس عليها الأمر، وظنّت أنه يشبهه، لأنها بَنَتْ على العادة، وهو أن السرير لا ينتقل من إقليم إلى آخر في طرفة عين.

---

(١) سورة: الرحمن آية: ٣٧.
(٢) سورة: الرحمن آية: ١٤.
(٣) سورة: الواقعة آية: ٢٢ ـ ٢٣.
(٤) سورة: الحديد آية: ٢١.
(٥) سورة: الرحمن آية: ٥٨.
(٦) سورة: الصافات آية: ٤٩.
(٧) سورة: الأعراف آية: ١٧١.
(٨) سورة: القمر آية: ٢٠.
(٩) سورة: الحاقة آية: ٧.
(١٠) سورة: البقرة آية: ٢٥.
(١١) سورة: النمل آية: ٤٢.

وأما التشبيه بغير حرف، فيُقصد به المبالغة، تنزيلاً للثاني منزلة الأول تجوزاً، كقوله:

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[1].

وقوله: ﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[2].

وقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[3].

وكذلك: ﴿تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[4].

وجعل الفارسيّ منه قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَا. قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ﴾[5]، أي: كأنها في بياضها من فضة، فهو على التشبيه، لا على أن القوارير من فضة، بدليل قوله: ﴿بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ. بَيْضَاءَ﴾[6]، فقوله: ﴿بيضاء﴾ مثل قوله: ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾.

تنبيهان:

١ ـ **الأول**: هذا القسم يشبه الاستعارة في بعض المواضع، والفرق بينهما ـ كما قاله حازم وغيره ـ أنّ الاستعارة، وإن كان فيها معنى التشبيه، فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها، والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك؛ لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه.

وقال الرّماني في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[7]: أي تبصر، لأنه لا يجوز تقدير حرف التشبيه فيها.

وقد اختلف البيانيون في نحو قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[8]، إنه

---

(١) سورة: الأحزاب آية: ٦.
(٢) سورة: الأحزاب آية: ٤٦.
(٣) سورة: آل عمران آية: ١٣٣.
(٤) سورة: النمل آية: ٨٨.
(٥) سورة الدهر آية: ١٥ ـ ١٦.
(٦) سورة: الصافات آية: ٤٥ ـ ٤٦.
(٧) سورة: الإسراء آية: ٥٩.
(٨) سورة: البقرة: آية: ١٨.

تشبيه بليغ أو استعارة؟ والمحققون ـ كما قاله الزمخشري ـ على الأول، قال: لأنّ المستعار له مذكور ـ وهم المنافِقون ـ، أي مذكور في تقدير الآية، والإستعارة لا يذكر فيها المستعار له، ويجعل الكلام خُلْواً عنه. بحيث يصلح لأن يراد به المنقول عنه والمنقول[1] إليه، لولا القرينة، ومن ثَمّ ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم[2] يتناسَوْن التشبيه ويضربون عنه صفحاً.

وقال السكاكيّ: لأن من شرط الإستعارة إمكان حملِ الكلام على الحقيقة في الظاهر، وتناسي التشبيه، وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة، فلا يجوز أن يكون استعارة.

٢ ـ الثاني: قد يترك التشبيه لفظاً ويراد معنى، إذ لو لم يُرَدْ معنى ولم يكن منوياً، كان استعارة.

مثاله قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[3].

فهذا تشبيه لا استعارة، لذكر الطرفين: الخيط الأسود، وهو ما يمتد معه من غسق الليل شبيهاً بخيط أسود وأبيض، وبُيِّنا بقوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ والفجرُ ـ وإن كان بياناً للخيط الأبيض ـ لكن لما كان أحدهما بياناً للآخر لدلالته عليه، اكتفى به عنه، ولولا البيانُ كانَ من باب الاستعارة؛ كما أن قولك: رأيت أسداً، آستعارة، فإذا زدت «من فلان» صار تشبيهاً، وأمّا أنه لم زيد ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ حتى صار تشبيهاً؟ وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ!؟ فلأن شرط الاستعارة أن يدلّ عليه الحال، ولو لم يذكر ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ لم يعلم أن الخيطين مستعاران من «بدا الفجر»، فصار تشبيهاً.

التقسيم الثاني: ينقسم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام، لأنهما:

---

(١) «المنقول»، ساقط من الأصل، أنظر:(الكشاف ١/٥٨).

(٢) «منهم كأنهم»، غير موجود بالأصول. (٣) سورة: البقرة آية: ١٨٧.

إما حسّيان، كقوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[1].

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[2].

أو عقليان، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[3].

وإما تشبيه المعقول بالمحسوس، كقوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾[4].

وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾[5].

وقوله: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾[6]، لأن حملهم التوراة ليس كالحمل على العاتق، إنما هو القيام بما فيها.

وأما عكسه فمنعه الإمام، لأن العقل مستفاد من الحس، ولذلك قيل: مَنْ فقد حساً فقد فَقَدَ علماً؛ وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يستلزم جعلَ الأصل فرعاً والفرع أصلاً، وهو غير جائز.

وأجازه غيره كقوله:

وكأنَّ النجومَ بين دُجاه   سُنَنَ لاحَ بينهنّ ابتداعُ

وينقسم باعتبار آخر إلى خمسة أقسام:

الأول: قد يشبَّه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع، اعتماداً على معرفة النقيض والضدّ، فإنّ إدراكهما أبلغُ من إدراك الحاسة، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ

---

(1) سورة: يٓس آية: ٣٩.

(2) سورة: القمر آية: ٢٠.

(3) سورة: البقرة آية: ٧٤.

(4) سورة: العنكبوت آية: ٤١.

(5) سورة: إبراهيم آية: ١٨.

(6) سورة: الجمعة آية: ٥.

رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ﴾(١)، فشبَّه بما لا نشكّ أنه منكر قبيح، لما حَصَل في نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين، وإن لم ترها عياناً.

الثاني: عكسه، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾(٢)، أخرج ما لا يُحَسّ ـ وهو الإيمان ـ إلى ما يحس ـ وهو السراب ـ والمعنى الجامع بُطْلان التوهم بين شدة الحاجة وعِظَم الفاقة.

الثالث: إخراج ما لم تجرِ العادة به إلى ما جرت به، نحو: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾(٣)، والجامع بينهما الانتفاع بالصورة.

وكذا قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ﴾(٤)، والجامع البهجة والزينة، ثم الهلاك، وفيه العبرة.

الرابع: إخراج ما لا يُعرف بالبديهة، إلى ما يُعرف بها، كقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ﴾(٥)، الجامع العِظَم، وفائدته التشويق إلى الجنّة بحسن الصفة.

الخامس: إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها، كقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنْشَآتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ﴾(٦)، والجامع فيهما العِظَم، والفائدة البيان عن القدرة على تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء.

وعلى هذه الأوجه تجري تشبيهات القرآن.

التقسيم الثالث: **ينقسم إلى**: مفرد، ومركب:

والمركب أن يُنْزَع من أمور مجموع بعضها إلى بعض؛ كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾(٧)، فالتشبيه مُركّب من أحوال الحمار؛ وذلك

(١) سورة: الصافات آية: ٦٥.
(٢) سورة: النور آية: ٣٩.
(٣) سورة: الأعراف آية: ١٧١.
(٤) سورة: يونس آية: ٢٤.
(٥) سورة: آل عمران آية: ١٣٢.
(٦) سورة: الرحمن آية: ٢٤.
(٧) سورة: الجمعة آية: ٥.

هو حَمْل الأسفار التي هي أوعية العلم، وخزائن ثمرة العقول، ثم لا يُحْسن ما فيها، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، فليس له مما يحمل حظّ سوى أنه يثقل عليه ويتعبه.

وقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾(١).

وقوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ﴾(٢).

قال بعضهم: شبّه الدنيا بالماء، ووجه الشبه أمران:

أحدهما: أنّ الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به، فكذلك الدنيا.

وثانيهما: أنّ الماءَ إذا أطبقت كفَّك عليه لتحفظه لم يحصل فيه شيء، فكذلك الدنيا، وليس المراد تشبيهها بالماء وحده؛ بل المراد تشبيهه بهجة الدنيا في قلة البقاء والدوام بأنيق النباتِ الذي يصير بعد تلك البهجة والغضاضة والطراوة إلى ما ذكر.

ومن تشبيه المفرد بالمركب قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾(٣)، فإنه سبحانه أراد تشبيهَ نوره الذي يلقيه في قلب المؤمن، ثم مَثَّله بمصباح؛ ثم لم يقنع بكلِّ مصباح؛ بل بمصباحٍ اجتمعت فيه أسباب الإضاءة؛ بوضعه في مشكاة؛ وهي الطاقة غير النافذة؛ وكونها لا تنفذ؛ لتكون أجمعَ للتبصّر، وقد جعل فيها مصباح في داخل زجاجة، فيه الكوكب الدّريّ في صفائها، ودُهْن المصباح من أصفى الأدهان وأقواها وقوداً، لأنه من زيت شجر في أوسط الزجاج لا شرقية ولا غربية، فلا تصيبها الشمس في أحد طرفي النهار بل تصيبها أعدل إصابة.

وهذا مثل ضربه الله للمؤمن، ثم ضرب للكافر مثلين:

---

(١) سورة: العنكبوت آية: ٤١.
(٢) سورة: الكهف آية: ٤٥.
(٣) سورة: النور آية: ٣٥.

أحدهما: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾[1].

والثاني: ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾[2].

شبّه في الأول ما يعلمه مَنْ لا يقدّر الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها بقيعة، ثم يخيب أملُه، بسراب يراه الكافر بالساهرة، وقد غلبه عطش يوم القيامة، فيجيئه فلا يجده ماء، ويجد زبانية الله عنده، فيأخذونه فيلقونه إلى جهنم.

البحث السادس: ينتظم قواعد تتعلق بالتشبيه:

الأولى: قد تُشبَّه أشياء بأشياء، ثم تارة يصرح بذكر المشبّهات.

كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَلَا ٱلْمُسِيءُ﴾[3].

وتارة لا يصرّح به بل يجيء مطوياً على سنن الاستعارة، كقوله:

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُه وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[4].

﴿ضَرَبَ ٱللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ. .﴾[5] الآية.

قال الزمخشري: والذي عليه البيان أنّ التمثيلْين جميعاً من جملة التمثيلات المركّبة لا المفردة؛ بيانُه أن العرب تأخذ أشياء فرادى [معزولاً بعضها من بعض، لم يأخذ هذا بحُجْزة ذاك] فتشبّهها بنظائرها كما ذكرنا، وتشبه كيفية حاصلةً من مجموعِ أشياء تضامّت حتى صارت شيئاً واحداً بأخرى، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَاةَ. . .﴾[6] الآية.

---

(١) سورة: النور آية: ٣٩.
(٢) سورة: النور آية: ٤٠.
(٣) سورة: غافر آية: ٥٨.
(٤) سورة: فاطر آية: ١٢.
(٥) سورة: الزمر آية: ٢٩.
(٦) سورة: الجمعة آية: ٥.

ونظائره من حيث اجتمعت تشبيهات؛ كما في تمثيل الله حال المنافقين أول سورة البقرة.

قال الزمخشري: وأبلغه الثاني؛ لأنه أدَلّ على فرط الحيرة، وشدة الأمر وفظاعته؛ ولذلك أُخِّرَ.

قال: وهم يتدرّجون في نحو هذا، من الأهون إلى الأغلظ.

الثانية: أعلى مراتب التشبيه في الأبلغية تَرْكُ وَجْهِ الشبه وأداته، نحو: زيد أسد؛ أما تَرْك وجهه وحدَه، فكقوله: زيد كالأسد؛ وأما ترك أداته وحدها؛ فكقوله زيد الأسد شدة.

وفي كلام صاحب «المفتاح» إشارة إلى أن تَرْك وجه الشبه أبلغ من ترك أداتِه؛ قال: لعموم وجه الشبه.

وخالفه صاحب «ضوء المصباح» لأنه إذا عَمّ واحتمل التعدد، ولم تبق دلالته على ما به الاشتراك دلالة منطوق بل دلالة مفهوم؛ فيحتمل أن يكون ما به الاشتراك صفة ذمّ لا مدح، وهو غير لازم في ترك الأداة؛ إلّا أن يقال: يلزم مثله من تركها، لأن قرينة ترك الأداة، تصرف إرادة المدح دون الذم.

وذكْرهما كقولك: زيد كالأسد شدة.

الثالثة: قد تدخل الأداة على شيء وليس هو عين المشبَّه، ولكنه ملتبس به، واعتمد على فهم المخاطب، كما قال تعالى:

﴿كُونُوا أَنْصَارَ ٱللهِ كَمَا قَالَ عِيسَىٰ ٱبْنُ مَرْيَمَ...﴾[1]، الآية.

المراد: كونوا أنصاراً لله خالصين في الانقياد؛ كشأن مخاطبي عيسى إذا قالوا.

ومما دل على السياقِ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾[2]،

---

(١) سورة: الصف آية: ١٤.

(٢) سورة: الأعراف آية: ١٧١.

وفيه زيادة، وهو شبيه الخارق بالمعتاد.

الرابعة: إذا كانت فائدته، إنما هي تقريب الشَّبه في فهم السامع وإيضاحه له، فحقّه أن يكون وجه الشبه في المشبّه به أتمّ، والقصد التنبيه بالأدنى على الأعلى، مثل قياس النحوي؛ ولا سيما إذا كان الدنوّ جداً أو العلوّ جداً، وعليه بنى المعرّي قوله:

ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك ... وقاعدةُ التشبيهِ نقصانُ ما يحكى

وقول آخر:

كالبحر والكاف أنّى ضِفتَ زائدة ... فيه فلا تَظُنِنْها كافَ تشبيه

وأما قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾(1) فيمكن أن يكون المشبّه به أقوى، لكونه في الذهن أوضح؛ إذ الإحاطة به أتمّ.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾(2)؛ فهو من تشبيه الغريب بالأغرب؛ لأن خلْق آدم من خلْق عيسى ليكون أقطع للخصم، وأوقع في النفس. وفيه دليل على جواز القياس، وهو ردّ فرع إلى أصل لشبه ما؛ لأن عيسى رُدّ إلى آدم لشبه بينهما؛ والمعنى أن آدم خلق من تراب ولم يكن له أب ولا أم، فكذلك خُلق عيسى من غير أب.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾(3) شبّههم بالخشب، لأنه لا روح فيها، وبالمسنّدة لأنه لا انتفاع بالخشب في حال تسنيده.

الخامسة: الأصل دخول أداة التشبيه على المشبّه به، وهو الكامل، كقولك: ليس الفضة كالذهب، وليس العبد كالحر؛ وقد تدخل على المشبه لأسباب:

---

(1) سورة: النور آية: 35.

(2) سورة: آل عمران آية: 59.

(3) سورة: المنافقين آية: 4.

منها: وضوح الحال، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾[1]، فإن الأصل وليس الأنثى كالذكر؛ وإنما عَدَلَ عن الأصل؛ لأن معنى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالْأُنثَىٰ﴾ التي وهبت لها، لأن الأنثى أفضل منه. وقيل: لمراعاة الفواصل، لأنّ قبله: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾[2].

ووهم ابن الزملكاني في «البرهان» حيث زعم أنّ هذا من التشبيه المقلوب، وليس كذلك لما ذكرنا من المعنى.

وقيل: لما كان جَعْلُ الفرع أصلاً والأصل فرعاً في التشبيه في حالة الإثبات يقتضي المبالغة في التشبيه؛ كقولهم: القمر كوجه زيد، والبحر ككفّه، كان جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً في كماله الذي يقتضي نفي المبالغة في المشابهة؛ لا نفي المشابهة، وذلك هو المقصود هنا، لأن المشابهةَ واقعة بين الذكر والأنثى في أعمّ الأوصاف وأغلبها، ولهذا يقاد أحدهما بالآخر.

ومنها: قصد المبالغة، فيقلب التشبيه، ويُجعل المشبه هو الأصل ويسمى تشبيه العكس؛لاشتماله على جعل المشبّه مشبهاً به، والمشبّه به مشبّهاً؛ كقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَا﴾[3] كان الأصل أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع؛ لأنّ الكلام في الربا لا في البيع، لكن عدلوا عن ذلك وتجرأوا، إذ جعلوا الربا أصلاً ملحقاً به البيع في الجواز، وأنه الخليق بالحلّ.

ويحتمل أن يكون المراد إلزام الإسلام، فيحرّم البيع قياساً على الربا، لاشتماله على الفضل طرداً لأصلهم؛ وهو في المعنى نقضٌ على علة التحريم؛ ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا﴾[4]، وفيه إشارة إلى أنّ الواجبَ اتباع أحكام الله واقتفاؤها من غير تعرّض لإجرائها على قانون واحد، وأنّ الأسرار الإلهيّة كثيراً ما تخفى؛ وهو أعلم بمصالح عباده فيسلّم له عنان الانقياد؛ وأنهم جعلوا ذلك من باب إلزام الجدلي، وجاء الجواب بفكّ

---

(١) سورة: آل عمران آية: ٣٦.

(٢) سورة: آل عمران آية: ٣٦.

(٣) سورة: البقرة آية: ٢٧٥.

(٤) سورة: البقرة آية: ٢٧٥.

الملازمة، وأن الحكمة فرقت بينهما. وفيه إبطال القياس في مقابلة النصّ.

ومن: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾(1)، فإن الظاهر العكس، لأن الخطاب لعبدة الأوثان؛ وسمّوها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه، وقد جعلوا غير الخالق، مثل الخالق فخولف في خطابهم؛ لأنهم بالغوا في عبادتهم وغلوْا، حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة، والخالق سبحانه فرعاً، فجاء الإشكال على وفق ذلك.

والظاهر أنهم لما قاسوا غير الخالق بالخالق خوطبوا بأشد الإلزامين؛ وهو تنقيص المقدس لا تقديس الناقص.

قال السكاكيّ: وعندي أن المراد بـ«من لا يخلق» الحيّ القادر من الخلق تعريضاً بإنكار تشبيه الأصنام بالله تعالى من طريق الأولى. وجعل منه قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾(2) بدل «هواه إلّهه»، فإنه جعل المفعول الأول ثانياً، والثاني أولاً: للتنبيه على أن الهوى أقوى وأوثق عنده من إلاهه.

ومنه: قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾(3).

وقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾(4)، فإن بعضهم أورد أنّ أصل التشبيه أن يشبّه الأدنى بالأعلى فيقال: «أفنجعل المجرمين كالمسلمين، والفجار كالمتقين» فلم خولفت القاعدة؟.

ويقال: فيه وجهان:

أحدهما: أنّ الكفار كانوا يقولون: نحن نسود في الآخرة، كما نسود في الدنيا ويكونون أتباعاً لنا، فكما أعزنا الله في هذه الدار يعزنا في الآخرة، فجاء الجواب على معتقدهم أنهم أعلى، وغيرهم أدنى.

---

(1) سورة: النحل آية: 17.
(2) سورة: الجاثية آية: 23.
(3) سورة: القلم آية: 35.
(4) سورة: صٓ آية: 28.

الثاني: لما قيل قبل الآية: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1]؛ أي: يظنون أن الأمر يهمل، وأن لا حشر ولا نشر، أم لم يظنوا ذلك ولكن يظنون أنا نجعل المؤمنين كالمجرمين، والمتقين كالفجار.

السادسة: أن التشبيه في الذمّ يشبّه الأعلى بالأدنى، لأن الذمّ مقام الأدنى، والأعلى ظاهر عليه فيشبه به في السلب، ومنه قوله: ﴿يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ ٱلنِّسَاءِ﴾[2]، أي في النزول لا في العلوّ.

ومنه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[3] أي في سوء الحال؛ وإذا كان في المدح يشبّه الأدنى بالأعلى فيقال: تراب كالمسك وحصى كالياقوت، وفي الذم مسك كالتراب وياقوت كالزجاج.

السابعة: قد يدخل التشبيه على لفظ وهو محذوف لامتناع ذلك، لأنه بسبب المحذوف كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾[4].

فإن التقدير: ومثل واعظ الذين كفروا، فالمشبه الواعظ، والمقصود تشبيه حال الواعظ منهم بالناعق للأغنام، وهي لا تعقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه، وإنما وقع التشبيه على الغنم التي ينعق بها الراعي، ويمدّ صوته إليها، وفيه وجوه:

أحدها: أن المعنى: مثل الذين كفروا كمثل الغنم لا تفهم نداء الناعق، فأضاف المثل إلى الناعق، وهو في المعنى للمنعوق به، على القلب.

ثانيها: ومثل الذين كفروا ومثلنا ومثلك، كمثل الذي ينعق، أي مَثلهم في الإعراض ومَثلنا في الدعاء والإرشاد، كمثل الناعّق بالغنم، فحذف المثل الثاني

---

(1) سورة: صٓ آية: ٢٧.

(2) سورة: الأحزاب آية: ٣٢.

(3) سورة: صٓ آية: ٢٨.

(4) سورة: البقرة آية: ١٧١.

اكتفاء بالأول، كقوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾(١).

وثالثها: أن المعنى: ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام ـ وهي لا تعقل ولا تسمع ـ كمثل الذي ينعق بما لا يسمع؛ وعلى هذا فالنداء والدعاء منتصبان بـ «ينعق» و«لا» توكيدٌ للكلام، ومعناها الإلغاء.

رابعها: أن المعنى: ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم إياها، كمثال الراعي الذي ينعق بغنمه ويناديها، فهي تسمع نداء ولا تفهم معنى كلامه، فيشبّه مَنْ يدعوه الكفار من المعبودات من دون الله بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب.

وهذا قريب من الذي قبله، ويفترقان في أنّ الأول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء والنداء جملة، ويجب صرفه إلى غير الغنم، وهذا يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء والنداء جملة، وإن لم يفهمهما، والأصنام ـ من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة ـ يجب أن يكون داعيها وناديها أسوأ حالاً من منادى الغنم.

ذكر ذلك الشريف المرتضى في كتاب «غرر الفوائد».

ومنه: قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ...﴾(٢) الآية، وإنما وقع التشبيه على الحرث الذي أهلكته الريح، قيل: فيه إضمار، أي: مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح.

قال ثعلب: فيه تقديم وتأخير، أي كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم أصابتْه ريح فيها صرّ فأهلكته.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللهِ﴾(٣).

---

(١) سورة: النحل آية: ٨١.

(٢) سورة: آل عمران آية: ١١٧.

(٣) سورة: البقرة آية: ١٦٥.

فإن التقدير: كما يحب المؤمنون الله، قال: وحُذِف الفاعل، لأنه غير ملتبس.

واعترض عليه بأنه لا حاجة لذلك، فإن المعنى حاصل بتقديره مبنياً للفاعل.

وأجيب بأنه تقدير معنى، لكن محافظة على اللفظ فلا يقدر الفاعل، إذ الفاعل في باب المصدر فضلة، فلذلك جعله كذلك في التقدير.

الاستعارة

هي من أنواع البلاغة، وهي كثيرة في القرآن، ومنهم من أنكره؛ بناء على إنكار المجاز في القرآن، «والإستعارة» مجاز، وقد سبق تقديره.

ومنع القاضي عبد الوهاب المالكي إطلاق لفظ «الاستعارة» فيه؛ لأن فيها إيهاماً للحاجة، وهذا كما منع بعضهم لفظي القرآن مخلوق، وهو لا ينكر وقوع المجاز، والاستعارة فيه إنما توقف على إذن الشرع.

ولا شك أن المجوزين للإطلاق شرطوا عدم الإبهام؛ وقد يمنعون الإبهام المذكور لأنه في الاصطلاح اسم لأعلى مراتب الفصاحة.

وقال الطرطوسي[١]: إن أطلق المسلمون الإستعارة فيه أطلقناها وإن امتنعوا امتنعنا؛ ويكون هذا من قَبِيل أن الله تعالى عالم، والعلم هو العقل، ثم لا نَصِفه به لعدم التوقيف. انتهى.

والمشهور تجويز الإطلاق.

ثم فيها مباحث:

الأول: وهي «استفعال»، من العارية، ثم نقلت إلى نوع من التخييل[٢] لقصد المبالغة في التخييل والتشبيه مع الإيجاز؛ نحو: لقيت أسداً، وتَعني به الشجاع.

---

(١) سبقت الترجمة له، راجع الفهرس.

(٢) في جـ: نوع من التخيل.

وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها، إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفيّ، وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي، أو بحصول المبالغة، أو للمجموع.

فمثال إظهار الخفيّ: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ﴾(١)، فإنّ حقيقته أنه في أصل الكتاب؛ فاستعير لفظ «الأمّ» للأصل؛ لأن الأولاد تنشأ من الأمّ، كما تنشأ الفروع من الأصول.

وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئيّ حتى يصير مرئياً، فينتقل السامع من حدّ السماع إلى حد العيان؛ وذلك أبلغ في البيان.

ومثال إيضاح ما ليس بجليّ ليصير جليّاً: قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾(٢)؛ لأن المراد أمر الولَد بالذلّ لوالديه رحمة؛ فاستعير للولد أولاً جانب، ثم للجانب جناح؛ وتقدير الاستعارة القريبة: وَٱخْفِضْ لَهُمَا جانب الذل، أي: اخفض جانبك ذلاً.

وحكمة الاستعارة في هذا: جَعْلُ ما ليس بمرئيٍّ مرئياً؛ لأجل حسن البيان، ولما كان المرادُ خفضَ جانب الولد للوالدين؛ بحيث لا يُبْقِي الولدُ من الذلّ لهما والاستكانة مركباً؛ احتيج من الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى؛ فاستعير الجناح، لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خَفْض الجناح؛ لأنّ مَنْ مَيَّل جانبَه إلى جهة السفل أدْنَى ميل، صدق عليه أنه خفض جانبه؛ والمراد خَفْضٌ يلصِق الجنب بالإبط؛ ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كالطائر؛ وأما قول أبي تمام:

لا تسقِني ماءَ الملام فإنّني ... صبٌّ قد ٱستعذبتُ ماءَ بكائي

فيقال: إنه أرسل إليه قارورة، وقال: ابعث إليّ فيها شيئاً من ماء الملام؛ فأرسل أبو تمام: أن ابعث لِي ريشة من جناح الذلّ أبعث إليك من ماء الملام.

وهذا لا يصحّ له تعلّق به، والفرق بين التشبيهين ظاهر؛ لأنه ليس جعْل

---

(١) سورة: الزخرف آية: ٤.

(٢) سورة: الإسراء آية: ٢٤.

الجناح للذلّ كجعْل الماء للملام، فإن الجناح للذلّ مناسب؛ فإن الطائر إذا وَهَى وتعب بسط جناحه وألْقى نفسه إلى الأرض. وللإنسان أيضاً جناح؛ فإنّ يديه جناحاه؛ وإذا خضع واستكان يطأطىء من رأسه، وخفض من بين يديه، فحسن عند ذلك جعل الجناح للذلّ، وصار شبهاً مناسباً.

وأما ماء الملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه؛ فلذلك استهجِن منه.

على أنه قد يقال: إنّ الاستعارة التخييلية فيه تابعة للاستعارة بالكناية؛ فإن تشبيه الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الشارب لمرارته، ثم استعار الملام له كمائه، ثم يخرج منه شيء يشبَّه بالماء؛ فالاستعارة في اسم الماء.

الثاني: في أنّها قِسْم من أقسام المجاز؛ لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له.

وقال الإمام فخر الدين: ليس بمجاز لعدم النقل. وفي الحقيقة هي تشبيهٌ محذوف الأداة لفظاً وتقديراً؛ ولهذا حدّها بعضهم بادعاء معنى الحقيقة في الشيء، مبالغة في التشبيه، كقولهم: انشقت عصاهم؛ إذا تفرقوا، وذلك للعصا لا للقوم، ويقولون: كشفت الحربُ عن ساق.

ويفترقان في أن التشبيه إذا ذكرت معه الأداة، فلا خفاءَ أنه تشبيه؛ وإن حذفت فهذا يَلْتبس بالاستعارة؛ فإذا ذكرت المشبه كقولك: زيد الأسد فهذا تشبيه بليغ، كقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[1]، وإن لم يذكر المشبه به فهو استعارة، كقوله: وهو لزهير بن أبي سلمى

لَدَى أَسَدٍ شاكي السّلاح مقذَّف ... لـه لِبَدٌ أظفـاره لم تقلَّمِ

فهذه استعارة نقلت لها وصف الشجاع؛ إلى عبارة صالحة للأسد، لولا قرينة السلاح لشككت: هل أراد الرجل الشجاع أو الأسد الضاري؟

الثالث: لا بد فيها من ثلاثة أشياء أصول: مستعار، ومستعار منه، وهو

(١) سورة: مريم آية: ٤.

اللفظ؛ ومستعار له وهو المعنى؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً﴾[1] المستعار الاشتعال، والمستعار منه النار، والمستعار له الشيب، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النهار لبياض الشيب.

وفائدة ذلك وحكمته: وصفُ ما هو أخفى بالنسبة إلى ما هو أظهر.

وأصل الكلام أن يقال: واشتعل شيب الرأس؛ وإنما قلب للمبالغة؛ لأنه يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس؛ ولو جاء الكلام على وجهه لم يُفد ذلك العموم.

ولا يخفى أنه أبلغ من قولك: كثر الشيب في الرأس؛ وإن كان ذلك حقيقة المعنى؛ والحقّ أن المعنى يعار؛ أولاً ثم بواسطته يعار اللفظ؛ ولا تحسن الاستعارة إلا حيث كان الشبه مقرَراً بينهما ظاهراً؛ وإلّا فلا بدّ من التصريح بالشبه؛ فلو قلت: رأيت نخلة أو خامة وأنت تريد مؤمناً إشارة إلى قوله: «مثل المؤمن كمثل النخلة»[2] أو «الخامة»[3] لكنت كالملغز.

ومن أحسن الاستعارة قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[4]؛ وحقيقته «بدأ انتشاره»، و«تنفس» أبلغ؛ فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلاً قليلاً، بينه وبين إخراج النَّفَس مشاركة شديدة.

---

(١) سورة: مريم آية: ٤.

(٢) أنظر: (المستدرك ٥١٣/٤. وموارد الظمآن، للهيثمي ٣٠، ٢٥٥٢. ومجمع الزوائد ٢٩٥/١٠. وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٤٠/١. والمعجم الكبير، للطبراني ٤١١/١٢، ٤١٢. وأمالي الشجري ٣٦/١. والمطالب العالية ٢٨٩١. وفتح الباري ١٤٧/١. والتاريخ الكبير، للبخاري ٢٤٨/٧. وكشف الخفا ٤٢٥/٢. والأسماء والصفات ١٤٩).

(٣) أنظر: (مسند أحمد بن حنبل ٣٨٦/٦. والمعجم الكبير، للطبراني ٩٤/١٩. ومجمع الزوائد ٢٩٣/٢. والأعيان لابن أبي شيبة ٨٧. وصحيح البخاري ١٦٨/٨. وأمالي الشجري ١٧٦/٢. وكشف الخفا ٤٢٥/٢. وشرح السنة، للبغوي ـ وحلية الأولياء ١٧٣/٣. وفتح الباري ١٠٨/١٠. والأسماء والصفات ١٤٩).

(٤) سورة: التكوير آية: ١٨.

وقوله: ﴿ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾(١)؛ لأن انسلاخ الشيء عن الشيء أن يبرأ منه، ويزول عنه حالاً فحالاً، كذلك انفصال الليل عن النهار؛ والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما فيه من زيادة البيان.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾(٢).

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾(٣).

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾(٤)، ويقولون للرجل المذموم: إنما هو حمار.

وقوله: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ﴾(٥).

﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾(٦)، أي: في الخلق الجديد.

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾(٧).

﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(٨).

﴿لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾(٩).

﴿وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾(١٠).

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾(١١).

﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾(١٢).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾(١٣).

---

(١) سورة: يسٓ آية: ٣٧.
(٢) سورة: الكهف آية: ٢٩.
(٣) سورة: القلم آية: ١٦.
(٤) سورة: المدثر آية: ٥٠.
(٥) سورة: القيامة آية: ٢٩.
(٦) سورة: النازعات آية: ١٠.
(٧) سورة: المطففين آية: ١٤.
(٨) سورة: البلد آية: ٤.
(٩) سورة: العلق آية: ١٥.
(١٠) سورة: المسد آية: ٤.
(١١) سورة: الدخان آية: ٢٩.
(١٢) سورة: العنكبوت آية: ٦٧.
(١٣) سورة: الشعراء آية: ٢٢٥.

﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]، والمراد: حفظهم وما يحصل لهم.

وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ﴾[2]، أي: أتمها كما أمرت.

﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾[3]، أي: عصمك منهم، رواه شعبة عن أُبيّ، وجاء عن الحسن.

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ﴾[4].

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾[5].

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾[6].

﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[7].

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[8]، فالدمغ والقذف مستعار.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾[9]، يريد لا إحساس بها، من غير صَمَم.

وقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[10]، فإنه أبلغ من «بَلِّغ»، وإن كان بمعناه، لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ؛ فقد لا يؤثِّر التبليغ، والصدع يؤثِّر جزماً.

الرابع: تنقسم إلى مرشحة -وهي أحسنها- وهي أن تنظر إلى جانب المستعار وتراعيه، كقوله تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾[11].

فإن المستعار منه الذي هو الشراء هو المراعَى هنا، وهو الذي رشّح لفظتي

---

(1) سورة: الأعراف آية: ١٣١.
(2) سورة: الإسراء آية: ٧٨.
(3) سورة: الإسراء آية: ٦٠.
(4) سورة: الزخرف آية: ٤.
(5) سورة: الأنعام آية: ٥٩.
(6) سورة: الأعراف آية: ١٥٤.
(7) سورة: الإسراء آية: ١٢.
(8) سورة: الأنبياء آية: ١٨.
(9) سورة: الكهف آية: ١١.
(10) سورة: الحجر آية: ٩٤.
(11) سورة: البقرة آية: ١٦.

الربح والتجارة للاستعارة؛ لما بينهما من الملاءمة.

وإلى تجريدية؛ وهي أن تنظر إلى جانب المستعار له، ثم تأتي بما يناسبه ويلائمه، كقوله تعالى:

﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾(١).

فالمستعار اللباس، والمستعار له الجوع، فمجرد الاستعارة، بذكر لفظ الأداة المناسبة للمستعار له وهو الجوع، لا المستعار وهو اللباس، ولو أراد ترشيحها لقال: وكساها لباس الجوع. وفي هذه الآية مراعاةُ المستعار له؛ الذي هو المعنى، وهو الجوع والخوف، لأن أَلَمهما يُذاق ولا يلبس.

وقد تَجيء ملاحظة المستعار الذي هو اللفظ، كقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾، إذا حملنا الحطب على النميمة، فاعتبر اللفظ فقال: «حمالة» ولم يقل: «رواية» فيلاحظ المعنى.

وأما الاستعارة بالكناية فهي: أَلَّا يصرح بذكر المستعار، بل تذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه، كقوله: شجاع يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس، تنبيهاً على أن الشجاع أسد والعالم بحر.

ومنه: المجاز العقلي كلّه عند السكاكي.

ومن أقسامها ـ وهو دقيق ـ أن يسكت عن ذكر المستعار ثم يومَى إليه بذكر شيء من توابعه وروادفه؛ تنبيهاً عليه، فيقول: شجاع يفترس أقرانه، فنبهتَ بالافتراس على أنك قد استعرت له الأسد.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾(٢)، فنبّه بالنقض الذي هو من توابع الحبل وروادفه، على أنه قد استعار للعهد الحبْل لما فيه من باب الوصلة بين المتعاهدين.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾(٣)؛ لأن حقيقته «عملنا» لكن ﴿قَدِمْنَا﴾ أبلغ؛ لأنه يدلّ على أنّه عاملهم

---

(١) سورة: النحل آية: ١١٢. (٢) سورة: البقرة آية: ٢٧. (٣) سورة: الفرقان آية: ٢٣.

معاملةَ القادم من سفره؛ لأنه من أجل إمهالهم السابق عاملَهم؛ كما يفعل الغائب عنهم إذا قدم فرآهم على خلاف ما أمر به. وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال.

وقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى ٱلْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾(١)، لأن حقيقة «طغى» علا، والاستعارة أبلغ، لأنّ «طغى»، علا قاهراً.

وكذلك: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾(٢)، لأن حقيقة «عاتية» شديدة، والعتوّ أبلغ، لأنه شدة فيها تمرد.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ...﴾(٣)، الآية؛ وحقيقته: لا تمنع ما تملك كلَّ المنع، والاستعارة أبلغ، لأنّه جعل مَنع النائل بمنزلة غلّ اليدين إلى العنق، وحال الغلول أظهر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾(٤).

قيل: أخرجت ما فيها من الكنوز.

وقيل: يحيي به الموتى، وأنها أخرجت موتاها، فسمى الموتى ثقلاً تشبيهاً بالحمْل الذي يكون في البطن؛ لأن الحمل يسمى ثقلاً، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾(٥).

ومنها: جعل الشيء للشيء وليس له من طريق الادعاء والإحاطة به نافعة في آيات الصفات، كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾(٦).

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾(٧). ويسمى التخييل.

قال الزمخشري: ولا تجد باباً في علم البيان أدقّ ولا أعون في تعاطي

---

(١) سورة: الحاقة آية: ١١.
(٢) سورة: الحاقة آية: ٦.
(٣) سورة: الإسراء آية: ٢٩.
(٤) سورة: الزلزلة آية: ٢.
(٥) سورة: الأعراف آية: ١٨٩.
(٦) سورة: القمر آية: ١٤.
(٧) سورة: الزمر آية: ٦٧.

المشبهات منه، وأما قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ﴾[1].

قال الفراء: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه جعل طلعها رءوس الشياطين في القبح.

والثاني: أن العرب تسمي بعض الحيات شيطاناً؛ وهو ذو القرن.

والثالث: أنّه شوك قبيح المنظر، يسمى رءوس الشياطين.

فعلى الأول يكون تخييلاً، وعلى الثاني يكون تشبيهاً مختصاً.

تقسيم آخر

الاستعارة فرع التشبيه، فأنواعها كأنواعه خمسة:

الأول: استعارة حسّيّ لحسّيّ بوجه حسيّ، كقوله تعالى:

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً﴾[2].

فإن المستعارَ منه هو: النار، والمستعار له هو: الشَّيْب، والوجه هو: الانبساط؛ فالطرفان حسّيان والوجه أيضاً حسّيّ، وهو استعارة بالكناية؛ لأنه ذكر التشبيه، وذكر المشبه وذكر المشبه به مع لازم من لوازم المشبه به؛ وهو الاشتعال.

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[3]، أصلُ الموج حركة المياه؛ فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة.

الثاني: حسيّ لحسّيّ بوجه عقلي، كقوله تعالى:

﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾[4].

---

(١) سورة: الصافات آية: ٦٥.

(٢) سورة: مريم آية: ٤.

(٣) سورة: الكهف آية: ٩٩.

(٤) سورة: الذاريات آية: ٤١.

فالمستعار له: الريح، والمستعار منه: المرأة، وهما حسّيان، والوجه: المنع من ظهور النتيجة[1]، والأثر وهو عقلي وهو أيضاً استعارة بالكناية.

قال في الإيضاح: وفيه نظر، لأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها؛ ولهذا جعل صفةً للريح، لا اسماً. والحق أن المستعار منه ما في المرأة من الصفة التي تمنع من الحَبَل والمستعار له ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر والجامع لهما ما ذكر[2].

وهو مندفع بالعناية، لأن المراد من قوله: «المستعار منه» المرأة التي عبّر عنها بالعقيم، ذكرها السكاكي بلفظ ما صدق عليه.

ومنه: قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ ٱللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾[3]، المستعار له: ظلمة النهار من ظلمة الليل، والمستعار منه: ظهور المسلوخ عند جلدته، والجامع عقليّ وهو ترتب أحدهما على الآخر.

وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدفا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾[4]، أصل الحصيد النبات، والجامع الهلاك، وهو أمر عقلي.

الثالث: معقول لمعقول، كقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[5].

فالرقاد مستعار للموت؛ وهما أمران معقولان، والوجه عدم ظهور الأفعال؛ وهو عقلي، والاستعارة تصريحيّة لكون المشبه به مذكوراً.

وقوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَىٰ ٱلْغَضَبُ﴾[6].

المستعار: السكوت، والمستعار له: الغضب، والمستعار منه: الساكت، وهذه ألطف الاستعارات، لأنها استعارة معقول لمعقول، لمشاركته في أمر معقول.

---

(١) في ب، ج: «من ظهور النفخة».
(٢) «والجامع لهما ما ذكر» غير موجود بالأصول.
(٣) سورة: يسٓ آية: ٣٧.
(٤) سورة: يونس آية: ٢٤.
(٥) سورة: يسٓ آية: ٥٢.
(٦) سورة: الأعراف آية: ١٥٤.

الرابع: محسوس لمعقول، كقوله تعالى:

﴿مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَاءُ وَٱلضَّرَّاءُ﴾[1].

أصل التماسّ في الأجسام، فاستعير لمقاساة الشدة، وكون المستعار منه حسّياً، والمستعار له عقلياً، وكونها تصريحيّة ظاهر، والوجه اللحوق، وهو عقلي.

وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾[2] فالقذف، والدمغ: مستعاران.

وقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ ٱللهِ وَحَبْلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3].

وقوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[4].

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[5] وكلّ خَوْضٍ ذكره الله في القرآن فلفظه مستعار من الخَوْضِ في الماء.

وقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[6] استعارة لبيانه عما أوحى إليه، كظهور ماء في الزجاجة عند انصداعها.

وقوله: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾[7]، البنيان مستعار، وأصله للحيطان.

وقوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾[8] العِوَج مستعار.

وقوله: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[9] وكلُّ ما في القرآن من الظلمات والنور مستعار.

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢١٤.
(٢) سورة: الأنبياء آية: ١٨.
(٣) سورة: آل عمران آية: ١١٢.
(٤) سورة: آل عمران آية: ١٨٧.
(٥) سورة: الأنعام آية: ٦٨.
(٦) سورة: الحجر آية: ٩٤.
(٧) سورة: التوبة آية: ١٠٩.
(٨) سورة: هود آية: ١٩.
(٩) سورة: إبراهيم آية: ١.

وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾[1].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾[2]؛ الوادي مستعار، وكذلك الهَيمان، وهو على غاية الإيضاح.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾[3].

الخامس: استعارة معقول لمحسوس: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى ٱلْمَاءُ﴾[4]. المستعار منه: التكبّر، والمستعار له: الماء، والجامع الاستعلاء المفرط.

وقوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[5]، العتوّ ها هنا مستعار.

وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾[6] فلفظ «الغيظ» مستعار.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[7] فهو أفصح من مضيئة.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[8].

ومنها: الاستعارة بلفظين، كقوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ﴾[9]؛ يعني تلك الأواني ليس من الزجاج، ولا من الفضة، بل في صفاء القارورة وبياض الفضة.

وقد سبق عن الفارسيّ جعله من التشبيه.

ومثله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[10]، ينبي عن الدوام والسوط ينبي عن الإيلام؛ فيكون المراد ـ والله أعلم ـ تعذيبهم عذاباً دائماً مؤلماً.

---

(١) سورة: الفرقان آية: ٢٣.
(٢) سورة: الشعراء آية: ٢٢٥.
(٣) سورة: الإسراء آية: ٢٩.
(٤) سورة: الحاقة آية: ١١.
(٥) سورة: الحاقة آية: ٦.
(٦) سورة: الملك آية: ٨.
(٧) سورة: الإسراء آية: ١٢.
(٨) سورة: محمد آية: ٤.
(٩) سورة: الدهر آية: ١٦.
(١٠) سورة: الفجر آية: ١٣.

التورية

باب مهم

وتسمى: الإيهام، والتخييل، والمغالطة، والتوجيه.

وهي: أن يتكلَّم المتكلِّمُ بلفظ مشترك بين معنيين: قريب وبعيد، ويريد المعنى البعيد، يوهم السامع أنه أراد القريب.

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[1]، أراد بالنجم: النبات الذي لا ساق له، والسامع يتوهم أنه أراد الكوكب، لا سيما مع تأكيد الإيهام بذكر الشمس والقمر.

وقوله: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾[2] والمراد: المعرفة.

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾[3]، أراد بها: في نعمة وكرامة، والسامع يتوهم أنه أراد من النعومة.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[4] أراد بالأيد القوة الخارجة.

وقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾[5]، أي: مُقَرَّطون تجعل في آذانهم القِرَطة، والحلق الذي في الأذن يسمى قُرْطاً وخَلَدة، والسامع يتوهم أنه من الخلود.

---

(١) سورة: الرحمن آية: ٦.

(٢) سورة: آل عمران آية: ٣٩.

(٣) سورة: الغاشية آية: ٨.

(٤) سورة: الذاريات آية: ٤٧.

(٥) سورة: الدهر آية: ١٩.

وقوله: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾(١)، أي: علّمهم منازلهم فيها، أو يوهم إرادة العَرْف، الذي هو الطِّيب.

وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾(٢).

وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾(٣) فذكر «رضوان» مع «الجنات» مما يوهم إرادة خازن الجنات.

وكان الأنصار يقولون: ﴿رَاعِنَا﴾(٤) أي: أرعنا سمعنا وانظر إلينا، والكفار يقولونها «فاعل» من الرعونة.

وقال أبو جعفر: هي بالعبرانية، فلما عوتبوا قالوا: إنما نقول مثل ما يقول المسلمون، فنهي المسلمون عنها.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(٥).

فقوله: ﴿الوليّ﴾ هو من أسماء الله، ومعناه الوليّ لعباده بالرحمة والمغفرة.

وقوله: ﴿الحميد﴾ يحتمل أن يكون من «حامد» لعباده المطيعين، أو «محمود» في السراء والضراء، وعلى هذا فالضمير راجع إلى الله سبحانه.

ويحتمل أن يكون الوليّ من أسماء المطر، وهو مطر الربيع، والحميد بمعنى المحمود، وعلى هذا فالضمير عائد على الغيث.

وقوله: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ ٱلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾(٦).

فإن لفظة «ربك» رشحت لفظ «ربّه»، لأن يكون تورية؛ إذ يحتمل أنّه

---

(١) سورة: محمد آية: ٦.
(٢) سورة: المائدة آية: ٤.
(٣) سورة: التوبة آية: ٢١.
(٤) سورة: البقرة آية: ١٠٤.
(٥) سورة: الشورى آية: ٢٨.
(٦) سورة: يوسف آية: ٤٢.

أراد بها الإله سبحانه والملك، فلو اقتصر على قوله: ﴿فَأَنْسَاهُ ٱلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[1]، ولم تدل لفظة «ربه» إلا على الإله فلما تقدمت لفظة «ربك» احتمل المعنيين.

تنبيه:

كثيراً ما تلتبس التورية بالاستخدام؛ والفرق بينهما أن التوريةَ استعمالُ المعنيين في اللفظ وإهمال الآخر؛ وفي الاستخدام استعمالهما معاً بقرينتين.

وحاصله: أنّ المشترك إن استعمل في مفهومين معاً فهو الاستخدام؛ وإن أريد أحدهما مع لمح الآخر باطناً فهو التورية.

ومثال الاستخدام: قوله تعالى:

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ. يَمْحُو ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[2].

فإنّ لفظة «كتاب» يراد بها الأمد المحتوم والمكتوب، وقد توسطت بين لفظتين، فاستخدمت أحد مفهوميها، وهو الأمد واستخدمت «يمحو» المفهوم الآخر، وهو المكتوب.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾[3].

فإن الصلاة تحتمل إرادة نفس الصلاة، وتحتمل إرادة موضعها فقوله: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا﴾ استخدمت إرادة نفس الصلاة، وقوله: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾، استخدمت إرادة موضعها.

---

(١) سورة: يوسف آية: ٤٢.

(٢) سورة: الرعد آية: ٣٨ - ٣٩.

(٣) سورة: النساء آية: ٤٣.

التجريد

وهو: أن تَعتقد أن في الشيء من نفسه معنى آخر، كأنه مباين له. فتخرج ذلك إلى ألفاظه بما اعتقدت ذلك.

كقولهم: لئن لقيت زيداً لتلقينّ معه الأسد، ولئن سألته لتسألنّ منه البحر.

فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً، وهو عينه هو الأسد والبحر؛ لا أنّ هناك شيئاً منفصلاً عنه.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾[1].

فظاهر هذا أن في العالم من نفسه آيات، وهو عينه ونفسه تلك الآيات.

وكقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وإنما هذا ناب عن قوله: «وَاعْلَمْ أَنِّي عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

ومنه: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[4].

---

(١) سورة: آل عمران آية: ١٩٠.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢٦٠.

(٣) سورة: قٓ آية: ٣٧.

(٤) سورة: الأحزاب آية: ٢١.

وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾[1]، ليس المعنى أن الجنَّة فيها دار خلدٍ، وغير دار خلد، بل كلّها دار خُلْد؛ فكأنك لما قلت: في الجنة دار الخلد، اعتقدت أن الجنة منطوية على دار نعيم، ودار أكل وشرب وخُلْد، فجردت منها هذا الواحد. كقوله:

* وفي الله إن لم تُنصفُوا حكمٌ عدلُ *

وقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾[2].

على أحد التأويلات في الآية عن ابن مسعود: هي النطفة تخرج من الرجل ميّتة، وهو حيّ، ويخرج الرجل منها حيّاً وهي ميتة.

قال ابن عطية: في «تفسيره» هذه الآية: إن لفظة الإخراج في تنقّل النطفة حتى تكون رجلاً، إنما هو عبارة عن تغيير الحال، كما تقول في صبيّ جيّد البنية: يخرج من هذا رجل قويّ.

وقد يحتمل قوله: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[3]، أي: الحيوان كله ميتة، ثم يحييه قال: وهو معنى التجريد.

وذكر الزمخشري أن عمرو بن عبيد[4] قرأ في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ﴾[5]، بالرفع، بمعنى حصلت منها سماء[6] وَرْدة، قال: وهو من التجريد.

وقرأ عليّ وابن عباس في سورة مريم: ﴿يَرِثُنِي وارثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[7].

قال ابن جني: هذا هو التجريد، وذلك أنه يريد: وهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وليّاً يَرِثُنِي منه وارث من آل يعقوب، وهو الوارث نفسه، فكأنه جَرَّد منه وارثاً.

---

(1) سورة: فصلت آية: ٢٨.
(2) سورة: الأنعام آية: ٩٥.
(3) سورة: الأنعام آية: ٩٥.
(4) «عمرو بن عبيد» في ب «عمر بن عبيد».
(5) سورة: الرحمن آية: ٣٧.
(6) «سماء»، غير موجودة بالأصول.
(7) سورة: مريم آية: ٦.

التجنيس

وهو إمّا تام بأن تتساوى حروف الكلمتين، كقوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ ساعةٍ﴾[1].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ. فانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنْذَرِينَ﴾[2]؛ وفي ذلك ردّ على من قال[3]: ليس منه من القرآن غيرُ الآية الأولى.

وإما بزيادة في إحدى الكلمتين، كقوله تعالى:

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ. إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[4].

وإما لاحق، بأن يختلف أحد الحرفين، كقوله:

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ. وَإِنَّه لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[5].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[6].

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾[7].

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾[8].

---

(١) سورة: الروم آية: ٥٥.

(٢) سورة: الصافات آية: ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) هو ابن الأثير، وقد سبقت ترجمته.

(٤) سورة: القيامة آية: ٢٩ ـ ٣٠.

(٥) سورة: العاديات آية: ٧ ـ ٨.

(٦) سورة: القيامة آية: ٢٢ ـ ٢٣.

(٧) سورة: الأنعام آية: ٢٦.

(٨) سورة: غافر آية: ٧٥.

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾[1].

وإما في الخط، وهو أن تشتبها في الخط لا اللفظ، كقوله تعالى:

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[2].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ. وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[3].

وإما في السمع لقرب أحد المخرجين من الآخر، كقوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[4].

تنبيهات:

الأول: نازع ابن أبي الحديد في الآية الأولى وقال: عندي أنه ليس بتجنيس أصلاً، وأن الساعة في الموضعين بمعنى واحد، والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، وألا تكون إحداهما حقيقة والأخرى مجازاً؛ بل تكونا حقيقتين؛ وإنّ زمان القيامة ـ وإن طال ـ لكنه عند الله تعالى في حكم الساعة الواحدة؛ لأن قدرته لا يعجزها أمر، ولا يطول عندها زمان؛ فيكون إطلاق لفظة «الساعة» على أحد الموضعين حقيقة، وعلى الآخر مجازاً؛ وذلك يُخرج الكلام من التجنيس؛ كما لو قلت: ركبت حماراً، ولقيت حماراً، وأردت بالثاني البليد.

وأيضاً لا يجوز أن يكون المراد بالساعة الساعة الأولى خاصّة؛ وزمان البعث، فيكون لفظ الساعة مستعملاً في الموضعين حقيقة بمعنى واحد؛ فيخرج عن التجنيس.

الثاني: يقرب منه الاقتضاب، وهو أن تكون الكلمات يجمعها أصل واحد في اللغة، كقوله تعالى:

---

(١) سورة: النساء آية: ٨٣.

(٢) سورة: الكهف آية: ١٠٤.

(٣) سورة: الشعراء آية: ٧٩ ـ ٨٠.

(٤) سورة: القيامة آية: ٢٢ ـ ٢٣.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾[1].

وقوله: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَا وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَاتِ﴾[2].

وقوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[3].

وقوله: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[4].

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ ٱلْقَالِينَ﴾[5].

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[6].

﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾[7].

﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَارُ﴾[8].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾[9].

﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[10].

الثالث: اعلم أن الجِناس من المحسن اللفظية لا المعنوية، ولهذا تركوه عند قوة المعنى بتركه؛ ولذلك مثالان:

أحدهما: قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ﴾[11]، فذكر الرازي في تفسيره أن الكاتب الملقب بالرشيدي، قال: لو قيل: «أتدعون بعلاً وتَدعون أحسنَ الخالقين» أوهم أنه أحسن، لأنه كان[12] تحصل به رعاية معنى التجنيس أيضاً؛ مع كونه موازناً لـ «تذرون».

---

(1) سورة: الروم آية: ٤٣.

(2) سورة: البقرة آية: ٢٧٦.

(3) سورة: الواقعة آية: ٨٩.

(4) سورة: فصلت آية: ٥١.

(5) سورة: الشعراء آية: ١٦٨.

(6) سورة: الرحمن آية: ٥٤.

(7) سورة: يوسف آية: ٨٤.

(8) سورة: النور آية: ٣٧.

(9) سورة: الأنعام آية: ٧٩.

(10) سورة: التوبة آية: ٣٨.

(11) سورة: الصافات آية: ١٢٥.

(12) سبقت ترجمته في الجزء الأول.

(13) أوهم أنه أحسن لأنه كان غير موجود بالأصل.

وأجاب الرازي[٩]: بأن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكلّفات، بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ.

وقال بعضهم: مراعاة المعاني أوْلى من مراعاة الألفاظ، فلو كان «أتَدعون» «وتَدَعون» كما قال هذا القائل لوقع الإلباس على القارىء فيجعلهما بمعنى واحد تصحيفاً منه، وحينئذ فينخرم اللفظ، إذا قرأ و«تَدْعون» الثانية بسكون الدال؛ لا سيما وخط المصحف الإمام لا ضبط [فيه] ولا نقط.

قال: ومما صحّف من القرآن بسبب ذلك وليس بقراءة قوله تعالى:

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾[١] بالسين المهملة.

وقوله: ﴿إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾[٢] بالباء الموحدة.

وقوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[٣] بالعين المهملة.

وقرأ ابن عباس «مَنْ فرعون» على الاستفهام.

قلت: وأجاب الجويني عن هذا بما يمكن أن يتخلص منه: أن «يذر» أخصّ من «يَدَع»، وذلك لأن الأول بمعنى تَرْك الشيء اعتناء به، بشهادة الاشتقاق، نحو الإيداع، فإنه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها، ولهذا يُختار لها مَنْ هو مؤتمن عليها؛ من ذلك الدَّعة بمعنى الراحة. وأما «تذر» فمعناها الترك مطلقاً، والترك مع الإعراض[٤] والرفض الكلّي؛ ولا شكّ أن السياق إنما يناسب هذا دون الأول؛ فأريد هنا تبشيع حالهم في الإعراض عن ربهم، وأنهم بلغوا الغاية في الإعراض.

قلت: ويؤيده قول الراغب: يقال: فلا يَذَر الشيء أي يقذفه لقلة الاعتداد به.

---

(١) سورة: الأعراف آية: ١٥٦.

(٢) سورة: التوبة آية: ١١٤.

(٣) سورة: عبس آية: ٣٧.

(٤) في جـ: والترك مع الاعتراض.

وٱلْوَذَرَةُ قطعة من اللحم وتسميتها بذلك[1] لقلة الاعتداد به؛ نحو قولهم فيم لا يعتد به[2]: هو لحم على وَضَم.

قال تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ .رَكَ وَآلِهَتَكَ﴾[4]. ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[5] ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا﴾[6]. وإد قال ﴿يَذَرون﴾ ولم يقل «يتركون» و «يُخَلِّفُونَ» لذلك. انتهى.

وعن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني أنه أجاب عن هذا السؤال بأن التجنيس تحسين، وإنما يستعمل في مقام الوعد والإحسان؛ وهذا مقام تهويل، والقَصْد فيه المعنى، فلم يكن لمراعاة اللفظة فائدة.

وفيه نظر، فإنه ورد في قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾[7].

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[8] قال: معناه: وما أنت مصدّق لنا، فيقال: ما الحكمة في العدول عن الجناس، وهلا قيل: «وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين»، فإنّهيؤدي معنى الأول مع زيادة رعاية التجنيس اللفظي؟

والجواب: أن في «مُؤْمِنٍ لَنَا» من المعنى ما ليس في «مصدق»، وذلك أنك إذا قلت: «مصدق لي» فمعناه. قال لي: صدقت، وأما «مؤمن» فمعناه مع التصديق إعطاء الأمن، ومقصودهم التصديق وزيادة، وهو طلب الأمن؛ فلهذا عَدل إليه..

فتأمل هذه اللطائف الغريبة والأسرار العجيبة فإنه نوع من الإعجاز!

---

(١) «وتسميتها بذلك»، غير موجود بالأصول.
(٢) «فيم لا يعتد به» غير موجود بالأصول.
(٣) سورة: الأعراف آية: ٧٠.
(٤) سورة: الأعراف آية: ١٢٧.
(٥) سورة: الأنعام آية: ١١٢.
(٦) سورة: البقرة آية: ٢٧٨.
(٧) سورة: الجاثية آية: ٢٧.
(٨) سورة: يوسف آية: ١٧.

فائدة:

قال الخفاجي: إذا دخل التجنيسَ نفيٌ عُدَّ طباقاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]؛ لأن «الذين لا يعلمون» هم الجاهلون، قاتل: وفي هذا يختلط التجنيس بالطباق.

---

(١) سورة: الزمر آية: ٩.

الطباق

هو أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل، كالبياض والسواد، والليل والنهار؛ وهو قسمان: لفظي ومعنوي؛ كقوله تعالى:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾[1]، طابَق بين الضحك والبكاء، والقليل والكثير.

ومثله: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[2].

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[3].

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾[4].

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ...﴾[6] الآية.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ. وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ. وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ. وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَاءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ﴾[7].

ثم إذا شرط فيهما شرط وجب أن يُشترط في ضديْهما ضِدّ ذلك الشرط،

---

(١) سورة: التوبة آية: ٨٢.
(٢) سورة: الحديد آية: ٢٣.
(٣) سورة: النجم آية: ٤٣ ـ ٤٤.
(٤) سورة: الكهف آية: ١٨.
(٥) سورة: الرعد آية: ١٠.
(٦) سورة: آل عمران آية: ٢٦.
(٧) سورة: فاطر آية: ١٩ ـ ٢٢.

كقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ...﴾[1] الآية، لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والتقى والتصديق، وجعل ضدّه وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك الأمور، وهي المنع والاستغناء والتكذيب.

ومنه: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[2]، قابَل بين العلو والدنو.

وقوله: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ. وأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾[3].

وقوله: ﴿وَمِن رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾[4].

فذكر الليل والنهار وهما ضدّان، ثم قابلهما بضدّين وهما الحركة والسكون، على الترتيب، ثم عبّر عن الحركة بلفظ «الإرداف» فاستلزم الكلام ضرباً من المحاسن زائداً على المبالغة، وعَدَل عن لفظ الحركة إلى لفظ «ابتغاء الفضل» لكون الحركة تكون للمصلحة دون المفسدة؛ وهي تسير إلى الإعانة بالقوة وحسن الاختيار الدّال على رجاحة العقل، وسلامة الحسّ، وإضافةُ الظرف إلى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه، ليهتدي المتحرك إلى بلوغ المأرب.

ومن الطباق المعنوي: قوله تعالى:

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ. قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[5]، معناه: ربنا يعلم إنا لصادقون.

وقوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشاً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[6].

قال أبو علي في «الحجة»: لما كان البناء رفعاً للمبنيّ قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء، ومن ثَمَّ وقع البناء على ما فيه ارتفاع في نصيبه إن لم يكن مَدَراً.

---

(1) سورة: الليل آية: ٥ ـ ٦.
(2) سورة: الحاقة آية: ٢٢ ـ ٢٣.
(3) سورة: الغاشية آية: ١٣ ـ ١٤.
(4) سورة: القصص آية: ٧٣.
(5) سورة: يسٓ آية: ١٥ ـ ١٦.
(6) سورة: البقرة آية: ٢٢.

ومنه: نوع يسمى **الطباق الخفيّ**؛ كقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً﴾(١)، لأن الغرق من صفات الماء فكأنه جمع بين الماء في النار والنار. قال ابن منقذ(٢): وهي أخفى مطابقة في القرآن.

قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَاراً﴾(٣)؛ فكأنه جمع بين الأخضر والأحمر، وهذا أيضاً فيه تدبيج بديعي.

ومنه: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾(٤)، لأن معنى القصاص القتل، فصار القتل سبب الحياة.

قال ابن المعتز(٥)؛ وهذا من أملح الطباق وأخفاه.

وقوله تعالى في الزخرف: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾(٦)؛ لأن «ظلّ» لا تستعمل إلا نهاراً، فإذا لمح مع ذكر السواد كأنه طباق يُذكر البياض مع السواد.

وقوله: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ ٱلنَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَىٰ ٱلنَّارِ﴾(٧).

---

(١) سورة: نوح آية: ٢٥.

(٢) ابن منقذ، هو: أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي النشيزي، أبو المظفر مؤيد الدولة: أمير من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر بقرب حماة. ومن العلماء الشجعان. من مصنفاته: «لباب الآداب» و«البديع في نقد الشاعر». و«المنازل والديار». و«النوم والأحلام». و«القلاع والحصون». و«أخبار النساء» وغيرها
أنظر ترجمته في: (تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/٤٠٠. والبداية والنهاية ١٢/٣٣١، ٤/٤٧٣. وآداب اللغة ٣/٦١. ومعجم الأدباء ٥/١٨٨. ودائرة المعارف الإسلامية ٢/٧٩. والأعلام ١/٢٩١).

(٣) سورة: يسٓ آية: ٨٠.

(٤) سورة: البقرة آية: ١٧٩.

(٥) ابن المعتز، هو: عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس. شاعر مبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم. من مصنفاته: «الزهر والرياض». و«البديع». و«الآداب». و«الجامع في الغناء». و«الجوارح والصيد». و«فصول التماثيل». وغيرها.
انظر ترجمته في: (الأغاني ١٠/٣٧٤. ومعاهد التنصيص ٢/٣٨. وابن خلكان ١/٢٥٨. وثمار القلوب ١٥٠. وتاريخ بغداد ١٠/٩٥. وفوات الوفيات ١/٢٤١. ومفتاح السعادة ١/١٩٩).

(٦) سورة: النحل ماية: ٥٨.

(٧) سورة: غافر آية: ٤١.

المقابلة

وفيها مباحث:

الأول: في حقيقتها

وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها، وهي من باب «المفاعلة»، كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة من الطباق؛ والفرق بينهما من وجهين:

الأول: أن الطِّباق لا يكون إلا بين الضدّين غالباً، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالباً.

والثاني: لا يكون الطباق إلا بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وغيرها؛ ولهذا جعل ابن الأثير الطباق أحد أنواع المقابلة.

الثاني: في أنواعها

وهي ثلاثة: نظيريّ، ونقيضيّ، وخلافيّ.

والخلافيّ أتمها في التشكيك، وألزمها بالتأويل، والنقيضيّ ثانيها، والنظيريّ ثالثها.

وذكر الشيخ أبو الفضل يوسف بن محمد النحوي القلعي[1] أن القرآنَ كلّه

(١) هو: يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الأصل، التلمساني، أبو الفضل، المعروف =

وارد عليها بظهور نكته الحكمية العلمية، من الكائنات، والزمانيات، والوسائط، الروحانيات، والأوائل الإلٰهيات؛ حيث اتحدت من حيث تعددت، واتصلت من حيث انفصلت؛ وأنها قد ترد على شكل المربع تارة، وشكل المسدس أخرى، وعلى شكل المثلث، إلى غير ذلك من التشكيلات العجيبة، والترتيبات البديعة، ثم أورد أمثلة من ذلك.

مثال مقابلة النظيرين، مقابلة السِّنة والنوم في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1] لأنهما جميعاً من باب الرقاد المقابَل باليقظة.

وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾[2]، وهذه هي مقابلة النقيضين أيضاً، ثم السنة والنوم بانفرادهما متقابلان في باب النظيرين ومجموعهما يقابلان النقيض الذي هو اليقظة.

ومثال مقابلة الخلافين، مقابلة الشرّ بالرشد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾[3] فقابل الشرّ بالرشد؛ وهما خلافيان، وضد الرشد الغيّ، وضد الشر الخير، والخير الذي يخرجه لفظ الشر ضمناً نظير الرشد قطعاً، والغيّ الذي يخرجه لفظ الرشد ضمناً نظير الشر قطعاً، فقد حصل من هذا الشكل أربعة ألفاظ: نطقان وضمنان؛ فكأن بهما رباعيّان.

وهذا الشكل الرباعي يقع في تفسيره على وجوه، فقد يرد وبعضه مفسّر، مثل ما ذكرناه، وقد يرد وكله مفسّر، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ. وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[4] فقابل «صدّق» بـ «كذّب» «وصلى» الذي هو أقبل بـ «تولّى».

= بابن النحوي، ناظم المنفرجة التي مطلعها: «اشتدي أزمة تنفرجي» - كان فقيهاً يميل إلى الاجتهاد، من أهل تلمسان. ولد عام (٤٣٣ هـ: ١٠٤١ م) وسكن سجلماسة، وتوفي بقلعة حماد عام (٥١٣ هـ = ١١١٩ م).

أنظر ترجمته في: (البستان ٢٩٩ - وجذوة الاقتباس ٣٤٦. وكشف الظنون ١٣٤٦. والأعلام ٨/٢٤٧).

(١) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.

(٢) سورة: الكهف آية: ١٨.

(٣) سورة: الجن آية: ١٠.

(٤) سورة: القيامة آية: ٣١ - ٣٢.

وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً. إِلَّا قِيلًا سَلَاماً سَلَاماً﴾(١)، اللغو في الحيثية المنكرة والتأثيم في الحيثية الناكرة، واللغو منشأ المنكر ومبدأ درجاته، والتأثيم منشأ التكبر ومبدأ درجاته، فلا نكيرَ إلا بعد منكر، ولا اعتقاد إنكار إلا بعد اعتقاد تأثيم، ومنشأ اللغو في أول طرف المكروهات وآخره في طرف المحظورات ومبدأ الحيثية.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾(٢) فقابل الإفساد بالتسبيح والحمد، وسفك الدماء بالتقديس، فالتسبيح بالحمد إذن ينفي الفساد، والتقديس ينفي سفك الدماء، والتسبيح شريعة للإصلاح، والتقديس شريعة حقن الدماء، وشريعة التقديس أشرف من شريعة التسبيح؛ فإن التسبيح بالحمد للإصلاح لا للفساد، وسفك الدماء للتسبيح لا للتقديس؛ وهذا شكل مربع، من أرضيّ وهو الإفساد وسفك الدماء، وسمائي وهو التسبيح والتقديس، والأرضيّ ذو فصلين، والسمائيّ ذو فصلين، ووقع النفس من الطرفين المتوسطين؛ فالطرفان الإفساد في الطرف الأول، والتقديس في الطرف الآخر، والوسطان آخر الأرض، وأول السماء، فالأول متشرف على الآتي والآخر ملفت إلى الماضي:

وَكَمْ في كتابِ اللهِ مِنْ كُلِّ مُوجَزٍ ... يَدُورُ على المعنى وعنه يُماصِعُ
لَقَدْ جَمعَ الإِسْمُ المحامدَ كلَّها ... مقاسيمها مجموعة والمشايِعُ

وهذا القدر الذي ذكره هذا الحَبْر مرمى عظيم، يوصِّل إلى أمور غير متجاسر عليها، كما في آية الكرسيّ وغيرها.

وقسم بعضهم المقابلة إلى أربع:

أحدها: أن يأتي بكل واحد من المقدمات مع قرينة من الثواني، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ لِبَاساً. وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشاً﴾(٣).

---

(١) سورة: الواقعة آية: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) سورة: البقرة آية: ٣٠.

(٣) سورة: النبإ آية: ١٠ ـ ١١.

والثاني: أو يأتي بجميع الثواني مرتَّبةً من أولها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾[1].

وكذلك: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

الثالث: أن يأتي بجمع المقدمات ثم بجمع الثواني مرتبة من آخرها، ويسمى رد العجز على الصدر، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

الرابع: أن يأتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مختلطة غير مرتبة، ويُسمى اللفّ، كقوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللهِ قَرِيبٌ﴾[4] فنسبة قوله: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللهِ﴾[5] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾، كنسبة قوله: ﴿يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللهِ قَرِيبٌ﴾، لأن القولين المتباينين يصدران عن متباينين.

وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾[6] فنسبة قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[7] إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾[8] كنسبة قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ﴾[9] إلى قوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾[10] فجمع المقدّمين التاليين بالالتفات.

وجعل بعضهم من أقسام التقابل مقابلة الشيء بمثله وهو ضربان:

---

(١) سورة: القصص آية: ٧٣.
(٢) سورة: البقرة آية: ٢١٧.
(٣) سورة: آل عمران آية: ١٠٦ ـ ١٠٧.
(٤) سورة: البقرة آية: ٢١٤.
(٥) سورة: البقرة آية: ٢١٤.
(٦) سورة: الأنعام آية: ٥٢.
(٧) سورة: الأنعام آية: ٥٢.
(٨) سورة: الأنعام آية: ٥٢.
(٩) سورة: الأنعام آية: ٥٢.
(١٠) سورة: الأنعام آية: ٥٢.

مقابل في اللفظ دون المعنى كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾(١).

ومقابل في المعنى دون اللفظ، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾(٢)؛ فإنه لو كان التقابل هنا من جهة اللفظ، لكان التقدير: «وإن اهتديت، فإنما اهتديت لها».

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى، أنّ النفسَ كلّ ما هو عليها لها، فهو أعني أن كلّ ما هو وبالٌ عليها وصار لها فهو بسببها ومنها؛ لأنها أمّارة بالسوء، وكلّ ما هو مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه إياها، وهذا حكم لكلّ مكلف، وإنما أمر رسول الله ﷺ أن يسند إلى نفسه؛ لأنه إذا دخل تحته مع علو محلّه كان غيره أولى به.

ومن هذا الضرب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٣)، فإنه لم يدع التقابل في قوله: ﴿لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً﴾، لأن القياس يقتضي أن يكون «والنهار لتبصروا فيه»؛ وإنما هو مراعىً من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، لأنّ معنى «مبصراً» تبصرون فيه طرق التقلب في الحاجات.

واعلم أنّ في تقابل المعاني باباً عظيماً يحتاج إلى فضل تأمّل، وهو يتصل غالباً بالفواصل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾(٤) إلى قوله ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾(٤).

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ ٱلنَّاسُ﴾(٥) إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾(٦).

---

(١) سورة: النمل آية: ٥٠.
(٢) سورة: سبأ آية: ٥٠.
(٣) سورة: النمل آية: ٨٦.
(٤) سورة: البقرة آية: ١١ ـ ١٢.
(٥) سورة: البقرة آية: ١٣.
(٦) سورة: البقرة آية: ١٣.

فانظر فاصلة الثانية ﴿يَعْلَمون﴾ والتي قبلها ﴿يَشْعُرونَ﴾ لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين: يجتمعون وهم مطيعون يحتاج إلى نظر واستدلال، حتى يكسب الناظر المعرفة والعلم؛ وإنما النفاق ـ وما فيه من الفتنة والفساد ـ أمر دنيويّ مبنيّ على العادات معلوم عند الناس، فلذلك قال فيه ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

وأيضاً فإنّه لما ذكر السفه[1] في الآية الأخرى ـ وهو جهل ـ كان ذكر العلم طباقاً، وعلى هذا تجيء فواصل القرآن، وقد سبق في بابه.

ومن المقابلة قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾[2]، فتقدم اقتران الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء، ثم قُوبل بشيء واحد وهو الوعد، فَأَوْهم الإخلال بالثاني، وليس كذلك؛ وإنما لما كان الفضل مقابلاً للفقر، والمغفرة مقابلة للأمر بالفحشاء؛ لأن الفحشاء توجب العقوبة، والمغفرة تقابل العقوبة، استغنى بذكر المقابل عن ذكر مقابله، لأن ذكر أحدهما ملزوم ذكر الآخر.

---

(١) في الآية ١٣، من سورة: البقرة.

(٢) سورة: البقرة آية: ٢٦٨.

تقسيم

من مقابلة اثنين باثنين: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾[1].

ومن مقابلة أربعة بأربعة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ...﴾[2] الآية.

ومن مقابلة خمس بخمس قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[3]، للدلالة على الحقير والكبير؛ وهو من الطباق الخفيّ، الثاني: ﴿فأما الذين آمنوا﴾ و﴿أما الذين كفروا﴾، الثالث: ﴿يضل﴾ و﴿يهدي﴾ به، الرابع ﴿ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾، الخامس ﴿يقطعون﴾ و﴿أن يوصل﴾.

ومن مقابلة ست بستّ: قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَاطِيرِ ٱلْمُقَنْطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَامِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾[4]، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللهِ﴾[5]، قابَل الجنات والأنهار والخلْد والأزواج والتطهير والرضوان بإزاء النساء في الدنيا، وختَم بالحرْث، وهما طرفان متشابهان، وفيهما الشهوة والمعاش الدنياوي، وأخّر ذكْرَ الأزواج كما يجب في الترتيب الأخروي،

(١) سورة: التوبة آية: ٨٢.
(٢) سورة: الليل آية: ٥ ـ ١٠.
(٣) سورة: البقرة آية: ٢٦.
(٤) سورة: آل عمران آية: ١٤.
(٥) سورة: آل عمران آية: ١٤ ـ ١٥.

وختم بالرضوان.

فائدة

قد يجيء نظمُ الكلام على غير صورة المقابلة في الظاهر؛ وإذا تؤمل كان من أكمل المقابلات؛ ولذلك أمثلة:

منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[1] فقابل الجوع بالعُرْي؛ والظمأ بالضَّحى؛ والواقف مع الظاهر رُبَّما يُحيلُ أنّ الجوع يقابل بالظمأ؛ والعري بالضَّحَى.

والمدقِّق يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة؛ لأن الجوع ألم الباطن والضَّحَى موجِب لحرارة الظاهر، فاقتضت الآية جميع نفي الآفات ظاهراً وباطناً؛ وقابل الخلو بالخلُوّ، والاحتراق بالاحتراق. وها هنا موضع الحكاية المشهورة بين المتنبي وسيف الدولة؛ لما أنشده:

وَقَفْتَ وَمَا فِي ٱلْمَوْتِ شَكٌّ لواقفٍ ... كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمُ[2]

ومنها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَٱلأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾[3]؛ فإنه يتبادر فيه سؤال؛ وهو أنه لم لا قيل: «مثل الفريقين كالأعمى وابصير، والأصم والسميع»، لتكون المقابلة في لفظ «الأعمى» وضده بالبصير، وفي لفظ «الأصم» وضده السميع!

والجواب أنه يقال: لما ذكرَ انسداد العين أتبعه بانسداد السمع، وبضدّ ذلك لما ذكر انفتاح البصر أعقبه بانفتاح السمع؛ فما تضمنته الآية الكريمة هو الأنسب في المقابلة والأتمّ في الإعجاز.

---

(١) سورة: طه آية: ١١٨ - ١١٩.

(٢) أنظر: (ديوان المتنبي ٣/٣٨٦).

(٣) سورة: هود آية: ٢٤.

رد العجز على الصدر وعكسه

﴿خُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[١].

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾[٢].

الْعكْس

وهو أن يقدّم في الكلام جزء ثم يؤخر، كقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[٣] وقدره الزمخشري[٤]، أي لا حلّ بين المؤمن والمشرك، والآية صرحت بنفي الحلّ من الجهتين، فقد يستدل لها من قال: إن الكفار مخاطبون بالفروع.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾[٥] أي ذبائحكم، وهذه رخصة للمسلمين.

---

(١) سورة: الأنبياء آية: ٣٧.

(٢) سورة: المائدة آية: ٩٦.

(٣) سورة: الممتحنة آية: ١٠.

(٤) أنظر: (الكشاف، للزمخشري ٤١٣).

(٥) سورة: المائدة آية: ٥.

إلجام الخصْم بالحجَّة

وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية، تقطع المعاند له فيه. والعجب من ابن المعتز في بديعه، حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن، وهو من أساليبه.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] ثم قال النحاة: إنّ الثانيَ امتنع لأجل امتناع الأول، وخالفهم ابن الحاجب وقال: الممتنع الأول لأجل امتناع الثاني؛ فالتعدد منتف لأجل امتناع الفساد.

وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[2].

وقوله: ﴿أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[3].

وقوله حكاية عن الخليل: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾[4] إلى قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[5].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[6]؛ المعنى أن الأهونَ أدخلُ في الإمكان من غيره؛ وقد أمكن هو، فالاعادة أدخل في

---

(١) سورة: الأنبياء آية: ٢٢.
(٢) سورة: يسٓ آية: ٧٩ ـ ٨١.
(٣) سورة: يسٓ آية: ٨١.
(٤) سورة: الأنعام آية: ٣٠.
(٥) سورة: الأنعام آية: ٨٣.
(٦) سورة: الروم آية: ٢٧.

الإمكان من بدء الخلق.

وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ...﴾[1] الآية، وهذه حجة عقلية، تقديرها أنه لو كان خالقان لاستبدّ كل منهما بخلْقه، فكان الذي يقدر عليه أحدهما لا يقدر عليه الآخر، ويؤدّي إلى تناهي مقدوراتهما[2]؛ وذلك يُبطل الإلهية، فوجب أن يكون الإله واحداً، ثم زاد في الحجاج فقال: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3]، أي ولَغلب بعضهم بعضاً في المراد، ولو أراد أحدهما إحياء جسم والآخر إماتته لم يصحّ ارتفاع مرادهما[4]؛ لأن رفع النقيضين محال، ولا وقوعهما للتضادّ، فنفى وقوع أحدهما دون الآخر؛ وهو المغلوب، وهذه تسمى دلالة التمانع، وهي كثيرة في القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِذْنْ لَٱبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً﴾[5].

وقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ﴾[6].

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ. أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ﴾[7] فبين أنّا لم نخلق المنيّ لتعذره علينا، فوجب أن يكون الخالق غيرنا.

ومنه نوع منطقي وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين، وذلك من أول سورة الحج إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي ٱلْقُبُورِ﴾[8]، فنطق على خمس نتائج من عشر مقدمات؛ فالمقدمات من أول السورة: ﴿وَأَنْبَتَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[9]، والنتائج من قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾[10] إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي ٱلْقُبُورِ﴾[11]

---

(١) سورة: المؤمنون آية: ٩١.

(٢) في جـ: «إلى تناهي مقدوريهما».

(٣) سورة: المؤمنون آية: ٩١.

(٤) في جـ: «لم يصح رفع مرادهما».

(٥) سورة: الإسراء آية: ٤٢.

(٦) سورة: الأنفال آية: ٢٣.

(٧) سورة: الواقعة آية: ٥٨ ـ ٥٩.

(٨) سورة: الحج آية: ٧.

(٩) سورة: الحج آية: ٥.

(١٠) سورة: الحج آية: ٦.

(١١) سورة: الحج آية: ٧.

وتفصيل ترتيب المقدمات والنتائج أن يقال: أخبر الله أنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم، وخبرُه هو الحق، ومَنْ أخبرَ عن الغيب بالحق فهو حق بأنه هو الحق، وأنه يأتي بالساعة على تلك الصفات، ولا يُعلم صدقُ الخبر إلا بإحياء الموتى، ليدركوا ذلك، ومَنْ يأتي بالساعة يحيي الموتى؛ فهو يحيى الموتى. وأخبر أنه يجعل الناس من هول الساعة سُكارى لشدة العذاب، ولا يقدر على عموم الناس لشدة العذاب إلا مَنْ هو على كل شيء قدير؛ فإنه على كل شيء قدير. وأخبر أنّ الساعة يُجازى فيها من يجادل في الله بغير علم، ولا بُدّ من مجازاته، ولا يجازى حتى تكون الساعة آتية، ولا تأتي الساعة حتى يبعث مَنْ في القبور، فهو يبعث مَنْ في القبور. والله ينزِّل الماء على الأرض الهامدة فتنبت من كل زوج بهيج، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من في القبور.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[1] مقدمتان ونتيجة، لأن اتباع الهوى يوجب الضلال، والضلال يوجب سوء العذاب؛ فأنتج أنّ اتباع الهوى يوجب سوء العذاب.

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾[2]، أي القمر أفل، وربي فليس بآفل، فالقمر ليس بربِّي، أثبته بقياس اقتراني جليّ من الشكل الثاني، واحتج بالتعبير على الحدوث، والحدوث على المحدِث.

---

(١) سورة: صٓ آية: ٢٦.

(٢) سورة: الأنعام آية: ٧٦.

التقسيم

وليس المراد به القسمة العقلية التي يتكلم عليها المتكلم؛ لأنها قد تقتضي أشياء مستحيلة كقولهم: الجواهر لا تخلو إما أن تكون مجتمعة أو متفرقة، أو لا مفترقة ولا مجتمعة، أو مجتمعة ومفترقة معاً، أو بعضها مجتمع وبعضها مفترق، فإن هذه القسمة صحيحة عقلاً، لكن بعضها يستحيل وجودُه، وهو استيفاءُ المتكلِّم أقسامَ الشيء؛ بحيث لا يغادر شيئاً وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ ٱللهِ﴾[1] فإنّه لا يخلو العالم جميعاً من هذه الأقسام الثلاثة؛ إما ظالم نفسه، وإما سابق مبادر إلى الخيرات، وإما مقتصد فيها، وهذا من أوضح التقيسمات وأكملها.

ومثله قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً. فَأَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ. وأَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ﴾[2]، وهذه الآية مماثلة في المعنى للتي قبلها، وأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم، وأصحاب الميمنة هم المقتصدون، والسابقون هم السابقون بالخيرات.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾[3] الآية، فاستوفى أقسام الزمان ولا رابع لها.

---

(١) سورة: فاطر آية: ٣٢.

(٢) سورة: الواقعة آية: ٧ ـ ١٠.

(٣) سورة: مريم آية: ٦٤.

وقوله: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾(1) إلى قوله ﴿مَا يَشَاءُ﴾(2)، وهو في القرآن كثير، وخصوصاً في سورة براءة.

ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾(3)، وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهما.

وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ ٱللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾(4)، فاستوفت أقسام الأوقات، من طرَفي كلّ يوم ووسطه مع المطابقة والمقابلة.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾(5)، فلم يترك سبحانه قسماً من أقسام الهيئات.

ومثله آية يونس: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً﴾(6).

لكن وقع بين ترتيب الآيتين مغايرة أوجبتها المبالغة، وذلك أنّ المراد بالذِّكر في الأولى الصلاة فيجب فيها تقديم القيام، ثم عند العجز القعود، ثم الاضطجاع، وهذه بخلاف الضرّ، فإنه يجب فيها تقديم الاضطجاع، وإذا زال بعض الضرّ قعد المضطجع، وإذا زال كلّ الضر قام القاعد، فدعا لتتم الصحة، وتكمل القوّة.

فإن قلت: هذا التأويل لا يتم إلا إذا كانت الواو عاطفة، فإنها تحصل في الكلام حسن اتساق، وائتلاف الألفاظ مع المعاني، وقد عدل عنها إلى «أو» التي سقط معها ذلك.

قلت: يأتي التضرّع على أقسام، فإنّ منه ما يتضرع المضرور عند وروده،

---

(1) سورة: النور آية: 45.
(2) سورة: النور آية: 45.
(3) سورة: الرعد آية: 12.
(4) سورة: الروم آية: 17 ـ 18.
(5) سورة: آل عمران آية: 191.
(6) سورة: يونس آية: 12.

ومنه ما يقعده، ومنه ما يأتي وصاحبه قائم لا يبلغ به شيئاً، والدعاء عنده أولى من التضرّع، فإن الصَّبْر والجزع عند الصدمة الأولى، فوجب العدول عن الواو، لتوخّي الصدق في الخبر، والكلام بالائتلاف، ويحصل النسق، والخبر بذلك التأويل الأول عن شخص واحد، وبالثاني عن أشخاص فغلّب الكثرة، فوجب الإتيان بـ «أوْ» وابتدىء بالشخص الذي تضرع لأن، خبره أشدّ فهو أشد تضرعاً، فوجب تقديم ذكره، ثم القاعد؛ ثم القائم، فحصل حسن الترتيب وائتلاف الألفاظ ومعانيها.

وقوله: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾(١) قسّم سبحانه حال الزوْجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود، لأنه سبحانه إمّا أن يُفرد العبد بهبَة الإناث، أو بهبة الذكور، أو يجمعهما له، أو لا يهبُ شيئاً. وقد جاءت الأقسام في هذه الآية لينتقل منها إلى أعلى منها، وهي هبة الذكور فيه، ثم انتقل إلى أعلى منها وهي هبتهما جميعاً، وجاءت كل أقسام العطية(٢) بلفظ الهبة، وأفرد معنى الحرمان بالتأخير، وقال فيه ﴿يجعل﴾ فعدلَ عن لفظ الهبة للتغاير بين المعاني، كقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّارِعُونَ. لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً﴾(٣)، فذكر امتداد إنمائه بلفظ الزرع، ومعنى الحرمان بلفظ الجعل.

وقيل: إنما بدأ سبحانه بالإناث لوجوه غير ما سبق.

أحدها: جبراً لهن، لأجل استثقال الأبوين لمكانهن.

الثاني: أنّ سياق الكلام أنّه فاعل لما يشاء، لا ما يشاء الأبوان، فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالباً؛ وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء؛ فبدأ بذكر الصنف الذي يشاؤه ولا يريده الأبوان غالباً.

---

(١) سورة: الشورى آية: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) في جـ: «وجاء فيه كل أقسام العطية».

(٣) سورة: الواقعة آية: ٦٣ ـ ٦٥.

الثالث: أنّه قدم ذِكْر ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدوهنّ؛ أي هذا النوع الحقير عندكم مقدّم عندي في الذِّكر.

الرابع: قَدّمهن لضعفهن، وعند العجز والضعف تكون العناية أتم.

وقيل: لينقله مع الغمّ إلى الفرج.

وتأمل كيف عرّف سبحانه الذكور بعد تنكير، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص المتأخر بالتعريف فإنّ التعريف تنويه.

وهذا أحسن مما ذكره الواحدي أنه عرّف الذكور لأجل الفاصلة.

ولما ذكر الصنفين معاً قدّم الذكور، فأعطى لكل من الجنسين حقه من التقديم والتأخير. والله أعلم بما أراد.

بقي سؤال آخر؛ وهو أنه عطف الثاني والرابع بالواو، والثالث بـ «أو» ولعلّه، لأنّ هِبة كلٍّ من الإناث والذكور قد لا يقترن بها، فكأنه وهب لهذا الصنف وحده أو مع غيره فلذلك تعينت «أو». فتأمل لطائف القرآن وبدائعه!

ومن هذا التقسيم أخذ بعض العلماء أن الخنثى لا وجود له؛ لأنه ليس واحداً من المذكورين، ولا حجّة فيه، لأنه مقام امتنان؛ والمنة بغير الخنثى أحسن وأعظم. أو لأنه باعتبار ما في نفس الأمر؛ والخنثى لا يَخرج عن أحدهما.

التعديد

هي إيقاع الألفاظ المبدّدة على سياق واحِد؛ وأكثر ما يؤخذ في الصفات؛ ومقتضاها ألّا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها ويجريها مجرى الوصف في الصدق على ما صدق؛ ولذلك يقلّ عطف بعض صفات الله على بعض في التنزيل، وذلك كقوله: ﴿ٱللهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[١].

وقوله: ﴿ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[٢].

وقوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾[٣].

وإنما عطف قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[٤]؛ لأنها أسماء متضادة المعاني في موضوعها، فوقع الوهم بالعطف عمن يستبعد ذلك في ذات واحدة؛ لأن الشيء الواحد لا يكون ظاهراً باطناً من وجه، وكان العطف فيه أحسن. ولذلك عطف «الناهون» على «الآمرون»، و«بكاراً» على «ثيبات» من قوله: ﴿ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِدُونَ ٱلْحَامِدُونَ ٱلسَّائِحُونَ ٱلرَّاكِعُونَ ٱلسَّاجِدُونَ ٱلْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللهِ﴾[٥].

وقوله: ﴿أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ

---

(١) سورة: البقرة آية: ٢٥٥.
(٢) سورة: الحشر آية: ٢٤.
(٣) سورة: الحشر آية: ٢٣.
(٤) سورة: الحديد آية: ٣٠.
(٥) سورة: التوبة آية: ١١٢.

سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾[1]، فجاء العطف لأنه لا يمكن اجتماعهما في محل واحد بخلاف ما قبله.

وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ﴾[2]، إنما عطف فيه بعضاً ولم يعطف بعضاً، لأن «غافراً» و«قابلاً» يشعران بحدوث المغفرة والقبول، وهما من صفات الأفعال وفعله في غيره لا في نفسه، فدخل العطف للمغايرة لتنزلهما منزلة الجملتين، تنبيهاً على أنه سبحانه يفعل هذا ويفعل هذا. وأما شديد العقاب فصفة مشبّهة، وهي تشعر بالدوام والاستمرار؛ فتدل على القوة، ويشبه ذلك صفات الذات.

وقوله: ﴿ذِي ٱلطَّوْلِ﴾[3]، المراد به ذاته، فترك العطف لاتحاد المعنى.

وقد جاء قليلاً في غير الصفات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ...﴾[4] الآية، قال الزمخشري[5]: العطف الأول كقوله: ﴿ثيبات وأبكاراً﴾، في أنهما جنسان مختلفان، إذا اشتركا في حكم لم يكن بدّ من توسيط العاطف بينهما، وأمّا العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع؛ فكان معناه: أن الجامِعين والجامعات لهذه الصفات[6] أعدّ لهم مغفرة. انتهى.

وقال بعضهم: الصفات المتعاطفة إن علم أن موصوفها واحد من كل وجه، كقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾[7]، فإن الموصوف «الله»، وإما في النوع كقوله: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾[8] فإن الموصوف الأزواج، وقوله: ﴿ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ﴾[9]؛ فإنّ الموصوف النوع الجامع للصفات المتقدمة. وإن لم يعلم أن موصوفها واحد من جهة وضع اللفظ. فإن دلّ دليل

---

(1) سورة: التحريم آية: ٥.

(2) سورة: غافر آية: ٣.

(3) سورة: غافر آية: ٣.

(4) سورة: الأحزاب آية: ٣٥.

(5) أنظر: (الكشاف، للزمخشري ٣/٤٢٦).

(6) في جـ: «لهذه الطاعات».

(7) سورة: غافر آية: ٣.

(8) سورة: التحريم آية: ٥.

(9) سورة: التوبة آية: ١١.

على أنه من عطف الصفات اتبع كهذه الآية. فإنّ هذه الأعداد لمن جمع الطاعات العشر، لا لمن انفرد بواحدة منها؛ إذ الاسلام والإيمان كلٌّ منهما شرط في الآخر، وكلاهما شرط في حصول الأجر على البواقي. ومن كان مسلماً مؤمناً فله أجره، لكن ليس هذا الأجر العظيم الذي أعده الله في هذه الآية الكريمة، وقرن به إعداد المغفرة زائداً على المغفرة: فلخصوص هذه الآية جعل الزمخشري ذلك من عطف الصفات، والموصوف واحد؛ فلو لم يكن كذلك واحتمل تقدير موصوف مع كل صفة وعدمه حُمِل على التقدير؛ فإن ظاهر العطف التغاير. ولا يقال: الأصل عدم التقدير؛ لأن الظاهر يقدم على رعاية ذلك الأصل.

ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ...﴾[1] الآية، ولو كان من عطف الصفات لم يستحق الصدقة إلا من جميع الصفات الثمان، ولذلك إذا وقف على الفقهاء والنحاة والفقراء استحق من فيه إحدى الصفات.

تم الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع وأوله: مقابلة الجمع بالجمع؛

وهو أحد أساليب القرآن المندرجة تحت النوع السادس والأربعين

---

(١) سورة: التوبة آية: ٦٠.

فهرست الجزء الثالث
من كتاب البرهان في علوم القرآن

القسم الحادي عشر: المثنى وإرادة الواحد ٥

القسم الثاني عشر: إطلاق الجمع وإرادة الواحد ٩

القسم الثالث عشر: إطلاق لفظ التثنية والمراد الجمع ١١

القسم الرابع عشر: التكرار على وجه التأكيد ١٢

القسم الخامس عشر: الزيادة في بنية الكلمة ٣٨

القسم السادس عشر: التفسير ٤١

القسم السابع عشر: خروج اللفظ مخرج الغالب ٤٣

القسم الثامن عشر: القَسَم ٤٥

القسم التاسع عشر: إبراز الكلام في صورة المستحيل على طريق المبالغة
ليدل على بقية جمله ٥٢

القسم الموفي العشرون: الاستثناء والاستدراك ٥٤

القسم الحادي والعشرون: المبالغة ٥٧

القسم الثاني والعشرون: الاعتراض ٦٢

القسم الثالث والعشرون: الاحتراس ٧٢

القسم الرابع والعشرون: التذييل ٧٦

القسم الخامس والعشرون: التتميم ٧٨

القسم السادس والعشرون: الزيادة ٧٩

القسم السابع والعشرون: باب الاشتغال ١٠٢

القسم الثامن والعشرون: التعليل ١٠٤
الأسلوب الثاني: الحذف .. حذف الاسم، حذف الفعل، حذف الحرف ... ١١٥
القول في التقديم والتأخير ٢٧٣
الفصل الأول في أسبابه ٢٧٤
الفصل الثاني في أنواعه ٢٧٩
النوع الأول: ما قدم والمعنى عليه ٢٧٩
النوع الثاني: ما قدم والنية به التأخير ٣١٩
النوع الثالث: ما قدّم في آية وأخّر في أخرى ٣٢٩
الأسلوب الثالث: القلب ٣٣٤
المدرج ٣٤٠
الترقّي ٣٤٢
الاقتصاص ٣٤٣
الإلغاز ٣٤٥
الاستطراد ٣٤٦
الترديد ٣٤٧
التغليب . وهو أنواع ٣٤٨
الالتفات ... وفيه مباحث ٣٦١
التضمين ٣٨٨
وضع الخبر موضع الطلب في الأمر والنهي ٣٩٨
وضع الطلب موضع الخبر ٤٠٢
وضع النداء موضع التعجّب ٤٠٥
وضع جملة القلة موضع الكثرة ٤٠٧
تذكير المؤنث ٤١٢
تأنيث المذكر ٤١٩
التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه ٤٢٦
مشاكلة اللفظ للفظ ٤٣١

مشاكلة اللفظ للمعنى ٤٣٢
النحت ٤٤٢
الإبدال ٤٤٣
المحاذاة ٤٤٦
قواعد في النّفي ٤٤٨
إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة
وحسم العناد ٤٦٥
الإعراض عن صريح الحكم ٤٦٧
الهدم ٤٦٨
التوسّع ٤٧٠
التشبيه ٤٧٢
الاستعارة ٤٨٩
التورية ٥٠١
التجديد ٥٠٤
التجنيس ٥٠٦
الطباق ٥١٢
المقابلة ٥١٥
تقسيم ٥٢١
رد العجز على الصدر وعكسه ٥٢٣
العكس ٥٢٣
إلجام الخصم بالحجّة ٥٢٤
التقسيم ٥٢٧
التعديد ٥٣١